ديوان

الشاعر حسن جاد حسن

(١٩١٤ — ١٩٩٥)

جمع وتحقيق

عبد الرحمن إبراهيم الغزنوي

الطبعة الأولى

١٤٣٧هـ/٢٠١٦م

ملتزم الطبع والنشر

دار الثقافة اللغوية

٢ شارع خالد بن الوليد - المنصورة - القاهرة

ت: ٢١٣١١٠٤ - فاكس: ٠٥٠٢١٣١١٠٢

٠١٠٠٥٨٨٥٠٣١ - ٠١٠٦١٨٩٨٧٧٠

Wael_elnagdy@yahoo.com

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٢٠١٦/ ٧٤٨٣

ديوان الشاعر

حسن جاد حسن

مقدمة الديوان

مقدمة الديوان

هذا هو العمل الكامل الجامع لشعر الأستاذ الدكتور/ **حسن جاد حسن** شاعر الأزهر والعروبة والإسلام، جمعتُه على منهجه الذي ارتضاه وعلى اتفاقٍ كان بيني وبينه ولهذا الاتفاق قصةٌ نوردها في موضعها بعد قليل عند الحديث عما عملته فيه وما يمتاز به على الجمع الذي سبقه.

جمعَ هذا العملُ دواوين الشعر الثلاثةِ الأصول التي أصدرها الشاعر في صورة مخطوطات أو مطبوعة بنفس منهج الجمع الذي جمعتُه للشاعر في آخر حياته في عام ١٩٩٣م كما يأتي:

١- ديوان **زورق الشجون** وهو الديوان الوحيد المطبوع للشاعر في عام ١٩٣٤م وموجود منه نسخة من طبعته الثانية في ١٩٣٥م عندي ، واختار الشاعر منها ما ارتضاه تحت عنوان من شعر ما قبل العشرين بعد إضافة وحذف وتعديل نبهت عليها في مواضعها وتركتُ بعضها من باب الاختصار أحيانا، ولعدم رضاه عن مستواها الفني أحيانا أخرى حيث كتبها الشاعر في سن مبكرة واخترتُ بعضا آخر منها لرؤية كنتُ صرحتُ بها للشاعر في حياته فأجاز رأيي ولكن ترك لي تنفيذه كما سيأتي بعد ذلك.

٢- ديوان **وحي الربيع** وهو المخطوط الذي انتهى الشاعر من تجهيزه في بداية ١٩٥٢م وكان مشتملا على غالب شعره إلى هذه السنة، وقد أضاف إليه بعض الأشعار من ديوان زورق الشجون، وكان فيه باب كامل للشعر الملكي، وهذا الديوان كما جاء في مقدمته التي كتبها الشاعر كان معدا للنشر من خلال مجمع فؤاد الأول للغة العربية (مجمع اللغة العربية بالقاهرة حاليا) ولكن شاء الله أن تقوم ثورة يوليو ١٩٥٢م وكان الشاعر من جملة الشعراء الذين دخلوا القصر في مناسبات

كثيرة مهنئًا ومعزِّيًا وفي حفلات تكريمه بالتفوق والجوائز الملكية، فخاف الشاعر على نفسه من بطش القائمين على الثورة والحكم فآثر السلامة، ووضع هذا الديوان في غياهب مكتبته وكتب بخطه اعتذارا في بداية باب الشعر الملكي جاء فيه " جرتْ الأحداثُ الأخيرةُ في مصر بعد أن تم نسخ وتجليد هذه النسخ، فلم يكن بدٌّ من بقاء هذا الباب على حاله كقطعة من التاريخ الفني مرتبطة بتاريخ مصر، على أنه تاريخ لطور من أطوار الشعور والتجاوب النفسي، وما الأدب إلا سجل الأحداث، وصورة لما تختلج به النفس من المشاعر في أطوار حياتها، وكما قلتُ في المقدمةِ إن شعرَ المناسباتِ هذا إنما كان صدىً لما تتجاوب به المشاعرُ وقت المناسبة. على أن حظ المناسبة في هذه القصائد ضيلٌ بجانب ما فيها من معان قوميةٍ واجتماعيةٍ توحي بضرورة الإبقاء عليها للفن والتاريخ "[1]، ثم أخذ الشاعر كثيرًا من قصائده بعد ذلك وأعاد صياغتها في مناسبات أخرى فمثلا أخذ قصيدة "مهرجان النيل" وكانت في ١٩٤٥م وجعلها "مهرجان الجلاء" وكانت في ١٩٥٤م ، وهكذا أعاد بثَّ كثيرٍ من هذه القصائد في صورة أخرى ومناسبة ثانية فنبهتُ على ذلك وتركتُ القصيدتين إذا كان ممكنا أن تقوم كل واحدة منهما بنفسها لأمور أهمها دراسة وتتبع أثر السياسة والحياة الاجتماعية في هذه الفترة في نفس الشاعر وإجباره على التحول من جهة كان يرتضيها دون ضغوطٍ إلى رأيٍ تحت ضغط هذه الظروف الجديدة.

وهذا الديوان بالذات كان سببا في إصدارتي هذه وقصة ذلك أنني كنتُ جمعتُ للشاعر جمعه الأخير قبل وفاته بعامين واستمر إلى ما قبل وفاته بقليل وقام في هذا الجمع بالاختصار والحذف المخلِّ لأغراض كان أهمها استرضاء جهة من الجهاتِ

(١) هذه ملاحظة كتبها الشاعر بخطه على مخطوط الديوان المذكور ويظهر فيها محاولا التبرير لوجود هذا الشعر خشية أن يبطش به إذا وجد هذا الشعر الملكي عنده، حيث الثورة الفائرة على كل منتسب للملكية.

لتقوم على طباعة الديوان، فكان هذا الحذف لاختصار حجم الديوان ليناسب دعم هذه الجهة من ناحية ولاسترضاء القائمين عليها حيث كان في شعره لمز كثير لبعض أصحابها، وهجاء مباشر للبعض الآخر – وهذا سبب تأخر الديوان في الظهور في فترة ما بعد ١٩٥٢م إلى ١٩٩٠م تقريبا – ولذا طمس كثيرا من الأبيات التي تدل على أشخاص أو هيئات، وهذا الاختصار أو الطمس قد أخلَّا كثيرًا فاعترضتُ على ذلك وناقشتُ الشاعر فيه في مجالسنا التي كانت تمتد من التاسعة صباحًا حتى الثانية عشر منتصف الليل يتخللها وقت الغداء والقيلولة ثم نستمر، وكان الرجل موافقا على رأيي ولكن شرح لي وجهة نظره وأسبابه حيث يريد أن يمر الديوان بسلام ويُطبعَ في حياته ليطمئن عليه وهذا خير من ضياعه، فلما وجدت عجزه وقلَّةَ حيلتِه طلبتُ منه أن أقوم أنا بإعادة هذا الجمع بحيث أضع فيه ما عجزنا أن نضعه هنا، سواء أكانت أسبابنا اقتصادية أم سياسية فوافق على ذلك وفرح به فرحًا شديدًا، ودفع إليَّ المخطوط الأصلي لوحي الربيع لاستخدامه عندما أضع نسختي ودفع إليَّ أيضا نسخة من الديوان المجموع في ١٩٨٤م بواسطة تلميذه د. محمد عبد الرحمن خضير، وكثيرا من مخطوطات القصائد التي لم تكن نشرت من قبل خاصةً في باب سوط النقد حيثُ كان وضعها في ديوان ١٩٨٤م يحرجُ الشاعرَ إذ كان مشرف الرسالة أحد من هجاهم أيضا وغيره كثير.

٣– ديوان ١٩٨٤م والذي جمعه الشاعر بمساعدة تلميذه محمد عبد الرحمن خضير باحث الدراسات العليا في هذا الوقت لعمل رسالة الماجستير بعنوان " الاتجاهات الشعرية في شعر حسن جاد حسن " وكان هذا المخطوط ضمن رسالته–والذي صار أستاذا في الأدب بعد ذلك– وحدثني الشاعر والباحثُ كلاهما أن هذا الجمع كان من خلال الشاعر حيث كان يملي على الباحث ويوجهه وأن

الدور الذي قام به الباحث كان مقتصرًا على تنفيذ ما يراه الشاعر وهذا لا يقلل من الجهد الكبير الذي بذله الباحث في جمع شتات هذا الديوان من آلاف القصاصات والمسوَّدات التي احتفظ بها الشاعر، ولما وجد الشاعر اعتراضي على كثير مما صنع في ديوانه دفع إليَّ المخطوطات كما سبق وذكرت.

بالإضافة إلى الجمعِ الأخيرِ في ١٩٩٣م وكنتُ القائم به وقد أنجزتُه بمساعدة الشاعر في تمام عافيته ودفع نسخة منه إلي أحد الأساتذة بالأزهر وأبقى نسخة منه لدى ابنته الصغرى أمل حسن جاد بالقاهرة وقبل العمل في هذا الديوان أعدتُ النظر في هذه النسخة ولم يُكتب لها أيضا الظهور مطبوعة لأسباب مجهولة حتى الآن. فلم يكن إلا ما ذكرتُه من اختلافات لذا أردت أن أنبه أخيرًا أن هذا الجمع هو الأكملُ على الإطلاق جاء على نفس منهج الجمع السابق برئاسة الشاعر نفسه في ١٩٩٣م، مع سدِّ الخلل الذي ذكرناه وكان يقره الشاعر كما سبق. ورأيت أن أتمم هذا العمل عرفانا بالمحبة التي جمعتني بصاحب هذا الديوان طيب الله ثراه – وحفظا لتراثه من الضياع لأضمن أن يصير إلى المكتبات العالمية لحفظه وإلى أيدي الباحثين لإجراء الدراسات النافعة عليه وفاءًا لصاحبه الذي لم ينل حظه من الشهرة والتكريم مع كثرة مواهبه ونبوغه كما سيرى القارئ الكريم عند الاطلاع على هذا العمل العظيم.

* * *

حياة الشاعر في سطور[١]

-١-

هو / حَسَن جَاد حَسَن عَطا الله.

وُلِدَ في ١٣ يناير عام ١٩١٤ م بقرية (مِنْشاة الجَمَّال) التابعة لمركز دكرنس[٢] محافظة الدقهلية . ونشأ في أسرة متواضعة، وكان أبوه شيخا للقرية يتولى إدارة شئونها، كما كان حافظا للقرآن الكريم ملمًّا بجانب من الثقافة الإسلامية والتفقه في الدين. أما أمُّه فتنتسب إلي أسرة تنتمي إلي قبيلة من القبائل العربية . وهكذا نشأ في أسرة محافظة متديِّنةٍ يحفظ أكثر أفرادها القرآن الكريم، منهم من تعلم في الأزهر وحصل على الشهادة العالمية ، ومنهم من تعلم في المدارس المدنية ووصل إلي وظيفة مدير منطقة تعليمية.

-٢-

وقد توفِّيَ والده وهو في سِنِّ الخامسة فكفلته أمه وأدخلته (كُتَّابَ القريةِ) حيثُ حَفظَ القرآنَ الكريم وأحسن تجويده. وفي هذه الفترة بدأ يُحِسُّ مرارةَ اليُتْمِ حيثُ افتقدَ حنانَ الأبِ ورعايته، كما افتقد رعايةَ الكبار من إخوته لأبيه، وإن كان حنان أمه قد عوضه بعض التعويض إلي جانب خالٍ له يُدعي (مُختار) كان يغمره بعطفه وحنانه، غير أن المنيةَ عاجلته في ريعان الشباب ، أما خالُه الآخر(علي) الذي عمر طويلا فقد كان جافي الطبع غليظ القلب، كم عانى الشاعر من قسوته وجفائه مما أثَّرَ في حياته أسوأ الأثر.

---

(١) كما اعتمدها الشاعر في آخر مراجعة معه ١٩٩٤م .

(٢) حاليا تابعة لمركز منية النصر (بعد التقسيم الإداري الأخير).

-٣-

التحق الشاعر بمعهد دمياط الابتدائي في سنة ١٩٢٦م وكان من زملائه فيه الشيخ محمد خاطر -مفتي الجمهورية-، والشاعر طاهر أبو فاشا.

ثم التحق بمعهد الزقازيق الثانوي في سنة ١٩٣٠م، حيث كان من زملائه الجدد فيه الشيخ محمد متولي الشعراوي، والدكتور محمد الطيب النجار -مدير جامعة الأزهر-. وفي هذا المعهد بدأت شاعريتُه تتفتح، حيث أخذ ينظم الشعر في كل مناسبة، وأصدر ديوانَه الأول (زَورقُ الشجونِ) وهو في السنة الرابعة الثانوية سنة ١٩٣٤.

وفي سنة ١٩٣٥م التحق بكلية اللغة العربية بجامعةِ الأزهرِ، وكان من المتقدمين فيها حيث كان ترتيبه(الثاني) دائما، وحصل علي الشهادة العالية ففاز بجائزة الملك فؤاد سنة ١٩٣٩م وكانت تمنح للأول والثاني في الشهادات العالية.

وفي هذه المرحلة اتصل بكبار الأدباء والشعراء، وكانت هناك ندوة أدبية في (كازينو بابِ الخَلقِ) يجتمع فيها مع الأدباء والشعراء من زملائه الشباب مثل: السيد قُطب، ومحمود حسن إسماعيل، وأحمد فتحي، وطاهِر أبو فَاشا، وأحمد مخيمر، والعوضي الوكيل، ومحمد فهمي عبداللطيف، وغيرهم. كما كان يتردد علي ندوة أحمد الزِّين والهَرَّاوِي ومحمد الأسمر بقهوة الحلمية. وندوة الشيخ حسن القاياتي بعطفةِ السُّكَّرية عند بوابةِ المتولي.

وفي هذه المرحلة كذلك بدأ ينشر قصائده في الصحف والمجلات، ويشترك في المسابقات الأدبية، وقد حصل علي كثير من الميداليات الذهبية، وألقى قصائده الفائزة في دار الأوبرا الملكية.

-٤-

ثم التحق بقسم الدراسات العليا متخصصًا في ا(البلاغة والأدب) في سنة ١٩٣٩م. وفي هذه المرحلة اشترك في مسابقة الشعر البريطانية التي كانت تُعقد كل عام من سنوات الحرب العالمية الثانية، ففاز بالجائزة الأولى عن قصيدة (دنيا الغد) وذلك في سنة ١٩٤٤م. كما فاز بالجوائز الثلاث عن قصائده (أمل الفلاح – الجامعة العربية – نشيد النصر) في سنة ١٩٤٥م.

وفي ذلك العام (١٩٤٥م) تقدم لامتحان الدراسات العليا فرسب في درجتين فقط (١) بسبب تعنُّت اللجنة بينما حصل علي أكبر الدرجات في جميع المواد، وهنا أحسَّ الشاعر بالضياع إذ كان يعيش على تلك الإعانةِ اليسيرة التي كان الأزهر يمنحها لطلاب الدراسات العليا حيث لم يكن لهم عمل يعيشون منه بل لم يكن أحد منهم يستطيع أن يجد أيَّ عمل في ذلك الوقت. وكان الشاعر قد قنع بهذه الإعانة التي كان يحصل عليها في الكلية أو الدراسات العليا، إذ لم يشأ أن يرهق أمه أكثر مما أرهقها في التعليم الابتدائي والثانوي حيث كانت تبيع ما تملك لتنفق عليه. ومن هنا ضاق الشاعر وأخذ يعبر عن ضيقه بذلك الهجاء (٢) الذي اشتهر وشاع حتى أصبح لونا بارزا من ألوان شعره، فقد راح منذ ذلك الحين يتتبع أخطاء الشيوخ وينقد كل مظهر من مظاهر الرياء أو النفاق أو إهمال حقوق الأزهر.

وفي هذه السنوات الأخيرة من سِنين دراسته - الدراسات العليا - كان يلتقي كل ليلة في ندوة تضم الشاعر عبدالحميد الديب، والشاعر محمود أبو الوفا، والدكتور عبدالرحمن عثمان في منزل عبدالحميد قطامش المحامي بحيِّ العِمري ببابِ الخلق.

---

(١) في مادة البلاغة.

(٢) بدأها بقصيدة ياسين البوّاب معرِّضا بأستاذه في البلاغة وكان من أصل سوداني.

وأخيرًا حصُل على شهادة الدكتوراه في (البلاغة والأدب) سنة ١٩٤٦م (بتقدير ممتاز)، وذلك بعد أن توفيت والدته بشهر واحد قبل حصوله على هذه الشهادة وقبل أن يلتحق بوظيفة كان ينتظرها ليردَّ لأمِّه بعض الجميل على ما قدمته له من تضحية ورعاية وطول انتظار، فكان موتها صدمةً كبيرة أنسته فرحته بالشهادة والوظيفة.

ثم عُيِّنَ مدرسًا بكلية اللغة العربيةِ بالقاهرةِ في أواخر سنة ١٩٤٦م . ثم أستاذًا مساعدًا في سنة ١٩٦٤م. ثم أستاذًا في سنة ١٩٦٩م. ثم رئيسًا لقسم الأدب في سنة ١٩٧٦م. ثم عميدًا للكلية في سنة ١٩٧٨م.

وفي سنة ١٩٥٤م ألْقى قصيدة في عيد الجلاء أمام (جمال عبدالناصر) ورجال الثورة جميعًا طالب فيها بحقوق الأزهر المهدرة بصراحة وشجاعة أخافت المسئولين في الأزهر، غير أن جمال عبدالناصر أعجب بصراحته وشدَّ على يده شاكرًا ومقدرًا ومعجبًا[١] .

وفي عامي ١٩٦٠-١٩٦١م أعير لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض(الكليات والمعاهد العلمية سابقًا)[٢].

وعند إنشاء جامعة الأزهر الجديدة قدم قصيدة لعاهل الكويت [٣] فتبرع لهذه الجامعة بنحو مائتي ألف جنيه.

---

(١) وكان هذا سببا في ضمه إلي الاتحاد الاشتراكي من قبل عبدالناصر حيث أرسل إليه مندوبا بالاستمارة في البيت ولم يفلت إلا حين سافر إلي السعودية بعد ذلك (بحسب قول الشاعر).

(٢) وهناك التقي الشيخ عبدالعزيز بن باز وأهدى له قصيدة : تحية صادقة.

(٣) عنوان القصيدة تحية جامعة الأزهر ١٩٦٦م.

وفي عام ١٩٦٩م أُعير للجامعة الإسلامية بليبيا. وظل هناك حتى عام ١٩٧٣م(١).

وفي سنة ١٩٧٣م فجعه القدر في ولده الوحيد (محمد) وكان طالبًا بالثانوية العامة حيث فقد بفقده كل أمل كان ينتظره منه في شيخوخته، وقد حطمت هذه الفاجعة نفسه وذهبت أو كادت ببصره وزادته انطواءً على نفسه إلي جانب انطوائه طول حياته بسبب اليُتم والحرمان من رعاية الأب والإخوة فزهد في الشهرة، وتحاشى الأضواء، وانصرف إلى همومه وأشجانه(٢).

وفي سنة ١٩٧٦م عُيِّنَ عضوًا بلجنة الشعر بالمجلس الأعلى للفنون والآداب.

وفي أبريل سنة ١٩٧٨م أقيم مهرجان شعري كبير ضم شعراء الجمهورية وشواعرها، وفي هذا المهرجان اختار الأدباء تنصيبه عميدًا للأدب العربي(٣)، وقد أحدث ذلك ضجة كبرى في الصحف العربية ووسائل الإعلام، غيرَ أن الشاعر رفض هذا التنصيب الذي رأى نفسه دون مستواه أو الأهلية له(٤).

وفي سنة ١٩٨١م منحه الرئيس محمد أنور السادات (وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى) وذلك بعد أن أُحيلَ إلى التقاعد عام ١٩٧٩م وعمل أستاذا متفرغا بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بجامعة الأزهر.

---

(١) وكانت وفاة ولده سببا في إنهائه لإعارته.

(٢) سطَّر فيه رثائيته المشهورة والتي تعدُّ من أقوى قصائد رثاء الأبناء.

(٣) جريدة الأخبار العدد ٨٠٥١ – ٥ أبريل ١٩٧٨م.

(٤) مقال للشاعر بجريدة الأخبار العدد ٨٠٥٨ – ١٢ أبريل ١٩٧٨م.

-٦-

أما أهم مؤلفاته فهي:

١) الأدب العربي بين الجاهلية والإسلام.

٢) الأدب العربي في ظلال الأمويين والعباسيين.

٣) ابن زيدون، عصره، حياته، أدبه [١].

٤) الأدب العربي في المهجر [٢].

٥) دراسات في النقد العربي القديم.

٦) على هامش النقد الأدبي الحديث.

٧) الأدب المقارن.

٨) ميزان الشاعر في العروض والقوافي.

٩) ديوان حسن جاد – هذا المخطوط –.

وقد أشرف – وما يزال– [٣] على أثر من مائتي رسالة ماجستير ودكتوراة في الأدب والنقد قديمه وحديثه.

هذا، وقد سجل أحدُ الطلاب بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر رسالة للماجستير في دراسة شعره[٤].

---

(١) رسالة الدكتوراة.

(٢) مطبوع بدار قطري بن الفجاءة في قطر.

(٣) هذا في عام ١٩٨٤م سنة جمع الديوان ورسالة الماجستير الممنوحة فيه.

(٤) الاتجاهات الفنية في شعر حسن جاد: محمد عبدالرحمن خضير. رقم الإيداع: ١٠٣٦ بمكتبة كلية اللغة العربية بالأزهر بالقاهرة؛ وكان من حظ الطالب أنه قام بجمع الديوان بين يدي الشاعر للمرة الأولى والتي كانت نواة الجمع الأخير الذي قام به الشاعر والذي قمنا نحن بإعداده مرتين الأولى كانت بين يدي الشاعر وهذه الخيرة على نفس المنهج بعد استكمال ما كان ناقصا.

الشِّعْرُ

الشِّعرُ فيضُ خواطرٍ تتدفقُ ... والشعرُ ومضُ مشاعرٍ تتألَّقُ

والشعرُ نبضُ القلبِ في خفقانِه ... وعبيرُ رُوحٍ عبقريٍّ يَعبَقُ

والشعرُ موسيقى الكلامِ مفصَّلا ... لا ما يُبَعْثَر نظمُه ويفرَّقُ

صورٌ شجيَّاتُ الرنينِ أصيلَةٌ ... لا ما يُزَوَّرُ نَسجُه ويلَفَّقُ

عربيَّةُ القسماتِ.. لا عجميةٌ ... فالشعرُ نعمَ اليعربِيُّ المُعْرِقُ

صدَّاحُه شاقَ البلابلَ شدوه ... والروضُ نشوانُ الخمائلِ شيِّقُ

اقرع به سمع الزمان فإنَّهُ ... زمنٌ أصمُّ المسمَعيْنِ مُخَرَّقُ

العبقريُّ به يضيعُ ترفُّعًا ... ويفوزُ فيه الجاهلُ المتملِّقُ

والأحمقُ الرعديدُ في ميزانِهِ ... بطلٌ، ولو لاقاهُ هرٌّ يَفْرَقُ

والعجزُ زُهدٌ، والفكاهة حكمةٌ ... والجُبنُ حلمٌ، والصراحةُ مَوْبِقُ

نفثاتُ أشجانٍ زحمنَ مشاعري ... ومن الشُّجونِ سجينُها والمُطلَقُ

الشعر الديني

١- دعاءٌ

يا سميعَ الدعاءِ للسائِلينا   ومجيبًا ضراعةَ الضَّارِعينا
يا مغيثَ الملهوفِ يا كاشفَ الضُّرِّ عن اليائسينَ والبائِسينا
يا نصيرَ المظلومِ يا قاهرَ الظالِمِ يا مُلهمَ الحيارى اليَقينا
فرِّجْ الكربَ عن عبادِك ياربُّ وأطلعْ سناك للمُدْلجِينا
ماجتْ الأرضُ بالشقاءِ فباتتْ   تغمرُ الأفقَ صيحةً وأنينا
وجفاها السلامُ حتى لقدْ أمسى بنوها وأصبحوا خائِفينا
وغَدَا المُسلمونَ فى كلِّ وادٍ   مِنْ شَتَاتٍ أذلَّةً صَاغِرينَا
يترامون فى الممالكِ أشلاءً وكانوا الأعزةَ الفاتِحينا
أينَ سلطانُهم؟ وأينَ جلالٌ   كان يعنو لعزِّه المالكونا ؟
محِنٌ مالها سواكَ قد استعصتْ وأعيتْ عبادَكَ العاجِزينا
وهمومٌ كأنَّها ظُلَلُ الموجِ عدَوْنا فى لُجِّها مُغْرَقينا
وظَلامٌ يطوى النفوسَ على اليأسِ طغى ليلُه فأعْمَى العُيونا
ورجاءٌ يموتُ إثرَ رَجَاءٍ   ودُعاءٍ لايسعفُ الدَّاعِينا
كُلَّما طافَ بالخَواطِرِ فألٌ   طارَ نحْسَا من صيحةِ الناعِينا

وإذا نغَّمَ المسرَّةَ شادٍ ... حوَّلتْها الخطوبُ لحنا حَزِينا

قَلقٌ لا يريمُ ، يا ربُّ رُحماك فما زلتَ أرحمَ الراحمينا

أنتَ ملءُ السماءِ والأرْضِ نُورا ... تَجْتَلِيه بصائرُ المؤُمنينا

صَدَفَ الناسُ عن سناكَ فَضَّلوا ... من عَماهُم صراطَكَ المُسْتَبينا

وأذَلُّوا النفوسَ حِرْصا وشُحًّا ... فهوَتْ تحت أرْجُلِ الواطِئينا

واستحرَّتْ ضراوةَ الحِقْدِ حتى ... وَأَدَ الحُبَّ فى القلُوبِ جَنينا

مأتَمٌ تندُبُ الفضيلةُ فيه ... خُلقا ماتَ أو ضَميرًا طَعِينَا

ربِّ لا تأخذْ الضعافَ بذنبٍ ... قد جناهُ فى مُلكك الظالِمونا

نفحةً من رضاكَ ، وَمْضَةَ إشراقٍ تَردُّ المُنى إلى اليائِسينا

واجلُ هذا الليلَ الطويلَ بفجرٍ ... يهتدى فى ضيائِه الحائرونا

واكتب النصرَ للعروبةِ -يا ربُّ-، ووفقْ رجالَهَا العامِلِينا

واحفظْ الدينَ من سهامَ الأعادِي ... وأعِزَّ الإسلام والمُسلمينا

* * *

٣ـ من وحى القرآن الكريم(*)
فى احتفال جمعيةِ المحافظة على القرآن الكريم

يـا سـاقيَ الأرواحِ مـن كاسـاتِه ... روحى[1] فداك فهاتِ جامَكَ هاتِهِ
واسكُبْ غناءَكَ فى مسامعِ مُهْجَتِى[2] ... يَـشْدُ الفُـؤادُ عـلى صـدى رَنَّاتِـه
رتِّلْـه يـا غَـرِدَ الـسماءِ مُفَـصَّلا ... تَعْنُـو النُفـوسُ إلى بَليـغِ عِظَاتِـه
يـامن نـداماهُ القلـوبُ وراحُـه ... مـن كرمـةِ البـارِى ومـن جنَّاتـه
عطِّـرْ بـه الـدُّنيا فأيَّـةُ نَفحَـةٍ ... أنـدى مـن القـرآنِ فى نفحاتِـهِ؟
واشـجِ القلـوبَ بـه فأيَّـةُ نغْمَـةٍ ... أشْـجى مـن القـرآنِ فى نغماتِـه؟
واجـلُ النفـوسَ بـه فأيَّـةُ جَلـوةٍ ... أبهـى مـن القـرآنِ فى كلماتِـه؟
افـتحْ مغالقَهـا تَعُـدْ صـوفيَّةً ... سَكْرى المشاعرِ مِنْ طِلا آياتِـه
إنْ تَـسْقِها مِـن كَرْمَـةٍ تُفـتحْ لهـا ... حُجُـبَ الـسماءِ عـن الإلـهِ وذاتِـهِ
عـينٌ مـن الفُـصْحى ونبـعُ هدايـةٍ ... يـشفى غليـلَ الـروحِ عـذبُ فراتِـه
يحيـا بـه مَيْـتُ القلـوبِ بـشاشةً ... كالجَدْبِ أحيا الغيثُ مَيْتَ نباتِـه
الـسحرُ كـلُّ الـسحرِ فى ألفاظِـه ... والجـرْسُ أحـلى الجـرْسِ فى نَبراتِـه
أعيـا العُقـولَ مَعَانيـا ومَرَامِيـا ... ورمَى فُحولَ القَولِ عن صَهَواتِهِ
من راحَ من جهلٍ يعارضُ شمسَهُ ... أعْـشى نـواظرَهُ بفـرطِ إياتِـه

(*) هذه إحدى روايات القصيدة (آخر ما اعتمد الشاعر منها) ولكن لها الصدارة أولى فى ديوان وحى الربيع أطول منها وبها تقديم وتأخير وتغير فى المعنى حذف هناك وإضافة هنا ، وإنما قلت ذلك لآن الاختلاف بينها يصعب تتبعه فى الهامش .

(١) فى مخطوط من وحى الربيع :"نفسى فداؤك هات كأسك هاته ".

(٢) هـذا البيتُ مـن وحـي الربيع أضيفَ بعد ذلـكَ للقصيدةِ متأخرًا عـن زمـنِ القـصيدةِ وعـنْ عـامِ (١٩٥٢م) تاريخ مخطوط.

حسْبُ النبيِّ به قوارعَ حُجةٍ ... دكَّت صروحَ الشركِ فوقَ مَناتِه
من كل بالغِ حكمةٍ أصغَى لها ... سمعُ الزمانِ وزفَّها لرواتِه
أوكلِّ رائعِ قصةٍ تأثيرُها ... راعَ الجحودَ وهزَّ صُلبَ قناتِه
أوكلِّ ذكرٍ من جلالةِ قُدْسِه ... وَجِلَ الفؤادُ ولجَّ فى دقاتِه
أوكلِّ موعظةٍ بكى من وقعِها ... طَرْفُ العَصيِّ وتاهَ فى عَبَراتِه
إسمعْ لشدوِ النشءِ فى ترتيلِه ... ينسابُ قُدْسيًّا على لهواتِه
تحْسَبْ عصافيرَ الربيعِ ترنَّمتْ ... فى الروضِ واجتَمَعَتْ على دوْحَاتِه
قبَسٌ من الرحمنِ يهدى مَنْ سَرَى ... فى ظُلمةِ الدنيا سَنا مِشكاتِه
ومشارعٌ للحقِّ والأخلاقِ مِنْ ... آدابِه تَحْميهِ مِنْ عَثراتِه
تفنى دساتيرُ العبادِ وإنما ... دستورُه ماضٍ إلى غاياتِه
جَلَّ المشرِّعُ كلُّ شرعٍ غيرَه ... تتخبطُ الأزمانُ فى غَلَطَاتِه
يا باعثًا روحَ السلامِ بهديِه ... ضلَّ الأنامُ عن السلامِ فهاتِه
الكونُ مضْطَربُ الخواطرِ حائرٌ ... تتعثَّرُ الآمالُ فى خُطْوَاتِه
يعدو القويُّ على الضعيفِ كأنَّه ... ذِئبٌ تَرَصَّدَ فى الخفاءِ لشاتِه
دُنيا من الجشعِ البغيضِ وعالمٌ ... قدْ ضَلَّ بالأهواءِ فى غَمَرَاتِه
صدفتْ عن النورِ البهيِّ عيونُه ... فتخبَّطَتْ فى الوهمِ من ظُلُماتِه
لو أنَّه غَصى إلى القرآنِ لمْ ... يرما يَطِبُّ لدائِه كأُسَاتِه
هو طُهْرُ هذى الأرضِ من أوضارِها ... وخلاصُ هذا الكونِ من آفاتِه
وزكاةُ ما فى النفْسِ من أوزارِها ... وشفاءُ ما فى الصدرِ من علَّاتِه
عودوا إليهِ لتستقيمَ حياتُكم ... وخذوا الحقيقةَ من لِسانِ دُعَاتِه
فأقلُّ ما يدعُو إليه سعادةٌ ... للعالَمِ المُلْتاعِ مِنْ ويْلاتِه

٣ـ من رحيق التوحيد

مهداة إلى صديق العمر ورفيق الشباب الداعية الإسلامي الكبير فضيلة الأستاذ الشيخ/ محمد متولي الشعراوي.

ساقٍ مِنْ الخُلْدِ رُوحى مِنْ نَدَاماهُ ... تَفُوحُ مِنْ عَبَقِ الفِرْدَوْسِ رَيَّاهُ
يطوفُ بالكأسِ سَكْرَى من أنامِله ... ويسكبُ الرَّاحَ نَشْوىً مِنْ سَجَاياهُ
دعْ شاربَ الإثمِ مُغْتَرًّا بنشوتِه ... وخلِّ ساقِيهِ مَفْتُونا بِدُنياهُ
صرعى السُّلافَةِ أشتاتٌ وإنْ ظَهروا ... كأنَّهم مِن حُمَيَّا الرَّاحِ أشْباهُ
والحُبُّ جَمَّعَ أهْلَ العِشْقِ فى وَلَهٍ ... وكُلُّ ذى صَبوةٍ غَنَّى بِلَيْلاهُ
للرُّوحِ خَمْرٌ وللأجْسامِ خَمرتُها ... شَتَّان بَينهما والكلُّ قَد تَاهُوا
فَخَمرةُ الفمِّ كَمْ تَهْوى بِشَارِبِها ... إلى حَضيضٍ مِن الأرْجاسِ مَهْواهُ
وَخَمْرَةُ الرُّوحِ كَم يرقَى بِذَائِقِها ... شَوْقٌ إلى سِدْرةِ الرَّحْمنِ مَرقاهُ
فَهاتِها يا نَدْيمَ الرُّوحِ واسْقِ بها ... مِن كَرمْةِ الله وانْهلْ مِنْ عَطَايَاهُ
واستجْلِ فى مَلكوتِ الله ما شَهِدَتْ ... آياتُهُ أنَّهُ لا رَبَّ إلا هُو
خواطرٌ ما جري يوما بها قلمٌ ... كلاّ، ولا رددتها قبلُ أفواهُ
عُلويةُ الفيضِ شَعْرَاويةٌ بَهرتْ ... سمعَ الزَّمانِ صديً فاختالَ عِطفاهُ
عِظاتُها هزَّتِ الدنيا فَرقَّ لها ... قلبُ الوجودِ وقد مسَّتْ حَنايَاهُ
كَمْ مِن عَصيٍّ جحودٍ حينَ يَسْمعُها ... تَفيضُ من خَشْيةِ الرَّحمنِ عَيناهُ
إنِّى لأعْذرُ مَأْخُوذًا بروعَتها ... وقَد تَولَّاهُ مِنها مَا تَولَّاهُ
لم يدر إلْهَامَ أهْلِ الحُبِّ غيرُ فَتىً ... قَدْ ذَاقَ من كَأْسِهِ يومًا وعَانَاهُ
هِيَ الفُيوضَاتُ تَجْرى بالفُتُوحِ عَلى ... فَمِ المُحِبِّينَ ممَّا أَلْهَمَ اللهُ
سُبْحَانَهُ يَمنحُ الفَضلَ الجَزيْلَ ولا ... يُعْطاهُ إلا مُنِيبُ القَلْبِ أوَّاهُ

***

لله إلهام شعراوي وعهدُ صِبًا ... في ظِلِّ أزْهَرِنا المَعْمورِ عِشْناهُ
نَمَتْهُ كُليةُ الفُصْحَى فَشَرَّفَها ... حَتَّى اعتلتْ مِنْ سِنَامِ المَجْدِ أعْلاهُ
أفْدِيهِ وِرْدَ صَفَاءٍ كُلَّما ظَمِئَتْ ... أرْواحُنا لِرَحِيقِ الصَّفْوِ جِئْناهُ
يَسْقِى بِخَمْرِ شُهُودٍ كُلَّما عبقَتْ ... فى جَلْوَةِ القُربِ لمْ تُخْطِئْ نَدامَاهُ
فَقُلْ لِمنْ عَمِيتْ جَهْلًا بَصِيرَتُه ... هُنا مِنَ النُّورِ أهْدَاهُ وأسْنَاهُ
وقُلْ لِمنْ كَدِرَتْ بالطِّينِ صُورتُه ... هُنا من الرُّوحِ أنْقاهُ وأصْفاهُ
فى سَكْرَةِ المَحْوِ حِينَ الحَقُّ أشهده ... بِحضْرَةِ القُدْسِ أفْنَاهُ فَأبْقَاهُ
ومَنْ يَمُتْ بِفَناءِ القُرْبِ يَحْيَ بِه ... فَموتُه عَنْ حُظوظِ النَّفسِ مَحْياهُ
قُمْ أيْقظْ النَّفْسَ من غَافِي مَشَاعِرِها ... وأرْهِفْ القَلْبَ إحْسَاسا بِمَعْناهُ
لا يَسمعُ الحَقَّ مَنْ فى قَلبِه صَمَمٌ ... ولا تُسيغُ نِداءَ الرُّوحِ أُذْناهُ
وليسَ يُبصرُ نُورَ الله مَنْ غَشِيتْ ... مِنْ ظُلْمَةِ الرِّجْسِ والآثَامِ عَيناهُ
هِي الطَّرِيقُ الذِى مَا ضَلَّ سَالِكُها ... يومًا ولا جَمَحتْ فِيهِ مَطَاياهُ

***

بَحْرُ الحَقِيقَةِ أسْرَارٌ مُحَجَّبَةٌ ... مَنْ خَاضَ لُجَّتَهُ يَعرِفْ خَفَاياهُ
وكَمْ عَلى الشَّطِّ مِنْ صَادٍ لمَوْرِدِه ... الوَجْدُ أرَّقَهُ والشَّوْقُ أضْناهُ
تَحَرَّقَتْ رُوحُه اللَّهْفَى فَراحَ عَلى ... شَوْقٍ تُلَوِّحُ للرُّبَّانِ كَفَّاهُ
ربَّاهُ خُذْ بيدى وارْحَمْ ضَراعتَها ... أنَا الغَرِيبُ بِدُنْيا النَّاسِ رَبَّاهُ
أنَا الغَرِيقُ ونَارُ الشَّوقِ تَلفَحُنى ... أوَّاهُ مِن لَفحاتِ الشَّوْقِ أوَّاهُ
رَفَّ الشِّراعُ عَلى فُلْكِ النَّجاةِ وَقَدْ ... سَرَى ، وبِاسْمِكَ مَجْرَاهُ ومُرْسَاهُ

فَخُذْ مَعَ الرَّكْبِ مُشْتَاقًا لِصُحْبَتِهم ... وإنْ تَناءَتْ بِهِ عَنْهُم خَطَايَاهُ
إنْ لَمْ يَكُنْ لِيَ مِنْ جَاهٍ لِيُلْحِقَنِى ... بِالسَّالِكِينَ فَفِى حُبِّى لَهُم جَاهُ
أوْ كَانَ لِى مِن ذُنُوبِى مَا أَنُوءُ بِه ... فَرُبَّ ذَنْبٍ كَرِيمُ الصَّفْحِ غَطَّاهُ
٤٤ ـ وإنْ ذَوَى أَمَلِى يَأْسًا تَدَارَكَهُ ... مِنْ غَيْثِ لُطْفِكَ إحْسانٌ فَأَحْيَاهُ
كَمْ مُعْدِمٍ مِنْ غَناءِ الصَّالِحَاتِ أتَى ... لبَحرِ جُودك يا ربِّى فأغناهُ
وغارقٍ فى خِضَمٍّ من مآثِمه ... قد لاذَ بالمَرْفَأِ الأسْنى فنجَّاهُ
ورُبَّ مُسْتَوْحِشٍ بِالبُعْدِ مُنْقَبِضٍ ... مَنَحْتَهُ أُنْسَ بَسْطٍ مِنْكَ أدْنَاهُ

***

ومْضًا مِنَ الشُّعْلة الكُبْرى تُضيءُ به ... نَفْسى وتَعرجُ رُوحى فَوق مَرْقاهُ
٤٥ ـ ونَفْحةً مِنْ عَبيرِ القُدْسِ تَنْفَحُنِى ... فَأَنْثَنِى وأنَا بِالعِطْرِ تَيَّاهُ
ورَشْفةً مِنْ رَحِيقِ الحُبِّ تُسْكِرُنِى ... وَجْدًا وتُذْكِرُنِى ما كنتُ أنْسَاهُ
ونَبرةً مِنْ أغَانى الخُلدِ تَجعلُنى ... صَدَّاحَ أيْكٍ عَلى أفنانِ طُوبَاهُ
يَا ربِّ بَابُكَ حِصْنٌ ، مَن يَلوذُ به ... يَنْجو وتُؤْمَنُ فِى الدَّارَيْنِ عُقْباهُ

***

٤- مولد النور

أُلْقيت في احتفال الأزهر بالمولد النبوي الشريف وأذاعتها الإذاعة

شَـاقَ الوجـودَ صـباحُهُ المتـأَلِّقُ ... يـوم بمولـد نـور طـه يُـشرِقُ
سِرٌّ حوتْـه مـن الـسماءِ سريـرةٌ ... نـشوي بأضـواءِ النبـوة تخفِـقُ
تَتَحـرَّقُ الـدُّنْيا إلي مِيعَـادِهِ ... شَـوْقًا يُـسهِّدُ ليلَهَـا ويـؤرِّقُ
وتبيـت تحـسد يومَـه أيامهـا ... وتـود لـو عجلـت إليـه فتلحـق
والكون مشبوب الضرام مفزَّع ... قـد لفـه ليـل الظـلال المطبـق
والناسُ فَوضَى لا تَرَى مِنْ بَينِهم ... إلا عَبِيـدَ حِجَـارَةٍ لا تَنْطِـقُ
ضَلُّوا عَن الحقِّ القَويمِ يَصمُّهُمْ ... بَغـيٌ ويُعْمـيهم هَـوىً وتـشدُّقُ
وإذا البـصائِرُ بالعَمايـةِ أظْلَمـتْ ... لم يَـسْتَبِنْ نُـورَ الـسَّماءِ مُحـدِّقُ
حتـى أرادَ اللهُ رَحْمـةَ خَلْقِـهِ ... واللهُ يَلْطُـفُ بالعِبـادِ ويَرفُـقُ
فِي لَيلَـةٍ نَـسجَ الربيـعُ رِداءَهـا ... وسَرَى النَّسيمُ بِهـا عَبِيرا يُنشَقُ
والأُفْـقُ فَـوَّاحُ الأرِيْـجِ كَـأنَّما ... فِي كُـلِّ نَاحِيَـةٍ بُخُـورٌ يَعْبَـقُ
عَطِـرٌ بأنْفـاسِ الملائِـكِ أقبلـتْ ... تَطـوي الفَـضاءَ مَواكِبـا تَتَحَلَّـقُ
في مِهرجـانٍ للـسماءِ تجاوبـت ... أصْـداؤُه فمزَغْـرِدٌ ومُـصَفِّقُ
والحُـورُ تَبْتَـدِعُ الغِنـاءَ بَـشائِرًا ... سَـمْعُ الزمـانِ بهـا حَفِـيٌّ شـيق
والـنَّجْم نَـشوانُ المُنـي مُتَـشوِّفٌ ... والليـلُ هَـيمانُ الـرُّؤَي مُتَـشوِّقُ
والأرضُ عُـرْسٌ والرُّبـا مُزْدَانـةٌ ... فَـاحَ العَـرَارُ بهـا ورَفَّ الزَّنْبَـقُ
والـشِّرْكُ لَهْفـانُ الـسُّؤالِ وقَيْـصَرٌ ... حَـيرانُ مَبْهُـوتٌ وكِسْرَي مُطْـرِقُ
دوَّت بآفـاقِ الوجـودِ وجَلجَلـتْ ... بـشرىً تَـروْعُ المُشْرِكين وتَـصْعَقُ

طَـارتْ بألبـابِ الحُـدَاةِ فَوقَّفُـوا ... وتَلَفَّتَـتْ شَـوقًا إِليهـا الأَيْنُـقُ
والنُّـورُ يَهزمُ في الشِّعابِ ظَلامَها ... ويُغِـيْرُ مِنْـه عَـلي المَفَـاوزِ فَيْلَـقُ
وأشَـاعَ في الـدُّنْيا جَـلالُ بَهائِـهِ ... فَجْـرٌ عليـهِ مِـن النُّبـوةِ رَوْنَـقُ
وُلدَ الهُدَي والنُّورُ فانْجابَ الدُّجي ... عَنهـا وطَالَعها الـصَّباحُ المُشْرِقُ

***

يَـا مَـنْ أعَـاد إلي الوجـودِ شَبابَه ... فَكَـساهُ حُلَّتَـهُ الرَّبيـعُ المُونِـقُ
وجَـرَي عَـلي فَمِـهِ البَيـانُ كَأنَّـه ... نَبْـعٌ تَفَجَّـرَ أَوْ حَيًّـا يَتَـدَفَّقُ
أنقـذتَ مـن رِجسِ الـضلالَةِ أمةً ... دبَّ لفـسادُ بهـا وشـاعَ المَوْبِـقُ
وجَمَعـتَ مـابين القُلـوبِ فلم يَعُدْ ... بَـاغٍ يُـصاوِلُ أَوْمَغِـيظٌ يَحْنِـقُ
لا جَـاهَ إلا الـصَّالحاتُ ولاغِنـىً ... إلا أصـابَ الحـقَ فِيـه المُمْلِـقُ
حَـرَّرْتَ بِالتَّوْحِيـدِ رِقَّ عُقُولِهـا ... ومِـنَ النُّهـى مَايُـستَرَقُّ ويُعتَـقُ
وَفَتحـتَ إسْعادًا وكَـمْ مـن فـاتحٍ ... فى غـزوِهِ حـلَّ الـشقَاءَ المُرْهِـقُ
مـا كـانَ إلا للعَدالـةِ والهُـدَى ... رُمْـحٌ يُـسدَّدُ أوْ حُـسَامٌ يُمْـشَقُ
وبَنيـتَ مُلكـا بَاذِخـا بـشريعَةٍ ... تَـسعُ الحَيـاةَ جَدِيـدُها لا تَخْلَـقُ
إنَّ الـذينَ تنكَّبُـو مِنْهاجَهَـا ... ضَلُّوا الطَّريقَ إلى السَّلامِ وأَخْفَقُوا
وإذا اسـتبدتْ بالـسَّلامِ مَطـامِعٌ ... كـانَ البَـشيرُ بـه غُرابًـا يَنْعَـقُ
عَـصَفتْ بـه دُولٌ تُعَرْبِـدُ باسْـمِهِ ... حُمْقـاءُ يَـدفِعُها الـصِّراعُ الأَحْمَـقُ
مَـسْعورةُ الأَطْماعِ ضَارِيةُ الشَّرَى ... تَغزُو الـشُّعُوبَ وتَـسْترِقُّ وتَسْرِقُ
مَـشْبوبَةُ الأَحْقـادِ كُـلُّ فَريـسةٍ ... عَـزلاءَ يـشوِيها لظَاهـا المُحْـرِقُ

مَغْـرُورَةٌ بِقُـوى الـدَّمارِ تَـصُبُّها   حِمَـمًا عـلى المُستَـضعفِينَ فتَـسْحَقُ
ويُقَـالُ عِلْـمٌ خَـارقٌ وحَـضَارةٌ   شَـمَّاءَ تَـسْمو بالحَيـاةِ وتَـسمُقُ
أيكـونُ تَـدْميرُ الحَيـاةِ حَـضارَةً؟   ويُعَـدُّ عِلْـمًا مَـا يُبِيـدُ ويُزْهِـقُ ؟
إنْ كَـانَ مَفْهـومُ الحَـضارَةِ هَكـذا   فَالغَـابُ مِنهـا بالتَّمَـدُّنِ أخْلَـقُ
والعِلْـمُ إنْ لَمْ يَعْتَـصِمْ بعَقِيـدَةٍ   فَالجَهْـلُ أسْـلَمُ والبَـداوَةُ أوْفَـقُ
مَـنْ غَـرَّهُ الـبَرَّاقُ مِـنْ مَدَنِيَّـةٍ   فالـسَّيفُ يَلْمَـعُ بـالمنُونِ ويَـبْرُقُ
أوْ كَـانَ مَفْتُونًـا بِعِـرْقِ حَـضَارةٍ   فَحـضارَةُ الإسْـلامِ مِنهـا أعْـرَقُ
لـمَّـا أضَـاعَ المُـسلمونَ زِمامَهـا   غَـزت الخُطـوبُ دِيـارَهُمْ فَتَفَرَّقُـوا
نَامُوا عَلى المَجدِ القَديمِ فَإنْ صَحَوا   فَعَـلى أدِيْـمٍ بَيـنَهُمْ يَتَمَـزَّقُ
جَهْـدٌ يُبَـدَّدُ فى القُـشورِ وليتَـه   فِي جَمْـعِ شَـمْلِهِمُ المُبَـدَّدِ يُنَفـقُ
مـابَينَ مَحْجُـوبِ الحِجَـا مُتَعَـصِّبٍ   ومُفَـرِّطٍ فى دِينِـه يَتَزَنْـدَقُ
كَـمْ ذَا دَهـا الفتيـانَ دَاءٌ مُعـضِلٌ   وألَمَّ بالفَتيـاتِ خَطْـبٌ مُحْـدِقُ
يـارُبَّ عَـوْراتٍ يُكَـشِّفُ سِـتْرَهَا   سَـمْتٌ لـه يَنـدَى الجَبِـينُ ويَعْـرَقُ
رُحْنـا نَهِـيمُ بكـلِّ رِجْـسٍ وافـدٍ   يَـدْعُو إليـه مُزَيِّـفٌ ومُـزَوِّقُ
وشَرِيْعَـةُ القُـرآنِ أعْـدَلُ مَـنهَجٍ   وأصَـحُّ مُحْـتكَمٍ إليـهِ وأوْثَـقُ
زَمـنٌ يَـضيعُ العَبْقـرِىُّ تَرَفُّعًـا   فِيـه ويَـسْمو الجَاهِـلُ المُتَمَلِّـقُ
فـالحِلْمُ جُـبْنٌ والـسَّفَاهَةُ حِكْمَـةٌ   والجَهْـلُ عِلـمٌ والـصَّراحَةُ مَوْبِـقُ
الأمـةُ العـزْلاءُ أيـنَ مَكانُهـا   مِمَّـا يَـصولُ بِـه القَـوِىُّ الأخْـرَقُ ؟
لا يَـسْتَرِدُّ الحَـقَّ فِى أيَّامنـا   خُطَـبٌ عـلى خَطْـبِ الزَّمانِ تُنَمَّـقُ

والنَّادِبَاتُ مِن القوافِي وحْدَها … لا يشتفى جرح بها أو يُرْتَق
السَّيْفُ أصْدَقُ فِي الحَقِيقةِ مَنْطِقًا … إنَّ كانَ لا يُجْدِى الحَقيقةَ مَنْطِقُ
والخَيْلُ أفْصَحُ مِن خَيالٍ شَاعِرٍ … يَخْتالُ فِي أُفْقِ المُنَى ويُحَلِّقُ
ياليتَ شِعْرِى أيْن سَالفُ قُوةٍ … كانَتْ عُروشُ البَغْيِ مِنْها تَفْرَقُ
رَفَعتْ دَعائِمَها سَواعِدُ وَحدةٍ … رَاحَتْ بِها تَفْرى الخُطوبَ وتَمْحَقُ
أمَلُ العُروبَةِ فى لَهِيبِ صِراعِهَا … بِسوى اتِّحادِ الصَّفْ لا يَتَحقَّقُ

***

عُذْرًا أَمِيرَ الأَنْبياءِ فَأَنتَ مَن … يُغْشَى سَناه مَنْ يحومُ ويَرْمُقُ
لايستطيعُ وفاءَ قَدرِكَ شَاعِرٌ … فَذٌّ ولا يَقْوى خَطِيبٌ مُفْلِقُ
أَشْدُوا ومَا أَنَا غَيْرُ عُصْفُورٍ هَفَا … حَولَ الحِمَى يحسُو الثَّنَا ويُزَقْزِقُ
حَسْبى على أعْتابِ بَابِكَ وَقْفةً … فيها الرَّجاءُ لِمَنْ يَلوذُ ويَطْرُقُ
قَدْ تُغْلَقُ الأَبْوابُ إلا أَنَّه … بَابُ السَّمواتِ الذِى لا يُغْلَقُ
أطفئْ لَظَى رُوحى المَشُوقِ فإنَّه … يَظمَا بِدَمْعِى المُستَهلِّ ويَشْرُقُ
هَبْ لى بفضلِك يَا مُحمدُ جَلْوةً … تَصفُو بها نَفسى ورُوحِى تُشْرِقُ
ردَّدْتُ ذِكرَكَ والهُمومُ عَوابِسٌ … فَتبَسَّمَتْ وانْجَابَ هَمِّى المُطْبِقُ
وهَتفْتُ باسمِكَ فى القَصيدِ فصار لى … تَاجًا يَتيهُ بِه ويُزْهَى المَفْرِقُ
يارَبِّ إنْ عزَّ الرجاءُ فلم يَزَلْ … يُومى إليكَ مُغرِّبٌ ومُشَرِّقُ
فانْصُر مَساعِينا بحقِّ مُحمدٍ … واكشِفْ بفضْلِكَ ما يُعانِى المَشْرِقُ
مَنْ يَعْتَصِم بِك يَقْو جَانبُه ومَن … تَهْدِيهِ يَنْجَحْ سَعْيُه ويُوفَّقُ

٥- عبرة الهجرة سنة ١٩٧٦م

فِى كـــلِّ عَـــامٍ ذِكْـــرُه يَتَجَـــدَّدُ … يَـــومٌ عَـــلَى مَـــرِّ الزَّمـــانِ مُخَلَّـــدُ
حَـــسَدَتْ عَـــشيَّتَه الليـــالِى رَوْعَـــةً … ومِـــنَ اللَّيـــالِى مَـــا يَـــرُوْعُ فَيُحـــسدُ
لمـــا أطـــلَّ عـــلى الوجُـــودِ هلالُـــه … هتَفَـــتْ منـــابرُهُ وضَـــجَّ المـــسْجِدُ
واستـــشرفَتْ لـــسَناهُ بـــيضُ مـــآذنٍ … تَـــسْتطِلعُ الآمـــالَ فيـــهِ وتَرْصُـــدُ
وكَأنَّهـــا أيْـــدٍ رُفِعـــنَ ضَـــوارِعًا … بـــالأُفْقِ تَـــدْعُو رَبَّهـــا وتُمَجِّـــدُ
مِـــنْ كـــلِّ مئذنـــة تـــشيرُ كأنهـــا … ســـبابَةٌ لموحِّـــدٍ يَتَـــشهدُ
والـرَّوْضُ نَشْوانُ الخميلِ مُسَبِّحٌ … والطَّـــيرُ جَـــذلانُ النَّـــشيدِ مُغـــرِّدُ
هِـــى نَـــشوةُ الـــدُّنيا بـــأروعِ قِـــصَّةٍ … نَـــسجَ الفَخَـــارُ خُيوطَهـــا والـــسُّؤدَدُ
يَعْنُـــو لَهـــا التـــاريخُ مَبْهـــورًا بِـــما … يَرويـــهِ مِـــنْ أمْجَادِهـــا ويُعَـــدِّدُ
رَدِّدْ صَـــداها يـــا هِـــلالَ مُحَـــرَّمٍ … فَلأنْـــتَ أصْـــدقُ مَـــن يَعِـــى ويُـــردِّدُ
فِى لُجَّـــةِ الأحـــداثِ تَطفُـــو زَوْرقًـــا … يَحْنـــو عَـــلى غَرقـــى الحَيـــاةِ ويُنْجِـــدُ
وغَياهِـــبُ الأيَّـــامِ لُحْـــتَ بِليلِهـــا … أمَـــلًا يَـــشُوقُ البَائِـــسينَ ويُـــسْعِدُ
فـــاطْوِ الزَّمـــانَ إلى مَـــشَارِفِ لَيلـــةٍ … سَـــجْواءَ أنْجُمهـــا عُيـــونٌ سُـــهَّدُ
شَـــهِدَتْ مُـــؤَامَرَةَ النَّـــدِىِّ وكَيـــدِهِ … والـــشِّرْكُ مخمـــورُ الحُـــوارِ مُعَرْبِـــدُ
وإذا النِّـــدَاءُ مِـــنْ الـــسَّماوَاتِ العُـــلَى … دَوَّى فَلبَّـــاهُ النَّبِـــيُّ الأمْجَـــدُ
مَنْ ذَلك السَّارِى يَشعُّ بِه الـدُّجى … فكأنَّـــه بَـــين المَفَـــاوِزِ فَرْقَـــدُ؟[1]
ومَـــن المُفـــارِقُ مَوطنًـــا يَـــصْبو لَـــه … ويُحِبُّـــه فَيُـــذَادُ عَنْـــهُ ويُبْعَـــدُ؟

---

(١) فرقد فى تهذيب اللغة الفرقدان نجمان فى السماء لا يغربان وربما قالت العرب لها الفرقد.

ومَــنْ المهــاجِرُ تقتفــي آثــارَهُ … في كــلِّ وادٍ أعــينٌ تترَصَّــدُ ؟
أغراهُمُ الشيطانُ فاحْتشَدوا على … إيْذائِــه وتَهَــدَّدُوا وتَوَعَّــدُوا
ونَبَتْ بـه أمُّ القُـرى وهْـوَ الـذِى … بالـصِّدْقِ فِيهـا والأمَانـةِ يُعْهَـدُ
نُـورٌ يُطـارِدُهُ الظَّــلامُ جَهَالَــةً … والحَـقُّ يُنْكِـرُه الـضَّلالُ فَيُجْحَـدُ
وإذَا تَنَاهَى الجَهْلُ واعْتكَرَ الدُّجى … فـالطَّرْفُ عَـنْ نُـورِ الحَقِيْقَـةِ أرْمَـدُ
سَـارٍ وعَـينُ الله تَرعَـى دَرْبَـه … مَــاضٍ إلى الغَايَــاتِ لا يَــتَرَدَّدُ
يَتسَابَقُ الرَّمْـلُ المَشُوقُ لِخَطْـوِهِ … لَـثْمًا ويَخْـضَرُّ الثَّـرَى والفَدْفَـدُ (١)
والـنَّجْمُ داعٍ والهـلالُ مُـؤَمِّنٌ … والأُفْـقُ حَـانٍ والرُّبَـى تَتَنَهَّـدُ
سِرٌّ يُعانِقُـهُ الظَّــلامُ وتَنْحَنِـي … لِجلالِـهِ شُـمُّ الجِبـالِ وتَـسْجُدُ
ضَاقَتْ بِهِ الأوْطَانُ واتَّسَعَتْ لَه … جَنَبــاتُ غَــارٍ فِى شَرَاهُ يَرْقُــدُ
لَـوْلا العِنايَـةُ نَـمَّ عَنـه عَبـيرُهُ … أرَجًــا ودَلَّ سَـناهُ مَـنْ يَتَفَقَّــدُ
ياصَـاحِبى فِى الغَـارِ لاتَحْـزَنْ ولا … تَخْـشَ الأذَاةَ فـإنَّهُمْ لَـنْ يَهْتَـدُوا
سُبْحَانَهُ مَعَنـا وكَيْـفَ يَخافُ مَنْ … صَـدَقَتْ عَزيمتُـه وصَحَّ المَقْصِدُ
واستقبلتْ رَكْـبَ النُّبـوَّةِ يثْـرِبٌ … نَـشْوى تُغَنِّـى فرحـةً وتُزَغْـرِدُ
مَـنْ ذلـك الـسَّارى يَقـودُ كَتائبًـا … صُـمًّا تَـرُجُّ الأرضَ رَجًّـا يُرْعِـدُ؟
فى جَحْفَـلٍ لَجِـبٍ يَـضِجُّ مُكَـبِّرًا … إنْ رَاحَ يَهْـبِطُ وَادِيـا أو يَـصْعَدُ
ويَـشُقُّ بِـالزَّحْفِ المُقَـدَّسِ دَرْبَـه … ويَـدُكُّ شُـمَّ الرَّاسِـياتِ ويَمْهَـدُ
هَـذا طَريـدُ الأمـسِ يـا أُمَّ القُـرى … إذْ عَــزَّ نَـاصِرُهُ وقَـلَّ المُـسْعِدُ

---

(١) الأرض المرتفعة فيها حصى .

هَـذا المُهـاجِرُ فى الـدُّجَى مُتوجِهًـا ... يَخْشى الأذَى ويَخَـافُ مَـنْ يَتَوعَّـدُ
وافـاكِ فى وضَـحِ النَّهـارِ مُجَاهِرًا ... والأُفْـقُ ضَـاحٍ والطَّرِيـقُ مُعَبَّـدُ
هَــذَا لِــوَاءُ الله عَــادَ مُرَفْرِفًــا ... بِــالحَقِّ يَرْفعُــهُ اللِّــواءُ المُفْــرَدُ
يَتعجـلُ البيـتُ العتيـقُ لقـاءَهُ ... والــشَّوْقُ فى جَنَبَاتِـــهِ يَتَوقَّـــدُ
والكَعْبـةُ الغَـرَّاءُ نَكَّـس حَولهـا ... مَــا كَــان دُونَ الله فِيهـا يُعْبَـدُ
والـشِّرْكُ أذْعَـنَ خَاشِـعًا لجَلالِـه ... مُـسْتَرْحِمًا يَرْجُـو الأَمَـانَ ويَـشْهَدُ
وأتَــمَّ نِعمتَـــهُ الإلـــهُ لِعَبـدِه ... عُقْبــىَ مُظَفَّــرَةٌ وعَــوْدٌ أحْمَــدُ
سُـبْحانك اللهـمَّ وَعْـدُكَ صَـادقٌ ... صَـدقَتْ بَـشائِرُهُ وصَـحَّ المَوْعِـدُ
أعْــزَزْتَ بِــالفَتْحِ المُبِـينِ مُحَمَّـدَا ... فَــسَمَا وعِــزُّ الفَــاتِحِينَ مُحَمَّـــدُ
أعْظِـمْ بِهـا ذِكْـرَىً تَطُـوفُ بأمَّـةٍ ... تَمْضِي عَلَى دَرْبِ النِّـضالِ وتَـصْمُدُ
تَــستَلْهِمُ النَّفَحـاتِ مِــن آياتِــه ... عِـبَرًا وتَـستَوْحِى الرَّشـادَ فَتَرْشُـدُ
هِــى قِـصَّةُ الحَـقِّ المُـضَامِ يُحِقُّــه ... صَــبْرٌ وإيْـــمانٌ بـــه وتَجَلُّـــدُ
وجَـلالُ مَوْعِظَـةٍ يَعِـى أسْرَارَهَـا ... مُتَحَـــرِّرٌ مِـــنْ قَيْـــدِهِ ومُقَيَّـــدُ
رَمــزُ الفــداءِ العَبقـرىِّ وقــدوةٌ ... فى التــضْحِياتِ لأمــةٍ تُــستَعْبدُ
ومَنَــارةٌ يَرْقَــى عَــلَى أضْــوائِهَا ... دَرَجَ المَعَـالِى كُـل شـعـب يـصعد
للحَـقِّ مَهْـمَا طَـالَ لَيـلُ ضَـياعِهِ ... فَجْـــرٌ يُمَـــزِّقُ لَيلَـــهُ ويُبَـــدِّدُ
لـولا العَقِيـدَةُ مـا اسْتَمَاتَ مُقاتـلٌ ... أوْ راح يَبْــذُلُ رُوحَــهُ مُسْتَـشْهِدُ
لَوْلا سَــنا الإيــمانِ لم نعــبرْ إلى ... سِـيْنَا نُقَتِّـلُ فى العَـدُوِّ ونَحْـصُدُ
يـومٌ -أعـادَ لنـا الكَرامَـةَ - أبْـيضٌ ... فَجَــأَ العَـدوَّ بـــه نَهــارٌ أسْــود

قَدْ أذْهَلَ الدُّنْيا صَدَاهُ رَوْعَةً ... فَحَدا به الحَادِي وغَنَّى المُنْشِدُ

دَعْ ما يُشِيعُ المُغْرِضُونَ فَإِنَّنا ... بالعَدْلِ نَبْتَدِرُ السَّلامَ ونَنْشُدُ

وإذا أتَاحَ الحَقَّ سِلْمٌ عَادِلٌ ... فَالحَرْبُ حُمْقٌ والقِتَالُ تَمَرُّدُ

شَعبٌ على الإيمانِ يَبنى ... مَجْدَهُ ويُقيمُ نَهْضَتَه بِهِ ويُشَيِّدُ

يَحْدو مَسيرتَهَ زعيمٌ(١) مؤمنٌ ... بطلٌ من الله القوىِّ مُؤَيَّدُ

قَدْ عَوَّدَ الشَّعْبَ الصَرَاحَةَ واثِقًا ... والمَرْءُ فى الدُّنيا ومَا يَتَعَوَّدُ

وإِذَا دَجَا لَيْلُ الخُطُوبِ أضَاءَهُ ... رأىٌ لَه فى الحادثاتِ مُسَدَّدُ

يَا قَائِدَ النَّصْرِ العَظِيمِ تَحِيةً ... تُوحِى بها الثِّقَةُ التِى لاتَنْفَدُ

قَدْ أقبلَ العامُ الجَديدُ مُوَحِّدًا ... عِيدينِ رَمْزُهُما المَسِيحُ وأحْمَدُ

فَاجْمَعْ على التَّوحِيدِ أبْناءَ الحِمى ... ما خَابَ شَعْبٌ شَمْلُهُ مُتَوَحِّدُ

واضْرِبْ عَلى يَدِ الانْحِرَافِ فَإِنَّهُ ... دَاءٌ يخَرِّبُ ما نَشِيْدُ ويُفْسِدُ

مِنْ كُلِّ مُخْتَلِسِ الثَّراءِ ونَاهِبٍ ... خَرِبِ الضَّميرِ ونَاهِزٍ يَتَصَيَّدُ

يا طَالَمَا أغْرَى الفَسَادَ تَسَامُحٌ ... ولَشَدَّ ما ردَعَ الفَسادَ تَشَدُّدُ

وأقِمْ عَلى الأخْلاقِ شَامِخَ نَهْضَةٍ ... يَنْهَضْ بها صَرْحٌ أشَمٌّ مُوَطَّدُ

يا رَبِّ كَلِّلْ بالنَّجَاحِ كِفَاحَنا ... وأتِمَّ مَا نَسعى إليهِ ونَقْصِدُ

* * *

(١) محمد أنور السادات رئيس الجمهورية من ١٩٧٠ حتى ١٩٨١م.

٦- العلمُ والإيمانُ

ألقيت فى حفل أقامه اتحاد الأزهر بدارِ الشبانِ المسلمين مع محاضرةٍ ألقاها الزميل الشيخ الداعية / محمد متولى الشعراوى وذلك أثناء زيارةِ (خرشوف) لمصر بعدَ صعودِ (جاجارين) إلى القمر وإدِّعائه بأنه بحث عن الله فلم يجده.

غزا الفضاءَ عُقابًا واعْتلى القَمَرا ... وغَاصَ فى الماءِ حُوْتًا واقْتَنى الدُّرَرا
وغَالَبَ البَحْرَ حَتَّى رَاضَ جَامِحَهُ ... وذَلَّلَ البَرَّ حتى أنْطَقَ الحَجَراْ
وجَال فى القَفْرِ فاخْضَلَّتْ خَمائِلَهُ ... وشَقَّ فى الصَّخْرِ حَتَّى فَجَّرَ النَّهَرَا
طوىَ المسافاتِ فى لمحٍ وقرَّبَها ... فما تُحسُّ بها بُعْدًا ولا سَفَرَا
آمَنتُ بالعلمِ يُعلى كلَّ شَامخةٍ ... ويجْلبُ الخَيرَ أو يَستَدْفِعُ الضَّرَرَا
آمَنتُ بالعلمِ يَبْنِى للسلامِ ولا ... أدِينُ بالعلمِ يجنى الفَتكَ والخَطَرا
والعِلمُ إنْ لم تَقُدْهُ نحو غَايَتِهِ ... رُوْحٌ تَرَدَّى إلى المَهْواةِ وانْحَدَرَا
أودَى بعامرِ (هُورْشِيما)وغامِرِها ... ولم يغادِر بها رسْمًا ولا أثَرا
وخَلَّفَ العالَمَ المُلتاعَ فِى قَلقٍ ... وشَبَّ فِيهِ أُوَارَ الخَوفِ فَاسْتَعَرَا
سُبْحَانَ مَنْ عَلَّمَ الإنْسَانَ مِنْ قِدَمٍ ... وبَثَّ فِى الكَوْنِ مِن آياتِهِ عِبَرَا
فِى الأرْضِ آياتُه للمُؤْمنينَ هُدىً ... وفِى السَّماءِ بَراهِينٌ لِمَن نَظَرا
أخْلِقْ بِمَن يَجتَلِيها أنْ تُعَرِّفَهُ ... باللهِ لَو أنَّهُ فِى صُنْعِهِ فَكَرَا
فَاعَجَبْ لمَغْرورِ عِلْمٍ ما أفَادَ بِه ... فِيما يُشاهِدُ إيمانًا ولا اعْتَبَرا
كَمْ طَافَ بِالأرْضِ واجْتازَ الفَضَاءَ عَلى ... نَجائِبٍ مِنْ سَفِينٍ يُبْهِرُ النَّظَرا
وطَارَ فِى مَلكوتِ اللهِ مُقْتَحِمًا ... حَتى إذا ما اسْتَوى فِى أُفْقِه كَفَرا
وعَادَ يَسألُ : أيْنَ اللهُ ؟ فِى صَلفٍ ... وقَدْ تَخايلَ إعْجابًا بِما ظَفَرا

إنِّى بَحَثْتُ فما صَادَفْتُ مِن أَثَرٍ ... يَنُمُّ عَنه ولَمْ أَسْمعْ بِه خَبَرَا
ولمْ أَرَ المَنَّ والسَّلْوى كَما زَعَموا ... ولا وَجَدْتُ مِنَ الأقْوَاتِ مُدَّخَرا
يامَنْ يَكُفُّ غُرُورُ العِلْمِ نَاظِرَهُ ... عَنْ رُؤْيَةِ الله فكِّرْ وارْجِعِ البَصَرَا
سُبْحانَه جَلَّ عَنْ كَيْفٍ وعَنْ جِهةٍ ... ولستَ إلا هَباءً طَارَ وانْتَشَرا
هَلْ كُنْتَ تَغْزُوا الفَضَا إلا بِقُدْرَتِهِ؟ ... وهَلْ بِغيرِ هُدَاه كُنتَ مُقْتَدِرا؟[1]
اللهُ سُبْحَانَهُ مِلءُ الوُجُودِ رُؤى ... واللهُ نُورُ بِكُلِّ الكَائِنَاتُ سَرَى
فِى اللَّيلِ قد سَبَّحَتْ فِى بَحْرِ ظُلْمَتِهِ ... بِيضُ النُّجومِ وقد نَضَّتْ به الأُزُرَا
فِى بَسْمَةِ الفَجْرِ يُزْهَى فِى غَلائِلِه ... بَيْضًا ويَسْكُبُ مِنْ خَمْرِ النَّدَى سَكَرَا
فى غُرَّةِ الصُّبْحِ يجلو مِنْ سَبَائِكِهِ ... عَلَى جَبِينِ الضُّحَى فى رأدِهِ غُرَرَاْ
فِى الرَّوْضِ طَافَ به رُوْحُ الرَّبيعِ وقَدْ ... مَسَّتْ أنامِلُهُ مَغْنَاهُ فَازْدَهَرَا
بَثَّ الحَياةَ فأمْسَى طَيْرُهُ غَرِدًا عَلى ... الغُصُونِ وأضْحَى غُصْنُهُ وَتَرَا
فِى الزَّهْرِ وَشَّاهُ مَنْظومًا ومُنْتَثِرًا ... وفِى العَبيرِ إذَا مَا ضَاعَ وانْتَشَرا
فِى رِقَّةِ النَّسمَةِ العَذْراءِ عَابِرَةً ... قَدْ عَطَّرَتْهَا أزَاهيرُ الرُّبا سَحَرَا
فِى غَضْبَةِ البَحْرِ، فى عَصْفِ الرِّياحِ وفى ... قَصْفِ الرُّعُودِ، وفى البَرْقِ الذى سَفَرَاْ
فى النَّيِّرَيْنِ، و فى الأفْلاكِ دَائِرَةً ... فى الشُّهْبِ، فى الفُلْكِ المَشْحُونِ حِينَ جَرَى
فِى النَّفْسِ، والنَّفْسُ دُنْيا مِن عَجَائِبه ... فِى الخَلْقِ أبْدَعَهُ سُبْحانَهُ وبَرَا
فى أنَّةِ البَائِسِ المَكْسورِ خَاطِرُهُ ... إذا اسْتَجارَ بِهِ فى كِسْرِه جَبَرَا

---

(١) من العجيب أن جاجارين الذي اغتر بصعوده إلى الفضاء كاول إنسان مات في أثناء تحليقه بطائرة ميج – ١٥ وذلك في مارس ١٩٦٨.

فِى عِبْرَةِ الدَّهرِ، في المظلومِ أنصفَهُ   وحَطَّمَ الظالِمَ المَغرُورَ فانْكَسَرا
فِي الخَطْبِ يحملُ فى أطْواءِ مِحْنَتِهِ   لُطْفًا تَخَفَّى ورَاءَ الخَطْبِ واسْتَتَرا
وفى الجَمالِ يُجَلِّيهِ لَنا فِتَنًا   وفى الطَّبيعَةِ يَجْلُوها لَنا صُوَرَا
فِى كُلِّ شَيءٍ تَجَلَّى اللهُ مُقْتَدِرًا   وفِى مَظَاهِرِ هَذا الكَونِ قَدْ ظَهَرَا
أخْلِقْ بِشَعْبٍ سعى باللهِ مُعْتَصِمًا   أن يُدْرِكَ الأمَلَ المَنْشودَ والوَطَرَا
وَلَيسَ يُجْدِى سِلاحٌ وحْدَهُ أبدا   إذِا الفُؤادُ مِنَ الإيْمانِ قد صَفِرَا
وللعَقِيدةِ فى بأسِ النِّضالِ لَظًى   لَو مَسَّ حِصْنًا من الفُولاذِ لانْصَهَرَا
ولا يُفَلُّ شَبَا الإيمانِ مُنْصَلِتٌ   وكَمْ يَفُلُّ شَباهُ الصَّارمَ الذَّكَرا
الروحُ فى كُلِّ جيشٍ سِرُّ قُوتِهِ   ولَنْ تَراهُ بِغَيرِ الرُّوحِ مُنْتَصِرَا
لَمَّا مَضَى جَيْشُنا باللهِ مُعْتَصِمًا   دَكَّ الحُصُونَ وردَّ البَغْىَ مُنْدَحِرا
وراحَ يَعْبُرُ آفَاقَ القَناةِ إلى   سِينا ولَولا سَنا الإيْمانِ مَا عَبَرَا(١)
والرُّوحُ فى الشَّرقِ سِرٌّ مِن ودَائِعِهِ   لَولاهُ ذابَ على الأيامِ وانْدَثَرَا
شَبِيبَةَ العُرْبِ حَيَّا اللهُ وَثْبَتَكم   وزَادَكُم فِى الكِفَاحِ الحُرِّ مُصْطَبَرا
فامْضُوا عَلى الدَّربِ للآمَالِ واتَّخِذُوا   صَفًّا قَوِيًّا وذُودُوا الشَّوْكَ والإِبَرَا
حَمَى الأُسُ وُدُ حِماكُمْ فى مَنَاعَتِهِ   فَأخْرِجُوا مِن ثَراهُ الذِّئبَ والنَّمِرَا
لَقَدْ زَرَعْتُمْ بِأَرْضِ المَجدِ غَرْسَكُمُو   فَواصِلوا السَّعْىَ حَتَّى تُطْلِعوا الثَّمَرَا
شُدُّوا العَزائِمَ بالإِيْمانِ تَقْوِيَةً   فَلَنْ تَرَوا مِثْلَهُ أَزْرًا ولا وَزَرَا

(١) [illegible] الزيارة متأخرة عن زيارة جاجارين حيث كانت الزيارة في عهد الرئيس جمال عبد الناصر [illegible]
[illegible] الأيام [illegible] القناة [illegible] ١٩٧٣م

والدِّينُ كَوْثَرُه يَشْفي الغَليلَ ولَنْ تَـرَوا كَمَنْهَلِـه وِرْدًا ولا صَـدَرَا
خُذوا مِنَ العِلمِ وابْنوا كُلَّ صَالحةٍ وواكِبُـوا رَكْبَـهُ لَكِـنْ خُـذُوا الحَـذَرَا
وطَهِّـرُوا وِرْدَهُ مِـنْ سُـمِّ عَقْرَبِـهِ وانْفُوا عن المَوْرِدِ الأوضَارَ والكَدَرا
نُـورٌ مـنَ اللهِ يَعْمـى عـنْ هِدايتـه قـومٌ أحـالوهُ مِـنْ إلحـادِهِم سَـقَرَا
٥٥ - لاتَسْتَهِينُوا بِـما شَـبُّوهُ مِـنْ شَرَرٍ قَـدْ تَأْكُلُ النَّـارُ مَنْ يَسْتصْغِرُ الشَّرَرا
رُدُّوا إلى مُسْتقِيمِ الـدِّينِ جَامِحَـهُ إنْ أنْتمـو لم تَـرُدُّوا جَمْحَـهُ عَثَـرَا
وامْضُوا عَلى هَدْيِهِ المأمُونِ واعْتَصِمُوا بِعُـرْوَةِ الـصَّبْرِ فَـالعُقْبَى لَمَـنْ صَـبرَا

في ذكرى إقبال

٧- شاعر الإسلام

في مهرجان إقبال في بني غازي سنة ١٩٧٣م بمناسبة مرور مائة عام على مولده

شَاقَهُ الخُلْدُ رَوْنَقًا وجَلالا   وشَجاهُ خَمائِلا وظِلَالَا
تَطَّبِيهِ رُبا الفراديسِ أيْكًا   عَبْقَرِيَّ الرُّؤى سَنًا وجَمالا
يُطْلِقُ الرُّوحَ في السَّماءِ فتَطْوِي   في مَدَاها الآبَادَ والآزَالا
والذُّرَا الحَالماتُ تُلهِمُهُ الشَّدْوَ فيسبِي قَوافِيًا وخَيالَا
شَاعِرٌ هامَ بالخُلودِ فغنَّاهُ دُعاءً وصَبْوةً وابتِهَالَا
وَشَدَا بالجَمَالِ فَوقَ رُباهُ نَغَمًا سَاحِرَ الصَّدَى سَلْسَالا
عَزَفَتْه قيثارةُ الرُّوحِ لحْنًا   باكِيَ الجَرْسِ أنَّةً وانفِعَالَا
هَزَّ سَمْعَ الوُجُودِ أرْضًا وأُفْقًا   وَسَماءً وأنْجُمًا وهِلَالا
وسَرَى في عوالِمِ الرُّوحِ نَجْوى   بَلغَتْ سِدرَةَ الجلالِ مَقَالا
نغَمٌ خالدُ الصَّدَى سوف يبقى   سرمديًّا يحرِّكُ الأجيالا
كُلَّما طافَ بالعشيةِ ساقِيهِ تِصبَّى الغدوَ والآصَالَا
حانُهُ الأريحيُّ شَفَّ نَداماهُ ورقُّوا شَمائِلا وخِصَالا
وتسامَوا بالقُربِ فاعتلَوا الشمسَ بِسَاطًا والفرقدينَ مجالا
وتساقَوا مِن كَرْمةِ الله كأسًا   كرُمتْ عُنْصُرًا وطابَتْ خِلَالا

كـانَ فى العُـربِ جَـدُّها فارِضِـيا   وأبوهـا فى الـرُّومِ كـانَ جَـلاَلا [1]
يانـديمَ الأرواحِ هـاتِ اسـقِنيها   وأنِلنـى مِـن راحَتيـكَ نَـوالا
تَنْهـلُ الـروحُ مـن سناهَا فيجْلو   عـن سَـناهَا الحِجَـابَ والأسْـدَالا
وإذا الـنفسُ باكرتْهـا تجـلَّى الحـقُّ فيهـا سُـبحانَه وتَعـالى
مالـكٌ يَـصْطَفِى مِـنَ المُلْـكِ مـا شـاءَ بـِها شَـاءَ قـادِرًا فَعَّـالا
يَقـسِمُ الحـظَّ فى المـدائنِ كالنـاسِ؛ ويجريـهِ حكمـةً لا ارْتِجـالا
حَـسْبُ (باكـستانَ)العظيمـةِ مجـدًا وفخـارًا أن أنجبـتْ (إقْبـالا)
إيـهِ ياشـاعرَ الحيـاةِ تَـسنَّمْتَ ذُرَاهـا تَـأمُّلا والقِـلاَلا
مُـستثيرا دفـائِنَ الـنَّفْسِ؛ مرتـادًا خَفايـا آفاقِهـا ؛ جَـوَّالا

***

فاشـدُ للـنفسِ والحيـاةِ ورَقْـرِقْ   لحنَـكَ العـذْبَ دافِقـا سـيَّالا
وأعِـدْ فى مَـسامِعى شـدوَ نَـايٍ   أنـتَ أفعمتَـهُ جَـوىً واشْـتعَالا
وحَدِيثٌ للروحِ قَدْ شَفَّ هَمْسا   وسرَى فى النفوسِ سِحْرًا حَلاَلاَ
ولحونًـا صـوفِيَّةً ضَـاقَ عَنهـا   وترَّعَـىَّ عـن مَـداها كَـلالا
قـد كـشفْتَ المكنونَ مـنْ كـلِّ سِرٍّ   وحطَمْـتَ القيـودَ والأغْـلالاَ
ورأيـتَ الحيـاةَ فى سـيرِها الـدَّائِبِ مجْـدًا وقـوةً ونِـضَالا
إنـما اليـأسُ والتـشاؤُمُ ضَـعفٌ   فاغتَنِمْهَـا بـشاشةً و أفْتِئَـالا

---

(١) كانَ إقْبالُ يَعْتَزُّ بالشاعرِ الفَارِسِى جَلال الدين الرُّومى ويَعترفُ بفضله عليه وهو فى حسه الإلهى متأثرٌ بابنِ الفَارِضِ.

فـازَ مَـنْ واجَـه الحيـاةَ قويـا لا يبـالى الـصِّعَابَ والأهْـوَالا
فـتخطَّ العِقَـابَ واقـتَحمْ الـصَّعْبَ وحقِّـقْ لـذاتِكَ اسْـتِقْلالا
قـوةُ الـذَّاتِ للجماعـةِ دِرْعٌ تَتحـامَى بـه وتقـوى صِـيالاَ (١)
إنَّهـا قـوةُ الكِيـانِ ، ولـيسَ الـضَّعْفُ إلا تَفتُّتًـا وانْخِـذَالا
فَبهـا تـصبحُ الرمـالُ جِبَـالاً وبِـه تـصبحُ الجِبـالُ رِمَـالاَ
قَطْـرُةُ المـاءِ مَاسـةٌ حِـينَ تَقْـوى فَـدَعْ الـضَّعْفَ واطْـرِحْ الاتِّكَـالاْ
واسْـمُ بِـالنَّفسِ أنْ تـذل سُـؤَالا آفَـةُ الـنَّفسِ أَنْ تَـذِلَّ سُـؤَالاْ
مـا ارْتَقَـتْ أمـةٌ بـضَعْفِ بَنِيهَـا تَعِـسَتْ أَمَّـةٌ بَنُوهـا كُـسَالىْ
كنـتَ يـا شـاعرَ الحقيقـة والحـقِّ شِـعَارا وقُـدْوَة ومِثـالاَْ
قَـدْ عَـبَرتَ الحيـاةَ لم تبـغِ جَاهًـا مِـنْ غُرُورِ الـدُّنْيا ولا رُمْـتَ مَـالاَْ
لـيسَّ مَـنْ يَرْفَـعُ الـشَّعارَ كَلامًـا مِثْـلَ مَـنْ يَرْفَـعُ الـشِّعَارَ فِعَـالاَْ
مَنْطِـقُ الحـقِّ لم يَعُـدْ مَنْطِـقُ العَـصْرِ فخاطِـبْ بـالقُوَّةِ الانْـذَالاَْ

***

شَـاعِرَ الـشَّرْقِ كَـم تَغنَّيْـتَ بالـشَّرْقِ وباهيـتَ بِاسْـمِهِ مُختَـالاَ
لاتَـرى فى حَـضارةِ الغَـرْبِ إلا خُلَّبًـا خَـادِعَ الـوَمِيضِ وآلا
دُميـةٌ تخْـدعُ الغرِيـرَ بمرْآهـا وتُغْـرى بِزَيْفِهـا الجُهَّـالاَْ
لم يَقُـدْهَا إلى الهُـدَى أَلَـقُ الـرُّوحِ فَـضَلَّتْ تمزُّقـا وانحِـلاَلاَْ

---

(١) كان إقبال يدعو إلى القوة ، قوة (الذات الذاتية) ويرى أنها أساس قوة الجماعـة، فالقطرة حين تقوى تكون ماسة ، والجهل حين يضعف يعود رملا.

أصبَحتْ منْ ضَراوةِ العِلمِ غَابا   وغدَتْ من سُعَارِه أدْغَالا
ومِنَ العِلْمِ ما يَكونُ حرامًا   ومن العِلمِ ما يكونُ حَلالَاْ
وإذا العِلْمُ لم يُسانِدْهُ دِينٌ   كانَ جَهْلًا ونقمةً وضَلَالَاْ
ولقَدْ يَعمرُ الحياةَ، وقَدْ يغدو سِلَاحا مُخرِّبا قَتَّالَا
وإذا العِلمُ كانَ سَيفَ غُرورٍ   حَوَّلَ الأرْضَ كُلَّها أطْلَالَا
ومتى كانَتْ الحضارةُ غَدْرا   وانْتهابًا وخِدْعَةً واحْتَيالَا ؟!
واعتداءً عَلى الشُّعوبِ وبَطْشًا   وانتِهاكًا لحَقِّهَا واغْتِيالَاْ؟ !٥٣/ ٩٠
بهدى الحقِّ والنُّبُوةِ كانَ الشَّرْقُ أسْمَى حَضارَةً ومجَالَا
وعلى الرُّوحِ وهْى سِرُّ هُدَاهُ   أنْجَبَ المُصْلِحِينَ والأبْطَالَا

***

فَيلسُوفَ الإسلام ضَوَّأْتَ مَغْنَاهُ وجَدَّدْتَ بالسَّنَا الآمَالَاْ
وعَلَى دَرْبِه هَدَيْتَ الحَيارَى   وفتَحتَ الأبوابَ والأقْفَالَا
وجَلَوْتَ الفِكْرَ المغبَّرَ حتى   عادَ كالسيفِ جَلوةً وصِقَالا
راعكَ المسلمون حين أضَاعوا المَجْدَ لما تقطَّعُوا أوْصَالَاْ
طُورِدُوا كالجَرَادِ فى كلِّ أرضٍ   بَعدَ عزةٍ وعانوا الإذْلَالا
أيْنَ أيامُ بأسِهم فَزَّعَ الدنيا صداهُ ،فأجْفَلَتْ إجْفَالَا
وَخُطاهُم قد رجَّتِ الأرضَ زحفًا: قُدُسِيًّا، فزلزلتْ زِلزَالا؟
وهِتافٌ مُجَلجِلٌ ضَجَّ بالتَّكْبيرِ فتْحًا ، وللسَّماءِ تَعَالى ؟

كَـمْ إلى الاتِّحَـادِ نادَيْتَ لَمَّـا لم تجِدْ كالشتاتِ داءً عُضَالا[1]
ودُعاءُ التوحِيدِ فى أُذُنِ الشَّرقِ أذانٌ تَشْدو بِه إهْلالا
ضَجَّ فى مَسمعِهم فأصْغَوا خُشُوعًا ورأَوا فِيكَ مِن جَدِيدٍ (بِلَالَا)
أىُّ دُنيا لِمَنْ يُضَيِّعُ دِينًا وبِهِ تَبلُغُ النُّفُوسُ الكَمالَا؟!
يستَوى الكلُّ فيه سُودًا وبِيْضًا لا عَبيدًا وسادَةً أقْيالَا
إخوةٌ فى الحُقوقِ مهما تَناءَوا عُنصُرًا أو تبايَنُوا أشْكالا
وهو اللهُ فوقَ كلِّ البَرايا واحدٌ جَلَّ قَدَّرَ الآجالَا
ما على المسلمينَ لو وحَّدُوا الصفَّ فقادوا المنى وراضُوا المُحَالا؟!
واستردُّوا بالاتِّحادِ المُرَجَّى وطَنًا ضائِعًا، ومَجْدًا مُدَالَا؟
يَنعَبُ البُومُ فى حِمى المَسْجِدِ الأقْصَى وفى القُدْسِ مَنْدباتُ الثَّكالَى
والقَدَاسَاتُ دَنَّستْهَا خُطَا الرِّجْسِ هَوَانا ، وأوطَأتْها النِّعالا
وكأنَّ المآذِنَ الشُّمَّ أيْدٍ ضَارِعاتٌ شكايةً وسُؤَالَا
مُعْولاتٌ ومَالَهُنَّ مُصِيخٌ ليتَ شِعْرِى مَنْ يَسْمَعُ الإعْوَالَا ؟
عُصْبةٌ فى الحِمَى تَعيثُ ذِئابًا وعَلى أرضِه تَدبُّ صِلَالَا

* * *

أيُّها المُحتفُون فى يومِ إقبالٍ وفاءً ترجَمتُمُوهُ احْتفالا
كان فينا مَبادِئًا أتَمَنَّى مِلءَ قلبى لو تُرْجِمتْ أعْمالا

(١) كان إقبال يدعو إلى الإتحاد، ويرى التوحيدَ وسيلةَ الوحدةِ والقوةَ ، وفى ظِلالِهِ يَستَوى النَّاسُ، وبه تتحققُ الآمالُ.

٨٠- شَاعرَ الحقِّ والجَمالِ رأيتَ الشعرَ حقًّا وقُوَّةً وجَمالَا
وصَلاةً رُوحيَّةً تتسامَى ليسَ بالشِّعرِ ما يكونُ ابتذالا
إنَّما الشِّعرُ نفحةٌ من عبيرِ الرُّوحِ تهفو قَداسةً وجَلالا
وسُمُوٌّ يرقَي إلى الله بالشاعر حتى يُدنيهِ منه اتصالا
٨٤- شاعرَ الخُلْدِ كَمْ صبَوْتَ إليه فاغنَمِ الخُلْدَ مَنزلا ومَآلا

* * *

٨- فجـر الهدى سنة ١٩٤٥م (*)

مِنْ نُور طَلْعَتكَ استَفَاضَ بَهاؤُهـا   واسْتَبْشَرَتْ بك أرْضُها وسَـماؤُها
أَشرَقْـتَ يَـا فَجْرَ الهُدَى فى أُفْقِهَـا   فَـصَبَا لِنُـورِكَ صُبْحُها ومَـسَاؤُهَا
كانـتْ ظلَامـا يخبطُ الـسَّارِى بـه   ويُضلُّ عن قَـصْدِ السَّبيلِ عَماؤُهـا
دُنْيـا فَـسادٍ يُـسْتَحَلُّ حَرِيمُهـا   للظَّـالمِينَ وتُـسْتبَاحُ دِمَاؤُهـا
الحَـرْبُ يُـذْكِيها لَظَـى عَـصَبِيَّةٍ   هَوْجَـاءُ شَـبَّ أُوارَهَـا سُـفَهاؤهَا
والأقويـاءُ بِهـا عـلى طُغْيـانِهِم   سَـادَاتُها وعَبيـدُها ضُـعَفاؤُها
والجهلُ رَانَ على القُلوبِ فَلاتَعى   صوت الـسماء إذا استَهَلَّ نِـدَاؤها
وعَبيـدُ أحْجـارٍ إذَا هَتَفُـوا بِهـا   أعْيَـتْ وكَيـفَ تُجِيبُهُم صَمَّاؤُها[1]
دُنْيـا تَـدَارَكَت العِنايَـةُ لَيلَهـا   فَـسَرَتْ تُبَـشِّرُ بالـسَّنا بُـشَرَاؤُها
وانْـشَقَّ فِى آفَاقِهـا فَجْـر الهـدى   عـن نـور طـه فانجلـت ظلماؤهـا
وسَرَتْ بِمَكَّـةَ نَـشوةٌ عُلْوِيَّـةٌ   واسْتَشْرفَتْ لِسَنَا الهُدَى بَطْحَاؤُها
وتَهَامَـسَتْ بالبُـشْرَياتِ رِمَالُهـا   وتَعَطَّـرَتْ بِمُحَمَّـدٍ أرْجَاؤهـا
ومَشى الصَّباحُ إلى البِطاحِ بِدعوةٍ   الحـقُّ والعـدلُ القـويمُ لواؤُهَـا
يـا بَاعِثًـا رُوحَ الحَيـاةِ بأُمَّـةٍ   طَـمَّ الفَـسادُ بِهـا ودَبَّ فَنَاؤُهـا
ومُحَـرِّرًا أجْـسَامَها وعُقُولَهـا   مِـنْ بعـد مَـا فَتَكـتْ بهـا أهْواؤُهـا
ومُـداوِيًا عِلَّاتِهـا وسَـقَامَها   من بعدِ مَـا اسْتَعْـصَتْ وعَزَّ دَواؤُهـا

(*) لا توجد فى مخطوط (وحى الربيع ١٩٥٢م) ولكنها معدّلة عن قصيدة لحن السلام في عبد الفاروق بنفس المطلع مع حذف وإضافة وتقديم وتأخير والقصيدة الثانية في باب الشعر الملكي مع تغيير حركة الهاء من الضم إلى الفتح هنا.

(١) الحجارة الصلدة.

وحَّـدْتَها بَعـدَ الـشَّتاتِ فأُخمِـدَتْ   نَـارُ العَـداوَةِ وامَّحَـتْ بَغْـضاؤُها
لله مَمْلَكَـــةٌ بَنَيــتَ أساسَـــها   بالعَـدْلِ فارْتَفَعـتْ وعَـزَّ بناؤُهـا
هَـوتْ المَمالِكُ حَولَها وتَـصَدَّعَتْ   جَنَبَاتُهـــا لَمَّـــا سَرَتْ أنْباؤُهـــا
والمُـسْلِمونَ الأوَّلُــون بِظِلِّهـــا   عَـــزُّوا وذَلَّ لبَأْسِـــهِمْ أعْـدَاؤها
ما بالهم غزت الخطوب شعوبهم   وتلاحقــت بـــديارها أرزاؤهـــا
وَعَــدتْ عـلى أمجـادِهم مَدنِيَّـةٌ   بَرَّاقَـةٌ خَـدَعَ الغَرِيـرَ طِلاؤُهـا
هِـى دَولـةُ الإسْلامِ لَـيْسَ لمِجْدِها   عَـــوْدٌ إذَا لَمْ يَتَّحِـــدْ زُعَماؤُهـــا
كَـلا ولَـنْ تَقْـوَى إذا لَمْ تَـأْتَلِفْ   صَـفًّا ووَحَّـدَ شَـمْلَها أبْنَاؤُهـا
يا سيِّد الفُصْحَى ومُعجِزَ أهْلِها   مـاذا أقُـولُ وفى يَـدَيْكَ لِواؤُهـا؟
اللهُ قَـدْ أثْنَـى عَلَيْـكَ فَـما الـذِي   مـن بعـدِهِ يُثْنِـى بِـه شُـعَرَاؤُها؟
ذِكْـــراك فى أمجادِهـــا وبهائِهـــا   بَهَـرَ المـشَاعِرَ نورُهـا وسَـناؤُها
ومَقَـامُ مَـدْحِك فى سُـمُوِّ جَلالِـه   تَـركَ اليَراعَـةَ بادِيًـا إعْياؤُهـــا
حَسْبِى عَـلى أعْتَـابِ بَابِـكَ وَقْفَـةً   عُمْـرِى وآمَـالُ الحَيـاةِ فِـداؤُها
بـــابُ الـسَّماءِ لقاصـدِيها بَابُهـا   وفِنَـــاءُ رَبِّ العَـــالَمِينَ فِناؤهـــا
وسعتْ ذنـوبَ اللائـذينَ رحابُها   كَرَمًا وأغْرى العائـدينَ سَخَاؤُها
يـا أكْـرمَ الكُرمَـاءِ هَـبْ لِى نَفْحَـةً   تَـصْفُو بِهـا نَفْسِى ويُـشْفَى دَاؤهـا
إنْ كـانَ غَـشَّاها ظَـلامُ هُمُومِهـا   فَسَناكَ من صدأِ الهمومِ جِلاؤُها
رَدَّدْتُ ذِكْـرَكَ والهُمُـومُ عَـوابِسٌ   فَتبَـسَّمَتْ لِى وانْثَنَــتْ لأْوَاؤُهـــا
وهتفتُ بِاسْمِكَ والرِّياحُ عَواصِفٌ   فَـسَرَتْ تُبَشِّرُ بالأمَـانِ رُخَاؤُهـا

❊ ❊ ❊

٩ - هجرة الحق سنة ١٩٤٢م(*)

سَائِلِ الأُفْقَ عَنْ سَناهُ المُنَضَّرْ   أىُّ صُبْحٍ عَلَى مُحَيَّاهُ أَسْفَرْ
الهِلالُ الوليدُ ضَوَّأ مَرآهُ فَسبْحَانَ مَنْ بَرَاهُ وصَوَّرْ
زَوْرَقٌ فِى غَياهِبِ المَوْجِ يَبْدو   ورَجَاءٌ فِى ظُلْمَةِ اليَأْسِ يَظْهَرْ
هَلَّلَ المُسْلِمونَ حِينَ رَأَوْه   واجْتَلاهُ الشَّرْقُ الجَريحِ فَكَبَّرْ
تَتَلأْلأُ العُيونُ حَولَ سَناهُ   شَاخِصَاتٍ بِكُلِّ طَرْفٍ مُحَيَّرْ
ضَارِعَاتُ المُنَى إلى اللهِ لَهْفَى   عَلَّهُ أنْ يَكُونَ بِالنَّصْرِ بَشَّرْ
وشَوادِى الطُّيورِ حَامَتْ عَلى الرَّوْضِ تُغادِيهِ بالنَّشِيدِ المُعَطَّرْ
ضَجَّ فِى سَمْعِها الغَدَاةَ هِتافُ الكَوْ   نِ يَنْسابُ بينَ نَاىٍ ومِزْهَرْ
ودُعَاءُ الوُجُودِ كَبَّرَ للهِ فَهَزَّتْ أصْداؤُهُ كُلَّ مَظْهَرْ
نَشْوةٌ تَغْمُرُ الحَياةَ لِذِكْرَى   يَزْدَهِى مَجْدُها الأَنَامَ ويَبْهَرْ
هِىَ صَوتُ التَّاريخِ فَلتَسْمعِ الدُّنْيا   لِصَوتٍ مِن السَّماءِ تَحَدَّرْ
هِجْرةُ المُصْطَفى ورَجْعُ صَداها   عِظَةٌ مِنْ مَواعِظِ الحَقِّ تُؤْثَرُ
مِنْ تُرى ذلك الغَريبُ بِأرضٍ   هِى أوْطَانُهُ وبالأهْلِ تَزْخَرْ؟
أنْكَرَتْهُ والحَقُّ فِيها غَريبٌ   لَيسَ بِدْعًا أنْ يُسْتَباحُ ويُنْكَرْ
دبَّرَتْ غَدرَها ولَيس بِمُجْدٍ   غَادِرًا كَيدُهُ إذا اللهُ دَبَّرْ
أرْهَفَ الليلُ سَمْعَهُ لِخُطَاهُ   هَامِساتٍ بِما يَخَافُ ويَحْذَرْ
واحتواهُ الظَّلامُ سِرًّا مِنَ اللهِ عَليهِ عَينُ العِنَايَةِ تَسْهَر
كَادَ إشْراقُهُ يَدُلُّ عَلَيْهِ   بِمُحَيَّا فى فَحْمَةِ الليلِ أقْمَرُ

(*) هذه القصيدة لها رواية أخرى ولكن هذه تتضمن معظم الأبيات الواردة فيها ، فقد غير فى المعانى وزاد فى أبيات القصيدة وبدل فى الترتيب حتى يمكن عدها قصيدة أخرى مقاربة لها .

والفَضاءُ الفَسيحُ يُنْبئُ عَنْهُ بِعَبيرٍ يَفُوح مِنْه وعَبْهَرْ
عَمِيتْ عَينُ مُقتَفِيهِ عنْ الغَارِ ولولا رعايةُ الله أبْصَرْ
شدَّ عزمَ الصدِّيقِ من رجْفَةِ الخوفِ بعزمٍ على المخاوفِ أصبرْ
رَبِّ أنْتَ النصيرُ إنْ عقَّنى الأهْلُ ومَنْ يَعْتَصِمْ بِحُبِّكَ يُنْصَرْ
وَطَنُ الحقِّ مَوْطِنِى ، فَلَكَ الأمْرُ كما شِئْتَ والقَضاءُ الْمُقَدَّرْ
مَنْ تُرَى ذَلك الذى غَيَّرَ التَّارِيخَ فَتْحًا وهَزَّ كِسْرَى وقَيْصَرْ ؟
من تُرى الفَارِسُ الذى زَلزَلَ الأرضَ ، وفى كَفِّه اللِّواءُ الْمُنَشَّرْ ؟
مَن تُرى الفَاتِحُ الذى طَالعَ الوادى بِجَيشٍ مِنَ الضَّراغِمِ يَزْأرْ؟
تَرْجُفُ الأرْضُ والجِبالُ لِمَراهُ وتَرُجُّ مِنْ خُطاهُ وتُذْعَرْ
ذَاكَ أمَّ القُرى طَرِيدُكِ بالأمْسِ ومَنْ يَصْطَبِرْ على البَأْسِ يَظْفَرْ
إنَّ لِلحَقِّ سَاعَةً يَقْهرُ البَاطِلَ فيها مهما طغَى وتجَبَّرْ
اسمَعِى ياشِعابَ مَكَّةَ هَذِى هتْفَةُ النَّصْرِ للنبىِّ الْمُؤَزَّرْ
واشْهَدِي يا سَماءَها : زَلْزَلَ الشِّرْكُ ودَوَّتْ فِى الأُفْقِ : اللهُ أكْبرْ
أيُّها الشَّرْقُ هَذِه قِصةُ المَجْدِ فلا يَزْدَهِيكَ مَجْدٌ مُزَوَّرْ
هِجْرَةُ الحقِّ عِبْرَةٌ لَو نَعِيهَا وهْى دَرْسُ السَّماءِ لو نَتَدَبَّرْ
هى رَمْزٌ لنُصرَةِ الحقِّ مَهْما طَالَ بالظُّلْمِ المَدى وتنَمَّر
وعَلَى التَّضْحِياتِ والصَّبْرِ عُنْوانٌ وللعَزْمِ والإرَادَةِ مَظْهَرْ
ومِثالُ الفِداءِ فى كُلِّ عَصْرٍ والصُّمُودِ الصُلبِ الذى لَيس يُقْهرْ
ومنارٌ لأمَّةٍ تَتَسامَى ولِشَعبٍ يُريدُ أنْ يَتَحَرَّرْ
يا نَصيرَ الحُقُوقِ قُمْ فانْظُرِ اليومَ تَرَ الحَقَّ يُسْتَباحُ ويُهْدَرْ
شِرْعَةُ الغَابِ أصْبَحَتْ تحكُمُ الدُّنيا بِنابِ مخالسِ الفَتكِ أصْفَرْ
لاتُبالى بِمنْطِقِ الحملِ الوادِعِ إنْ صَاحَ فى شَراهَا غَضَنفرْ

يـا نبـيَ الإسراءِ مَـسْراكَ فى القُــدْسِ مَـشَى الـرِّجْسُ فى ثـراهُ المُطْهَـرْ(١)
واستبدَّ الذئابُ بالمسجدِ الأقْصى   وداسُــوا محرابَـــه والمنــبرْ
والأذَانُ القُدُسِــيُّ قــد خَنقَتْـــهُ   ضَـجَّةُ البُـومِ بالنَّعِيـبِ المُنْكـرْ
وكَــأنَّ المــآذِنَ الــشُّمَّ أيْــدٍ   لفَلــسْطينَ بِالــشكايَةِ تَجْــأرْ
نَظْـرَةً مِنْـكَ يـا مُحَمَّـدُ تُحيـى   عَزَمـاتٍ كـادتْ تُفَـلُّ وتُبْـتَرْ
مــددًا مــن هُـداكَ يَجْمـعُ شَــمْلَ العُـرْبَ والمُـسلِمينَ صَـفًّا مُـؤَزَّرْ
ومْـضَةً مِـنْ سَـناكَ تُجْلِى دُجَــى الليـلِ وتَجلـو وجَـه الـسَّلامِ المُعَفَّـرْ
نفحـةً مـن رِضَـاكَ تَجْبُرُ كَـسرا   كـلُّ كـسرٍ بنفحـةٍ منـك يُجْبرْ
رَبِّ ثَبِّتْ عَـلَى الطَّريـقِ خُطَانَـا   وأنِــرْ دَرْبَنــا فَــلا نَتَعَثَّــرْ
وبِخَـيرِ الـوَرَى نَبِيِّـك وفِّقْنـا   ويَـسِّر مِـنْ أمْرِنـا مَـا تَعَـسَّرْ
واجمـعْ الــشَّمْلَ واشْــدُدْ العَـــزْمَ يــاربِّ فَــلا نَنْـثَنِ ولا نَتَقَهْقَــرْ
كَـمْ خُـدِعْنا بِحَولِنـا فتَلاشَـى   واعْتَزَزْنَــا بِنَـصْلنَا فتكَــسَّرْ
لَــكَ يــاربِّ وَحــدَكَ الحَـوْلُ والطَّـولُ ومَــنْ يَـسْتَعِنْ بِغَـيرِك يُقْهَـرْ
قَــدْ فَزِعْنَــا إلى جَنَابِــكَ يــا رَبِّ ومَــنْ يَعْتَـصِمْ بِحَبْلِــكَ يُنْـصَرْ

(١) هـذه الأبيات تتحدث عـن القـدس مـا بعـد ١٩٤٨م وهـذا بعد مـدة طويلـة مـن تـاريخ القـصيدة الأول١٩٤٢م بل وبعد ديوان من وحى الربيع (١٩٥٢م مخطوط).

١٠ ـ مولد الربيع سنه ١٩٤٠م(*)

طَـافَ بالمَـشْرقينِ نُـورُ مُحَمَّـدْ   فَـشَدا الطَّيْرُ فِى الرِّيَاضِ وغَـرَّدْ
وتهَادَى فِى الكَوْنِ مَوْكِبُ ذِكْرَى   كُـلَّ عَـامٍ جَمالُهَـا يَتَجـدَّدْ
يَقْبِسُ الشَّرْقُ نَفْحَـةً مِنْ سَنَاها   فَيُغَادِيـهِ كُـلُّ مَجْـدٍ مُحَسَّدْ
كُلَّما أظْلَـمَ الطَّرِيـقُ أضَـاءَتْهُ فَأضْـحَى الطَّرِيـقُ وهْـوَ مُعَبَّـدْ
وإذا بالحَيَـاةِ أشْـكَلَ أمْـرٌ   فَعَـلَى ضَـوْئِها يُحَـلُّ المُعَقَّـدْ
هَكَـذا فَلْتَعِـزَّ ذِكْـرَى نَبِـىٍّ   مَـنْ يَـصُنْ عَهْـدَهُ يَعِـزُّ ويَسْعَدْ
إنْ يَكُـنْ بالأعْيَـادِ فَـاخَرَ قَـومٌ   فَهْـى عِيدُ الأعْيادِ والدَّهرُ يَشْهدْ
أويَكُـنْ للأيَـامِ ذِكْـرَىً فَـذِكرَى   مولـدِ المُـصطَفى أعَـزُّ وأمْجَـدْ
وإذا الغَـرْبُ بالبُطولَـةِ بَـاهَى   نَـسَخَ الـشرقُ فَخْـرَهُ بِمُحَمَّـدْ

* * *

يـاربيعَ الحَيَـاةِ هـا عِيـدُ مِـيلادِكَ أنْـدَى مِـن الرَّبيـعِ وأنْـضَدْ
لَـبِسَ الكـونُ فيـه حُلَّـةَ بِـشْرٍ   وصَـفا الجَـو بعـدما كـانَ أرْبَـدْ
وسَرتْ فى النُّفـوسِ هِـزَّةُ فَخْـرٍ   ومَشَتْ فِى الصُّدورِ نَشوةُ سُؤدَدْ
لا أرَى فى الربيـعِ مـا يرتَـأى النا   سُ كَفَـضْلٍ فِيـه المَبـاهِجُ حُشَّدْ
وجَمـالٌ فى الكَـونِ خَـالٍ مـن الـرُّوحِ كَـوَرْدٍ عَـلى ضَرِيـحٍ مُشَيَّدْ

(*) هـذه القـصيدة قـام باختـصارها في نـسخة ١٩٨٤م بحـذف عـشرة أبيات هـى(٥، ٧، ٨، ٩، ١٣، ١٤، ١٥، ١٨، ٢١، ٣٢) طلبا للاختصار .ثم ترك باقـى الأبيات على ترتيبها كما بعد الحذف مع تغيير بعض المواضع فى :

١ - ياربيع الوجودِ عيدُك رُوحٌ   تتسامَى على الرَّبيعِ المُجَسَّدْ (مكان البيت رقم ١٠ الحالي).

٢ -«وشَعَّتْ على الدُّجَى فَتَبَدَّدْ» مكان الشطر الأخير من البيت الأخير.

هُــو رُوحٌ تَــشِعُّ فى كُــل نَفْــسٍ   تَتَــسامَى إلى الجَــمالِ وتَــصْعَدْ
إيــهِ يــا مُنقــذَ الأنــامِ مِــن الجَهْــلِ ويــا خَــيرَ مَــنْ هَــداهُمْ وأرْشَــدْ
وُلِــدَ النُّــورُ مُــذْ وُلِـدتَ فَـدُكَّت   شُرُفـاتُ الطُّغيانِ مِن كُلِّ مَعْبدْ
وإنْجَلَتْ من غَياهِبِ الظُّلْمِ دُنْيا   كَـانَ فِيهـا صُـمُّ الحِجَـارَةِ يُعْبـدْ
وتَمَــشَّتْ هِدايــةُ الله فى الأرْضِ كَنــورِ الــصَّباحِ ســاعةَ يُولَــدْ
ضَلَّ مَنْ صَدَّ عَنْ هُداكَ وأعْمَى   عَيْنَـه عَـنْ ضِياءِ نُـورِكَ وارتَـدْ
ولــكَ المُعجِــزاتُ مــن فلــق الــصُّبحِ عــلى صــحةِ الرســالةِ تــشهدْ
كــمْ حَمَلْــتَ الأذى جِهَــادًا ومَــا نُــؤْتَ بأعبائِــهِ وذُو العِــبءِ يُجْهَــدْ
وسَـلَكْتَ الأُمُـورَ سِـلْمًا وحَرْبًـا   في اضْـطِبارٍ فـذٍّ وعـزْمٍ مُوطَّـدْ
بـينَ سيفٍ مـن منْطِقِ الحقِّ هـادٍ   وسِـلاحٍ عـلى الـضلال مجـرد
عَجَبًــا للــذى يُغــالط فى الحــقِّ ومَــنْ يَــسْلُكُ الحقِيقــةَ يَهْتَــدْ
سَــخِرُوا مِنْــكَ يَــا أعَــزَّ أمــانى الأرضِ بــل أنــت للــسَّماواتِ فَرْقَــدْ
لــو ســلكَت الــسبيلَ للحَجــرِ الــصَّلْدِ بِــدَعْواكَ مَــا تَــأَبَّى وفَنَّــدْ
وإذا جِئْتَــــهُ أتَــــشهدُ بــــالله وأنِّــــى رَســـولُه؟ قَـــالَ: أشْـــهَدْ

***

يــا إمــامَ الجِهــادِ قــم فــانْظُرِ اليــومَ تَــرَ الحَــرْبَ للمَطــامِعِ تُقْــصَدْ
حَـشَدوا للـدَّمارِ كُـلَّ سِـلاحٍ   وتَجَنَّـوا عـلى الـضَّعِيفِ المُـصفَّدْ
طَمَـعٌ سَـاقَهم إلى الحَـربِ بَهْمًا   ومِـنَ الحَـرْبِ مـا يُـذَمُّ ويُحْمَـدْ
ولــو أنَّ القتــالَ كَــان عَــلى الحَــقِّ لَكــانَ الجبــانُ مَــنْ يَــتَرَدَّدْ
ولَــوْ أنَ الــشُّعوبَ أصْــغَتْ إلى الــدِّينِ لَمَــا بَــاتَ فى الــشُّعوبِ مُــسَوَّدْ
شِرْعــةٌ تكفــلُ الحُقــوقَ وتَحمــى   مِـنْ شُرورِ الطُّغيـانِ كُـلَّ مُهَـدَّدْ
لَـو أتَوْهـا لـضَمَّدَتْ كُـلَّ جُـرْحٍ   ولَـضَمَّتْ مِـنْ شَمْلِهِمْ ما تَبَـدَّدْ

١١ - العام الجديد ١٩٣٨م (*)

بُشْراكَ بالعامِ الجَديدْ   قُمْ حَيِّ مَطْلَعَهُ السَّعِيدْ
لَمَّا أطَلَّ عَلى الوُجُودِ هلا لَهُ طَرِبَ الوُجودْ
وتَهَلَّلَ الأُفُقُ المُشْرِقُ لِمَولِدِ النُّورِ الجَديدْ
وُلِدَ الهِلالُ بِمَهْدِهِ، والأُفْقُ مِنْ أحْلَى المُهُودْ
يَخْتالُ فِيهِ كَزَوْرَقِ الأَحْلامِ فِي خَطْوٍ وَئِيدْ
عَلِقَتْ بِهِ الأبْصارُ حَتَّى مَا تَرِيْمُ ولا تَحِيدْ
تَستَطْلِعُ المَجْهُولَ مِنْ غَدِهَا الضَّنِينِ بِمَا تُرِيدْ
قَالُوا قَرِيْبٌ؟ قُلْتُ: لا   واللهِ إنَّ غَدًا بَعِيدْ

* * *

قُلْ يَاوَلِيدَ الدَّهْرِ حَدِّثْ مَا وَرَاءَكَ يَا وَلِيدْ ؟
جَدَّدْتَ أرْوَعَ   ذِكْرِيَاتِ المَجْدِ فِي المَاضِي المَجِيدْ
مَنْ ذَلِكَ السَّارِي بِجُنْحِ الليلِ يهزأُ بالوَعِيدْ ؟
يَمْشِي غَرِيبَ الدَّارِ فِي   أَوْطَانِهِ مَشْيَ الشَّرِيْدْ
الأهْلُ تُنكِرُه وتَعرِفُه المَسَالكُ والنُّجُودُ
وربُوعُ مكةَ كُلُّها   تُومِي إليهِ بالسُّجودْ
والليلُ يُرْهِفُ سَمْعَه   لِخُطَاهُ والنَّجْمُ الشَّهِيدْ
لَمْ يُثْنِهِ عَنْ عَزْمِهِ   وَعْدُ العَشِيرَةِ والوَعِيدْ

(*) الإصدارُ الأحدث للشاعر حذف الأبيات ،١٢، ١٦، ٢٣، ٢٧، ٢٩-٣٦ طلبا للاختصار والتغير في :- (١) نقل البيت رقم ١٠ وحافظ على باقي الترتيب بعد الحذف كما هو (٢) شطر البيت ١١ في النسخة الأقدم بلا من "يهزأ بالوعيد" كان بدلاً منها "في سجواء بيد".

مِنْ ذلكَ الغازِي كَأنَّ خُطَاهُ زِلْزَالٌ شَدِيدْ ؟
الأرْضُ تَرْجُفُ تَحْتَه وتَكَادُ مِنْ هَوْلٍ تَمِيدْ
قَادَ الجُيُوشَ مُظَفَّرًا يَخْتَالُ في خَفْقِ البُنُودْ
قَدْ رَاعَ مَكَّةَ زَحْفُها قُدُمًا ، وأهْلُوهَا قُعُودْ
وكأنَّما تَكْبِيْرُها فِي سَمْعِهِم قَصْفُ الرُّعُودْ
واسْتَسْلَمَ الطَّاغِي وأسْلَمَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدْ
وانْدكَّ طَودُ المُشْرِكِينَ وزُلْزِلَ الحِصنُ العَتِيدْ
وتَدَاعَتْ الأصْنَامُ وانْكَفأتْ عَلى هَامِ العَبِيدْ
اللهُ أكْبرُ هَذِه عُقْبَى التَّجَلُّدِ والصُّمودْ
هِى هِجْرةُ الحَقِّ الغَرِيبِ وقِصَّةُ المَجْدِ الفَرِيدْ

***

قُلْ يا وَلِيدَ الدَّهْرِ حَدِّثْ مَا وَرَاءَكَ يَا وَلِيدْ ؟
مَاذَا يُخَبِّئُهُ غَدٌ ومَنِ المَسُودِ ومَنْ يَسودْ ؟
وأدَا السَّلامَ دُعَاتُه ورَمَوْهُ فِى ظُلْمِ اللُّحودْ
هُمْ حَاسِدُوه وقَدْ يَغُرُّكَ بِابْتِسامَتِهِ الحَسودْ
لَيسَ الشَّهِيدُ قَتِيلَهُمْ إنَّ السَّلامَ هُو الشَّهِيدُ
الغَربُ حَادَ عن الهُدَى ونَأى عن القَصْدِ السَّدِيدْ
والشرقُ مَغْلوبُ القُوى أسْوانُ يَرْسُفُ فى القُيودْ
دَبَّ الفَسادُ بِه وأوْهَنَ عَزْمَهُ طُولُ الرُّقُودْ
لَمْ يَجْنِ مِنْ آفاتِه غَيرَ الأمَانِى والوعُودْ
قُلْ يا وليدَ الدَّهر حَدِّثْ ما وراءَك ياوَليدْ؟

***

١٢- البطل المسلم
محمد على كلاي

أقامت جامعة الأزهر حفل تكريم لبطل الملاكمة العالمي المسلم محمد على كلاي يوم الثلاثاء ٣١ مايو١٩٦٦م ، ألقيت فيه هذه القصيدة وقد تأثر البطل بها دون ترجمة وكان يهتز لموسيقاها الشعرية، وطلب ترجمة معانيها، ثم قال في خطبته: إنني تأثرت بهذه القصيدة أبلغ التأثير وشعرت أمام عواطفها الجياشة بمسئولية البطولة التي أتشرف بحملها ...

نشرت هذه القصيدة في جريدة الجمهورية

بِنتَ الكِنَانِيِّ العَتِيقِ تَوسَّمى ... وتفرسى وجْهَ الكَمِيِّ المُعْلَمِ
يا كَعْبَةَ الإسْلامِ شَاقَكِ مُسْلِمٌ ... بَطَلٌ على طُولِ المَدَى لَمْ يُهْزَمِ
أعَرَفْتِهِ؟ هَذا (كِلاىُ) فَعَانِقِى ... فِيهِ اعْتِزازَ المُسْلِمين ، وسَلِّمِى
أهْلًا (مُحَمَّدُ) بين شَعْبٍ هَاتِفٍ ... لَكَ بالقُلوبِ مَحَبَّةً قَبلَ الفَمِ
قَدَرَ البُطولَةِ فِى الرِّياضَةِ بَعْدَما ... عَرَفَ البُطولَةَ فِى الرئِيسِ المُلْهَمِ
يلتفُّ حولكَ فى النِّزالِ مشاعرًا ... تَطوى الأثِيرَ على القُلوبِ الحُوَّمِ
راعت بطولتُك الشعوبَ وتوَّجتْ ... بالفخر هامةَ كلِّ شعبٍ مسلمِ
فى الشَّرْقِ والغَرْبِ اسْتَطارَ دَوِيُّها ... وطوى الجواءَ فهز سمع الأنجم
قُلْ لى بِربِّكَ : أىُّ بَأْسٍ تَحتَوى ؟ ... ولأَىِّ جِنْسٍ فِى الضَّراغِمِ تَنْتَمِي؟
وبأيِّ ظُفْرٍ فى الفَرِيْسَةِ نَاشِبٍ ... تُصْمى فَلا يَرْتَدُّ إلا بِالدَّمِ؟
وبأيِّ قوَّتِكَ التى تُعْيِى القُوَى ... فى السَّاعِدِ المَفْتُولِ أَمْ فى المِعْصَمِ؟
قُدَّتْ مِنَ الفُولاذِ قَبْضَتُكَ التى ... تَرْمِى بِها الخَصْمَ العَنِيْدَ فَيَرْتَمِى؟
تَنقضُّ صَاعِقَةً ، وآنًا عاصِفًا ... يلوى وتَلْبدُ تارةً كالضَّيغَمِ

خَيَّبْتَ آمَالَ المُلُوكِ وظَنَّهُمْ ... فِيمنْ يلوذُ بِعَرْشِهِمْ أوْ يَحْتَمِى[1]
وصَرَعْتَ أبْطالَ الصِّدامِ فَغُودِرُوا ... بَينَ الحَقودِ عليكَ والمُسْتَسْلِمِ
لاذُوا بمخْلوقٍ ولُذْتَ بِخالقٍ ... شَتَّانَ بينَ مُحَقِّقٍ ومُرَجِّمِ
مَنْ غَرَّهُ جاهُ المُلوكِ وزَيْفُهُ ... فاللهُ جاهُ المُسْلِمِ المُسْتَعْصِمِ
ياقاهِرَ الأبْطالِ حَسْبُكَ عِصْمَةً ... ثِقَةٌ بِربِّكَ والنَّبِىِّ الأكْرَمِ
مَنَ كَان يَجْمَعُ بينَ قُوَّةِ رُوْحِهِ ... والجِسْمِ أقْدمَ واثِقًا لمْ يُحْجِمِ
أطْلقتَ بالإسْلامِ صَيحةَ مُؤْمِنٍ ... فى معشَرٍ صُمِّ المَسامعِ نُوَّمِ
وحَمَلْتَ مِشْعَلَهُ فَشَعَّ ضِياؤُها ... فِى عَالَمٍ خَرِبِ العَقائدِ مُظْلِمِ
دِينُ المُساوَاةِ الذى لمْ يَعْتَرِفْ ... بالعُنْصرِيَّةِ فى لَظاها الضَّرِمِ
السُّودُ مِثْلُ البِيْضِ، كُلٌّ إخْوَةٌ ... فى الحَقِّ، والعَربىُّ مثلُ الأعْجَمِى
مُتكَافِئونَ، فَلا تَبايُنَ بينَهُم ... باللَّوْنِ فيه، ولا تَفاضُلَ بالدَّمِ
دِينُ السَّلامِ الحَقِّ غَيرُ مُلَثَّمٍ ... كَمْ مِنْ سَلامٍ يَدَّعُونَ مُلَثَّمِ
قَتَلُوهُ أطْماعًا، وأعْجَبُ قاتِلٍ ... باكٍ على مَقْتولِهِ فى المَأْتَمِ
اصْدَعْ بِدِيْنِكَ يا مُحَمَّدُ بَيْنَهُمْ ... وأبِنْ حَقِيقَتَهُ لِمَنْ لمْ يَفْهَمْ
أقْنِعْ بِمَنْطِقِه القَويْمِ، فَمنْ أبَى ... صَلَفًا فأقْنِعْهُ بكَفِّكَ والْكُمِ
مَنْ لَيسَ تُقْنِعُهُ الحَقيقَةُ مَنْطِقًا ... فالبأْسُ أفْصَحُ فِى المَقالِ مِنَ الفَمِ
مَرْحَى فَتَى الإسلامِ حَقِّقْ باسْمِهِ ... نَصْرًا حَلِيفَكَ دائمًا وتَقَدَّمِ
حَيَّتْكَ جَامِعَةٌ نَماها مُنْجِبٌ ... هَرِمَ الزَّمانُ وعَزْمُهُ لمْ يَهْرَمِ
دُمْ ظَافِرَ الكَلِماتِ، جَبَّارَ الخُطَا ... واسْحَقْ بِها شَرَكَ المَكائِدِ واسْلَمِ

---

(١) إشَارةً إلى تَشجيع ملوكِ الغرب لخُصومه، وانتصاره عليهم بفضل اعتزازه بالله وحده.

١٣ـ فى ذكرى الإمام السنوسي بالجعبوب عام ١٩٦٩م

ياحادِيَ الرَّكْبِ هَذا يَومُ ذِكْراهُ ... عَرِّجْ عَلى سَاحِهِ وانْزِلْ بِمَغناهُ
وَافَى عَلى العَهْدِ أَهْلُ الشَّوقِ واسْتَبَقُوا ... عَلى الطَّرِيقِ ونُورُ اللهِ يَغشاهُ
فى مَهْرَجانٍ تَشُوقُ البِيْدُ جَلْوَتهُ ... وتَزْدَهى الحَضَرَ المَأهُولَ بُشْراهُ
ومَوْكِبٍ بجلالِ الحُبِّ مُكْتَنِفٍ ... تَحْدو مَلائِكَةُ الرَّحْمنِ مَسْراهُ
وعَطَّروا بِأريجِ الشوقِ سُدَّتَهُ ... وضَمَّخُوا بِعَبيرِ الحُبِّ مَثْواهُ
فَقِفْ بِنَا نَلْتَمِسْ مِن فَيْضِهِ مَدَدًا ... وعُجْ بِنَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِ مَجْلاهُ[1]
ونَنْسِمُ الطِّيبَ فَوَّاحًا بِرَوْضَتِهِ ... ونُفْعِمُ الرُّوحَ إسْعَادًا بِنَجْواهُ
إنْ رُمْتَ فى عَالَمِ الأشْباحِ صُورَتَهُ ... فَأرْهِفِ الرُّوحَ كَى تَحظَى بُلُقْياهُ
طَافَتْ بِنا نَفَحاتٌ مِن عَوارِفِهِ ... وأشْرَقَتْ قَسماتٌ مِنْ مُحَيَّاهُ
فَضَوَّأَتْ بَاحةَ الصَّحْراءِ وَمْضَتُه ... وعَطَّرَتْ واحَةَ الجغبوبِ ريَّاهُ
لَوْلَا (مُحَمَّدُ) لم تَعْمُرْ مَفاوِزُها ... ولا تَفَيَّأَتِ النَّعْماءَ لَوْلَاهُ
أَحْيَا القُلُوبَ بِنُورِ اللهِ فانْتَعَشَتْ ... كَالغَيْثِ طَافَ عَلى جَدْبٍ فَأحْياهُ
وقَاوِمْ الجَهْلَ والإلْحادَ مُنْتَضِيًا ... عَزْمًا حَبَاهُ بِهِ المَولَى وأوْلاهُ
فَكانَ فجْرَ الحيارَى فى مَفازَتِهِم ... سَرى إلى لَيْلِها الدَّاجِى فَأجْلاهُ
كَمْ أنجَبتْ من بُطولاتٍ مَدارِسُهُ ... وأطْلَعَتْ مِنْ مَناراتٍ زَوَاياهُ
شَعَّتْ بِها دَعْوَةُ الإصْلاحِ وانْطَلَقَتْ ... فِى الشَّرْقِ نَهْجًا لأُولاهُ وأُخراهُ
للهِ سَاعٍ يَطُوفُ الأرْضَ مُحْتَسِبًا ... مُجاهِدًا فِى سَبيلِ اللهِ مَسْعَاهُ

---

(١) هذا البيت والبيتان التاليان له كان يقابلها فى النسخة علامة (X) التي تعنى الحذف وهذا المعنى (معنى المدد والجاه) قام بحذفه من أماكن كثيرة من الديوان أشرنا إليها.

قَدْ صَدَّ عن زهرة الدُّنيا وزُخرُفِها ... مَـنْ راقـبَ اللهَ لم يحفَـلْ بـدُنياهُ
سَـارٍ يجـوبُ الفَيـافِى كُلَّـما وَطِئَـتْ ... أقْدامُـهُ سَبْـسَبًا يَخْـضَرُّ مَرْعَـاهُ
إذا مَـشَى راحَ رَمْـلُ البيـدِ مُـسْتَبِقًا ... خُطـاهُ لَـثْمًا وبَـدْرُ الأُفْـقِ حَيَّـاهُ
لاغَرْو فَهْوَ سَبِيلُ الطُّهْرِ فِى نَسَبٍ ... أحَلَّـهُ مِـنْ سَـناءِ المَجـدِ أعْـلاهُ
مِـنْ عِـترةِ الـشرفِ العَـالى وذِرْوَتِـه ... وعُنْـصُرِ الحـسَبِ الغَـالِى وأزْكَـاهُ
فَـرعُ النُّبُـوةِ فى أزْكَـى مَنَابِتِهـا ... وقَـدْ سَـما بَـأبى الزَّهْـراءِ فَرعَـاه
مَنْ جَدُّهُ المُصْطَفَى بَاهِى الورى نَسَبًا ... وطَـاوَلَ الـنَّجْمَ إعْـلاءً وسَـامَاهُ
حَسْبُ السُّنُوسِيِّ مِن أعْرَاقِهِ شَرَفٌ ... لَـو لمْ يَحُـزْ غَـيرَه فى الفخْـرِ أغْنَـاهُ
لِبْيـا الغَـدَاةَ بِنُعْماهَـا ونَهْـضَتِها ... تَفَيَّـأتْ وَارِفًـا مِـنْ ظِـلِّ نُعْـماهُ
تَحُفُّهَـا بَرَكَـاتٌ مِـنْ مَنَاقِبِـهِ ... رِزْقًا يَفيضُ بِبَطْنِ الأرْضِ مَجْرَاهُ
والـدَّارُ تَعْظُـمُ مِقْـدارًا بِـساكِنِها ... فَـذًّا ولا تَرْفَـعُ المَغْمُـورَ سُـكنَاهُ
والأرْضُ كالنَّاسِ يَجْرِى حَظُّهَا قَدَرًا ... فَـالبَعْضُ أخْطَـأَهُ والـبَعْضُ واتَـاهُ
كَـمْ نَـازِحٍ حَـلَّ فى وادٍ فاسْـعدَهُ ... ونَـازِلٍ حَـطَّ فى مَغْنـىً فَأشْـقَاهُ
سُبْحانَ مَنْ بِأَبِى المَهْدِيِّ أسْعَدَهَا ... دُنْيـا وأكْرَمَهَـا دِينًـا بِتَقْـواهُ
رِسَـالَةٌ حَمَـلَ الإدْريـسُ رايَتَهـا ... وعَهْـدُ صِـدْقٍ تَلَقَّـاهُ فَوَفَّـاهُ
ودَعْـوَةٌ بِالكِفـاحِ الحَـقِّ واصَـلَها ... وإرْثُ مَجْـدٍ عَظِـيمٍ بَـاتَ يَرْعَـاهُ
تِلـكَ الحَضَارةُ فِى لِيبيا مَظاهِرُهـا ... ثِـمارُ غَـرْسٍ تَـوَلَّاهُ فَـنَمَّاهُ
مَعاهِـدُ العِلـمِ والعِرْفـانِ شَـاهِدَةٌ ... بِـما بَنـتْ للعُـلا والمَجْـدِ يُمنـاهُ
أقَـامَ جَامِعَـةَ الإسْـلامِ فَارْتَفَعـتْ ... صَرْحًـا أنَـافَ عَلى الأفْلاكِ مَبْنَـاهُ
تَـشِعُّ بالـدِّين فِى ليبيـا مَنارَتُهـا ... نُورًا فَيطْوى رِحابَ الأَرْضِ مَسْرَاهُ
وفَـاضَ مَنْهَلُهـا يَنْبُـوعَ مَعْرِفَـةٍ ... مَـا أمَّـهُ ظَـامِئٌ إلَّا ورَوَّاهُ
يابارَكَ اللهُ فى الإدريسِ من مَلكٍ ... أعَـزَّ بالـدينِ والـدُّنيا رَعايـاهُ

طُفْ بالبلادِ تَجِدْ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ ... جِيلًا على خُلُقِ القُرآنِ رَبَّاهُ
دُورٌ لِحِفْظِ كِتابِ الله عامرةٌ ... بالنَّشْءِ كالنَّحْلِ دَوَّى فى خَلايَاهُ
فى كُلِّ رُكْنٍ مِن "الجَغْبوبِ" نَاشِئَةٌ ... مِنْهُم تُرَدِّدُ فى شَدْوٍ وصَايَاهُ
يَنْسابُ لحنًا شَجِيًّا من حناجِرِهم ... كأنَّ داودَ فى المزمارِ غَنَّاهُ
يا وَاحَةَ الطُّهْرِ عيشي فِي حِمَى مَلِكٍ ... تَفِيضُ بالخَيْرِ والنَّعماءِ كَفَّاهُ
أقَامَ بِالدِّينِ مُلْكًا عَزَّ جَانِبُه ... بَينَ المَمَالِكِ حَتَّى اختالَ عِطْفاهُ
الملكُ رُكْناهُ أخلاقٌ ومَعْرِفَةٌ ... ولا يقومُ إذا ما انهَدَّ رُكْناهُ
والعِلْمُ مَا لَمْ يَقُدْهُ نَحْو غَايَتِهِ ... هَادٍ مِنَ الدِّينِ لا تُحْصَى ضَحَايَاهُ
والعِلْمُ لَمْ يَكْبحُ الإيمانُ سَوْرَتَهُ ... غَرْثَانُ يَطْعَمُ مِنْ أشْلاءِ قَتْلاهُ
سُعَارُهُ غَالَ "هُرْشيما" فَدَمَّرَها ... ولَمْ تَزَلْ تَفْجَعُ الأكْوانَ بَلْواهُ
فَقُلْ لمن غَرَّهم فى العِلم مُخْتَرَعٌ ... ويْلاهُ مِن عِلمِكم ياقَومُ وَيْلاهُ
تَمَدُّنُ الدِّين أسْمَى مِنْ حَضَارَتِكم ... رُوحًا وأيْنَ ثَراهَا من ثُرَيَّاهُ؟
عَزَّتْ به أمَّةُ الإسْلامِ فِى زَمَنٍ ... أوْدَتْ بِقَيصَرِهِ بَأْسًا وكِسْرَاهُ
مَنْ مُرْجِعٌ مَجْدَها المَاضِى وعِزَّتَها ... أَيَّامَ كَانَ لَهَا السُّلْطانُ والجَاهُ؟
رَمَى بأشْلائِها فِى كُلِّ مُطَّرَحٍ ... دَهْرٌ تَوالَتْ بِدُنياها رَزَايَاهُ؟
فأينَ شَامِخُ مَجْدٍ كَانَ يرهَبُهُ؟ ... وأينَ بَاذِخُ فُلْكٍ كَانَ يَخْشَاهُ؟
مَاضٍ وَلَوْ جَمَعُوا أشتَاتَهم ومَضَوا ... عَلى الطَّرِيقِ الذى قدْ سَنَّهُ اللهُ
أخلِقْ بِهِمْ لَوْ أعادُوا الشَّمْلَ مُجْتَمِعًا ... كَمَا مَضَى أنْ يُعِيدوا مَا فَقَدْنَاهُ

***

١٤- ذكرى

اليومَ نَقْبِسُ مِنْ سَناهُ ضِياءَ ونُجَدِّدُ العَهْدَ القَدِيمَ وَفَاءَ
ونُطالعُ الذِّكْرى التى أمجادُها تَهَبُ النُّفُوسَ عَزيْمةً ومَضاءِ
ذِكْرى إمامِ العَارِفين فَإنها مَددٌ يَفيضُ على القُلوبِ صَفاءَ
فِي عَالَمٍ طَمَّتْ بِنا أهْوَالُه وغَدَتْ حَياةُ الناسِ فيهِ شَقَاءَ
تَتلاحَقُ الأرْزاءُ فِي جَنبَاتِهِ دُهْمًا فَمَنْ يَسْتَدْفِعُ الأرْزاءَ؟
تِيهٌ يضلُّ به السُّرَاة عَلى الدُّجَى مَنْ لى بنورٍ يقشعُ الظَلماءَ؟
اللهُ نُورُ الكَوْنِ جَلَّ جَلالُه فَدَعْ التَّشَاؤمَ واطْرَحْ البَأساءَ
وَاجْلُ الغِشَاوَةَ عَنْكَ تُبْصِرْ نُورَهُ يَسَعُ الوُجُودَ ويَمْلأُ الأرْجَاءَ
سُبْحانَكَ اللَّهُمَّ لُطفكَ لَمْ يَزَلْ وسَنَاكَ يَلْمَعُ فى الدُّجَى لألاءَ
أكرمْتَنَا بالعَارِفِينَ فَانْ دَجَا يَأْسٌ مَحَوْهُ تَفَاؤلًا ورَجَاءَ
مِنْ بَحْرِ عِلْمِكَ قَدْ مَلأْتَ قُلُوبَهم وقَذَفْتَ فِيهَا نُورِكَ الوَضَّاءَ
كم ذا أفضت على الإمام مواهبا تُعيى العقولَ وتعجزُ العلماءَ
ما بَينَ فِقْهٍ للحَنيفِ وسُنَّةٍ وحَكِيمِ قَوْلٍ حيَّرَ الحُكَماءَ
ومَنَحْتَهُ سِرَّ الكِتابِ فَأَشْرَقَتْ آياتِهِ نُورًا وزِدْنَ جِلَاءَ
ومِنْ الفُيوضَاتِ التى فُتِحَتْ لَه شِعْرٌ يَفِيضُ فُيُغْرِقُ الشُّعَراءَ

قَدْ صِيغَ مِنْ بَحْرِ الحَقيقةِ وَزْنُهُ   فَانْسَابَ لَحْنًا واسْتَهَلَّ غِنَاءَ
مَخَرَتْ سفِينُ الواصِلينَ عُبابَهُ   فَجَرَتْ بِهَا رِيْحُ النَّجَاةِ رُخَاءَ
ولَكَمْ أدَارَ على النَدَامَى كَأْسَهُ   قَدْ أُتْرِعَتْ مِنْ كَرْمَةٍ صَهْبَاءَ
خَمْرُ الشُّهودِ ومَنْ يَذُقْهَا يَسْتَطِبْ   نَجْوَى الحَبيبِ ويَسْتَلِذُّ نِدَاءَ
وإلى سَمَواتِ التَّجَلِّي كَمْ سَما   وسَرَى إلى قُدْسِيِّهَا إسْرَاءَ

* * *

يَاربِّ مِنْ كَأْسِ الحَقيقةِ قَطْرةً   فَالرُّوحُ كَمْ عَانَتْ إليكَ ظِمَاءَ
ومِنَ الضِّياءِ العَبْقَرِيِّ شُعَاعَةً   حَتى أرَاكَ جَلالةً وبَهَاءَ
ومِنْ اليقينِ بفَضْلِ جُودِك نَفْحَةً   تمحو العناءَ وتَكشفُ اللأواءَ
ضُمُّوا الصُّفُوفَ ووَحِّدُوا مجْهُودَكم   فَالخُلْفُ يَذْهَبُ بِالجُهودِ هَبَاءَ
ما أنْتمو بالأوفياءِ لعهدِه   إن انْتُمو لَمَ تدفِنُوا الشَّحْنَاءَ
اللهُ يجمَعُكُمْ عَلى مَرضاتِه   مُتَآلِفِينَ مَوَدَّةً وإِخَاءَ

* * *

١٥ - فى ظلالِ الحَرَمِ
سنة ١٩٦٠م

يـاحِمَى الكَعْبَـةِ والبَيـتِ الحَـرامْ ... لَـكِ يـا أُمَّ القُـرَى مِنَّـا الـسَّلامْ
قَدْ دَعَانَـا الـشَّوقُ يَـا مَهْـدَ الهُدَى ... فَأَجبنـــاهُ ولبَيِّنـــا الهُيـــامْ
أَوْرِدِينـا الكَـوْثَرَ العَـذْبَ الـذِى ... يَنْقَـــعُ الغُلَّـــةَ فِيْنـــا والأُوَامْ
كـمْ وردْنـا زَمزمًـا فى ظمـأٍ ... فَـشفتْنا مِـنْ تَبـاريحِ الـسَّقَامْ
واسـتلمْنَا الـرُّكْنَ فانْجابَـتْ لنـا ... كُـرَبٌ كنَّـا نُعانِيهـا عِظـامْ
لـكَ يـاربِّ سَـعَيْنَا خُـشَّعًا ... وإلى بَيْتِـكَ جِئْنـا فِى الزِّحَـامْ
وإلى الأَرْضِ التـى بارَكْتَهـا ... نَفْـزَعُ اليَـوْمَ بآمـالٍ جِـسَامْ
شَـبَّ فِيهـا الـدِّينُ مَرْهُـوبَ الخُطَا ... عَبْقَـرِىَّ النـورِ يَجْتـاحُ الظَّـلامْ
رَبِّ رُحمـاكَ فهـلْ مِـنْ صَـحْوَةٍ ... فى صَدَاهَا البَعْثُ للقومِ النِّيامْ ؟
أرْجِـعْ العِـزَّةَ يـاربِّ لَـهُ ... واحْمِهِ واكْتُبْ لَنا حُسْنَ الخِتامْ

* * *

١٦-حنين قلب

١- صَبَا حِينَ هَبَّتْ صَبا يَثْرِبِ		فَحَنَّ إلى البَلَدِ الطَّيبِ
مَشُوقٌ يُصَفِّقُ بَين الضُّلُوعِ		هُيامًا إلى المَوْرِدِ الأعْذَبِ
إلى مَهْجَرِ الحَقِّ مَهْدِ الضِّياءِ		وَواحَةِ كُلِّ شَجٍ مُتعَبِ
فيَا مَنْ قَصَدْتَ إلى أرْضِها		وفُزْتَ بِما رُمتَ من مأرَبِ
٥- بِرَبِّكَ قَبِّلْ ثَريً طَاهِرًا		تَعطَّرَ مِن خُطواتِ النَّبِي
وقُلْ يا مُحَمَّدُ نَفحةُ سُقْيا		لِظَمآنَ يَهفو إلى المَشْرَبِ

***

١٧ - فلسفة الصبر

١- أقِلَّ من الشكوىَ فلستَ بظافرٍ ... من الناسِ إلا بالشماتَةِ والعَتْبِ
٢- أتلجأ ملهوفًا إلى غيرِ سامعٍ ... وتفزعُ مجروُحًا إلى غيرِ ذى قَلْبِ؟!
٣- ولستَ إذا أفضيتَ بالشَكْوِ لامْرئٍ ... سِوى حَمَلٍ بَثَّ الشَّكاةَ إلى الذِّئْبِ
٤- ولما رَأيتُ النَّاسَ لا ذُو مروءةٍ ... يُواسِى ولا مُصغٍ بِسمعٍ ولا لُبِّ
٥- ولمْ ألقَهُم عِند التَّفجُّعِ والأَسَى ... سِوى شَامِتٍ جَذْلانَ أو خَادِعٍ خِبِّ
كَتمتُ شَكاتِى فى فُؤادى وصُنتُها ... فما جاوَزَتْ صَدْرى ولا فَارقَتْ جَنبى
وقلتُ لمنْ يرثِى لكَربِى ومِحْنَتى ... رُويْدَكَ إنِّى ما شَكُوتُ مِن الكَربِ
ألفتُ وقوعَ الخَطْبِ حتى عَشِقتُهُ ... فَلَو مَلَّنِى خَطْبٌ سَعيتُ إلى خَطبِ
وأتعبتُ دَهرى فى احْتمالِ صُروفِهِ ... فَصارَ كهَامًا بَعدما فَلَّهُ عَضْبِى
١٠- وألفيتُ مُرَّ الصَّبرِ شَهدا بإلفِهِ ... فَلمْ يَبقَ لِى فِيهِ ثَوابٌ لدي ربِّي
ولمْ أرَ كالتسليمِ للهِ رَاحةً ... تحوِّلُ بُغضَ النائباتِ إلى حُبِّ

* * *

الشعر الوطني

١٨ـ مهرجانُ الجَلاءِ

في احتفـال الأزهـر بـالجلاء عـام ١٩٥٤م بقاعةِ الإمـامِ محمـد عبـده ،بحضور الرئيس جمال عبد الناصر وجميع قادة الثورة ورجال الدولة

سَنا فَجرِه المأمولِ لاحتْ بواكِرُهْ ... وهزَّتْ ربوعَ المشرقينِ بشائِرُهْ
أَطلَّ على ليلِ الحيارى وأشرقتْ ... على ظُلماتِ اليأسِ غُرًّا مَناوِرُهْ
تواكبتْ الأيامُ حول صباحِه ... مواكبَ يُمنٍ طارَ بالسعدِ طائرُهْ
وخفَّ إليه الدَّهْرُ نشوانُ يجْتَلى ... مباهجُهُ والأفْقُ يَعبَقُ عاطِرُهْ
وطَالعتِ النيلَ السعيدَ بيمنِهِ ... مُنَى طالمَا جَاشتْ بِهن خَواطِرُهْ
تَزُفُّ بها بُشرى الجلاءِ وعيدَه ... فترقصُ فى شطَّيهِ نَشوىً أزاهرُهْ
تعانَقَتْ الأرواحُ فوقَ ضِفافِه ... عرائِسَ وادٍ جُنَّ بالحُسْنِ سامِرُهْ
على لهواتِ الطيرِ من صبواتِها ... طرائِفُ شَدو أبدعتْها حَناجِرُهْ
هو النيلُ والبُشرى استخفَّتْ وقارَهُ ... ترنَّح عِطْفاهُ وجَاشتْ هوادِرُهْ
وما فاضَ فى شُطْآنه غيرُ فرحَةٍ ... تبوحُ بها يومَ الجلاءِ سرائرُهْ
فما هو ماءٌ ما يفيضُ وإنَّما ... عواطِفُهُ جَيَّاشَةٌ ومشاعِرُهْ
ثوى فى قيودِ الذلِّ سبعينَ حِجَّةً ... يكاتِمُ غيظًا أوتثورُ ثوائِرُهْ
وصابرَ الاستبْدَادَ مستأسِدَ المُنى ... يؤمِّلُ يومًا أن تُقالَ عواثِرُهْ

تَدَاركَــهُ فجـرُ الخــلاصِ بنــورِه … فَـصَحَّتْ أمانيـه وقـرَّتْ نـواظرُهْ

فيالَكَ من عيدٍ على الشوقِ والمُنى … أهلَّ على الـوادِي فراقَتْ مَناظِرُهْ

هُوَ الشعبُ والبُشرى تطيرُ سُباتُهُ … يَكـادُ يراهـا اليـومَ حُلْـما يُخـامِرُهْ

صحا بعد ليلِ اليأسِ غيرَ مُصدِّقٍ … وقد راحَ ليلُ اليأسِ وانْجَابَ عاكِرُهْ

تحسَّسَ جُرحًا كان بالأمسِ نَاغِرا … وقدْ صحَّ جُرحُ الأمسِ والتامَ ناغِرُهْ

إذا رفضَ الشعبُ المذلةَ لم يمُتْ … ومهـما طـواهُ الظلـمُ فـالله نـاشِرُهْ

فمَنْ رامَ الاستقلالَ فليشهدِ الحِمى … تغنَّــتْ بــه أريافُــهُ وحــواضِرُهْ

ومن ضاقَ بالأغلالِ فالقيدُ حُطِّمتْ … سلاسِلُهُ والغُـلُّ قُـدَّتْ مكـاسِرُهْ

ومـن ضـلَّ فى ليـلِ المظـالِمِ سَعيُهُ … فقــدْ هُتِكــتْ أســتارُهُ وســتائِرُهْ

ومَنْ سرَّه أنْ يشهدَ البعثَ ماثِلا … فَهــذِى معانِيــهِ وتلـكَ مَفَـاخِرُهْ

كفـى يومَــهُ أنَّ الزَّمــانَ بــأسرِهِ … أوائلُــــهُ يحـــسُدْنَه وأواخــــرُهْ

***

رعى اللهُ أبطالَ الحِمى حينَ أطلعُوا … وكـانَ سرابـا يخـدعُ العينَ ظـاهرُهْ

وكــانَ لتُجــارِ الــسياسَةِ مَغنـما … على سُوقِه السوداءِ قامتْ متَاجِرُهْ

وكـم مـن نـدى كـان قـصة لهـوه … يرددهـــا مخمـــوره ومقَـــامرُهْ

فَسادٌ وظُلْمٌ وانْحِلالٌ ونكْسةٌ ... أُصِيب بها الوادِى فَضَلَّتْ مَصَائرُهْ
ومَا كَحِمَى الأخْلاقِ حِصْنٌ لأُمَّةٍ ... إذا نُكِبَتْ فِيهِ فَماذَا تُحَاذِرُهْ ؟
وقَدْ يَنْهَضُ الشَّعْبُ الجَرِيحُ بِرُوحِهِ ... ولَيسَ يَقومُ الشَّعبُ مَاتَتْ ضَمائِرُهْ
تداركَ رَحمنُ السَّماءِ مَصِيرَه ... وطَاحَتْ بِعَرْشِ الظَّالمين مَقَادِرُهْ
وأضْحَى حِمَى مِصْرٍ حَصِينًا مُمَنَّعًا ... تُهَابُ بَوازِيهِ وتُخْشَى قَساوِرُهْ
صَنادِيدُ صَاحُوا بالدَّخِيلِ فَزُلْزِلَتْ ... قَواعِدُهُ رُعْبًا وأجْلَتْ عَساكِرُهْ
لَقَدْ بَعَثُوا مِنْ رَقْدَةِ المَوْتِ وَادِيا ... أُعِدَّتْ لَه أكْفَانُه ومَقَابِرُهْ
ومَنْ يجعلِ الإخلاصَ رائِدَ عزمِه ... إلى رفعةِ الأوطانِ فاللهُ ناصِرُهْ

***

بَنِى الشَّرْقِ هَذا الغَرْبُ ضَلَّ ضَلالُهُ ... وأعْمَتْهُ أطْماعٌ تَظَلُّ تُسَاوِرُهْ
ودانَ بِشَرْعِ الغَابِ بَغْيًا وشِرَّةً ... فَضَلَّتْ عن الحَقِّ القَويمِ بَصائِرُهْ
يُعِدُّ أسَاليبَ الفَناءِ بِعِلْمِهِ ... هَل العِلمُ أن يُفْنَى مِن الكَونِ عَامِرُهْ؟
لقدْ عزَّهُ فى الشرْقِ قُوةُ رُوْحِه ... فراحَ بمجنونِ السِّلاحِ يُفَاخِرُهْ
إذا العَربُ الأمجادُ فِيه تَوَحَّدَتْ ... صُفُوفُهمو عَادتْ أمَانًا مَخَاطِرُهْ
وهَذا زمَانٌ ليسَ فِيه لأعْزَلٍ ... مَكانٌ ولا يُصْغى لشَكْواهُ قَاهِرُهْ

فـما ينفـعُ المغلـوبَ قـوةُ حقِّــهِ وَمنطـقُ سـفَّاكِ الحقـوقِ بَـواتِرُهْ
إِذَا الـذِّئبُ لَمْ يَسْمَعْ لِغَيرِ ضَراعَةٍ مِـنَ الحَمَـلِ الـوَانِى فَما هـو عَـاذِرُهْ
هُـوَ الحَـقُّ لا يُعْطَـى لِذِلَّـةِ طَالِـبٍ ولَكِـنْ إِذا ضَـجَّتْ غِضَابًا كَـوَاسِرُهُ

***

٤٥- أَسُودَ الحِمى حَياكُمُ الأَزْهَرُ الـذى بـهِ يُكَـبِّرُ للبُـشْرى ويهتِـفُ شَـاعِرُهْ(١)
تَماثَلَ للبَعْـثِ الجَدِيـدِ وقَـدْ صَـحَّتْ أَمَانِيـهِ واهْتَـزَّتْ رَجَـاءً مَنَـابِرُهْ
أَلَـحَّ عليـهِ الـسُّقْمُ مِـنْ طُـولِ بَأْسِـهِ وشُقَّتْ مِنَ الحَرمانَ مَطَلًا مَرَائِرُهْ
وأوهَـنَ بـأْسُ الظُّلْـمِ عَـزْمَ شُـيوخِهِ وكَــانَ أعَــزُّ المَـالِكِينَ يُحَــاذِرُهْ
فَـسَارَ يُلَقَّـى الأَمْـرَ مـن كُـلِّ تَـابِعٍ وكَانت علـى الحُكَّام تُمْلى أَوَامِرُهْ
٥٠- أَتَنْسَاهُ مِـصْرُ وَهْـىَ تَفْخَـرُ بِاسْـمِهِ ويَذْكُرُهُ بِالقَوْلِ لا الفِعْلِ ذَاكِرُهُ؟!
وتُمْنَـعُ - دُون الجَامِعَـاتِ- حُقُوقَـه وتُعْطَى كَما شَاءَتْ مُناهَا نَظَائِرُهُ؟!
إذا مَاشَـكى قَـالوا عَهِـدنَاهُ قانِعًـا تَقَـشُّفُهُ فى العَـيْشِ تَـرْوِى مَـآسِرُهُ
وإنْ ضَـاقَ بالحِرْمـانِ قِيـلَ لَـه اتَّئِـدْ وعَلَّلَـهُ بالزُّهْـدِ مَـنْ لا يُـصَابِرُهْ

---

(١) بداية حديثة عن مظلومية الأزهر وهضم حقوقه برغم معارضة المشايخ للشاعر خشية بطش عبد الناصر، ولكن في نهاية القصيدة قام الرئيس وشدَّ على يده وقد وعد بإصلاح إداري للأزهر وقد وفَّى بذلك.

أَلـيسَ لنـا حـقُّ الحيـاةِ كغَيْرِنـا؟ وأينَ سَبيلُ العَدْلِ إنْ جَارَ جَائِرُهُ؟

٥٥ - مَتى تُنْهِضُوهُ اليومَ يَنْهَضْ بِه الحِمَى ويُزْهَى على المَاضِي ويَعتَزُّ حَاضِرُهْ

١٩ - لبيك مصر سنة ١٩٥١م

داعِى الجِهادِ لمَجْدِ مِصْرَ دَعَانِى ... لَبَّيكَ أيْنَ مِنَ الصُّفُوفِ مَكَانِى

لايَسْتَحِقُّ حَياتَهُ مُتَخَلِّفٌ ... لا يَسْتَجِيبُ لِدَعوَةِ الأوْطانِ

عَارٌ عَلى الأحْرارِ فى أوطانِهِمْ ... أنْ يَخْضَعُوا لِمَذَلَّةٍ وهَوَانِ

دَعْنِى أشُقُّ إلى الطُّغاةِ كَتائِبًا ... صُمًّا تَدُكُّ كَتائِبَ الطُّغيانِ

لا ساغَ ماءُ النيلِ يومًا فى فَمى ... إنْ لم أطَهِّرْهُ مِن (القُرصَانِ)

أيْنَ الجِهادُ أنَا ، سَقَانِى وِرْدُهُ ... وَطَنٌ عَلى حُبِّ الجِهادِ نَمانِى

دَيْنٌ عَلَىَّ لأرْضِهِ وسَمائِهِ ... أنْ أفْتَدِيْهِ مِنْ يَدِ العُدْوانِ

هَذا الدَّمُ المَسْفوحُ مِن شُهَدائِه ... قَد هَاجَ إحْساسِى وهَزَّ كِيانِى

دَعْنى أريقُ على نَوافِجِه دَمًا ... بَين العُروقِ يثورُ كالبُرْكَانِ

غَضْبانُ يَزْأرُ مُسْتَشِيطًا خَائِفًا ... مُتَأجِّجًا لِمَساعِرِ النِّيرانِ

ليْسَتْ تُظِلُّ أهْلَها حُرِّيةٌ ... حَتى تُرَوَّى بالنَّجِيعِ القَانِى

ودَمُ الضَّحايا شُعْلَةٌ قُدْسِيَّةٌ ... تُذْكى فُؤادَ الخَامِلِ الوَسْنَانِ

إنْ لامَسَتْ قَلبَ الجَبانِ شَرارَةٌ ... مِنْها غَدَا مِنْ أشْجَعِ الشُّجْعَانِ

* * *

يامِصرُ فَجْرُ النَّصْرِ لاحَ فَأبْشِرِى ... وسَرَتْ بَشَائِرُهُ مَعَ الرُّكْبانِ

نَفَـرَتْ لِمطلَعِـهِ خَفَـافِيشُ الـدُّجَى   وانْـشَتَّ شَـمْلُ نَواعِـبِ الغِرْبَـانِ
أمُّ الحَــضارةِ أنـتِ يامَهْـدَ العُـلَا   والمَجْـدِ اجْمـعُ مِـنْ قـديمِ زَمَـانِ(١)
قَــدْ كُنْــتِ فى جِيـدِ المَـشَارِقِ دُرَّةً   ومَنَــارَةً للعِلْــمِ والعِرْفَــانِ
أيَّـامَ كَـانَ الغَـرْبُ حَـيْرَانَ الخُطَـا   مُتَخَبِّطًــا فِى لَيْلِــهِ المِــدْجَانِ
يَعْــشُو إلى أضــواءِ مَجْـدِكِ مِـثْلما   يَــتلَمَّسُ الـسَّارِى شُـعَاعَ أَمَـانِ
مَجْــدٌ بَنَــاهُ الأَوَّلُــونَ، ثَكِلْتِنَــا   إنْ لَمْ نَــزِدْ فِى ذلــكَ البُنْيَــانِ
وثَـرَىً خَـصِيبٌ لا طَعِمْنَـا خَـيْرَهُ   إنْ لَمْ يُخَــضِّبْهُ دَمُ الــشُّبَّانِ
لم تَبْــقَ فى قــوسِ التَّجَلُّـدِ مَنْزِعًـا   سَــبْعونَ فى كَبْــتٍ وفى حِرمَــانِ
حَتَّـى إِذا مَـا ضَـاقَ صَـدْرُكَ بِالعِـدا   وبَـدَتْ وُعُـودُهُمْ سَرابُ أمَـانِى
ثَـارَتْ عَـلى الأغْـلالِ آسَـادُ الحِمى   ونَبَـتْ بِقَيـدِ الـذُّلِّ والإذْعَـانِ
والـصَّبْرُ فى بَعـضِ الأمُـورِ تواكُـلٌ   والحِلْــمُ أحْيانًــا تَعِلَّــةُ وَانِ
والحَــقُّ لايُعْطَـى بِذِلَّـةِ طَالِـبٍ   لَكِــنْ يُنَــالُ بِــصَولَةٍ وتَفَــانِ
مـا إنْ يُـسيغُ الـذئبُ مَنْطِـقَ وَاقِـعٍ   فِى الحَـقِّ مِـن فَـمِ وَادِعِ الحِمْـلانِ
قُـلْ لِلطُّغَـاةِ الإنجليـزِ تَرَصَّـدُوا   للــوَادِعِينَ هُنَــا بِكُــلِّ مَكَــانِ

---

(١) هذا البيت والأبيات الخمسة التالية له محذوفة من جمع ١٩٨٤م؛ لاختصار القصيدة.

وتَنَمَّرُوا كَيف اسْتَطَعْتُم واحْشِدوا   عِنْـدَ القِتَـالِ كَتَائـبَ الفُرْسـانِ
سَـدُّوا الفَـضَاءَ بَوَارِحًـا وبَوارِجًـا   ورمَـوا بِكُـلِّ قَذِيْفَـةٍ وسِـنَانِ
واستأسِـدوا للآمِنـين وفِى الـوغى   أنـتم نِعـامُ كَرِيهـةٍ وطِعـانِ
وتَجَهَّمُـوا لـذَوِى الحُقُـوقِ وأرْعَـدُوا   وتَنكَّـرُوا للفَـضْلِ والإحْـسانِ
وانْـسُو لِمِـصْرَ جَمِيلَهـا فِى مَوْقِـفٍ   ضِـقْتُمْ بِـهِ حَرَجًـا مَـعَ الأَلْمَـانِ
هَـذى بُطـولَتُكُمْ وذَلـك بأسُـكُمْ   ضُرِبَـتْ بِـه الأمْثـالُ فِى عَبَـدَانِ
صُـولُوا كَـما شِـئْتُمْ فـإنَّ مَـصِيْرَكُم   لليـأسِ والتَّـسليمِ والخِـذْلانِ
ولْيَـزأرِ الأسـدُ العجـوزُ ببأسِـكُم   فَـزَئِيرهُ ضَربٌ مِـن الهَـذيانِ
إيمانُنـا بـالحقِّ يُغْـرى بَأْسَـكُم   والحَـقُّ نِعـمَ الـسَّيفُ فِى الأَيْـمَانِ

* * *

مَـنْ راحَ يُزهـى بالـسِّلاحِ فـإنَّما   أقْـوَى الـسِّلاحِ حَـرَارَةُ الإيْـمانِ
يـا مَـنْ دَعَـوْتُم للـسَّلامِ بِمَوْثِـقٍ   أكَّـدتُموهُ بـأغْلَظِ الأيْـمانِ
أيـنَ الـسلامُ وأنتمـو حُرَّاسُـه؟   وُئِـدَ الـسلامُ و لُـفَّ فى الأكفـانِ
شَـيَّعْتُموهُ وكُلُّكُـم سَـفَّاحُهُ   بـئِسَ المـشيِّعُ للقتيـلِ الجَـانى
وبَكَيْتُمُـوهُ بِـأَعْيُنٍ خَدَّاعَـةٍ   فِيهـا بَرِيـقُ الـزُّورِ والبُهْتَـانِ

لاتَغْـــتَرِرْ بِالـــسَّيْفِ فِى لَمعانِـــه   فالفَتْـكُ كُـلُّ الفَتْـكِ فى اللَّمَعــانِ
شرُّ الخلائِـــقِ فى البرِيَّـــةِ فاتِـــكٌ   مُتَنكِّـــرٌ فى مَـــسْحةِ الرُّهْبـــانِ

❊ ❊ ❊

دِيْنُوا بِشَرْعِ الغَـابِ فَتْكًا واهْدِمُوا   بـالعِلْمِ مـا تَبْنِـى يَـدُ العُمْـرانِ
والْـوُوا عَـن الحَـقِّ المُسالِمِ جِيدَكم   واسْتـسْلِموا لقِيـادةِ الـشَّيطانِ
الـشَّرقُ ثَـار عَـلَى القُيُـودِ وَهَـبَّ مِـنْ   نَـوْمٍ لِـيَحْطِمَ صَـوْلَةَ الأوْثَــانِ
بَعْـثُ الـسَّلامِ عَـلى يَدَيـهِ فَـأْذَنُوا   مِنْــهُ بِحَـرْبٍ للـسَّلامِ عَـوَانِ
مَنْ صَمَّ عـن داعِـى الـسلامِ أصَمَّهُ   فى الـرَّوْعِ قَـصْفُ المِـدفَعِ الرَّنَّـانِ
فَخُذُوا مِنَ الـشَّرْقِ الهُدَى وتَعَلَّمُـوا   خُلُــقَ الوَفــاءِ وخَلَّــةَ العِرْفَــانِ
خُلُـقُ الـشُّعُوبِ أعـزُّ مـا تَبْنِـى بـه   مُلكــا وترفــعُ رَايــةَ الــسُّلطَانِ
والنَّـــصْرُ للحَـــقِّ المُبــينِ وإنَّـــهُ   دَانٍ ، وكُـــلُّ مُقـــدَّرٍ بِـــأَوانِ

❊ ❊ ❊

٢٠ـ "يقظة النيل" سنة ١٩٥٠م (*)

صَرَخَــــتْ فِى عُبَابِـــــهِ الآلامُ ... وصَــحَتْ فِى ضِــفَافِهِ الأَحْــلامُ
واسْـــتَهَلَّتْ بِالبُـــشْرَيَاتِ أَوَاذِيْـــهِ ومَاجَـــتْ بِـــشَطِّهِ الأَنْغَـــامُ
وتَهَـــادَتْ أَرْوَاحُـــهُ ثَمِـــلاتٍ ... نَفَحَتْهَـــا بِخَمْـــرِهِ الأَنْـــسامُ
وبَـــدا مِـــنْ بَـــشائِرِ الـــصُّبحِ نُـــورٌ ... طَـــار منـــه الكَـــرى ووَلَّى الظَّـــلامُ
وصَـــحا النِّيـــلُ صَـــارِخًا يَمْـــلأُ الـــدُّنيا زَئِـــيرًا فَتَفْـــزَعُ الآكَـــامُ
مُسْتَـــشِيطًا يَكَـــادُ يُلْهِبُـــهُ الغَـــيظُ فَيَجْـــرِى بِـــالجَمْرِ وهْـــوَ ضِرامُ
وَدَّ لَـــوْ كَـــانَ فِى فَـــمِ الظُّلْـــمِ صَـــابًا ... جَامُـــهُ لِلـــدَّخِيلِ مَـــوْتٌ زُؤَامُ
طَالَمَـــا أَخْمَـــدَتْ مُنَـــاهُ اللَّيَـــالِى ... وجَثَـــتْ فَـــوقَ صَـــدْرِه الأَيَّـــامُ
رَابِـــضًا تَجْـــثُمُ الخُطُـــوبُ عَلَيْـــهِ ... وهْـــوَ مُـــسْتَأْسِدُ المُنـــى ضِرْغَـــامُ
مَـــلَّ مِـــن قيـــدٍ فهـــبَّ غَـــضوبا ... ونَبَـــا بِـــالكَرى فَطَـــارَ المَنَـــامْ
واضْـــطِبارٌ أَغْـــرى عِـــدَاهُ بِوَادِيـــهِ ولِلْحِلْـــمِ تَـــارَةً آثَـــامُ
قُـــلْ لِـــداعِى الـــسَّلامِ فى سَـــاعةِ المِحنـــةِ أَيْـــنَ العُهُـــودُ والأَقْـــسَامَ؟

(*) تم إثبات القصيدة بعضها فى ديوان من وحى الربيع وكان قد حذف منها أبيات فى جمع الديوان ١٩٨٤م، وذلك من باب الاختصار كما أخبرنى (الأبيات هى ٢، ٣، ٧، ٩، ٩، ١٩، ٢٠، ٢٦، ٣٢) وحين ناقشته فى المراجعة أعطانى الإذن بعمل نسختى بدون حذف؛ لذا رأيت أن أتركها كما هي.

سَلْ عُبابَ المُحيطِ يُنبِئْكَ عَنْها   وتُجيبُكَ القِيعانُ والألْغامُ
خَرِسَ اليومَ مَنْطقُ الحَقِّ لَمَّا   ذَهَبَ الرَّوْعُ واسْتَتَبَّ السَّلامُ
رُبَّ أُسْدٍ فى سَاحَةِ السِّلْمِ تَعْدُو   وهْىَ فِى ساحَةِ الجِلَادِ نَعَامُ
ولَهَا فى حِمَى الأمَانِ زَئيرٌ   وإذا دارتْ الرَّحَى فَبُغَامُ
لَمْ نَنَمْ عنْ حُقوقِنا باصْطِبارٍ   كَيفَ يُغضِى على الهَوانِ الكِرامُ
ولنَا القَلبُ مُشْعَلًا بأمانِينا   وعَينٌ عَن حَقِّنا لا تَنَامُ
نَحنُ أبناءُ مَنْ أذَلُّوا اللَّيالِى   وتَحَدُّوا بَأسَ الزَّمانِ وسَامُوا
من عَرَاهُ فِى مَجْدِنا الفَذِّ رَيْبٌ   حدَّثَتْهُ عَنْ مَجْدِنا الأهْرامُ
أوْ شَجَاهُ مِنَّا بَلِيغٌ مِنَ الصَّمْتِ   فَلِلصَّمتِ هَبَّةٌ وانْتِقامْ
كَيفَ نَنْسَى ولِلدَّمِ الحُرِّ حَقٌّ   يَقْتَضِينا ولِلدماءِ ذِمَامُ
إنَّها هَدْأةُ الشُّعورِ جَمَامًا   ولَقَدْ يَسبقُ الجِهادَ جَمامُ
وإذا ما رأيتَ للَّيثِ لِبْدًا   فإلى الوثْبِ يَلبَدُ الضِّرْغامُ
وإذا لَمْ يَنْفَعْكَ فى الحَقِّ لِينٌ   نَفَعَتْ فيه شِدَّةٌ وعُرَامُ
وإذا لَمْ تَعِشْ كَرِيمًا بِدُنياكَ   فَخَيرٌ مِنَ الحَيَاةِ الحِمَامُ
يابَنِى النِّيلِ بُورِكَتْ يَقْظَةُ النِّيلِ   فَلا يَقْعُدَنَّ بِكُمْ إحْجَامُ

وازْحَمُوا مَوْكِبَ الحَيَاةِ صِيالًا إنَّما المَجْدُ صَوْلَةٌ وزِحَامُ

كُلُّ صَعْبٍ يَذِلُّ إنْ رَاضَه العَزْمُ وأزْرَى بِبَأسِه الأقْدَامُ

آفَةُ الحَقِّ فُرْقَةٌ واخْتلافٌ وبَلاءُ المُطالِبِين انْقِسامُ

وادْعَمُوا بالأخْلاقِ كُلَّ بِناءٍ يَحْمِ صَرْحَ البِناءِ مِنْها عِصَامُ

كُلُّ صَرْحٍ إلى انْهِيارٍ إذَا مَا لَمْ يَكُنْ للأخْلاقِ فِيهِ دِعَامُ

يَنْهَضُ الشَّعْبُ مِنْ شَبَا السَّيْفِ لَكِنْ مَا لِصَرْعَى أَخْلاقِ شَعبٍ قِيامُ

***

٢١ - بورسعيد

أصْبحتِ للشرقِ العَتيدِ مَنارًا   يَشدُو بمجدِكِ عِزَّةً وفَخَارًا
ورفَعْتِ مِصرَ إلى السِّماكِ بوقْفَةٍ   سَحَقَتْ غُرورَ المُعْتَدِى فَانْهَارَا
ياقَلْعَةَ الأحْرَارِ يَفْدِيكِ الحمى   مُسْتَلْهِمًا شُهَدَاءَكِ الأبْرَارَا
دافَعْتِ عَنه الظَّالمينَ فَنُكِّسَتْ   أعْلامُهُمْ وحَصَدْتِهم أغْمَارَا
أمْسَيتِ مَقْبرةً لَهُمْ وجَهَنَّمًا   يَصْلَونَ فيها من عَذابِكِ نَارَا
ووقَفْتِ فِى شَمَمٍ عَلَى أشْلائِهِمْ   حَتَّى رَأوْكِ المَارِدَ الجَبَّارَا
مَا هَزَّ عَزْمَكَ مِدْفَعُ فى قَصْفِه   أو طَائِراتٌ قَد قَذَفْنَ دَمَارَا
كَلَّا ولا دَبَّابَةٌ فِى زَحْفِها   تَرمِى حُصُونًا أوتَدُكُّ جِدَارَا
عَلَّمْتِهِمْ مَعْنَى البَسَالَةِ فانْثَنَوا   يَتَراجَعُونَ إلى الجُحُورِ حَيَارَى
وصَمَدْتِ فَانْسَحَبُوا وَهُمْ فِى ذِلَّةٍ   بعدَ الهَزِيمَةِ يَحْمِلُونَ العَارَا
وأعَدْتِ للدُّنْيا السَّلامَ مُرَفْرِفًا   وأحَلْتِ لَيلَ الخَائِنينَ نَهَارَا
يا بُورسَعِيدُ وأنْتِ أُغْنِيةُ الحِمَى   يَشْدو بِهَا فَيُحَرِّكُ الأَوْتَارَا
ويَهُزُّ سَمْعَ الدَّهْرِ مِنْ طَرَبٍ بها   فَيُفَاخِرُ البُلْدانَ والأقْطَارَا
حَيَّيتُ شَعْبَكِ فى البُطُولَةِ خَالِدًا   ولَثَمْتُ أرْضَكِ للكِفَاحِ شِعَارَا

١٥ - كَلَّلْــتِ بِالنَّــصْرِ وحَمَيْتِــهِ　　　ورَفَعْتِ فَوق جَبينِ مِصْرَ الغَارَا
قُومِى انْهَضِي وابْنِي وعِيْشِي حُرَّةً　　　وخُذِي مَكَانَكِ في السَّماءِ مَدَارا

***

٢٢ - أغنية لبورسعيد ١٩٥٦م

سَلامٌ عَلَى أرْضِهَا الطَّاهِرَةْ ووقْفَتِهَا الحُرَّةَ البَاهِرَهْ
مِثالُ الإباءِ...ورمزُ الفداءِ وعنوانُ وثْبتنَا الظَّافِرَةْ
وقَلْعةُ أحرارِنا الثائرينَ على سَطْوةِ الدُّولِ الغَادِرَةْ
مَفَالِيكُ صُهْيونَ وانْجِلْترا وثَالِثةٌ[1] في الخَنا تَاجِرَهْ
تَصَدَّتْ لِحمْلَتِهِمْ بُورْسَعيدُ بِعَزْمَةِ أَبْطَالِهَا الثَّائِرهْ
شَبَابًا وشِيْبًا وطِفْلًا صَغِيْرًا وثَكْلَى عَلَى غَدْرِهِمْ صَابِرَهْ
فَطَارُوا هَبَاءً ووَلُّوا سِراعًا ودَارَتْ عَلَى المُعْتَدِى الدائِرَهْ

* * *

لَقَدْ أقْسَمتْ قَبلُ ألَّا تَهُونَ وألَّا يُدَنِّسَهَا المُعْتَدُونْ
فَهَبَّتْ لِتَحْصُدَهُمْ فِي الفَضَاءْ وفِي ضَفَّةِ البَحْرِ أو فِي السَّفِينْ
وفي كُلِّ فَجٍّ وفي كُلِّ بَيْتٍ وبَينَ مَخَابِئِهِمْ والحُصُونْ
وكَانَتْ لَهم رَصَدًا كالمَنُونْ ومَقْبَرَةً لِحَصِيدِ المَنُونْ
فَكَانُوا على مَوْعِدٍ للفَنَاءِ مَظَلَّاتُهُمْ كَفَنُ الهَابِطِينْ
وبَرَّتْ مَدِيْنَتُنا بِاليَمِينِ ومَا خَفَضَتْ للطُّغَاةِ الجَبِينْ

---

(١) فرنسا (العدوان الثلاثي على مصر ١٩٥٦م).

وقَامَــــتْ وأَصْـــغَى إليهـــا الزَّمـــانُ تُـــرَدِّدُ أُنْـــشُودَةَ الظَّـــافِرِينْ

* * *

لَقَـد أَصْـبحتْ مَـثلًا فِى الأُمَـمْ   لِعِـزِّ الإِبَـاءِ وَحُـرِّ الـشَّمَمْ
وصَـبرِ الكِفَـاحِ وبَـأسِ النِّـضالِ   ونَـارِ الحَمِيَّـةِ فِى المُـصْطَدَمْ
فَـمَا راعَهـا زَحْـفُ دَبَّابَـةٍ   ولا مِـدْفَعٌ قَـاذِفٌ بـالحِمَمْ
ولا طَـائِراتٌ تَـصَبُّ الفَنَـاءَ   عَـلى الآمِنِـينَ بِهـا والعَـدَمْ
عَـلى سَـمعِها كَـان قَـصْفُ المَـدَافِعِ   أَحْـلَى رَنِـينٍ وأشْـجَى نَغَـمْ
لقـد صَـمَدَتْ فى الكِفَـاحِ المَريـرِ   ورَوَّعَـتِ الظُّلْـمَ حَتـى انْهَـزَمْ
ولمـا أبَـادَتْ فُلُـولَ الطُّغَـاةِ   مَـشَتْ فَـوقَ أشْـلائِهِمْ والـرِّمَمْ

* * *

سَـلامٌ لأرْضِـكِ يابُورْسَـعِيدْ   وبُـورِكَ هَـذا الكِفَـاحُ المَجِيـدْ
سَـحَقْتِ الظَّـلامَ وصُـنْتِ الـسَّلامَ   بِعَـزْمِ الأُسـودِ وبَـأْسِ الـصُّمُودِ
وَدَافَعْـتِ عَـنْ مِـصْرَ كَيْـدَ الطُّغَـاةِ   وحَقَّقْـتِ بِالنَّـصْرِ حُـرَّ العُهـودِ
وَسَـطَّرْتِ بالـدَّمِّ فـوقَ ثـراكِ   سُـطُورَ الفِـدا فى سِـجِلِّ الخُلُـودْ
فَقُـومِى انْهَـضِى واصْـنَعى للوجـودِ   حَيـاةَ الـسَّلامِ وأمْـنَ الوجـودْ
وفى ذمَّـة الـشرقِ يـافخرَ مـصرَ   دِمـاءُ الجـريحِ ورُوحُ الـشهيدْ

٢٨ـ سَـــلامٌ لـــشعبكِ فى الخَالـــدينَ وبُـــوركَ نَـــصْرُكِ يـــا بُوْرسَـــعيدْ

* * *

٢٣ - لا

(لا)... كلمةٌ ردَّدَتْها ملايينُ الشفاهِ، وأطلقتْها ملايينُ الحناجرِ فى العالمِ العربيِّ فتجاوبَتْ بها آفاقُ الدُّنيا وهى تَشقُّ بإيمانِها المضيءِ جَحافلَ الظلامِ الغَاشِمَةِ وتَجْتاحُ بِدَوِيِّها الرَّاعِدِ أصداءَ القنابلِ الآثمةِ وتستعْلِى بإبائِها الصَّامِدِ الصّلبِ على الأُسَاةِ.

(لا) .. كلمةٌ قالها الشعبُ العربىُّ لأول مرةٍ (للرئيس جَمال عبد الناصرِ حين أراد التخلى عن مسئوليةِ الحكمِ) (١) فى معركةِ العُدوانِ الصهيونى بعد هزيمةِ سنة ١٩٦٧م.

(لا) ..كلمةٌ راعدةٌ رادعةٌ جمعتْ كلَّ أناشيدِ الحماسِ والفِداءِ وجسَّدَتْ كُلَّ مشاعرِ الأمَّةِ العربيةِ فى التِحامِها القَوِىّ وإبائِها الأبِىّ ورفضها للهزيْمَةِ الغَاشِمِ وتَحدِّيهِ للعُدْوانِ المتآمِرِ ورفْضِهِ للاستسلامِ المُهين.

(لا) .. كَلمةٌ جَامعةٌ وحَّدَتْ الصفَّ العربىَّ علي طريقِ الكِفاحِ المُسْتَمِرِّ للقَضاءِ على كُلِّ مَصالحِ الاستعمار في أرضِ العربِ وتطهيرها من لآثار العدوان ورجسه

(لا) .. ليس الهزيمة ولكنها عثرة الجواد الأرِنْ يتحفَّزُ للوثوبِ.

ليست نكسة ولكنها الجولة الأولى لعملاق يتأهب للانطلاق

(لا) ..لن نيأسَ ولن نُهادنَ ولن نَكُفَ فالطريقُ مفتوحٌ والمعركةُ مستمرةٌ والنصرُ لنا بعونِ الله والعاقبةُ للمتقين ولا عدوانَ إلا على الظالمين.

١ - لا ... لَـنْ تَعُـوقَ مسيرةَ الـشَّعْبِ الأبِـيِّ الـصَّلبِ عَثْـرَةْ
لا يـا جَمـالُ (١) فأنـتَ مَـنْ يَحْـدو خُطـاهُ المُـسْتَمِرَّهْ

---

(١) حذف ما بين القوسين في تعديل ١٩٩٥م لإزالة اسم جمال عبد الناصر من المقدمة.

مَـــنْ ذا يُنِـــيرُ لَـــهُ الطَّرِيـــقُ سِـــواكَ أو يَجْتـــازُ وَعْـــرَهْ؟

لا لا لأولِ مَـــــــــــــرَّةٍ　　ونَقُولُهَـــا لَـــكَ ألْـــفَ مَـــرَّةْ

لا لا يُرَدِّدُهَـــــا لَــــك　　الـــشَّعْبُ الـــذِي ولَّاكَ أمْـــرَهْ

شَـــعْبُ العُرُوبَـــةِ كُلُّـــهُ　　لَهْفَـــانُ فِي وَلَـــهٍ وَحَـــيْرَةْ

وبِكُـــلِّ قَلـــبٍ لوعـــةٌ　　وبكـــلِّ عَـــينٍ ألْـــفُ عَـــبْرَهْ

قُـــدْهُ يتـــابعْ فِي طريـــقِ　　النَّـــصْرِ والأمْجـــادِ سَـــيْرَهْ

قُـــمْ للعَـــدُوِّ وصُـــدَّهُ　　واسْـــحَقْ مَكَايِـــدَهُ وغَـــدْرَهْ

لَا.. لَـــنْ نَكُـــفَّ عَـــنِ النِّـــضَالِ وفِي دِمانَـــا نَـــبْضُ قَطْـــرَهْ

لا لَـــنْ نَنَـــامَ عَـــنِ الحُقُـــوقِ وفِي الحَنَـــاجِرِ هَمْـــسُ نَـــبْرَهْ

لَا.. لَـــنْ نَـــذِلَّ ولَـــنْ نَهُـــونَ ولَـــنْ نُهَـــادِنَ قَيْـــدَ شَـــعْرَهْ

إنَـــا لَـــشعب ... عُـــوده　　لا يـــستطيعُ الغـــدرُ كـــسرَه

مَـــا إنْ يَفُـــلُّ اليَـــأسُ عَزْمَتَـــهُ ولا الطُّغْيَـــانُ صَـــبْرَهْ

طَـــودٌ مَنِيـــعٌ لا يُزَحْـــزِحُ عَـــارِمُ الطُّوفَـــانِ صَـــخْرَهْ

أعْيَـــتْ صَـــلابَتُهُ الخُطُـــوبَ وأعْجَـــزَتْ مَـــنْ رَامَ قَهْـــرَهْ

اليـــومَ يَعْـــرفُ كَيـــفَ يَحْقِـــدُ بالمَزيـــدِ وكيـــفَ يَكْـــرَهْ ؟

ويَزيـــــدُهُ العُـــــدْوانُ إصْرارًا، وتَــــــصْميمًا وثَــــــوْرَهْ

هِـــى جَوْلَـــةٌ أُوْلَى لَـــه   مِـــنْ بَعْـدِها في الحَـرْبِ كَـرَّةْ

يَـــسْقِى العَـــدُوَّ بِنارِهـــا   كَـأْسَ الـرَّدَى ويَنَـالُ ثَـأْرَهْ

مَـــنْ لـــيسَ يُخْلـــفُ وعْـــدَهُ   للمـــؤمنينَ أعَـــدَّ نَـــصْرَهْ

مَـــــنْ مُبْلِـــــغُ المتــــآمِرينَ بِــــأَنَّ للأيَّــــامِ دَوْرَهْ؟

وبِـــأنَّ مَوْعِـــدَنا غَـــدًا   مَعَهُـمْ ولَـو مَلَكُـوا المَجَـرَّهْ

قَـــدْ صَـــارَ مجْلِـــسُ أَمْـــنِهِمْ   فى جَبْهَـــةِ الـــدُّنْيا مَعَـــرَّهْ

خَابَـــتْ أمَـــانِيُّ الـــسَّلامِ بِـــه ومَـــلَّ العَـــدلُ جَـــوْرَهْ

هُـــوَ مجلـــسُ الغَـــدْرِ الـــذِى أضْـــحَى للاسْـــتِعمارِ بُـــؤْرَةْ

قَـــدْ مَـــدَّ فِيـــهِ رُواقَـــهُ   وأقَـــامَ فى مَبْنَـــاهُ وَكْـــرَهْ

وأحَالَـــــه لِعِـــــصَابَةٍ   تَحْمِـــى مَطَامِعَـــهُ وشَرَّهْ

لا.. يَاعِـــصَابَةَ (جُوْنْـــسنٍ[1])   مَـــا بَعْـــد هـــذا اليَـــومِ غِـــرَّهْ

وَطَـــنُ العُروبَـــةِ لَـــنْ تُـــدَنِّسَ منـــه إسرائيـــلُ ذَرَّهْ

---

(١) جونسن الرئيس الأمريكي فى عام الهزيمة سنة ١٩٦٧م.

إنَّا لَصَفٌّ واحِدٌ ... يَحمِى الحِمَى ويَصُونُ طُهْرَهْ

سَتَظلُ مَعْرَكَةُ المَصيرِ إلى مَداهَا مُسْتَمِرَّهْ

يا بِنْتَ أمْرِيكا غَدًا ... تَتَجَرَّعِينَ الكَأْسَ مُرَّهْ

وسَتَلْعَقِينْ جَزَاءَ غَدْرِكِ بالحِمَى نَدَمًا وحَسْرَهْ

وستَصْطَلِينَ بيومِكِ المَوعودِ - ياحَقاءُ - جَمْرَهْ ٣٥-

إنَّا سنجْعَلُ منْ مصيرِكِ للوَرَى مَثَلًا وعِبْرَهْ

عُودِى لأُمِّك يا لَقِيطَةُ إنْ أرضَ العُرْبِ حُرَّهْ

سَنَدُكُّ الاسْتِعمارِ فوقَ تُرابِها ونَخُطُّ قَبْرَهْ ٣٨-

* * *

٢٤- مؤتمر القمة العربي

انعقد المؤتمر الأول لملوك ورؤساء الدول العربية بالقاهرة في يناير عام ١٩٦٤م.

دَعَـى الـدَّاعِى إلى الجُـلَّى فَهَبُّـوا غِـضَابًا كُلُّهُـم فى الخَطْـبِ نَـدْبُ
هُـمُ العَـربُ الأُبـاةُ إذا اسْـتُثِيروا أثَــاروا كُــلَّ شَــعْوَاءٍ وشَــبُّوا
حَمَـائِمُ فِى الـسَّلامِ ،أسُـودُ حَـرْبٍ إذِا حَمِيـتْ غَـداةَ الـضَّيْمِ حَـرْبُ
وأنْــسَامُ الرَّبِيــعِ إذَا اطْمَــأنُّوا أعَاصِـيرٌ إذا مــا نَـابَ خَطْــبُ
غُيـوثُ نَـدىً ، فـإنْ عـادٍ رَمـاهُـم فَـصَاعِقَةٌ عَــلى العـادِى تُـصَبُّ
نَمَـتْهُمْ فى الحَمِيَّــةِ طُهْــرُ أرْضٍ عَــلى أقْدَاسِــها دَرَجُــوا وشَــبُّوا
وأرْضَــعهم إبــاءَ الـضَّيمِ مجـدٌ تــشعُّ بنــورِه صُــحُفٌ وكُتْــبُ
تَـسامَوْا فَـوق كُـلِّ هَـوىً إلى مَــا يَجِــلُّ مِــن الوِئــامِ ويُــستَحَبُّ
وجَــدَّ الجِــدُّ فالتَــأمُوا جِراحًــا مُجَابَهَــةُ الخُطُــوبِ لهُــنَّ طِــبُّ
تَلاقَــوْا فى المُلِمَّــةِ بَعــدَ صَـدْعٍ ورُبَّ مُلِمَّــــةٍ للـــصَّدْعِ رَأْبُ
سَــلامًا أيُّهــا الأقْطَـابُ فَامْـضُوا إلى أمَــلٍ إلَيْــهِ الــشَّرْقُ يَــصْبُو

* * *

هــو الإقْـدامُ يُفْـرِى كُـلَّ صَـعْبٍ فـما اسْتَعْـصَى عـلى الإقْـدامِ صَـعْبُ
وفُلُّــوا بــالعَزَائمِ كُــلَّ عَــضْبٍ فلـيسَ يفــلُّ للعزَمَـاتِ عَـضْبُ

وسِيروا نَحو غَايتِكُم وأنْتُم   يَدٌ فِي الخَطْبِ وَاحِدَةٌ وقَلْبُ
لقد دَعَتِ العُروبَةُ فاستجِيبوا   ونَادتْكُمْ لِنَجدَتِها فَلَبُّوا
وضَجَّتْ فى فَلسطينِ جِراحٌ   بناغِرِها دَمٌ يَنْصَبُّ ، رَطْبُ
أنِينٌ مَا يزالُ للاجِئيها   يُمِضُّ ، ونَارُ ثَأرٍ ليس تَخْبُو
ومَا هِى للعُروبَةِ غيرُ قَلبٍ   رَماهُ مِن فُلُولِ الغَدْرِ خِبُّ
جَرَى بالطُّهْرِ مَاءُ النَّهْرِ فيها   فكيف يَعيثُ فى مَجراهُ ذِئبُ؟
وكَيفَ يُرَنِّقُ "المِكْرُوبُ" منه   مَشارِعَ مَاؤُها الدَّفَّاقُ عَذْبُ؟
مياهُ اليَعربِىِّ لكم بأرضٍ   مَنابِعُه عَليها ، والمَصبُّ
خُذوا – صَفًّا – عَلى يد غاصِبيهِ   ولا تَدَعُوا عَقَارِبَهم تَدِبُّ
وفُضُّوا نَابَ إسْرائِيلَ واقْضُوا   عَلى الأفْعَى التِى فى الشَّرْقِ تَحْبُو
أتنهضُ دَولةٌ فى ظِلِّ مُلْكٍ   دَعائِمُهُ مُخَاتَلَةٌ ونَهْبُ ؟
وكيفَ يرومُ أرضَكُمو بُغَاثٌ   وأنْتُمْ من بَوازِى الشَّرْقِ غُلْبُ؟
فُلُولٌ عَنْ رِحابِ الأرْضِ ذِيدُوا   فَأَواهُمْ بِها غَصْبٌ وسَلْبُ
وليسَ لهم سوى التضليلِ دِينٌ   وما لهمو بِغيرِ المالِ رَبُّ

* * *

أأقطـــابَ العُروبَـــةِ أشــعلوها   عـــلى صُـــهْيونَ نِيرانًـــا تُــشَبُّ

وخَلُّــوا النَّادِبــاتِ مِــن القَــوافي   فلــيسَ يَــرُدُّ حَقًــا ضَــاعَ نَــدْبُ

٣٠ - خُــذُوا مِــن عِــبرَةِ المَــاضِى ووَفُّــوا   بِوَعْــدٍ ، إنَّكــم فِى الوَعْــدِ عُــرْبُ

وخُطُّــوا فى ائْتِمارِكُمــو مَــصِيرًا   تَطَلَّــع نَحْــوَه شَرْقٌ وغَــرْبُ

وفِى أعنـــاقِكم دَيْـــنٌ كَبِـــيرٌ   يُطـــالِبُكُم بِـــه رَبٌّ وشَـــعْبُ

لَقَــدْ دَنَــتْ المُنَــى ، فَــالحُلْمُ حَــقٌّ   أرَاهُ وَاقِعًـــا، والبُعْـــدُ قُـــرْبُ

٣٤ - رَعَــى اللهُ اجْــتِماعَكُمُ المُرَجَّــى   ووَطَّـــدَ شَـــمْلَكُم وُدٌّ وحُـــبُّ

* * *

٢٥ - نجد

قِيلَتْ هذه القصيدةُ فى الرياض بنجدٍ حين كنتُ مَبعُوثا إلى هناك عام ١٩٦٠م

تِلْـكَ الرِّيــاضُ وهــذِهِ نَجْـدُ ... الـشِّعْرُ والتَّـارِيخُ والمَجْـد
مــاضى العُروبَـةِ فى مَفاخِرِهــا ... وعــلى رُباهــا رَفْــرَفَ الخُلْـدُ
وأرُومَـةُ الفُصْحَى وقَـدْ دَرَجَـتْ ... فِى حِجْرِهــا ، وصَــفَا لَهــا الـوِرْدُ
شَــبَّ البيــانُ العَبقَــرِىُّ بِهــا ... فَرَعَتْــهُ وهْــىَ لِعَبقَــرٍ مَهْـدُ
وعَــلى ثَراهَــا مِــنْ مَــشارِعِهِ ... هَطَــلَ الحَيــا وتَفَجَّــرَ الـصَّلْدُ
كَـمْ أطْلَعَـتْ مِـنْ شَـاعِرٍ هَتَفَـتْ ... بِقَــصيدِهِ الآرامُ والأُسْــدُ
عُــصْمٌ إذا (ثَهْــلانُ)رَجَّعَهــا ... صَـغَتِ الرُّبَـا ، وتَلَفَّـتَ الوَهْـدُ [1]
يانَجـدُ أيــنَ صَــباكِ مُلهِمَــةً ... للــشِّعرِ وهْــىَ رقيقَــةٌ رَوْدُ [2]
مِــسْكِيَّةُ النَّفَحــاتِ ضَــمَّخها ... العَبْهَــرُ[3] المَنْــضُورُ والرَّنْــدُ[4]
والـبرقُ حَــنَّ لِخَفْـضٍ وامِـضِهِ ... قَلْــبُ المَــشُوقِ فَكــادَ يَنْقَـدُّ
كَــمْ شَــامَهُ اللهفــانُ مُــدَّكِرًا ... وتَوَهَّمَتْــهُ حُلِيَّهــا الخَــوْدُ

(١) الوهد : الأرض المنخفضة.

(٢) رود : لينة .

(٣) العبهر : النرجس.

(٤) الرند : شجر طيب الرائحة .

وشَــمِيمُ ذَيَّــاكَ العَــرَارِ وقَــدْ … رَقَّ العَــشِىُّ و رَاقَ يانَجْــدُ
طَــارَتْ إِليــكِ بِنــا مُجَنَّحَــةٌ … كَــالبَرقِ أعَجْـلَ وَمْـضَهُ الحَفَـدُ[1]
رَكِبــتْ سراةَ الــرِيحِ مُلْجَمَــةً … فعنــا الجِــماحُ ، وذُلِّــلَ القَــوْدُ
تَطْـوِى الفَــضَاءَ فَــلا يُعَوِّقُهــا … بَحْــرٌ طَغَــى مَوْجًــا ولا طَــوْدُ
وتَــشُقُّ جَيــبَ الــسُّحبِ عَاتِيَــةً … وأزِيزُهــا فِى جَوْفِهــا رَعْــدُ
تَــنْقَضُّ جارِحَــةً ، فَــإِنْ صَــعَدَتْ … فَمُــسَدَّدٌ لم يُخْطِــه القَــصْدُ
وكَــأَنَّما الجَبَــلُ الأشَــمْ سَرَى … مِنْهَــا –كَثِيبًــا رَمْلُــهُ مَهْــدُ[2]
يَــصْبُو لأَهْلِيــهِ بِمــصرَ وقَــدْ … شــطَّ المــزارُ ، وأوغَــلَ البُعْــدُ
حَتَّــى أظَلَّتْنَــا سَــماءُ رُبًــى … فى ظِلِّهــا يَــسْتَرْوِحُ الجَهْــدُ
يــا ســاهرَ الأشْــواقِ أرَّقَــهُ … طُــولُ الحَنِــينِ ، وشَــفَّهُ الوَجْــدُ
أقْبَلْــتَ مِــنْ وَطَــنٍ إلى وَطَــنٍ … حَــانٍ فَــلا بُغْــضٌ ولا حِقْــدُ
أهْلُــوهُ أهْلُونَــا ، يُظَلِّلُنــا … عِلْــمٌ ، ويَجْمَــعُ بَيْنَنَــا الــوُدُّ
هَــوِّنْ عَلَيْــكَ فَلَستَ مُغْتَرِبًــا … تِلْــك الــدِّيارُ لَنــا بِهــا عَهْــدُ
سَــبقَ الخيــالُ إلى مَطَارِحِهــا … قَــبْلًا ، وطَــار بِأُفْقِهــا يَــشدُو

(١) الحفد : الإسراع .

(٢) المهد: الأرض المستوية.

ولَكَمْ غَدَا والصُّبْحُ مُنْبَلِجٌ ... وسَرَى وجُنْحُ اللَّيلِ مُرْبَدُّ

ولَكَمْ حَكَى عَنْها وصَوَّرَها ... فَكَأَنَّها لِعُيونِنا تَبْدو

حَمَلَتْ صِباهَا مِنه رَاوِيَةٌ ... يَحْدُوْهُ مِنْ نَفَحَاتِهِ النَّدُّ [1]

وعلى ضِفافِ النيلِ سامِرُهُ ... قد شاقَهُ الإنشادُ والسَّرْدُ

٣٠- اليومَ رأى العَينِ نُبْصِرُها ... بَعْدَ الخَيالِ ويَصْدُقُ الوَعْدُ

وعَلى رِمالِ البِيْدِ لاحَ لَنا ... وَادٍ فَسيحُ الأُفْقِ مُمْتَدُّ

مَشَتْ الحَضارَةُ في جَوَانِبِهِ ... فَصَبا إِلَيْها السَّهْلُ والنَّهْدُ

وبَدَتْ حَواشِيهِ مُطَرَّزَةً ... فَكَأَنَّهُ مِنْ وَشْيِها بُرْدُ

يَجلو (الرِّياضَ) على ترائِبِهِ ... مَصْقولَةً فكأنَّها عِقْدُ

٣٥- شَادتْ يدُ الفنِّ الحَديثِ بِها ... رُكنًا وَطِيدًا لَيْسَ يَنْهَدُّ

شُمًّا بَواذِخَ، كُلَّما نَهَضَتْ ... عَضْماءَ مِنْها طَالَها [2] نِدُّ

طَلعَتْ نُجومُ الكَهْرُباءِ بِها ... فَازْدَانَتْ الشُّرُفَاتُ والعُمْدُ

وتَرى المَوَارِقَ في طَرائِقِها ... زُمَرًا يَنُوءُ بِحَصْرِها العَدُّ [3]

---

(١) الند: الطيب.

(٢) طالها: فاقها، والمقصود قصور الرياض وعمائرها.

(٣) المقصود هو السيارات الكثيرة الصاخبة.

مَجْنونــةَ الأبــواقِ نَــافِرةٌ   نَفْــرَ الظِّبــاءِ يَروْعُهــا الــصَّيْدُ

أيــنَ النَّــوَاجِى[1] فى مَفَاوزِهــا   قُلُــصًا ، وأيْــنَ عِتاقُهــا الجُــودُ

أنــا مَــنْ صَــبا للبِيــدِ يَــأسِرُه   مِنهــا فَــضَاءٌ مَالَــهُ حَــدُّ

وسُــكونُها ذَابَ الــضَّجِيجُ بِــه   إلا رســيمُ النــوقِ والوَخْــدُ

ومَــساؤُها الــسَّاجِى يَهِــيمُ بــه   ســارى الخيــالِ ويَقــدحُ الزَّنــدُ

ونُجُومُهــا حَبَبــا عــلى ثَــبَجٍ   والليــلُ مَــدَّ عُبَابَــهُ المَــدُّ

ورِمَالُهــا تِــبْرًا يُفَضِّــضُهُ   بَعْـد الأَصِيلِ مِـنَ الـضُّحَى رَأْدُ

وخيامُهـا الـسَّجْواءُ[2] قَدْ سَعِدَتْ   فِيهــا الحَيــاةُ وأسْــعَفَ الجِــدُّ

والــشاةُ والرَّاعِــى ومِعْزَفُــهُ   والــشِّيْحُ والقَيْــصُومُ والمُــرْدُ[3]

قِــفْ سـائِلِ الطَّلَـلَ المُحِيـلَ بِهـا   إنْ كــانَ فيــهِ لــسَائِلٍ رَدُّ

أيْــنَ (المُهَلْهِــلُ) فى مَلاعِبِهــا   غَــزِلُ الــشَّبابِ يَــروحُ أو يَغْــدُو

وعَــلى (عُنَيْــزَةَ) أو بِــذِى حُــسُمٍ   كَــمْ شَــدَّ وهْــوَ الفَــارسُ الجَلْــدُ[4]

---

(١) النواجى : النوق العتاق : الخيال.

(٢) السجواء الناعمة اللينة.

(٣) المرد :الغصن من شجر الأراك.

(٤) فى حرب البسوس .

يـا نـابغيَّ الليـلِ كيـفَ تَـرى ... لَـيلا لِيـومِ الحَـشْرِ يَمْتَـدُّ ؟

كـمَ ضـاقَ قبلك ذُو القُرُوحِ بـه ... فِي (إِثْمَـدٍ) وأمَـضَّهُ الـسُّهْدُ[1]

نامَـا بِليـلٍ مـا لأَوَّلِـه ... مِـن آخِـرٍ أو يَـأْتِيَ الوَعْـدُ

أغْفَـى بِـه الأعْـشَى وكَـانَ بِهـا ... صَـناجةً بِـسُرى الـدُّجى تحـدو

شَـدَّتْ أنَامِلُـهُ عَـلَى وَتَـرٍ ... يَطْوِيـهِ فى (مَنْفُوحَـةٍ) لَحْـدُ[2]

* * *

أيْـكَ البَيـانِ الحُـرِّ مُنـذُ نَـما ... في الجاهِلِيَّـةِ غُـصْنهُ المَلْـدُ[3]

مـا زِلـتِ فى الإسْـلامِ حَلْبَتَـهُ ... وبـه تَـدَفَّقَ نَبعُـكِ العِـدُّ[4]

حَتَّـى أظَلَّـكَ بعـد مَنْبَهَـةٍ ... لَيـلُ الخُمـودِ وأطْبـقَ الرَّقْـدُ

فـالنَّبْعُ شَـحَّ وغـاضَ دَافِقُـهُ ... والـرَّوضُ جَـفَّ وصـوَّحَ الـوَرْدُ

والجَهْـلُ أطْفَـأ مِـن خُرَافَتِـهِ ... نُـورَ العُقـولِ فَـأبْهَمَ القَـصْدُ

ثُـم انْتَبَهْـتِ عَـلى مُجَلْجِلَـةٍ ... للبَعْـثِ يُطْلِقُهـا فتًـى نَجْـدُ[5]

---

(١) المقود النابغة وامرؤ القيس فى شكواها من طول الليل.

(٢) منفوحة: بجوار الرياض وبها طلل الأعشى.

(٣) الملد: الناعم .

(٤) العد : الكثير الماء.

(٥) شجاع وهو الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذى نهض بدعوة الإصلاح الديني فى نجد.

فَسَلى (عُيَينَةَ) كَيفَ ردَّدَها   مِثْلَ الأذانِ إمَامُها الفَرْدُ
و(الدَّارِعِيَّةُ) كَيفَ رَنَّ بِها   صَوْتُ البَشيرِ ورَفْرَفَ البَنْدُ
دِرْعٌ حَمَتْهُ حينَ لاذَ بِها   وجُنودُها لِلِوائِهِ جُنْدُ
والمَشْرَفِيَّةُ للهُدَى سَنَدٌ   والدِّينُ نِعْمَ العَوْنُ والأَيْدُ (١)
تَقْوَى السُّيوفُ الفَاتِحاتُ بِه   وبِدعْوَةِ الإصْلاحِ تَشْتَدُّ
والمُلْكُ مَا لَمْ يَستَقِلَّ عَلى   أُسُسٍ مِن الأخْلاقِ يَنْهَدُّ
قَدْ يَنْهَضُ الشَّعبُ الجَريحُ إذا   لَمْ يَنْطفئْ مِنْ رُوحِهِ الوَقْدُ
ويَعُودُ مَرْفُوعُ اللِّواءِ وما   لِمُضَيِّعٍ أخْلاقَهُ عَوْدُ
والعَبْدُ حُرٌّ مِنْ تَخَلُّقِهِ   والحُرُّ مِن شَهواتِهِ عَبدُ
قُلْ للمُدِلِّ بِكُلِّ مُخْتَرَعٍ   يُشْقِي الحَياةَ ورُوحُهُ صَلْدُ
أعْماهُ عَنْ نُورِ الهُدَى صَلَفٌ   وأضَلَّهُ الإلحادُ والجَحْدُ
أيْنَ السَّعَادَةُ فِى مُدَمِّرَةٍ   تَفْنى؟ وأيَن العِيشَةُ الرَّغْدُ؟
قالوا: السَّلامُ فقلتُ: يَنْشُدُهُ   يالَلْأَسى أعْداؤُهُ اللُّدُّ
وبَكَوْهُ مَوْءُوْدًا، ومِنْ عَجبٍ   يَبْكيهِ مِن بِيَمينِهِ الوَأْدُ

---

(١) الأَيْدُ: القوة.

مَدَنيةٌ خُدِعَ الغَريرُ بِهَا ... لِي فِي بريقِ طِلائِهَا زُهْدُ
قَلَقٌ تَعَقَّدَتْ النُّفُوسُ بِهِ ... وتَوَقُّعٌ للشَّرِّ مُمْتَدُّ
وصِرَاعُ غَابٍ مِنْ شَرِيعَتِهِ ... أنْ يَسْتَبِدَّ بأعزلٍ وَرْدُ(١)
ولرُبَّمَا جَرَّ الخَرَابَ عَلَى ... دُنْيَا الخَلائِقِ أَحْمَقٌ وَغْدُ
السَّيفُ لمْ يعتَدَّ حَامِلُه ... بعقِيدةٍ أَوْلَى بهِ الغِمْدُ
والعِلْمُ ذُو حَدَّيْنِ : نَافِعُهُ ... حَدٌّ وجَانِبُ شَرِّهِ حَدُّ
إنَّا - ودِينُ اللهِ عُدَّتُنا- ... لَسنَا بِغَيرِ اللهِ نَعْتَدُّ

* * *

زَمَنٌ أدَالَكِ فِى تَدَاوُلِهِ ... فَجَرى عليكَ النَّحْسُ والسَّعْدُ
والدَّهْرُ صَفْوٌ بَعْدَهُ كَدَرٌ ... والعَيْشُ صَابٍ بَعدَهُ شَهْدُ
قَدْ أذَّنَ الفَجْرُ المضيءُ فَلا ... يَحْجُبْكَ عَنْ أضْوائِهِ سَدُّ
صُبْحُ العُروبَةِ لاحَ بعد دُجىً ... مِنْ لَيلِها وتَبَيَّنَ الرُّشْدُ
فَخُذِى مَكانَكِ فى انْتِفَاضَتِهِ ... نَهَضَ الأسِيرُ وحُطِّمَ القَيْدُ
قُومِى انْهَضِي وابْنِى ولا تَهِنِى ... كَيْمَا يَعودَ لأرْضِكِ المَجْدُ

---

(١) الورد: الأسد القوي.

حَيَّــا صَــباحَ عُــلاكِ مُطْلَعُــهُ ‏ ‏ ‏ ولَــه الثَّنَــاءُ الجَــمُّ والحَمْــدُ

١٠ ـ وسَـقَى دِيـارَكِ- غَـيرَ مُفْـسِدِها- ‏ ‏ ‏ غَــدقٌ عَمِــيمُ الــسَّحِّ يـا نَجْــدُ

صَرْخَةٌ عَرَبِيَّةٌ

٢٦- أخِي العَرَبِي (١)

غَضْبَةٌ تُحَطِّمُ القُيودَ ... أبِيَّهْ وتَشُقُّ الطَّرِيقَ للحُرِّيَّهْ
وانْتِفَاضًا حُرَّ الإبَاءِ عَزِيزًا ثَائِرَ الرُّوحِ نَخْوَةً وحَمِيَّةْ
ثَورَةَ المَارِدِ المُكَبَّلِ يَفْرِى طَوْقَهُ والسَّلاسِلَ الوَحْشِيَّهْ
لانْطلاقِ الآمالِ ، للمُثُلِ العُلْيا لِزَحْفِ المَواكِبِ القُدُسِيَّهْ
لِعِناقِ الأشْواقِ تَحْتَضِنُ الفَجْرَ وتَشْدُو عَلَى رُبَاهُ النَّدِيَّهْ
لانْتِزاعِ الصَّباحِ مِن اللَّيلِ ومن سَطْوَةِ الغَواشِى الدَّجِيَّةْ
لِشَقاءِ الفَلَّاحِ ، للعامِلِ المحرومِ لابنٍ مُستَضْعَفٍ وبُنَيَّهْ
للمَلايِينِ يَكْدَحُونَ لِيَجْنى خَيْرَهُم ذُو المَطامِعِ الأشْعَبِيَّةْ
لَكَ ، للجِيلِ للغَدِ المُتَمَنَّى لِجَماهِيرِ أرْضِنَا العَرَبِيَّةْ
لِفَلَسْطِينَ قَدْ أباحَتْ حِماهَا بِنْتُ صُهْيونَ لَعْنَةُ الأزَلِيَّهْ
لِلْيَتَامَى المُشَرَّدِينَ ، لِصَيْحاتِ صَبِى مُضَيَّعٍ وصَبِيَّهْ

---

(١) الواضح أن هذه القصيدة كانت بعد منتصف ١٩٦٢ وقبل منتصف ١٩٦٧م حيث ذكر فيها استقلال الجزائر والدعوة إلى الوحدة العربية التى ظلت حلما للجماهير توهج بعد انفصال مصر عن سوريا فى ١٩٦١ بعد وحدة قصيرة بينهما ، ويتحدث فيها عن الانتصارات وهذا قبل ٦٧ بالطبع كما نعرف.

لِلثَكَالى يَنْدُبنَ أهْلا ودَارا   ويُوَلْولْنَ بُكْرَةً وعَشِيَّهْ
صَرَخَاتٌ تُفَتِّتُ الحَجَرَ الصَّلْدَ وتَسْتَرْحِمُ الوُحُوشَ الضَّرِيَّهْ
يَقْرَعُ الأرْضَ والسَّماءَ صَدَاها   غَير سَمْعِ الضَّمائِرِ البَشَرِيَّهْ
خِنْجَرٌ شَقَّ للعُروبةِ قَلبًا   لَمْ يَزلْ يَنْزِفُ الدِّماءَ الزَّكِيَّهْ
لِفَلَسْطِين يَا أخِى واحْفُرْ القَبْرَ لِوأدِ اللقيطةِ الدَّوْلِيَّةْ
لِثَراها السَّلِيبِ قَدْ دَنَّسَتْهُ   عُصْبَةٌ مِنْ طَرائِدِ الهَمَجِيَّهْ
فاغْسِلِ العارَ عَنْ حِمَاها بِثَأْرٍ   يَأْنَفُ الضَّيْمَ والخَنَا والدَّنِيَّهْ
لَسْتَ باليَعْرُبِىِّ إنْ لَمْ تُعِدْهَا   لِبَنِيها وأهْلِها يَعْرُبِيَّةْ

* * *

يا أخى أنْتَ فِى قُيودِك لَيْثٌ   عَافَتْ القَيدَ رُوحُهُ الأسَدِيَّهْ
بَينَ جَنْبَيكَ ثَوْرَةٌ مِنْ لَهِيبٍ   تَتَحَدَّى القَذَائِفَ النَّوَوِيَّةْ
صَاغَكَ اللهُ حِينَ صَاغَك حُرًّا   وحَبَاكَ الكَرامَةَ الآدَمِيَّهْ
فَوقَ أرْضٍ قُدُسِيَّةٍ بَارَكَتْها   بالرِّسالاتِ نَفْحَةٌ عُلْوِيَّهْ
مَهْبِطُ الحَقِّ والكَرَامَةِ والعَدْلِ ومَهْدُ النُّبُوغِ والعَبقَرِيَّهْ
وعلى صدرها العروبةُ شبت   فى ظلال الإباء والأريحيه

فَـامْشِ حُـرًّا بِهـا ، ولا تَخْفِـضِ الجَبْهَـةَ يومًـا إلا لِـرَبِّ البَرِيَّـةْ
وانْفِضِ الذُّلَّ وارْفـعَ الـرأسَ واشْمَخْ   لـسْتَ عَبـدا لِغاشِـمٍ أومَطِيَّـهْ
فَلَـكَ الأَرْضُ والـذِى أنبَتَتْـهُ   وينابِيعُهـا الـدِّفَاقُ الغَنِيَّـهْ
ولَـكَ المَـصْنعُ الـذى صَـاغَ مِـنْ كَـدِّكَ دُرَّالقَلائـدِ الذَّهَبِيَّـهْ
ولَـكَ القَـصْرُ شَـادَه سَـاكِنُ الكُـوخِ لِعِرْبيـدِهِ وكَـانَ ضَـحِيَّةْ
يُـتْرعُ الكـأسَ مـن دمـاءِ ضَـحاياهُ ومِـن أدْمُـعِ الجمـوعِ الـشَّقِيَّهْ

* * *

بِاسْـمِ تَارِيخِنَـا المَجِيـدُ، رَعَـى الـدُّنيا وأرْسَـى قَوَاعِـدَ المَدَنِيَّـةْ
وبِآبَائِنـا الأُلَى زَلْزَلُـوا كِـسْرَى ودَكُّـوا مَعَاقِـلَ القَيْـصَرِيَّهْ
والبُطُـولاتِ إذْ تَخُـوضُ المَنَايـا   ظَامِئَـاتِ الـصَّدَى لِـوِرْدِ المَنِيَّـهْ
تَفْـتَحُ الأَرْضَ بَـين شَرقٍ وغـربٍ   بِهتـافِ الهُـدَى وبالمَـشْرَفِيَّهْ
بانتفـاضِ الجَزائـرِ اليـومَ حُـرًّا   بَعْـدَ طُـولِ المَعـارِكِ الدَّمَوِيَّـهْ
بانْبثـاقِ الفَجْـرِ الـذى صَـنَعَتْهُ   فى حِمانـا الطَّلِيعَـةُ الثَّورِيَّـهْ
جَلْجَلَـتْ فِى ائْتِلاقِـهِ صَـيْحَةُ البَعْـثِ ودَوَّتْ فى مَـسْمَعِ البَـشَرِيَّةْ
بانْتِـصاراتِنا التِـى هَـزَّتِ الـدُّنيا   عـلى الغَـدرِ والقُـوى الكَيْدِيَّـهْ

٤٤ـ بـالجَلاءِ الـذِى حَسِبْناهُ حُلْمًا فتَبَـدَّى حَقِيقَـةً وَاقِعِيَّـهْ
بـانْتِزَاعِ القَنـاةِ بـالمَوْقِفِ البَاسِـلِ فى يْـوم بُورسَـعِيدَ الأبِيَّـهْ
زَمـنُ الـرِّقِ والطَّوَاغِيـتِ وَلَّى وتهَـاوَتْ قِلاعُـهُ الخَزَفِيَّـهْ
وزَمَـانُ الـشُّعُوبِ قَـدْ زَحَـفَ اليـومَ عـلى الاسْـتِغلالِ والفَرْدِيَّـهْ
مِـنْ هُنَـا يـا أخِـى مَـشَى مَوْكـبُ النُّـورِ وسَـارَتْ قَوافِـلُ الحُرِّيَّـةْ
٤٥ ـ فاسْـلُكِ الـدَّرْبَ .. واحْـدُ رَكْـبَ الأمَـانِى وتَخَـطَّ الحَـوَاجِزَ الوَهْمِيِّـهْ
يَـدُكَ اليـومَ فِى يَـدِى نَـسْحَقُ الزَّيْـفَ ونَـشْدُ بِالوِحْـدَةِ العَرَبِيَّـهْ

***

٢٧- الجامعة العربية
بمناسبة إنشاء جامعة الدول العربية (*)

يَومٌ مِنَ المَجدِ كَمْ غَنَّى بِه العَرَبُ ... وَافَى العُروبَـةَ فَجْـرٌ مِنْـهُ مُرْتَقَـبُ
هَفَـا لـه الـشرقُ مَزْهُـوًا بِغُرَّتِـهِ ... وهـزَّهُ نحـو شـادى مجـدِهِ العَـرَبُ
تَفِـيءُ للوِحْـدَةِ الكُبْرَى بِـهِ دُوَلٌ ... ألْـوَى بِهـا بَـدَدٌ للـشَّمْلِ مُنْـشَعِبُ
قَدْ وَحَّدَتْ بينَها الآلامُ فاجْتَمَعَتْ ... والـدِّينُ والفِكـرُ والآمـالُ والأدَبُ
وشَـائجُ لم يهـنْ مِـنْ وُدِّهـا نَـسبٌ ... أويَـدنُ للظـنِّ مـن أبوابِهـا سَـبَبُ
حَنَّتْ إليها قلوبُ الشَّرقِ مِنْ زَمَنٍ ... وفِى الجَـوانِحِ شَـوْقٌ بَـاتَ يَلْتَهِـبُ
مُنَـىً تُفَرِّقُهَـا البَلْـوَى وتَجْمَعُهـا ... وللبَلَايَـا تَفَـارِيقٌ ومُلْتَحَـبُ[1]
هَامَـتْ بآفاقِهـا طَـيرًا مُفَزَّعَـةً ... لَمْ يَشْفِ غُلَّتَها مِنْ وِرْدِها صَأَبُ[2]
تناوشَـتْهَا فُـرَادَى فى مَـسارِبها ... مخالِـبٌ تَتَـأَبَّى شَـتَّها نَـصَبُ

(*) للقصيدة صورة أخرى مختصرة كان الشاعر قد اختصرها ضمن ما صنع بكثير من قصائده لنشرها فحذف الأبيات ١ ، ٢، ٤ ، ٥، ٦، ٨، ٩ ، ١١ ، وجعل مطلعها:

هـذا هـو الأملُ المنشودُ ياعربُ ... لاحَتْ بشائِرُه فى الأفْقِ فَارتقبوا
أظَلَّكـم فيـه فجرٌ شَـاقَكُم زَمَنًا ... وفِى الجَوانِح شَـوْقٌ بَـاتَ يَلتَهِـبُ

(١) ملتحب.

(٢) صأب: تكرار الشرب.

تَجمَّعَتْ بَعدَ شَتِّ الشَّملِ فالْتَأَمَتْ   جِراحُها وانْثَنتْ عَنْ سَاحِها النُّوَبُ
وأَصبحَ الشرقُ غابًا من تَضَامُنِه   تُخْشَى بَوازِيهِ أو آسَادُه العُرُبُ
حِصْنٌ تَنكَّبُ عَنه الحَادِثاتُ أَسًى   فَدُونَ ما تَرْتَجِي مِنْ بَأسِهِ يَلَبُ(١)
عَزَّتْ بِهِ دُوَلٌ كَالعِقْدِ مُنْتَظِمًا   حَبَّاتُهُ الذَّهبُ الإبرِيزُ والقَصَبُ
قَدْ اسْتَجَابتْ لدَاعِي الله فاعْتَصَمَتْ   بِوِحْدَةٍ جَاءَ مِنها الوَحْيُ والكتُبُ
لَوْلَا التَّضامُنُ مَا عَزَّتْ شَرِيْعَتُهُ   أَوْكَانَ للضَّادِ ذَاكَ البأسُ والغَلَبُ
ولا تَآختْ قُلوبٌ طالَمَا نَفَرَتْ   بِها الحَفَائِظُ واسْتَعْصَى بِها الشَّغَبُ
ولا اسْتَقَلَّتْ بحُكْمِ الأرْضِ مَملَكَةٌ   أَقَامَها المُصطفى أو صَحبُهُ النُّجُبُ
إذا تَآلفتِ الأرواحُ مُخلِصَةً   أفنَى المخاطرَ من إشْعَاعِها لهبُ
هُوَ التحالُفُ جَيشٌ لا يُطاقُ له   بأْسٌ وكيفَ يُطاقُ العَارِمُ اللَّجِبُ
تُغْنيه عَن عُدَّةٍ رُوحٌ مُجنَّدةٌ   ما حَدَّ حِدَّتها الصَّمْصَامة الذَّرِبُ
إِذا أَتَمَّتْ شُعوبُ الشَّرْقِ وِحْدَتَها   عَزَّتْ عُرُوبَتُها واسْتَعْصَمَ العَرَبُ
بَنِي العُرُوبَةِ هَذا فَجْرُ نَهْضَتِكُم   دَانت لِمشْرقِه الأيامُ والحِقَبُ
قد ضَمَّكُم فِيه إخوانًا وجَمَّعَكُم   مَشاعِرًا بينها الأرحامُ والنَّسَبُ

(١) في لسان العرب لابن منظور: اليلب : والدروع وهي يمانية.

إِنْ رَجَّعَتْ فى ضِفافِ النيلِ هاتِفةٌ ... شَدا لها بالحِجازِ الصادِحُ الطَّرِبُ
أَوْأعْوَلَتْ فى رُبُوعِ الشَّامِ نَائِحَةً ... أَجَابها مِن ذُرَا لُبْنانَ مُنْتَحِبُ
فَأَحْكِموا العُرْوةَ الوُثْقَى بَجامِعَةٍ ... تَعْدو لِعِزَّتِها الافْلاكُ والشُّهبُ
إنْ تَرْفَعوا صرْحَها تَحْموا عَرِينكُمو ... فَفِى حِمَى صَرْحِها الآمَالُ والأَرَبُ[1]
لا يَقْصِدُ الذِّئْبُ إلا كُلُّ قَاصِيَةٍ ... مِنَ القَطِيعِ عَلَيْهَا وحَدَها يَثِبُ
مُدُّوا لَها فى رُبوعِ الأرْضِ أرْوِقَةً ... يَشُدُّها مِنْ شَبا عَزْماتِكُمْ طُنُبُ
فإنَّما هِىَ قَلْبُ الشَّرْقِ إنْ سَلِمَتْ ... أعْضَاؤُهُ صَحَّ أَوْ تَشْكُو الضَّنَى يَجِبُ

* * *

(١) هذا الشطر تم تغييره في إصدارة ١٩٨٤م بـ فلا تُلِمُّ به الأحداثُ والريبُ.

٢٨ - كفاح الجزائر
فى العيد الثامن للثورة الجزائرية

ضَحَايا كُلَّ يَومٍ لا تُعَدُّ　　أَليسَ لِظُلْمِ هَذا الشَّعبِ حَدُّ
يَزِيدُ عَلى الكِفَاحِ المُرِّ عَزْمًا　　يَهُدُّ الرَّاسِياتِ ولا يُهَدُّ
ويَصْهَرُهُ النِّضالُ فَمَا ثَناهُ　　وَعِيدُ البَأْسِ أو أغْراهُ وَعْدُ
إذا رَوَّى ثَراهُ دَمٌ زَكِيٌّ　　مَشَى بِعُرُوقِهِ للثَّأْرِ وَقْدُ
وإنْ أضْناهُ قَيْدٌ زَادَ سُخْطًا　　وثَارَ كَأَنَّما فى القَيْدِ أُسْدُ
ولَيسَ بِمُرْهِبٍ سِجْنٌ صَغِيرٌ　　فَتًى أَوْطانُه سِجْنٌ أَشَدُّ
رَعاكَ اللهُ مِنْ شَعْبٍ أَبِيٍّ　　أَناخَ عَلِيهِ باغٍ مُسْتَبِدُّ
يعانِى كُلَّ يَوْمٍ مِن فَرَنْسَا　　صُنوفًا مِن أَذاها تَستَجِدُّ
تَمَرَّسَ بالنِّضَالِ فَليسَ يومًا　　بِمُسْتَهْوِيهِ حُلوُ العَيشِ رَغْدُ
وأرْضٌ تُنبِتُ الأبطالَ حتى　　تَنافَسَ فَوقَها شِيْبٌ ومُرْدُ
عَلَى (أَوْرَاسَ) يُولَدُ كُلَّ يَوْمٍ　　فَتًى مُتَوَقِّدٌ عَزْمًا وَخَوْدُ
«جَمِيلَةُ»(١) بِنْتُهُ وكَفَتْهُ فَخرًا　　بُطولَتُها إذا الأَبْطالُ عُدُّوا

---

(١) جميلة بوحيرد المجاهدة الجزائرية، انضمت إلى تحرير الجزائر للنضال ضد الاحتلال الفرنسي، وحُكم عليها بالإعدام ولم ينفذ بعد تضامن العالم معها.

أَفِيقِي مِن سُباتِكِ يا فَرَنْسا   فَلَيس بِمُسْتَوٍ عِيٌّ ورُشْدُ
لَقَدْ صَحَتْ الشُّعوبُ على صِياحٍ   أَبِيٌّ مابِه حُرٌّ وعَبْدُ
دَعِي شَعبَ الجزائِرِ في حِماهُ   ولا يَغْرُرْكِ يا حمقاءُ جُنْدُ
وخَلِّي أرْضَها لاتُنْجِسِيها   بِغَيِّكِ إنَّها للطُّهْرِ مَهدُ
أَتَصْمدُ للنِّضالِ بِها بَغِيٌّ   تَروحُ عَلى دَعَارَتِها وتَغْدو؟
هُمُ العَربُ الأُباةُ إذا اسْتُبِيْحَتْ   دِيارُهُم عَلى الباغِينَ شَدوا
يَمِينا لَنْ تنالى قَدْرَ شِبْرٍ   سِوى قَبْرٍ لِدِيجُولٍ يُعَدُّ
إذا ما هَيْئَةُ الأُمَمِ اسْتكانتْ   وماتَ بها الضَّميرُ وضاعَ عهدُ
سَنَمْضِي في الكِفاحِ إلى مَداهُ   فَليسَ مِنَ الكِفاحِ المُرِّ بُدُّ
ونجْعَلُها جَحِيمًا يا فَرَنْسَا   ومَقْبَرةً بَها للبَغْي لَحْدُ
ونَبْنِي فَوقَ أشْلاءِ الضَّحايا   كَرامَتَنا التي لا تُسْتَرَدُّ
وتَرْفَعُ صَرْحَ الاسْتقلالِ حُرًّا   يَرِفُّ بِه على (أُوْرَاسَ) بَنْدُ

***

٢٩ - بَنِى فلسطين

بَنِــى فَلَــسطِينَ نَفْــديها فَلَــسْطينا   ونَفْتَــدِى أهْلَهــا الغُــرَّ المَيامِيْنــا

لمــا نَزَلْنــا بِـساحَاتِ الخِيـامِ جَـرَتْ   عَــلى ثَرَاهــا دُمــوعٌ مِــنْ مَآقِيْنَــا

وهَـيَّجَ الـشَّوقَ مَـرْآى اللاجِئينَ بهـا   مُــشَرْدِينَ مــن الأوْطَــانِ نَائِينــا

أسَـتْ يَمِـينُ "جَمـالٍ" جُـرحَ مِحْنَتِهِمْ   وكَفْكَفَـتْ دَمْـعَ بـاكِيهِم وباكِينـا

ومــا فَلَــسْطينُ إلا مِــصْرَ مَنْزِلَــةً   وأهْلُهــا لَمْ يكونــوا غَــيرَ أهْلِينــا

هِــى العُرُوبَــةُ والقُرْبَــى تُجَمِّعنَــا   والدِّينُ والحَاضِرُ الدَّامِى ومَاضِينَا

جِراحُهـــا تَتَلَظَّـــى فى جَوانِحِنـــا   نَــارًا، وآمَالُهــا الكُــبْرَى أمَانِينــا

أقْـسَمْتُ بالمـسجِدِ الأقْـصَى وحُرْمَتِـهِ   وبِالقَداسَــاتِ فيهــا والنَّبِيِّنــا

وكُـلُّ مِـصرَ مَعـى والعُـرْبُ قَاطِبَـةً   قَلْــبٌ يَجِــيشُ بأقْــسامِ الأبِيِّينــا

أَلَّا نَقَــرَّ ولا يَحْلُــو لَنــا وَسَــنٌ   حَتَّـى نُـشَرِّدَ فى الآفـاقِ صُـهْيونا

ولَــن يَطيــبَ لنــا فَخْــرٌ نَتِيــهُ بِــه   إلا إذا مـــا رَدَدْنَاهـــا بِأيْـــدِينا

وكيــفَ نَحيــا كِرامًــا فى عُرُوبَتِنــا   إنْ لم نُكَفِّنْ بهَا (جُولْدَا وجُورْيُونـا)

* * *

نَحـنُ الأبـاةُ كـذاكَ الـدَّهرُ يَعْرِفُنـا   فَلَـمْ يُمـرِّغ لنـا فى الـتُّربِ عِرنِينَـا

ومــا خَفَــضْنا لغَــيرِ اللهِ جَبْهَتَنــا   ولا سَــجَدْنا بِهــا إلَّا مُــصَلِّينا

سَـلِ المَمَالِـكَ كَـمْ ذَلَّـتْ لِـسَطْوَتِنا ... أَوِ الجَبَـابِرَ كَـمْ دانُـوا لِغَازِينـا
وَكَـمْ دَكَكْنـا حُـصُونًا فى مَناعَتِهـا ... وكَـم قَهَرْنَـا مُلُوكًـا مُـسْتَبِدِّيْنا
فَهَـل تُرانَـا غَـدونَا اليـومَ تُعْجِزُنـا ... لَقِيطَـةٌ تَتَحَـدَّانا وتَغْزُونـا؟!
كَـلَّا فَمَهْـما تَبَنَّاهـا أَبالِـسَةٌ ... فَإِنَّنـا لم نَعُـدْ نَخْشى الـشَّياطِينا
إِذَا اليَهـودُ أراقـوا -كَـارهينَ- دَمًا ... عـلى ثَراهـا أرقْنـاهُ مُحِبِّينَـا
أَوْتـزْكُمُ الحَرْبُ مِنْ خُبْثٍ أُنُوفَهُمُـو ... فَـمَا نَـشُمُّ بِهـا إِلَّا الرَّيَاحِينـا
هُمْ يحِرِصُونَ على الدُّنيا وقَدْ رَخُصَتْ ... حِين اشْتَرَيْنا بها الجَنَّاتِ والعِيْنَا
بَنِـى فِلَـسْطِينَ والآمَـالُ تَحْفِزُنـا ... وإِنْ صَـبَرْنَا عـلى بَأْسَـائِكُمْ حِيْنَـا
إِنَّـا عَـلى العَهْـدِ لا تَـبْلَى مودَّتُنـا ... يَومًـا ولَـسنا لِـذِكْراكُمْ بِنَاسِينا
غَـدًا سَـيَجْمَعُنا عِيْـدٌ بأَرْضِـكُمو ... نُزْجِى إِلَـيكُمْ بِـه أَسْمَى تَهَانِينَا

* * *

٣٠ـ تحية جامعة الأزهر

(سلطان)

لعاهلِ الكويتِ سموِّ الأميرِ الصَّبَّاحِ السَّالمِ الصَّبَّاحِ – إبريل١٩٦٦ م

هَتَفَ البَشيرُ بـه فَشاقَ الأزْهَـرَا   وأطَـلَّ مَوْكِبُـهُ السَّنِيُّ فَكَـبَّرَا
شَـقَّتْ مآذِنُـه الزِّحـامَ وأشْرَقَـتْ   مِـنْ فـوقِ كاهِلِـهِ الأشَـمِّ لِتَنْظُـرا
واسْتَبشَرَتْ مِصْرُ فَأُشْرَق سَاحَةً   واخْتَـالَ مِحْرابًـا وهَلَّـلَ مِنْـبَرَا
طَلَعَ الصّباحُ بها فأطْلَع يُمْنُـه   ذَاكَ الصَّباحَ اليَعْرُبِـيَّ الأنْـضَرَا
فى مَوْكِـبٍ حَـرسَ الجـلالُ جَمالَـه   وشَـأى الثُّرَيَّا وهْـوَ يَخْطُـر فى الثَّرَى
والـشَّعْبُ أفْئِـدَةٌ يُـسَابِقُ بَعْـضُها   بَعـضًا لتَحْتَـضِنَ الرِّكَـابَ وتَظْفَـرَا
حَاطَتْـهُ أشْـواقًا تُعـانِقُ خَطْـوَهُ   حُبًّـا وتَـسْتَجْلِى المُحَيَّـا النَّـيِّرَا
لَمَّـا تَجاوَبَـتْ البَـشائِرُ بـالحِمَى   هُرِعَـتْ إليـهِ مِـن المَدائنِ والقُـرَى
والنِّيـلُ نَـشْوانُ الـضِّفَافِ مُـصَفِّقٌ   رَقَـصَتْ خَمَائِلُـهُ مُغَـرِّدَةَ الـذُّرَا
يَجْـرِى عَـلى سَـنَنِ الوَفَـاءِ مُرَحِّبًـا   بِقُـدومِ بَحْـرٍ فى المَكـارِمِ قَـدْ جَـرَى
مَـنْ سَرَّهُ زَمَـنُ الرَّبيـعِ وحُـسْنهُ   فَلْيَـشْهَدِ اليَـومَ الرَّبيـعَ الأكْـبَرَا

* * *

(*) هذه هي القصيدة التي أهداها الشاعر العاهل الكويت فتبرع للأزهر – الجامعة – بنحو مائتي ألف جنيه إسهاما في إنشاء الجامعة الجديدة.

هَذَا (الصَّباحُ) مَعَ (الجَمالِ) تَلاقَيا ❊ لله مــا أســمى اللقــاء وأبهــرا
أخــوانِ بالحُــبِّ الوثِيــقِ تبَــادَلا ❊ عَهْــدًا يُــصانُ وذِمَّــةٌ لَــنْ تُخْفَــرَا
بَطــلٌ يُعــانِقُ فى الكفــاحِ شَــقِيقَه ❊ وغَــضَنفرٌ حُــرٌّ يَــضُمُّ غَــضَنْفرَا
١ ـ لله مــا أبْهــى العُرُوبَــةِ تَلْتَقِــى ❊ صَــفًّا جَمِيــعَ الــشَّمْلِ مُلْتَــئِمَ العُــرَا
مَــن مُبلــغُ الأعْــداءِ أنَّــا أُمَّــةٌ ❊ مَهْــمَا تَجَهَّــمَ أُفقُهــا لَــنْ تُقْهَــرَا
الجَــوُّ مَهْــما غَــامَ يُقْــشَعُ غَيْمُــه ❊ والــشَّمسُ أحْــرَى بَعْــدَه أنْ تَظْهَــرَا
لايَستجيبُ إلى الدَّخِيلِ سِوى امرِئٍ ❊ جَحَــدَ العُروبَــةَ حَقَّهَــا وتَنَكَّــرَا
اليــومُ يومُــكِ ياعُروبَــةُ فَاشْــهدِى ❊ مَجْــلاهُ وارْتَقِبِــى الغَــدَ المُتَنَظَّــرَا

❊ ❊ ❊

٢ ـ أهْــلا بِعاهِلنــا العَظــيمِ ومَرْحبًــا ❊ بِمَــنْ اسْتَـضاءَ بـه الحِمى واسْتَبْشَرا
مِــصْرٌ تُحَيِّــى فِى الكُويــتِ شَــقيقَةً ❊ نَهَـضَت بِكُـمْ مَجْـدًا وعَـزَّتْ مَظْهَـرَا
بَلَـــدٌ رَفَعْـــتُم بالحَـــضَارَةِ رُكْنَـــهُ ❊ حَتَّـــى تَخَايَـــلَ نَهْـــضَةً وتَحَـــضُّرَا
بالعَدلِ والشُّورى حَكَمْتُم شَعْبَه ❊ وغَرَسْـــتُمو فِيـــه الرَّخَـــاءَ فَـــأَثْمَرَا
ومَلَكْتُمُــو بالحــبِّ عَــرشَ قُلوبِــه ❊ والحُــبُّ أحــرى أنْ يقــودَ ويــأسِرَا
٣٥ - لَــيْسَ الــذى حَكَــمَ الــبِلادَ بِعَدْلِــهِ ❊ كَمَــنْ اســتَبَدَّ بِحُكْمِهــا واسْــتَأْثَرَا

إنَّا لَفِى زَمَنِ الشُّعوبِ ولَنْ ترى … كِسْرَى بِه مُسْتَعْبِدًا أوقَيْصَرَا

الشَّعبُ مَهْمَا طَالَ لَيلُ بَلائِهِ … يَومًا سَيَحْطِمُ مَنْ بَغَى وتَجَبَّرَا

* * *

هَذا جَمَالٌ [1] هَلْ شَهِدتَ صَنِيعَهُ … ورأَيْتَ كَيفَ بَنَى حِمَاهُ وحَرَّرَا

بَطَلٌ وفِىٌّ لِلعُرُوبةِ مَا الْتَوَى … خُلُقًا ولا عَرَفَ الرِّياءَ الْمُنْكَرَا

٣ـ مَا حَادَ يومًا عَنْ مَبَادِئِهِ ولا … خَانَ الوَفَاءَ بِعَهْدِهِ وتَغَيَّرَا

يَسْعَى لِتَحْرِيرِ الشُّعوبِ مُضَحِّيًا … ويَسِيْرُ فِى رَكْبِ السَّلامِ مُبَشِّرَا

لَمْ يُغضِ هُوْنًا أَوْ يُطَأطِئْ هَامَةً … إلا لِمَنْ بَرَأَ العِبادَ وصَوَّرَا

مُستهديًا بالدِّينِ فِى خُطُواتِه … ومَنْ اهْتَدَى بالدِّينِ لَنْ يَتَعَثَّرَا

الأزهرُ المعمورُ فى أيَّامِهِ … نَسِى الْمُعِزَّ الفَاطِمِىَّ وجَوْهَرَا

٢ـ والاهُ إصْلاحًا وجَدَّدَ عَزْمَهُ … حَتى اسْتَجَابَ لِعَصْرِه وتَطَوَّرَا

ردَّ الشَّبابَ لَه فأنْجَبَ بَعْدَما … أفْنَى اللَّيالى عُقْمُهُ والأعْصُرَا

للهِ جَامِعَةٌ نَمَاهَا مُنْجِبٌ … كَرُمَتْ بِهِ أصْلًا وطَابَتْ عُنْصُرَا

وَسِعَتْ عُلُومَ الدِّينِ والدُّنْيا مَعًا … حَتَّى اسْتَحَقَّتْ أنْ تَتِيهَ وتَفْخَرَا

---

(١) في نسخة ١٩٨٤م غيرها إلى "هذا الزعيم".

لمْ تَـنْسَ يـا آلَ الـصَّبَاحِ لكُـمْ يَـدًا ... غَــرَّاءَ سَــابِغَةَ النَّــدَى لَــنْ تُنْكَـرَا

٤٤ ـ سَـبقَتْ عَـوارِفُكُم بهـا فتَـضَوَّعَتْ ... مِـسْكًا وفَاحَــتْ فى الكنَانَــةِ عَنْـبرَا

بَعـضُ الوفـاءِ لَهـا وأيْـسَرُ حَقِّهـا ... أنْ نَـذْكُرَ الفَـضلَ الجَميـلَ ونَـشْكُرَا

يا سَالمَ الغَـدَواتِ ميمـونَ السُّرى ... سلمتْ خطاكَ وطابَ وِرْدُكَ مَصْدَرَا

إنَّ العروبــةَ لمْ تَجِـدْ مِــنْ بَيــنِكم ... إلَّا الــــسَّخِيَّ الأرْيَحِــيَّ الخَــيِّرَا

سِرْ بــينَ أهْلِيهــا رَسُــولَ مَحَبَّــةٍ ... واحْمِلْ بها غُصْنَ السَّلامِ الأخْضَرَا

٤٥ ـ أدْمَـى الجِـرَاحِ إذا أسَـاهُ مــاهِرٌ ... فـالجُرْحُ لا يُعيِـى الطَّبيـبَ الأمْهَـرَا

والـصَّدْعُ إنْ رَامَ الـصَّناعُ لِكَـسْرِه ... جَــبْرًا خَليــقٌ أنْ يَــصِحَّ ويُجْــبَرَا

واحْمِلْ لـشَعْبِكَ فِى الكُويتِ تَحِيَّةً ... مِنَّـــا وبَلِّغْــــهُ الثَّنَـــاءَ مُعْطَّـــرَا

٤٦ ـ وإذا ذكـرت الأوفيـاء وعهـدهم ... فـاذكر عـلى عهـد الوفـاء الأزهـرا

* * *

٣١ - مفتى لبنان

أُلْقيتْ فى احتفالِ جامعةِ الأزهرِ بتكريمِ سماحةِ حسن خالد مُفْتى لُبنان، والوفد المرافق له من كبارِ رجالِ الدينِ فى لبنان وذلك فى يوم الجمعة الموافق ١٠ من مارس سنة ١٩٦٧م.

أعْـــلامَ لُبنـــانَ حَيَّـــا اللهُ لُبْنانَـــا ... وبَـــاركَ اللهُ مَـــسْعَاهَا ومَـــسْعَانَا
طَافَــتْ بِنَـا نَفَحَـاتٌ مِـنْ خَمائِلِهَـا ... مِـسْكِيَّةٌ رَنَّحَـتْ أعْطَـافَ دُنيانَـا
للهِ لُبنـــانَ مازِلنـــا ومَـــا بَرِحَـــتْ ... والحُـبُّ يَجْمَعُنـا رُوحًـا وأبْـدَانَا
كَـمْ مِـنْ نَـسيمٍ سَرَى بِتْنَـا نُحَمِّلُـهُ ... شَـوْقًا إليهـا وأوْدَعْنـاهُ نَجْوانَـا
حَتَــى اجْتَلَيْنـا مُحَيَّاهَـا بِطَلْعَـتِكُم ... أغَـــرَّ مُؤْتَلَقًـــا نُـــورًا وإيْمانَـــا
عَـصْماءَ طَـودٍ أشَـمِّ الهـامِ كَلَّلَهـا ... بـالزَّهْرِ تَاجًـا عَميمَ الوَشْيِ فَتَّانَـا
زُفَّـتْ إلى مِصْرَ أَقْـمارُ الهُدى نُجُبـا ... فـأشْرَقَ الأُفْـقُ بـالأقْمارِ وازْدَانَـا
وجَنَّـــةُ الـشَّرْقِ جَادَتنـا بِخَالِـدِها ... وأطلعت من روابى الخُلْدِ رضوانا

* * *

يا شيخَ لُبنانَ حَيَّتْ مِصْرُ مَقْدِمَكُم ... وأكْـبَرَتْ فِيـكَ للإسْـلامِ عُنْوانَـا
حَلَلْـتَ والـصَّحْبَ فِيهـا بَـينَ أفْئِـدَةٍ ... تَحْنُـو عَلَيكُم أحَاسِيسًا ووُجْـدَانا
رَفَّـتْ عَلى المَوْكِـبِ المَيْمُـونِ وانْتَشَرَتْ ... عَـــلى خُطـــاهُ أزَاهِـــيرًا ورَيْحَانَـــا

وســـابَقَتْها لِلُقْيـــاكُم نَواظِرُنـــا   لِو اسْتَطَعْنا فَرَشْنَا الأَرْضَ أجْفَانَا
وهَلَّــلَ الأزْهــرُ المَعْمــورُ جَامِعَــةً   وجَامِعًا واحْتَفَى نَشْوىً ونَشْوانَا
شُيوخُ دينِ الهُدى فى ساحَهِ اجْتَمَعُوا   تَضُمُّهُم دَعْوَةُ الإسْلامِ إخْوانَا
مِنـارَةٌ كَـمْ هَـدَتْ بِالـدِّينِ مُقْتَبِسًا   وكَـوْثرٌ كَـم رَوَى بِـالحَقِّ ظَمْآنـا
وكَعْبَــةٌ لَمْ تَـضِقْ سَــاحَاتُها أبَــدًا   بالوافِـدِينَ زَرَافَــاتٍ ووُحْــدَانَا
حَلْقاتُهــا تَعْــرِفُ المُفْتِــى وتَــذْكُرُهُ   وتَــسْتَعِيدُ صِـبَاها بِيْنَنَــا الآنَــا
حَنَّتْ إلى القَسِماتِ الغُرِّ فانْفَرَجَتْ   لَــهُ تُحَيِّيـــهِ تَقــديرا وعِرْفانَـــا
وكَــبَّرَتْ للرِّفَـــاقِ الــصِّيدِ قِبْلَتُـــهُ   واهْتَـزَّ مِنْـبَرُهُ القُدْسِـىُّ جَـذْلانَا
مـازَالَ يُعْـلِى صُروحَ الـدِّينِ شَـامِخَةً   حَتى اسْتطالَ على الأفْلاكِ بُنْيانَا
فَقُــلْ لِمَــنْ يَدَّعِيــهِ اليــومَ مُرْتَــدِيًا   شِـــعَارَه هَاتِفًـــا زُوْرا وبُهْتَانـــا
مَنْ ارتَدَى الزَّيفَ ثَوْبا بَاتَ مُفْتَضَحًا   فَليسَ يَسْتُرُ ثُوْبُ الزَّيفِ عُريَانَا
إمَامَ لُبْنـانَ عُـذْرًا إنْ جَـرَى قَلَمِـى   بِـــما يُثِـــير تَبَارِيحًـــا وأشْـــجَانا
إنِــى أصَـــوِّرُ إحْـــسَاسًا وعَاطِفَـــةً   مَنْ ذا يَرَى الشِّعْرَ ألْفاظًا وأوْزَانَا؟
جَهْدُ المُقِـلِّ فَحدُّ السيفِ أبْلَـغُ مِـنْ   شَــبَا اليَراعِــةِ إقْناعَــا وبُرْهَانــا
لـو كـانَ قَـولِىَ نِفْطًـا كُنْـتُ أُشْـعِلُهُ   عَـلَى العِـدَا وعَـلَى صُـهْيونَ نِيرانَـا

مَاجئـتَ مِـنْ وَطـنٍ إلا إلى وَطَـنٍ   لاقيـتَ فى ظِلِّـهِ أهْـلًا وخِلَّانـا
ونَحْـنُ فى مِـصْرَ أو لُبْنَـانَ وَافِـدُنا   مَا غَـابَ عـن أهْلِـهِ يَوْمًا ولا بَانَا
إنَّ العُروبَـةَ شَـعْبٌ واحِـدٌ أبـدًا   مَنْ قَسَّمَ العُرْبَ أقْطَارًا وأوْطَانا؟!
وأمَّـةُ الـدِّين بالإسـلامِ واحِـدةٌ   مَهْمَا بَدا مِنْ خِلافِ الرَّأْى أحْيانَا
شَـعبُ العُرُوبَـةِ والإسـلامِ آفَتُـهُ   مَـنْ كـانَ مستأثِرًا أو كـانَ خَوَّانَـا
غَـزَتْ صُرُوفُ الليالِى سَاحَهُ حِقَبًا   حَتَّى شَكَا بَعْدَ عِزِّ النَّصرِ خِذْلانَا
وكـانَ سُـلْطَانُه الغَـلَّابُ عَاصِـفَةً   تَـدُكُّ قَيْـصَرَ أو تحتـاجَ شِرْوَانَـا
مَنْ غَيرُكم يا شُيوخَ الدِّينِ يَحْملُها   أمَانَـةً تُرْجِـعُ المَـاضِى كَـما كانـا
إنَّ الجِـراحَ إذا عَالجْتَهـا انْـدَمَلَتْ   وكُـلُّ صَـعْبٍ إذا حَاوَلْتَـهُ هَانـا
ضُمُّوا الصُّفُوفَ عَلى التَّوْحِيدِ واجْتَمِعُوا   وجَـدِّدُوا مَجْـدَهُ بَأْسًـا وسُـلطَانَا
ورَدِّدُوا دَعْـوةً فِى مِـصْرَ أطْلَقَهـا   مَـنْ فَجَّـرَ الثـورَةَ العَصْماءَ بُرْكَانـا
فَلْـيعلَمِ الغَـرْبُ أنَّـا أمَّـةٌ نَهَـضَتْ   لتَـنْفِضَ الـذُّلَّ أغْـلالًا وأكْفَانَـا
تَـسِيرُ فى مَـدِّهَا الثَّـوْرِىِّ عَاصِـفَةً   غَـضْبى وتَزْحَـفُ بـالثُّوارِ طُوفَانَـا
يـا شيخَ لُبنـانَ قَـدْ شَرَّفْـتَ جَامِعَـةً   والبِشْرُ فَـاضَ بِهـا سَـاحًا وأرْكَانَـا
سَلِمْتَ والصَّحْبَ فِى حِلٍّ ومُرْتَحَلٍ   ودُمْـتَ يَـا خَالِـدًا للـدينِ مِعْوانَـا

٤٢ ـ ولا تَـزَلْ رايـةُ الإسـلامِ خَافِقـةً تَعْلـو وتَعْلـو عَـلى آفَـاقِ لُبْنانَـا

٣٢ - مبايعة البطل

فى المؤتمر الكبير الذى أقامه الأزهر وجامعته (لتجديد البيعة للرئيس جمال عبد الناصر)(١) فى مارس ١٩٦٥م.

يا خَالـدَ الـذِّكرِ يُفْنِى الـدَّهْرَ والحِقَبـا   أعيـت بطولتـك الأشـعار والخُطبـا
غَنَّـى بِمجـدِكَ شَـعْبٌ أنْـتَ مُنْقِـذُهُ   مِنْ غَاشِمٍ عَاثَ أو مِنْ فَاتكٍ سَلَبَا
ودَولـةٌ مِـن قُيـودِ الـذُّلِّ قَـدْ نَهَضَـتْ   علـى يـديْكَ تُبـارِى الـنَّجْمَ والشُّهُبا
طَرَقْتهـا سَـارِيا والليـلُ مُعتكِـرٌ   أمْـسى حِماهـا بـه للفَتْـكِ مُنْتَهَبَـا
تَعْـدو الـذِّئابُ علـى قُطْعانِـه شَرَهًـا   فَمَـنْ يَفُـزْ بِقَطِيـعٍ مُفْـرَدٍ وَثَبَـا
والظُّلْـمُ قَـدْ مَـدَّ فِى الآفـاقِ أرْوِقَـةً   تَـرى المَفاسِـدَ والفَـوضَى لها طُنُبَـا
والحُكْـمُ فى يَـدِ أذْنـابٍ لِمُغْتَـصِبٍ   مَـا أنْ يُحَكِّـمُ إلا الخَـادِمَ الـذَّنَبَا
والأرْضُ والمَـالُ للإقْطَـاعِ مُتخَمَـةٌ   والـشَّعْبُ جَوْعَـانُ يَشْكُوالفَقْرَ والسَّغَبَا
فَلَوَّحَـتْ يَـدُك البيـضاءُ فِى غَـسقٍ   فَمَزَّقَـتْ كَبِـدَ الظَّلْـمَاءِ والحُجُبَـا
وكُنْـتَ فَجْـرُ الحَيَـارَى فى مَفَـازَتِهم   وكُنـتَ صُبْحًا مِـنْ الآمَـالِ مُرْتَقبَـا
بَـدَّلْتَ خَوْفَهُمُـو أَمْنًـا ، وذُلَّهُمُـو   عِـزًّا، ويَأْسَـهُمو مِـنْ نَجْـدَةٍ رَغَبَـا
ورُحْتَ تُنْصِفُ أهْلَ الفَقْرِ مِنْ نَفَـرٍ   بَغَوا ، قَدِ أحْتكَروا الأمْوالَ والنَّشَبَا

(١) حذف الجملة بين القوسين وحذف البيت ١٤ في نسخة ١٩٩٣م .

فى ثَـوْرةٍ حَطَّـمَ الإقْطـاعَ جَحْفَلُهـا وزَلْزَلَـتْ صَرْحَ الاسْـتِعمارِ فَانْقَلَبـا

* * *

"جَمالُ" يارائِدَ الأحْـرارِ ، أىُّ فَتًى سِواكَ ، أعْيا المَعـالى والمُنى طَلَبا؟

فى كُـلِّ يـومٍ تُرِينـا سِـحْرَ مُعْجِـزَةٍ عِمْلاقَـةٍ تَتَحَـدَّى الـشَّكَ والرِّيَبَـا

تلكَ القناةُ ،وقـد عـادَتْ لِمَنْ فَقَدوا مِـن الـضَّحايَا بِهـا جَدًّا لَهُم وأَبـا

نَزَعْتَهـا مِـن فَـمِ الأفْعَـى مُؤَمَّمَـةً بِلَطْمَـةٍ أوْرَثَتْهـا الغَـيْظَ والحَرَبـا

وحَرَّكَـتْ ذَيلَهـا للغَـدْرِ فانْكَفَـأتْ فى "بُورْسَعيدٍ" ووَلَّى جَيْشُهَا هَرَبـا

والـسَّدُّ ، قَـدْ رَفَعَـتْ يُمْنـاكَ شَـامِخَهُ رَمزًا تَحَدَّى أراجِيـفَ العِدا وأَبَى

لويـتَ فيـهِ عِنـانَ النيـلِ فانْتَظمَـتْ خُطـاهُ بَعـد جَمْـحٍ ضَلَّ واضْـطَرَبا

وصَـارَ للخَيرِ يَجْرى والرَّخـاءِ وكـم أضَاعَ فى البَحْـرِ مِـنْ أمْواهِـهِ سَرَبَـا

* * *

يا رافعا مِشْعَلَ الأخْلاقِ فى بَلَدٍ مَا كَـانَ يَعْهـدُ إلا الزَّيـفَ والكَـذِبَاْ

ومُوقِظًـا أُمَّـةً مِـن بَعْـدِ رَقْـدَتِها بِعَزْمَـةٍ تَـصْدَعُ الأَحْداثَ والنُّوَبـا

حَتَّى غَدَتْ قِبْلَةَ الأحْـرارِ،مِشْعَلُها لكُـلِّ شَـعْبٍ يُـضِىءُ النَّهْجَ والشُّعَبَا

وأصْـبحتْ فى فَـمِ الأيـامِ أغنيـةً تَهتَـزُّ أسْـماعُ دُنيانـا بِهـا طَرَبـا

لَمَّـا رَأَتْ فيـكَ سَـبَّاقا لنَهْـضَتِها ... وأبْـصَرَتْكَ عَـلى آمَالِهـا حَـدِبَا
أَلقَـتْ إليـكَ زِمـامَ الحُكْـمِ راغِبَـةً ... ولَمْ تُبايِعْـكَ إرْغَامًـا ولا رَهَبـا
وهَبْتَهـا عُمْـرَكَ الغَـالى ، فَبَيْعَتُهـا ... بَعضُ الوفاءِ لِمَنْ وَفَّى وَمَنْ وَهَبَا
وأجْمَعَ الشَّعْبُ فِيكَ الرَّأْىَ عَنْ ثِقَةٍ ... كُبْرَى لِتَحِمَى ما أمْضَى ومَا كَسَبَا
والأزْهَـرُ الحُـرُّ يَـسْعَى فى طَلِيْعَتِـه ... رَكْبًا من النُّورِ قَادَ المَوْكِبَ اللَّجَبَا
مِـنْ بَيْعَـةِ الله رَبِّ العَـرْشِ بَيْعَتُـهُ ... قَـدْ اصْـطَفَاك لهـا بـالحقِّ وانْتَخبـا
رفعـتَ فـوقَ سـماءِ الـشرقِ رايتَـهُ ... حتى انتمى لعلاء الشمس وانتسبا
وزدتَ أعْيادَنَـا –يـا سِرَّ بَهْجَتِهـا– ... عِيـدًا تُكَـرِّمُ فيـهِ العلـمَ والأدَبـا
والعلـمُ أقْـوى سِـلاحٍ إنْ حَفِلْـتَ بـه ... رَأَيْـتَ فِى النَّصْرِ مِـنْ آيَاتِـه عَجَبـا
افْـتَحْ بِـهِ حُجُـبَ الآفَـاقِ مُقْـتَحِمًا ... فَـضَاءَها ، واتَّخِـذْهُ للعُـلَا سَـبَبَا
وارْفَعْ عَلى الـدِّينِ مـا تَبْنِـى فَشِرْعَتُهُ ... حَكِيْمَـةٌ تَـسَعُ الأزْمـانَ والحِقَبـا
مَـنْ صَدَّ عـن هَـدِيها ضَاقَتْ مَذاهِبُهُ ... ومَـنْ تَنكَّبَهـا لم يَـأْمَنِ العَطَبـا
دَوَاءُ كُـلِّ عَـصِىِّ الـسُّقْمِ بَلْـسَمُها ... فَاحْسِم بـه الـدَّاءَ ، واسْتَدْفِعْ بِـه الكُرَبَـا
ولا تُـصِغْ لهُـرَاءِ المُـرجِفِينَ بِهـا ... مِنْ كُلِّ مَنْ تَخِذُوا مِنْ جِدِّهَا لَعِبَا
تَمَـرَّدوا بِاسْـمِ رُوحِ العَـصْرِ واحْتكمـوا ... إلى خِـداعٍ جَديـدٍ بَرْقُـهُ خَلَبـا

رَمـزَ العُروبَـةِ فِى أسْـمَى مَطَامحهـا ... وسيفَها العضْبَ لا يَنْبو إذا ضَرَبا

ألقـتْ إليـكَ بآمـا لٍ لهـا عَظُمَـتْ ... أعْظِـمْ بمـنْ كـانَ للآمـالِ مُنتـدَبا

هَتَفْـتَ بالوحـدةِ الكُـبرى ، فَرايَتُها ... عَـمَّا قَرِيـبٍ تُظِـلُّ الـشَّرْقَ والعَرَبَـا

وصِـحْتَ فى كـلِّ شَـعبٍ نـائمٍ فَـصَحَا ... ليـستردَّ بِكـم مـا كـانَ مُغْتَـصَبا

أعِـدْ لأرْضِ فَلـسطينٍ عُروبَتَهـا ... فكم غَضِبْتَ لَها ، والحُرُّ مَنْ غَضِبَا

واجْمَعْ عَلى الزَّحْفِ جَيشَ العُرْبِ مُتَّحِدًا ... وارْدُدْ لأبْنَائِهـا الأحْـرَارِ مـا سُـلِبا

واضْربْ عِصابَةَ صُـهْيونٍ وصَـولَتَها ... وأشْعِلَ النَّارَ واجْعلْهُـم لَهَـا حَطَبـا

غَـدًا يَـرَوْنَ ، مـن المحمـودُ عَاقِبـةً ... مَن يَعبُدُ اللهَ ، أم مَنْ يَعبُدُ الذَّهَبَا؟

لازِلـتَ للـشرقِ فى أمْجـادِهِ بَطَـلًا ... وللعُرُوبَـةِ مِـنْ آمَالِهـا الأَرَبـا

* * *

حنين مغترب (*)

وَطَنى يا أعَزَّ ما فى الوُجودِ ... أنتَ فى مَسمعِ الزَّمانِ نَشيدى

أَبَدًا أنتَ ماثلٌ فى خَيالِى ... حاضِرٌ فى فُؤادِيَ المَعْمُودِ

أتَمَلَّاكَ شادِيًا مِنْ قَرِيبٍ ... وأُناجِيكَ نائِحًا مِنْ بَعيدِ

كُلَّما هَبَّ مِنْ حِماكَ نَسيمٌ ... هاجَ شَوْقى إلى حِماكَ السَّعيدِ

أوْ بَدا فى الآفاقِ سانِحُ بَرْقٍ ... عاوَدَ القلبَ خَفْقُهُ مِنْ جَديدِ

أوشَدا باسْمِكَ المُحَبَّبِ شادٍ ... خَفَّ رُوحى لِذَلكَ الغِرِّيدِ

كُلُّ شىءٍ حَولى قَصِيدةُ شَوْقٍ ... وأنا فى الحَنينِ بَيْتُ القَصِيدِ

وكأنَّ النَّسيمَ أنْفاسُ أحْبابى ... إذا ما احْتَوى أرِيجَ الوُرُودِ

والهُتُوفُ الصَّدَّاحُ ساجَلَ نَجْواىَ وَحِيدًا يَشْكُو النَّوَى لِوَحِيدِ

غُرْبَةٌ عَلَّمَتْ مَحاجِرِيَ الدَّمْعَ وكانَتْ مِنْ قَبْلِها فى جُمُودِ

* * *

وَطَنى يا أعَزَّ ما فى الوُجودِ ... أنتَ فى مَسمعِ الزَّمانِ نَشيدى

[illegible] ... [illegible] الأخطارِ [illegible]

[illegible]

مَجْــدُكَ العَبقــرِيُّ يــا وَطنــى الخَالِــدَ أسْــمَى رَجــائِىَ المَنــشودِ

هَا هُنا مِنْ مَباهِجِ الحُسنِ دُنْيا　　وَفُتُــونٌ مِــنْ طَــارِفٍ وتَلِيــدِ

١٥- أجْتَلِيهــا فَــما تُهدْهِــد أشــواقى　　لِــذِكرى مَلاعِبــى وعُهُــودى

أيُّ حُسْنٍ حيالَ حُسْنِكَ يَسْبِى　　وهْـوَ دُنيـا مِـنَ الجَمالِ الفريـدِ؟

أتَغَنَّــى بِــهِ فَخَــارا وأشْــدُو　　بِمغَانِيــهِ فى سَــماءِ الخُلُــودِ

أيْــنَ مِنِّــى دِيــارُ أهْــلِى وأحْبَــابِى ومَغْنَــى عَــشِيرَتِى وجُــدُودِى؟

ومَجَــالِي الــشَّباب بــينَ لَيــالٍ　　بَاسِــماتِ المُنَــى وعَــيْشٍ رَغِيــدِ

* * *

٢٠- وطَنـى يـا أعَـزَّ مـا فِى الوُجـودِ　　أنْـتَ فِى مَسْمعِ الزَّمـانِ نَـشيدى

طَالَ شَوقِى وطَال عَنْكَ اغْتَرابِى　　وحَنينِــى لِــوِرْدِكَ المَــوْرُوْدِ

فَمتــى أُسْــعِدُ العُيــونَ بَمَــرْآكَ وأشْــدُو بِظِلِّــكَ المَمْــدودِ

٢٣- يَـوْمَ عَـوْدِى إليـكَ أيَّـةُ بُـشرى　　لِفُـؤادِى الغَريـبِ بَـلْ أىُّ عِيـدِ

* * *

٣٤- عيدُ النَصرِ

لَـكِ فى تاريخِنا يَا بُورْسَعِيدْ ... قِصَّةُ المَجْدِ الذِى هَزَّ الوُجودْ
فى سِجِلِّ الخُلْدِ مِن آياتِها ... صَفَحاتٌ عَامِراتٌ بِالخُلودْ
سَطرتْ أحْرُفَها مُشْرِقَةً ... بِدَمِ الأحْرارِ مِنْ كُلِّ شَهِيدْ
كُلُّ قَلْبٍ أنْتِ فِيه خَفْقَةٌ ... وعَلى كُلِّ فَمٍ أنْتَ نَشِيدْ
مِصْرُ تَفدِيكِ وقَدْ كُنْتِ الفِدَا ... لِبَنِى مِصْرَ من البَأْسِ الشَّدِيدْ
لَكَ يَومَ الرَّوْعِ فيها وقْفَةٌ ... نَهَضَ الكَهْلُ إليها والوَلِيدْ
وصُمُودٌ شَدَتْ الدُّنْيا بِه ... وكِفَاحٌ حَقَّقَ النَّصْرَ المَجيدْ

* * *

لَيسَ تنسى مصرُ جِيلًا بَعْدَ جِيلْ ... مَوْقِفَ الأحْرارِ فى أرْضِ الجَمِيلْ
مَا بَكَتْ ثَكْلَى عَلى مَنْ فَقَدتْ ... أوْ شَكَا مِنْ أَلَمِ الجُرْحِ عَلِيلْ
أوْ تَهَاوَى مِن هَوى بُنْيانِه ... بِيَدِ الغَدْرِ وعُدْوانِ الدَّخِيلْ
نَهَضَ الكُل عَلي أشْلائِهم ... وعلى الأنْقَاضِ يَشْفُون الغَلِيلْ
وكَأنَّ القَصْفَ فى أسْماعِهِمْ ... مِنْ مُعِدَّاتِ العِدَا لَحْنٌ جَميلْ
وَقْفَةٌ للموتِ أخْزَتْ بَأسَهُم ... وغَدا الأعْداءُ مِنها فِى ذُهولْ

فَمَضوا مِن خِزْيِهِم وانْسَحَبوا ... يُسْرِعُونَ الخَطْوَ فِى ذُلِّ الرَّحِيلْ

* * *

١٥ـ فَسَلامٌ لَكِ يا أرضَ السَّلامْ ... والتَّحَايا لِضَحاياكِ الكِرامْ

قَدْ ضَرَبْتِ المَثَلَ العَالىَ فِى ... قُوةِ الصَّبرِ عَلَى هَوْلِ الصِّدَامْ

وسَحَقْتِ الظُّلْمَ فِى عُدْوَانِهِ ... وصَنَعْتِ النُّورَ فانْجابَ الظَّلامْ

فالسَّلامُ اليومَ دَوَّى صَوْتُهُ ... وتَلاشَى صَوتُ تُجَّارِ الحِمَامْ

انْهَضِى للمَجْدِ يارَمْزَ الفِدَا ... وابْتَنِى ما هَدَّهُ بَغْىُ الطَّغَامْ

وابْسَمِى ياثَغْرَ مِصْرٍ واسكُبِى ... أغْنِياتِ النَّصرِ فى سَمعِ الأنَامْ

قَلْعَةَ الأحْرَارِ عِيْشِى حُرَّةً ... وامْلأى الدُّنيا بألحانِ السَّلامْ

* * *

عيد الحرية(*)

يَـومٌ مِـن المَجْـدِ شَـاقَتْنَا بَـواكِرُه ... وهَـزَّتْ الـشَّرْقَ والـدُّنْيا بَـشَائِرُهُ

لَاحَ الـصَّباحُ بِـهِ جَـذْلانَ مُبتَـسِمًا ... يُشَعْشِعُ النُّـورَ فِى الآفَـاقِ سَـافِرُهُ

ضَـجَّتْ لَـه جَنَبَـاتُ النِّيـلِ هَاتِفَـةً ... وصَـفَّقَتْ فَـوقَ شَـطَّيْهِ أزَاهِـرُهُ

والشَّعْبُ أَضْناهُ ذُلُّ الصَّمْتِ فانْفَجَرَتْ ... نَشْوَى تُجَلْجِلُ بالبُشْرَى حَنَاجِرُه

شَقَّتْ بِها حُجُبَ الآفَـاقِ صَادِعَةً ... بـالحَقِّ واللهُ فى عَلْيـاهُ نَـاصِرُهُ

ثَـارَتْ عَـلى ظُلْمِـه العَـاتى فوَارِسُـه ... وحَطَّمَـتْ قَيـدَهُ الُمضْنِى قَسَاوِرُهُ

لَيـلُ المَظَـالِمِ والطُّغْيـانِ قَـدْ نَفَـرَتْ ... غِرْبَانُـه الـسُّودُ وانْجَابَـتْ دَيـاجِرُهُ

وَلَّـتْ خَفَافِيـشُهُ عُـشْوًا يُـشَتِّتُها ... صُـبْحٌ تَـشِعُّ عَـلى الـدنيا مَنَـائِرُهُ

واسْتَعْلَنَ النُّورُ فارْتَدَّ الدُّجَى خَجِلًا ... يَـئِنُّ مِـنْ لَطَـماتِ الخِـزْيِ عَـاكِرُهُ

قُلْ للمُـذِلِّ بـسيفِ الظُّلْـمِ : فارِسُـنا ... فى كَفِّـه سَـمْهَرِىُّ الحَـقِّ بَـاتِرُهُ

لَيْـثُ الكِنَانَـةِ لَمَّـا صَـاحَ فَزَّعَـهُ ... زَئِـيرُهُ الحُـرُّ فَارْتَاعَـتْ خَـوَاطِرُهُ

(*) حذف الأبيات (٣، ٤، ٩، ١٠، ١٥، ١٦، ١٧، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦) وهى الأبيات التى تشير إلى الملك فاروق ثم أخر البيتين (١٣، ١٤) ليختم بها القصيدة وعدل البيت ١٢ من: وعلم إلى (قل [illegible]) [illegible]

وعَلَّـمَ الـسَّادِرَ المَغْـرورَ أنَّ لـه   يَومـا يُطيحُ بِـه فى الحَـظِّ عَـاثِرُهُ
مَـنْ لَمْ يَنـلْ حَقَّـهُ بـاللِّينِ أسْـعَفَهُ   بَـأْسٌ تَثُـورُ عَـلى الـدُّنْيا ثَـوائِرُهُ
والنَّـصْرُ للْحَـقِّ والعُقْبـى لِصَاحِبه   مَهْمَا عَلا الظُّلْم واشْتَطَّتْ عَشَائِرُهُ
لَبيـكَ يـا بَطَـلَ الـوَادِى ومُنْقِـذَهُ   وأنْـتَ مُهْجَتَـهُ الحَـرَّى ونَـاظِرُهُ
عـلى هُـداكَ قَداسـتهدتْ مَناهِجُـهُ   وفى يَمينَـك قَـد قَـرَّتْ مَـصَائِرُهُ
مَـا ضَـلَّ فى الليـلِ سَـارٍ أنْـتَ رَائِدُه   ولَمْ يَـضِعْ قَـطُّ حَـقٌّ أنْـتَ ذَاكِـرُهُ
صَرَخْتَ فى جَنباتِ الظُّلْمِ فَانْصَدَعَتْ   وزُلْزِلَـتْ فِى مَهاوِيهَـا قَيـاصِرُهُ
آبُـوا خَزَايَـا بِيـومِ الفَـصْلِ وانْكَفَـأوا   فى هـوَّة البَغْـيِ لمـا انفـضَّ سَـامِرُهُ
لا كَـانَ عَهْـدٌ لَهُـمْ سَـامُوا الـبِلادَ بِـهِ   خَسْفًا ودَارَتْ عَلَى الوَادِى دَوائِرُهُ
اليـومَ راحُـوا ليَـسْقى بَعْـضُهم نَـدَمًا   بَعْـضًا وبَـاءُوا بِشُؤْمٍ طَـارَ طَـائِرُهُ
لا يَخْـدَعَنَّكَ سـاعٍ فى مُخَالَفَـةٍ   فَكُلهـم خَـائِسٌ بِالعَهْـدِ غَـادِرُهُ
يَـسْتَأسِدُونَ عَـلَى الـوَادِى إذا أمِنُـوا   وَهُـمْ إذَا رَاعَهُـمْ بَـأْسٌ جَـآذِرُهُ
يَهْنيـكَ نَـصرٌ مُبِـينٌ أنْـتَ فَارِسُـه   وأنْـتَ يـومَ الجِهـادِ الحـقِّ ظَـافِرُهُ
عِيـدٌ لِحُرِّيَـةِ الـوادِى يُطالِعُنَـا   ومَوْعِـدٌ للمُنـى عَـزَّتْ نَظَـائِرُهُ
فِى ظِـلِّ فَارُوقِـهِ سَـبَّاقِ نَهْـضَتِهِ   ومَـنْ عـلى تَاجِـه تَحيـا مَفَاخِرُهُ

شعر الرثاء

٣٦ - ولدي

عليكَ يا ولدي الوحيدَ أسْكبُ هذه العبراتِ الشعريةَ الحزينةَ، رثاءً لكَ، وتَفَجُّعًا عليكَ، ولوعةً لمصابِكَ، وحَسرةً على شَبابِكَ..وفيكَ يا بني الحبيبَ أبكي بالقصيدِ المُعْول، والقَوافِي النَادِبَةِ: وجودي الذي فَرَغَ، ونُوري الذي انْطَفأ، ومَدَدِي الذي انْقطعَ، وظلّي الذي زالَ، وأملي الذي ضَاعَ، ورجائِي الذي خَابَ، وإذا كانتْ فجيعتي فيكَ أكبرَ من كل تَعبيرٍ، وأقْوى مِنْ كُلِّ تصويرٍ، فإنَّ هذهِ الأبياتَ على أي حالٍ نبراتٌ من شجونِ الخاطرِ الكاسفِ المكسورِ، وقطراتٌ من دماءِ القلبِ النازفِ المفطورِ، وزفراتٌ من لهيبِ الصدرِ الوالهِ المكروبِ، ولفحاتٌ مِن سعيرِ الضَّرمِ الوارِي في أعماقِ المشاعرِ والوجدانِ.

ودّعتُ فيك صفاءَ العيشِ يا ولدي   يا طولَ همّي وياحُزْني ويا كَمَدِي[1]
لم يبقَ بَعْدَكَ معنىً للحياةِ ولمْ   يعدْ بها أملٌ أحيا به لغدِ
من شاقهُ المالُ والجاهُ العريضُ فقد   عزفتُ عن جاهها أو مالها اللُّبَدِ[2]
وما انتفاعيَ بالدنيا وليس بها   مَنْ كان عِزّي وآمالي ومُرْتَغَدِي؟[3]
كم ادّخَرْتُكَ للأيام في كِبَري   لكنه القدرُ المحتومُ لم يُرِدِ

١) للشطر الأول من هذا البيت رواية أخرى " ودعتُ بعدك صفو العيشِ..."

٢) عزفتُ :أعرضتُ وكرهتُ – اللبد : الكثير.

٣) مرتغدي :رغدي وطيب عيشي .

واحسْرَتاهُ وكـمْ أمّلْـتُ فيـكَ جَنًّـى ... حتـى خلـتْ منـكَ بـالبينِ المُشِتِّ يَـدِي[1]

غَالَـتْ شَـبَابَكَ نَكْبَـاءُ المَنُـونِ فَلَـمْ ... تَـرْحَم فُـؤادي ولَم تُـشْفِق عَـلى كَبِـدِي[2]

يـا ويْحَهـا قـدّتِ الغـصنَ النـديَّ ولم ... ترفـقْ يـداها بغـصنٍ للـشباب نَـدِي

وحطَّمـتْ صرحَ آمـالٍ لنـا فهـوَى ... بعـد الـشموخِ كـأنْ لَم نـبنِ أو نـشِدِ

ليـتَ الحِـمام الـذي أردَاك عـاجَلني ... وفي جـوارِك يُمـسي في الثَّـرى جَـسَدَي[3]

أصْـبحتُ أهـواهُ كـي ألقـاكَ مرتقِبًـا ... لهفـانَ لهفـةَ مـشتاقٍ إليـه صَـدِي[4]

وكَيـفَ أحيـا بِـلا ظـلٍّ ولا عَـضُدٍ ... وكنـتَ ظـلِّيَ في الـدنيا ومُعتـضدي؟

وكيـف أسـلكُ دربًـا قـد فقـدتُ بـه ... رفيــقَ دربي ومِعــواني ومُعتمــدي؟

كنـتَ الرجـاءَ الـذي أحيـا لـه وبـهِ ... فحـين خـابَ رجـائي خـانني جلـدي[5]

وكنتُ أخْشى الرَّدَى حرصًـا عليكَ إذا ... مـا غـالني حِـرْصَ لقـمانٍ عـلى لُبَـدِ[6]

---

١) البينُ : الفراق – المشت : المشتت.

٢) نكباء المنون : ريح الموت العاصفة.

٣) الحمام : الموت ، أرداك : أهلكك – الثري : التراب.

٤) صدى : ظمآن.

٥) جلدي : صبري.

٦) لُبد : اسم نسر للقمان من قوم عاد ، كانت حياته مرتبطة بحياته – الردي: الهلاك ، غالني : اغتال حياتي.

يـا ليـتَ أنّي مـا جئـتُ الحيـاةَ فلـم ... أولـدْ ويـا ليتنـي إذْ جئـتُ لم ألِـدِ

مـا كنـتُ أحـسبُ أن البـينَ يفجعنـا ... وَهْنًـا عـلى غِـرَّةٍ في ليلـةِ الأحـدِ(١)

هــلاّ تمهلــتَ يومــا كــي تودّعَنــا ... فقــد رحلــتَ سريعًــا غــير متئــدِ(٢)

عَـدا عليـك الـردَى كـاللصِّ مُخْتَلِـسًا ... في هــدأة الليــلِ لم ينـذِرْ ولم يَعـدِ(٣)

وأنـتَ تُـصْغِي إلى صَـوتِ «المُسجِّلِ» في ... لحَـنِ الـودَاعِ بـسَمْعٍ جِـدِّ مُحتـشِدِ(٤)

تعيــدُ ترديــدَهُ لهفــانَ مُحتــضنًا ... إن ينتــهِ اللحــنُ تُبدِئْــهُ وتَــستَعِدِ

هـل كنـتَ بـالنغمِ البـاكي تُودِّعُنـا؟ ... وهـل بقربِ النوى أحسسْتَ يا ولـدِي؟(٥)

كُفّـي عـن الـدَّمعِ يـا عَيْنِي فَليسَ بـه ... جَدْوَى سِوى قُرْحةِ الأَجْفَانِ والرَّمدِ

أو فاسْــكُبيه فــمالي فيــه مــن أرَبٍ ... دفنـتُ نـورَكَ في جـوفِ الثرى الهَمِدِ(٦)

إذا جَـرى في غُـضونِ الخـدِّ لـذَّعني ... أُوَارُهُ بلظَــــىً كــــالجمرِ مُتَّقِــــدِ

---

١) وهْنًا : في منتصف الليل – غِرَّة : فجأة .

٢) غير متئد : متأني

٣) يعني دون إنذار.

٤) جـد محتـشد : مهـتم جـدا وقـد فاجـأه المـوت وهـو يحتـضن المـسجل ويـستمع بـشغف إلى الأغنيـة الحزينة:سافر من وداع .. ابقي افتكرني) ويعيد ترديدها إلى أن غلبته سكرات الموت.

٥) النوى : البعد.

٦) الثرى الهمد : التراب الذي لا حياة فيه ولا نبات والمراد القبر.

كمْ لائمٍ في الأسى الموصولِ قلتُ له: عُذْرًا لدائمِ دمعٍ فيه مُطّرِدِ
أبكيهِ حتى إذا لم يُجْدِنِي حَزَنِي بكيتُ من أجلِ أن الحُزنَ لم يُفِدِ
أقسمتُ ما عشتُ أبكِيه وأذكرُهُ مهما تظاهرتُ بالسُّلْوانِ والجلَدِ
وكيف أنساهُ والذِّكرى تلاحُقُنِي وليسَ قلبيَ بالجافِي ولا الجَحِدِ؟[١]
٣٠- "محمدٌ" يا أعَزَّ اسمٍ أردِّدُهُ كأنَّهُ اللحنُ في سمعي وفي خَلَدِي[٢]
يا قرَّةَ العينِ يا روحي ويا عُمُرِي ويا امتدادي ويا ذِكْرِي ويا مَدَدِي
ويا وحيدي ويا ذُخري ويا أمَلي مُصيبتي فيكَ لم تنزلْ على أَحَدِ
إذا استجرتُ مجيرَ الصبرِ فيكَ أَبَى وإن بحثتُ عن السِّلْوانِ لمْ أجِدِ
وكَيْفَ يُسْعِفُني صَبرٌ أَلُوذُ به ولَوْعَةُ الخَطْبِ فَوْقَ الصَّبْرِ والجَلَدِ؟
٣٥- لم أنسَ ساعةَ عانيتَ المنونَ وقد فاضتْ دموعُكَ حتى مزَّقَتْ كبدي
إذْ تستجيرُ بأنَّاتٍ مهدَّجةٍ على لِسانٍ عن الإفصاحِ مُنْعَقِدِ[٣]
تكابدُ الكَربَ مُلتاعًا لفُرقتنا والدمعُ ينهلُّ من عَينيك كالبَرَدِ[٤]
ورحتَ تهتف باسمي لوعةً وأسًى فكانَ آخرَ ما ردَّدْتَ للأبدِ

---

١) الجَحِد : بفتح فكسر : الجاحد .

٢) الخَلَد: البال و الفكر .

٣) مهدجة : متقطعة .

٤) البرد : حب الغمام والمطر .

بُنَـيَّ: لـو تُفْتَـدَى لم نـأْلُ تـضحيةً ... بالمـال مهـما غـلا والـروحِ والجـسدِ[1]

مـالي مـن الأمـر شيءٌ أسـتطيع بـه ... ردَّ الـبلاءِ ولا دفـعَ الـردى بيـدي

أعيا القضاءُ سباقَ الطبِّ فيك ومَنْ ... يُنْجِي الفريسةَ سَبقًا مِن فَمِ الأسدِ؟

إذا جـرى القـدرُ المَـاضي لغَايَتِـه ... لمْ يمنـعِ الطـبُّ مَقْـدُورًا ولم يَـذُدِ[2]

***

يـا غائبًـا لا يـؤوبُ الـدهرَ مـن سفَرٍ ... وأيُّ أوبٍ لنـائي المـوتِ مُبتعـدِ

ويـا غريبًـا ليـوم الحـشرِ غربتُـهُ ... أسـلمتَنا لعـذابٍ بـالنوى صَـعِدِ[3]

وارحمتَـا لـشقيقاتٍ يـندبْنَ أسًـى ... مـا كُـنَّ يعـرفنَ طعـمَ الهـمِّ والنكَـدِ

أفْنَـينَ فيـكَ دمْـعَ العـينِ مـن ولـهٍ ... حتـى نـزفنَ دمـاءَ القلـب والكبِـدِ[4]

ينـدبْنَ فيـك وَحيـدًا شِـمْنَهُ سَـنَدًا ... وقـد غـدونَ وحيـداتٍ بـلا سَـنَدِ[5]

ويـلي إذَا مـا التَقَيْنـا حَـوْلَ مَائِـدةٍ ... ونحـنُ بعـدكَ جمـعٌ نـاقصُ العـددِ !

أُخفـي أنينـيَ – لا يـسمعْنَهُ – بفمـي ... وأسـترُ الـدمعَ – لا يبـصرنَهُ – بيـدي

كنّـا إذا غبـتَ يومًـا لا نطيـقُ نَـوًى ... واليـومَ غيبتُـك الكـبرى إلى الأبـدِ

---

١) لم نأل : لم نقصر.

٢) لم يذد : لم يمنع ويدفع .

٣) عذاب صعد : شديد.

٤) الوله : الحزن والحيرة والتفجع .

٥) شمنه : توسمن فيه وتطلعن إلى أن يكون سندا لهن.

وكـم بَعُـدْتَ فلـم نـصبرْ إلى أمـدٍ   فكيـف نـصبرُ في بُعْـدٍ بـلا أمـدِ ؟!
بِتْنَـا نَـرَى في خُطُـوبِ النَّـاسِ مِحْنَتِنـا   حُزْنًـا على كُلِّ مُغْتالِ الشَّبابِ رَدِي(١)
نبكــي لكــلِّ وحيــدٍ غالــه قــدرٌ   وذاقَ ما ذقتَ من موتٍ لـه رَصَدِ(٢)
أهْــلُ المَـصَائِبِ في الـدنيا تُوَحِّـدُهم   أرحـامُ خطـبٍ عـلى الأحـزانِ متَّحِـدِ
وأتعـسُ النـاسِ أُمٌّ غِيـلَ واحـدها   ووالـدٌ رِيـعَ فجْعًـا في ابنـه الوَحِـدِ(٣)
لـولا البُنيَّاتُ طفتُ الأرضَ منتحِبًـا   أهــيمُ مــن بلــدٍ نــاءٍ إلى بلــدِ(٤)
يـا طـاهرَ القلـبِ لم تـضمر أذى أحـدٍ   ولا انطويـتَ عـلى حقـدٍ ولا حـسدِ
خرجـتَ مـن هـذهِ الـدُّنْيا بِـلا سَبَدٍ   يُغريـكَ مِـن ظِلِّهـا الفَـانِي ولا لبَـدِ(٥)
أيــن ابتـسامُكَ وضَّــاءً يـشعُّ سـنًى   عــلى محيــاكَ في لآلائــه الفَــرِدِ؟(٦)
وأيــن نــورُ جبــينٍ كــان مؤتلقًــا   توسَّـدَ الـتربَ في مُستوحشٍ جَرِدٍ؟(٧)
وأيــن عُــودُكَ ريّــانَ الـصبا نَـضرًا   عـدا عليـه الـرَّدى فانقـدَّ مـن أودٍ؟(٨)

---

١) ردي : هالك.

٢) موت رصد : معد ومهيأ له.

٣) غيل : اغتيل – ريع : روِّع وفزع – الوَحِد : الوحيد.

٤) ناء : بعيد.

٥) يقال لا يملك سبدا ولا لبدا يعني لا قليلا ولا كثيرا .

٦) لآلائه الفرد: إشراقه الفريد .

٧) جَرِد : مقفر موحش.توسَّد : نام على التراب في هذا المكان المقفر وهو القبر.

٨) البلي: الفناء – انقدَّ : انقطع- أود: اعوجاج – ريان : ناضر.

مـضيتَ كـالطيفِ لم يلبـثْ إلى أجـلٍ … وسرتَ كالـضيفِ لم يمكـث إلى أَمَـدِ
ورحــتَ كــالزهرِ في عُمـرٍ كأنــك لمْ … تكنْ وأصبحتَ ذكرى القلـبِ والخلدِ
لم أدرِ هلْ أنَـا في حُلْـمٍ؟ فقد عـصفتْ … فُجـاءةُ الخطـبِ بالألبـابِ والرشـدِ !
خلَّفْتَنـا لجَـوى الـذكرى وحُرْقَتِهـا … والبيتُ بعدَكَ أضحى واهـيَ العُمُـدِ
تلفّـه وحـشةُ الـصمتِ الكئيـب أسًـى … لمـا خـلا أيكُـهُ مـن صـوتكَ الغَـرِدِ
نــراكَ في كــل شيء مــاثلاً أبــدا … حتــى كأنــك فينــا غــيرُ مفتقَــدِ
في العيـدِ إذْ كنـتَ بـشراهُ وبهجتَـهُ … واليـوم أضـحى نـذيرَ الـشؤمِ والنَّكَـدِ
عِيــدُ الــشَّجِيِّنَ تجديــدٌ للــوعتهم … بالــذكريات.. فليــتَ العيــدَ لم يَعُــدِ
في الريـفِ تهـواه مـصطافًا ومنطلَقًـا … حُـرًّا وتهفـو لـسُمَّارٍ بِـهِ ونَــدِي(١)
تظـلُّ تحـصي الليـالي قبـل موعـده … شـوقًا .. وتمعنُ في الإحـصاء والعـددِ
فـيما ارتـديتَ مـن الأثـوابِ نفعمـهُ … لَثْمًا لِريحكَ فيهـا مِـن شَـذَى الجَسدِ(٢)
في مَكْتَبِ الدَّرْسِ إذْ أوْحَشْتَ مَقْعَدَهُ … والكتْـبُ قَـدْ فُجِعَـتْ في خَـيْرِ مُجْتهِـدِ
تــركتَهنّ ثكــالى مــا نطيــق لهــا … لمــسًّا تُولــولُ بالتــشتيتِ والبــدَدِ(٣)
وفي الـسَّريرِ الـذي فَارَقْـتَ مَـضْجَعَهُ … لَمـضْجعٍ في الثَّـرى المهْجُـورِ مُنفـردِ

---

١) تهفو : تشتاق .الندِي: النادي والسامر.

٢) اللثم : التقبيل – شذا الجسد : رائحته.

٣) البدد : التَّشَتُّتُ والتفرق.

فـيما يـشوقُ صـباكَ الغَـضَّ مـن نَغَـمٍ ... ومـا يروقُـكَ فيـه مـنْ دُمَـىً وَدَدِ[1]
في الزائـرينَ وكَـمْ أحببـتَ مَقـدِمَهمْ ... والوافــدِين إذا جَــاؤوا ولم تَفِــدِ
في المغتــدين إذا أَمُّــوا مدارسَــهم ... والــرائحينَ إذا عــادوا ولم تَعُــدِ
فــيما يلــذُّك ممــا كُنــتَ تَعْــشَقُه ... مــن الطَّعــامِ ومــن ألوانِــه الحُـشُدِ
اليــومَ نطعــمُ مــا أحببــتَ مؤتــدمًا ... بالدمع من بعد صفوِ العيشِ والرَّغـدِ
قــالوا: اصْــطَبِرْ لقَـضَاءِ الله مُحتَـسبًا ... وكفكف الـدمعَ مـن عينيكَ واقتصدِ
فَقُلْـتُ: مـا حِيلَتِـي فِي الـدَّمْعِ يَغْلِبُنِـي ... وفي فــؤادٍ بنــارِ الوجــدِ مُتَّقِــدِ؟
هَبْنَــا أفــدنا ثوابًــا فيــه أو عِوَضًــا ... مــا ذنبُـهُ يافعًــا أودى ولم يُفِــدِ ؟![2]
فقــدُ الأحبــةِ أقــسى مــا نكابــدهُ ... مـن الحيـاة فيـا ويـلي مـن الكبَـدِ![3]
وللفـــراقِ تبـــاريحٌ وأفدَحُـــــهُ ... نـوى حبيـبٍ بجـوف الأرض مُفتـأدِ[4]
ضاقتْ عليّ رحابُ الأرض وانشعبتْ ... إلى طرائـقَ شَـتَّى في الأسـى قِـدَدِ[5]
مـصيبةٌ لـو عـلى ثهـلانَ قـد وقعـتْ ... لبـاتَ مـن هولهـا يـشكو إلى أُحُـدِ[6]

---

١) الدمى : اللِّعب والتصاوير – الدد : اللَّعب واللهو.
٢) أودي : مات – لم يُفد : لم يستفد - يافعا : حديث السن.
٣) الكبد بفتح الباء : المشقة والعناء – التباريح : الشدائدُ.
٤) مفتأد : أصيب في فؤاده أي مات .
٥) طرائق قدد : متنوعة الحزن والأسى.
٦) ثهلان وأحد : جبلان.

صمّاءُ ليس بها للصبرِ نافذةٌ ... سوى رجاءٍ بلطفِ الله منعقدِ

أكَادُ أقْتُلُ نَفْسِي حِينَ أذْكُرُهُ ... لَولا يَقِينِي وإيماني ومُعْتَقَدِي

آمنتُ بالله والآجالِ قدّرَها ... إذا انتهى العمرُ لم ينقصْ ولم يزدِ

وكلُ حيٍّ لوردِ الموتِ مرتحِلٌ ... يسعى متى ما يصلْهُ رحلُهُ يَرِدِ

مما يعزّي فؤادي حين أودعُهُ ... بطنَ الثرى ثِقَتي في الواحِد الأحدِ

وأنّ مَنْ كَانَ في قَلبي وفي بَصَري ... جَارًا غدًا في جِوارِ الوَارثِ الصَّمَدِ

ياربِّ قدرْتَ فالطفْ وابتليتَ فكنْ ... عوني على حَمْليَ البلوى.. وكنْ عضُدِي

فيما قضيتَ علينا حكمةٌ خفيتْ ... على العقولِ وإنْ جلَّتْ عن الفَنَدِ[1]

لي عندك اليومَ في خَطبي ومحنتِه ... جَاهٌ عريضٌ..فكنْ جاهي ومُلْتَحَدِ[2]

إني فقدتُ رشادي في بُنيَّ ومَنْ ... سواكَ ياربِّ يهديني إلى الرشَدِ؟!

كلُّ المصائبِ في الدنيا لتعزيةٍ ... إلا المصيبةُ يا ربَّاهُ في الولدِ!

❊ ❊ ❊

---

١) الفند: الخطأ.

٢) الملتحد: الملجأ والملاذ.

٣٧- في مقبرة البساتين

نفسى فِدَاؤكِ ياأرضَ البساتينِ ... ففيكِ قبرٌ حَوى أندَى الرياحِينِ(١)
يا مُجْتلى العينِ فى أُفْقٍ يغيمُ أسًى ... بالدمْعِ والشَّجنِ المشبوبِ يُبكينى
ومَطمحَ النفسِ، دونَ الكون يجذِبُنى ... ودونَ كل مغانِى الأرضِ يُصْبينى
ويا مثابةَ روحى حِين يوحِشنى ... ليلُ الأسْى ودُجى البَلوى تُغَشِّينى
ومسرحَ الفِكْر فى صَحْوى وفى حُلُمى ... ومَفْزع القلبِ من هَمٍّ يُعنِّينِى
أصْبو إليكَ مَزارًا حِينَ يَعصفُ بى ... بَرحُ النَّوى ولظَى الأشواقِ يكْوِيْنِى
وأجْتليكَ فيزدادُ الغَليلُ لظًى ... والقُربُ يَنشرنِى حُزنا ويَطوينى
وكيفَ يأسو جِراحِى أويُهْدِهدُها ... قُرْبُ المزارِ لعَينى أويُعَزِّيْنى؟!
لى فى ثَراكَ حَبيبٌ كنتُ أُسْكنُه ... عَينى وأفدِيه فى الدَّنيا ويَفدِينى
أجْثو على قبرِهِ أَسْوانَ مُنْتحبًا ... أسْقيه دَمعَ الأسْى لو كانَ يُجدِيْنى
وألثمُ التُرْبَ مُشتاقًا أشُمُّ به ... عَبيرَ أطيبِ عُود فيه مَدفونِ
وأنثرُ الزهرَ مَنْضورًا على جَدَثٍ ... يَضُمُّ أنْضَرَ من وردٍ ونِسْرِينِ
يا طَالما كنتُ أرْعى غُصْنه أمَلا ... حُلوا، وأسْقِيه من حُبِّى ويَسقينى
حَتى طواه الرَّدَى فى أوْجِ نُضرته ... وغالَه صَرْفُ دَهْرٍ غَيرُ مَأمونِ
يازهرةَ العُمْرِ إنِّى هاهُنا، أفَلا ... تُحسُّ خَطْوَ أبٍ لهفَانَ محزُونِ؟

---

١) تطلق الريحانة على الزهر الطيب الرائحة، وعلى الولد.

هيهـاتَ أن يرقـأَ الـدمعُ الهَتُـونُ إذا ... يَمَّمْـتُ مَثـواكَ مـن حِـينٍ إلى حِـينِ
بينـي وبينَـكَ قُـربٌ لـيس يُبْعِـدُنى ... لكنَّـه مُوغِـلٌ فى البُعـدِ يُقْـصِينى
أدْعوكَ من حيثُ يرتَـدُّ النِّدَاءُ صَدَىً ... فَــلا تُجيــبُ نِــدائى أو تُلبينــى
وكنــتَ تَــسعى إلى لقيــايَ مُحـتفِلًا ... جذلانَ تهتفُ بى شَوقا وتَـدعونى
قُــمْ يــا بنــيَّ كــما عــوَّدْتنى ،وأعِــدْ ... بَشاشَةَ المُلتقى ، فالصَّمتُ يُضنِينى
وانهـضْ كـما كنـتَ سـبَّاقًا تُبـادِرُنى ... فَـما عَهِـدتُك قَبـلَ اليـومِ تَجْفُـونى
إنِّـى أُناجيكَ مِـنْ وجْدِى فيخْـدَعُنِى ... رَجْعُ الـصَّدَى بِجوابٍ مِنْكَ مَظنُـونِ
وأوْسِــعُ القَــبْرَ ضَــمًّا لاغنــاءَ بــه ... تَعوُّضًــا عــن عِنــاقٍ كــان يُغْنينــى
وَهْــمٌ أعلِّــلُ أشــواقَ الفــؤادِ بــه ... لَعلَّـه مِـنْ جِـراحِ القَلْـبِ يأسُـونى
وما وجدتُ كحصنِ الله يعصِمُنى ... ولاحِمـى كحِمـى الإيـمانِ يُنْجينـى
أتْلــو عليــكَ كتــابَ الله مَرْحَمَــةً ... وأســتَطِبُّ بِــرُوْحٍ مِنْــه يَـشْفِينى
فيطْفــرُ الــدَّمعُ مــن عَينــيَّ مُمْتزِجًــا ... بــالآيِ حَتــى لأرْوِيهــا وتَروْينــى
كــم كُنــتَ تَــسعدُ مــشغوفًا بِرُقْيَتِــه ... وتَــستَزيدُ رُقــىً مِنــه وتُغْرينــى
هـلْ تَـسمعُ اليومَ ما أتلوهُ يا ولـدى ... وتَــستريحُ لترتــيلى وتَلْحِينــى ؟
مَثـواكَ كَـمْ أتَمَنَّـى لـو بقيـتُ بِـه ... عُمــرى إلى أجَــلٍ فِيــه يُــوافِينى
فَلَـــستُ أبرحُـــهُ إلا لأضرِبَ فِى ... تِيـهٍ مـن العيشِ يُضْنينِى ويُشقِينى
أعُـودُ بَعْـدك للبيـتِ الحـزينِ فَـلا ... أرَاكَ بالبِــشْرِ والإقبــالِ تَحبــونى

أهيمُ في كلِّ ميدانٍ بلا هدفٍ   كأنَّما وِجْهتي كُلُّ المَيادِينِ
تاهتْ خُطايَ على دَرْبِ الحَياةِ وقَدْ   فَقدتُ مَنْ كَانَ يَهدِيْنِي ويَحْدُونِي
واحسرتِي حين أمْشي لا تُرافِقُني   وكنتَ ظِلِّيَ أحْميهِ ويَحْمِينِي
إذا رآنِي وحيدًا مَنْ تَعَوَّدَنَا   مَعًا راحَ يرثِي لِي فَيُبْكِينِي
وإنْ سلكتُ طَريقًا كانَ يَجمَعُنا   سَقَيتُهُ من دُمُوعِي كُلَّ مَحْزُونِ
وإنْ رأيتُ مكانًا كنتَ تَقْصِدهُ   وقفْتُ ألثُمُهُ والشوقُ يَفْرِينِي
وإنْ لمحتُ شَبِيها مِنك أذْهَلني   وخِلتُ أنَّك حَيٌّ ماثِلٌ دُونِي
أستودِعُ اللهَ ما أمَّلْتُ فيكَ وما   فقدتُهُ مِن رجَاءٍ كان يُحْيِينِي
يارَبِّ يا مانِحَ النُّعْمى وسَالِبَها   رِضَاك يَمْنَحُنِي السَّلْوى ويُرْضِينِي
سَلَبْتنِي نِعمةَ الدنيا وزِينَتَها   فلا يَكُنْ ذَاكَ حَظِّي مِنكَ في الدِّينِ

***

٣٨- الدمع الموصول

١- علـى دَمْعـى أنـامُ أسـىً وأصْـحُـو ... وفى قلبــى مــن التَّــذْكَارِ جُـرْحُ
أنُــوحُ عَلَيْــكَ يــا وَلَــدِى وإنْ لَمْ ... يُفِــدْنِى أو يُفِــدْكَ أسَــىً ونَـوْحُ
تــساوتْ فيــكَ آنــائى دموعــا ... وشــجوًا واســتوى لـيـلٌ وصُبْحُ
كَــأنَّ الــدَّمْعَ فى عَينــىَّ طَبْـعٌ ... ونَبْــعٌ لا يجـــفُّ ولا يَــشِحُّ
٥- إذا نَهْنَهْتُــه أغـْــراهُ كَفِّــى ... وأطْغـى فيــضَهُ الــشجَنُ المُلِحُّ

* * *

٣٩ - بعد عام

١- عَـامٌ مَـضَى وسَتَنْقَـضِى الأعْـوامُ ... والجُـرْحُ مِثْـلُ الأمــسِ لا يَلْتامُ
قــالوا : سيُنْسيكَ الزمــانُ وكُلَّما ... مَــضَتْ الليـــالى زادَتْ الآلامُ
هَيهـاتَ بعـدكَ أن تجفَّ مَدامِعى ... يومًــا ويخبُـــو فى الفُــؤادِ ضِرامُ
لاينطفـى اللَّهَـبُ المؤَجَّجُ لوعـةً ... فى القلـــبِ مهـــما مــرتِ الأيـامُ
٥- أبـدًا جديـدُ الـذكرياتِ مُجـدَّدٌ ... أســفًا عليــكَ وحُرْقَــةً تحتـامُ

* * *

٤- فقيد الأزهر (١)

الدكتور محمد عبدالله دراز وافاهُ الأجلُ في باكستان وهو يمثلُ الأزهرَ في المؤتمر الإسلامي هناك عام ١٩٥٧م.

أُكَذِّبُ في مَنْعَاكَ مَنْ جَاءَ نَاعِيا ... وأَعْلَمُ أن الموتَ أعْيا المُدَاوِيا
تَعِلَّةُ مَصْدوعٍ تَغَشَّاه فَاجِىءٌ ... يَرُدُّ أَسَاهُ ذَاكِرَ القَوْمِ نَاسِياْ
إذا جُنَّ ليلُ الخطبِ أو طَمَّ هَولُه ... رَأَى حُلمًا من كان بالعينِ رائِيا
وما كلُّ خَطْبٍ تألفُ الأُذْنُ وَقْعَهُ ... فَرُبَّ صَدىَ خَطْبٍ يهزُّ الرواسِيا
ولم تَفْدَحْ الجُلَّى شَجِيَّ نَذِيرَها ... كما فدَحَتْهُ بالفُجَاءَةِ خَالِيا
نَروحُ على الدُّنيا ونغدو لموعدٍ ... تَساوى به من راحَ أو ظَلَّ باقِيا
تَشابَه أهْلُوها دَفينًا ودافنًا ... ومَنْ كَانَ مَرْثيًّا ومن كانَ راثِيا
ومنْ وسَّدَ الأحبابَ في التُّرْبِ مَيِّتٌ ... وإنْ عاشَ دهرا بعدَهم ولَياليا
يُقَسِّمُ فيهِمْ كُلَّ يومٍ فُؤادَهُ ... ويُحْسَبُ في الأحياءِ من كانَ فَانِيا
نَحُثُّ الخُطا والموتُ يحْدُو رِكابَنا ... ونَبْنى المُنَى قَبرًا لمنْ كَان بَانِيا
ونُمعنُ في الدُّنْيا صِرَاعًا وكُلُّنا ... على موردٍ للموتِ يَسقى الصَّواديا
وبين حياةِ المرءِ والموتِ زَفرةٌ ... فعشها كَرِيمًا شامخَ الرأسِ عَاليا

---

(١) لهذه القصيدة صورة أقدم من هذه كانت في رثاء الشيخ مصطفى عبد الرازق ثم طورها الشاعر وغير في أبياتها وألقاها في حفل تأبين الدكتور محمد عبد الله دراز.

وكيفَ تُسيغُ الهُوْنَ والعمرُ واحدٌ … إذا لم تكنْ يوما سِوى الله راجِيا
إِذا كَـان عَبـدُالله خَـلَّى مَكانَـهُ … فَـما كَـانَ هَيَّابَـا ولا مَتَوانِيَـا
سَلْ الأزْهَرَ المعمورَ ما بالُه اغْتدى … مِـن الهـولِ مَغْشِيًّا عليـه وغَاشِـيا
تلاطَـمَ فيـه الـدَّمعُ حَتـى كـأنما … مآذنُـهُ أيْـدٍ تَـصدُّ الأوادِيـا
وباتَـتْ نَواحِيـه عليـه نَوائِحـا … وأمْـسَتْ بواكِيـه عليـه بَواكِيـا
تَلَقَّاهُ مَحْمُـولًا مُسَجّىً وكَمْ غَـدا … إلى سَـاحِه بِـالأمسِ لله دَاعِيـا
مَضى باسْمِه من رَاحَ يرفعُ رأْسَه … ويـنفَحُ (باكـستان) منـه غَوالِيـا
وكُنَّـا نُرَجِّـى فِيـه أوْبَـةَ سَـالِمٍ … عَلَى الطَّائِرِ المَيْمُـونِ يَقْظَان سَـاعِيا
أَقَلَّتْـهُ فَتْخَـاءُ الجَنَـاحَيْنِ بَـارِحٌ … تَئِـزُّ أزِيْـزًا نَـائِحَ الجَـرْسِ بَاكِيَـا
تَطـيرُ الهُـوينى والملائِـكُ حَولهـا … تُـشيِّعُ مَـرْضِيَّ الـشمائلِ وافيـا
كساها جلال العلم والموت هيبه … فيالك من نعش طوى الجو ساريا
وكَـمْ هَـزَّ أطْبـاقَ الأثِـيرِ بِـصَوْتِهِ … فَهـذا الأثِـيرُ اليَـومَ يحـدُوهُ حَانَيـا
وكـم قـدْ غَـزا الآفـاقَ حيًّـا بهدْيِـهِ … ومـازالَ بعـد المـوتِ للأفـقِ غَازيـا
هُوَ الموتُ بالسَّبَّاقِ يَمْضِي مُعَجِّلًا … وبـالبَحْرِ فَيَّاضًـا وبـالنَّجْمِ هَادِيَـا
وبالفَـذِّ لَمَّاحًـا وبالنَّـدْبِ مَاجِـدًا … وبِالوَرْدِ مَنْضُورًا وبِالغُصْنِ حَالِيا
تَخَطَّفَـهُ مِـن سَـاحةِ العِلْـمِ فَجْـأةً … فَـصَدَّعَ أكبـادًا وهـاجَ بواكِيـا
فَـأينَ أمـانٍ كُـنَّ أحـلامَ خـاطرٍ … طَموحِ المعالى لايَرى النَّجْمَ نائيا

٣٠ـ تَعجَّلَـهُ المقـدورُ عنهـا وغَالَهَـا ... وأقْسَى المَنَايا مـا يَغُـولُ الأَمَانِيـا
فهـلْ كـانَ يـدرى يـومَ سـافرَ أنَّـه ... سيرجِعُ محمولًا على النَّعشِ سَاجِيا؟
٣٢ـ فَفـى ذِمـة الـرحمنِ سـاعٍ لِرَبِّـهِ ... ليلقـاهُ مَرْضِـيًّا عَليـهِ ورَاضِـيا

* * *

٤١- محمد الأسمر

توفى رحمه الله أثناء معركة العدوان الغاشم على بورسعيد عام ١٩٥٦.

عَصَفَتْ بأيكِ الرَّوْضِ وهْوَ مُنَضَّرُ   خَرْقاءُ مِنْجَلُها المنونُ الأصْفَرُ
طَافَتْ بِرَوْضِ الشِّعْرِ عَاتيةَ الخُطا   والليلُ مُسْوَدُّ الجوانِبِ أكْدَرُ
وهوتْ بساجِعِه فباتَ مُضَرَّجًا   شُلَّتْ أنامِلُهُ وجَفَّ المِزْهَرُ
فالطَّيرُ ثكْلَى ،والرُّبَا مَفْجُوعَةٌ   والزَّهْرُ سَاجٍ والخَمِيلُ مُعَفَّرُ
فى غَمْرَةِ الجُلَّى وهَوْلِ صِرَاعِهَا   صَاحَ النَّعِىُّ وصَوْتُهُ يَتَعَثَّرُ
فَطَوتْ عَواصفُ مِصْرَ رَجْعَ نَعِيِّه   والخطبُ قد يطويهِ خَطبٌ أكْبَرُ
وصَحَتْ ليُسْمعَها القصيدَ كعهدِهِ   وتَفَقَدَتْهُ فقيلَ: ماتَ الأَسْمَرُ

* * *

يَاسَاهِرَ الأنَّاتِ يَشْكُو جُرْحَهُ   نَمْ لَيْسَ فِى دَارِ البِلَى مَنْ يَسْهَرُ
الموتُ راحةُ كلِّ عانٍ مُتْعَبِ   ينْبُو بِه زَمَنٌ يَصولُ ويَزْأَرُ
مَنْ يَنْجُ مِنه يَذُقْ مَرارَةَ كَأْسِه   مِنْ صَاحِبٍ ينأى وحِبًّا يُقْبَرُ
فى كُلِّ يومٍ من فراقِ أحبَّتِي   نَفْسى تموتُ ومُهجَتى تَتَفطَّرُ
ويذُوبُ قلبى خلْفَ كلِّ مُوَدِّعٍ   قِطَعًا فَقَلْبى كُلَّ يَوْمٍ يُشْطَرُ
أبكيكَ مُلتاعًا وليس بنافِعى   قَلبٌ يذوبُ وعَبرَةٌ تَتَحدَّرُ
وأنوحُ والشِّعْرُ الأصِيلُ مُرَدِّدٌ   نَوْحى فإنَّك نَبْعُه المُتَفَجِّرُ

ضَـجَّتْ قَوَافِيـهِ وهَـاجَ رَوِيُّهـا   أسَـفًا عـلى صَـوَّاغِها وتَحَـسُّرُ
عَرَبِيَّــةُ القَــسَماتِ لا عَجَمِيَّــةٌ   يهـذِى بهـا اليـومَ النَّـدىُّ ويَـسْمرُ
والشِّعْرُ مُوسِيقَى الكَلامِ مُفَصَّلًا   لا مَـا يُهَلْهَـلُ نَظْمُـهُ ويُبَعْثَـرُ
رصَّـعْتُها فَـازْدَانَ مِنْهـا مِعْـصَمٌ   وزَهـا بِهـا جِيْـدٌ وأشْرَقَ مَنْحَـرُ
قـد أسْـمَحَتْ دِيباجـةً وسَلاسَـةً   إسْماحَ وجْهِكَ وهْـوَ طَلْـقٌ أنْضَرُ
غُـرَرٌ تُـصَوِّرُ فيـكَ غُـرَّ شَـمائلٍ   والـشِّعْرُ منـه مُـصَوِّرٌ ومُـزَوِّرُ
مـا كنـتَ إلا النَّبْـعَ عَـذْبًا صَـافِيًا   سـاغَتْ مَـوارِدُهُ وطـابَ المَصْدَرُ
لمْ تَطْـوِ حِقْـدًا أوْ تُـسِرَّ كَرَاهَـةً   أو يَجْرِ فى خَطَرَاتِ نَفْسِكَ مُنْكَرُ
خُلُـقٌ كـشِعْرِكَ جَلْـوةً وسَـماحَةً   وسَرِيـرةً بَيْـضاءَ فيـكَ تُـصَوَّرُ
يـا مَـنْ يَهُـزُّهُمُ الوفـاءُ لراحـلٍ   قـد فاتَنـا وهْـوَ الـوفِىُّ الخَـيِّرُ
تَبكـى العُروبةُ فيـه سـاجِعَ أيْكِهـا   وأحَـقُّ مَـنْ يبكـى عليـهِ الأزْهَـرُ
خَرِسَــتْ مآذِنُــه وكــان أذانُهــا   ودَوِىُّ مِنْــبرِهِ فَعَــىَّ المنــبرُ
ياخالدَ الفُصحى بحسبك أنْ يفى   شُـعراؤها ويُخَلِّـدُ اسـمكَ عَبْقَـرُ

* * *

٤٢ـ فقيد الإسلام
الإمام الشيخ محمود شلتوت

أذْهَلنى الخَطْبُ فَعِىَّ الكلامْ   وجَلَّ عن شَجو المَقالِ المَقامْ
قَدْ يُفْحِمُ الهَوْلُ إذا أطْبَقَتْ   عَلى دَياجِيهِ الغَواشِى الجِسَامْ
يا شَاعِرَ الفُصْحَى أقِل العَنا   أفْصَحُ شَيءٍ فى الوُجُودِ الحِمَامْ
آمنتُ بالله .. ومقدورِه   فما لحىٍّ غيرِه من دَوَامْ
نَسيرُ فى الدُّنْيا إلى مَوْعِدٍ   عَلى بِساطٍ أرْيحىِّ المُدامْ
سَاقِيهِ لا يُخْطِئُ نُدْمَانَهُ   وكَفُّهُ تَقْرَعُ جَامًا بِجَامْ
كُلُّنا غَادٍ عَلى وِرْدِه   كَأَنَّهُ صَادٍ يَروِّى الأُوَامْ
ونَقْتُلُ العُمْرَ احْتِرَابًا وَمَا   فِى المَوتِ مِنْ بُغْضٍ ولا مِن خِصَامْ
يُعانِقُ الظَّالمُ مَظْلُومَهُ   ويَجْمَعُ الأعداءَ فيهِ السَّلامْ
حَياتُنا ومْضٌ وأعمارُنَا   خَيالُ أطْيافٍ ورُؤْيا مَنامْ
ما بَيْنَ مَهْدِ المَرْءِ أَوْ لَحْده   دُنيا رَضاعٍ والمَنَايَا فِطَامْ
والحىُّ مَيْتٌ إذْ يحثُّ الخُطا   إلى المصيرِ الحَتْمِ بينَ الزِّحامْ
ويَستوى المُخْتالُ فوقَ الثَّرى   حَيًّا ومَنْ يرقدُ تحتَ الرِجامْ
وعَبْقَرِىٌّ بَيْنَ أهْلِ النُّهى   وجَاهِلٍ يَمْرَحُ بَينَ السَّوامْ
يا عادىَ الموتِ بأىِّ الوَرَى   أوْدَيتَ ؟ أصْمَيتَ قلوبَ الأنامْ

طويــتَ مِــنْ أروعِ أعْلامِنــا عَنــا إمامًــا ، ياَلَــه مــن إِمــامْ
العَــالِمُ الثَّبــتُ الفَقِيــهُ الــذِى كــانَ لــدِينِ اللهِ أقْــوَى دِعَــامْ
والثــائرُ الحُــرُّ الــذى لم يلــنْ فى الحــقِّ أو يأخُــذْهُ فيــه المَـلامْ
والـساطِعُ الـرأيِ يُجـلِّى بـه مـشاكلَ العـصرِ ويجلـو الظـلامْ
والـدامِغُ الحُجَّـةِ يُـصْمِى بهـا مُـشابِهُ الـشَّكِّ ويَفْـرِى الـسِّهامْ
وَوَاسِـعُ الأفْـقِ ، بَعِيْـدُ المَـدَى وسَـاحِرُ القَـوْلِ ، فَـصيحُ الكَـلَامْ
مُجَلْجِلُ الصَّوْتِ الرَّحِيبِ الصَّدَى كَـزَأْرَةِ الـضِّرْغَامِ بَـينَ الأَجَـامْ
كَـمْ هَـزَّ أَسْـمَاعَ الـوَرَى رَجْعُـهُ فَاسْـتَيقظَ الغَـافِى وهَـبَّ النِّيَـامْ
قـالوا: فتـاواهُ ، وحَـسْبُ العُـلا والمَجدِ أن نُحْصِى عُيوبَ الكِرامْ
ورُبَّـما جَـرَّ اجتهــادُ الفَتــى إلى حَــلالٍ مُــشْبِهٍ للحــرامْ
وقيــلَ : قَــد آذى بإحــسانِه لِمَنْ رأى الحُسْنى هَـوىً وانْتقـامْ
أحْــسِنْ وإنْ لمْ تَلْــقَ إلا الأذى وازْرع ولـو تجنـى عقـوقَ اللئـامْ
الــرَّوضُ يحبــو عِطْــرَ أزْهَــارِه لِـساجِعِ الطَّـيرِ وصِـلِّ الـسِّمامْ
والأيْــكُ مــا ضَــاقَ بِأَفْنَانِــهِ عَنْ نَاعِبِ البُومِ وشَـادِى الحَمامْ
ياراقِـدًا فى الخُلْدِ تحتَ الثَّـرى وذِكْـرُه يـسطَعُ فـوقَ الغَـمامْ
مـا فَـلَّ مِـنْ عَزْمِـكَ إلا الـرَّدَى ورُبَّــما فَــلَّ الحُــسَامُ الحُـسَامْ
مَــشَى إلى سَــاحِكَ فى غَفْــوةٍ فأسْكَتَ الـصَّوْتَ الـشَّدِيدَ العُرامْ

وصَــاحَ ناعِيـكَ بِـسَمْعِ الـدُّنى ... فــأعْوَلَ البيــتُ وضَــجَّ الـشَّآمْ
أبْكيــــكَ للحـــائرِ فى ديْنِـــهِ ... عرَّفْتَــه الحـــقَّ فــصلَّى وصَــامْ
٣٥- أبكيكَ يا (محمودُ) ليتَ البُكا ... يُجْـدى انتفاعًـا أو يُنِيــلُ المَـرامْ
فيا عَـصِيَّ الـدَّمْعِ أسْعفْ لَظَى ... مُهْجَتِىَ الحَرَّى وأطْفِ الـضِّرامْ
بَعْضُ الوفـاءِ الحـرِّ مـن شَـاعرٍ ... يُجِــل فيــك الأريحــىَّ الهُــمامْ
أوْلَيْتَنــــى الحُــبَّ ، وياطَالمــا ... أطْرَيْتَ شِعْرِى فى بـدِيعِ النِّظامْ
وكُنْـتَ تبْغِـى عِـبْرَةَ فِى الـرَّدَى ... فَهَلْ وَعَيْتَ اليَومَ وَعْـظَ الحِمامْ ؟
٤٠ - يا ساهِرَ الـشَّكْوى عَلى جُرْحِه ... نَــمْ فالمنايــا للجِــراحِ الْتِئــامْ
ويَـا حَلِيـفَ الـسُّهْدِ مِـن سُقْمِه ... لا تَشْكُ بَعد اليومِ سُـهْدَ السِّقَامْ
بَلَغْــتَ أقْــصَى رَاحَــةٍ فَاسْـترِحْ ... لَــدَى حِمَــى الله بِــدارِ الــسَّلامِ
٤٣- اللهُ يَجْزِيــــــكَ بإحْـــــسَانِه ... عَنَّــا ، ويَلقــاكَ بِحُسْنِ الخِتَـامْ

* * *

٤٣- عاهل الكويت

أُلقيت فى الحفل الذي أقامته جامعة الأزهر فى ١٥ فبراير ١٩٦٦ لتأبين عاهل الكويت الراحل الشيخ عبدالله السالم الصباح ، تقديرا لما أسداه من خير ومعونة.

سَــاجِعٌ أَرَّقَ اللَّيــالِى نُواحُــهْ   خَـضَّبَتْ دَوْحَـةُ (الكُوَيْـتِ) جِراحُـهْ
جَـرَّرَ السَّاقَ بالخميـلِ المُـسَجَّى   وارْتَمَـى فَوْقَـهُ مَهِيـضًا جَنَاحُـهْ
مُـوْحِشٌ يَـنْفُضُ الخَرِيـفُ عليـه   عَـصْفَ أَوْراقِـهِ ، وتَعـوى رِياحُـهْ
راحَ عَـنْ رَوْضِـه الرَّبِيـعُ المُرَجَّـى   فَـشَجاه غِيابُـهُ ورَواحُـهْ
إيـهِ يَـا رَوْضُ هَـلْ شَـهِدتَ طَرِيحًـا   خَنَقَـتْ عَـذْبَ شَـدْوِهِ أَتْراحُـهْ؟
هَزَّنِـى خَطْبُـهُ وهَـاجَ شُـجُونِى   وأنـا شـاعرُ الأسـى صَـدَّاحُهْ
عَرَبِـىٌّ أَنَـا ، بُكَـاهُ بُكَـائِى   وسِـلاحِى عَـلى الخُطُـوبِ سِـلاَحُهْ
وَطَـنُ العُـرْبِ واحِـدٌ يتلاقَـى   مِـن أقاصِيـهِ سُـقْمُه وصِـحَاحُهْ
وإذا رَبِيـعٌ مِنْـهُ رُكْـنٌ تَـداعَتْ   لأَسَـاهُ هِـضابُهُ وبِطاحُـهْ
وإنَّـما مِـصرُ للكُوَيْـتِ شَـقيقٌ   ضَـجَّ فى سَمْعِهِ الشَّجِيِّ صِياحُهْ
رَوَّعَـتْ فُلْكَـهُ العَواصِـفُ حَتَّـى   غَـابَ فى لُجَّـةِ الـرَّدَى مَلَّاحُـهْ
وتَغَـشَّته وجمَـةٌ جَلَّـلَ الأفْـقَ دُجاهـا فاسْـوَدَّ مِنهـا وِشَـاحُه
مَـاتَ (عبـدُ اللهِ الـصَّبَاحُ)ووَلَّى   فَـصَحَا ليلُـه ، ونَـامَ صَـباحُهْ
مَـن يَـصُدُّ المنـونَ أو يَتَّقِيـهِ   إن عَـدا رَيْبُـهُ ونَـدَّ جِمَاحُـهْ؟

هو سافٍ، كلُّ الأنام نداماه، سواءٌ قباحُهُ ومِلاحُهْ
دائِرُ الكأسِ ما تخطَّى نديمًا … مُذْ أُدِيرَتْ مَريرةً أقْداحُهْ
نَحْنُ أبناؤه، فيالكَ مِنْ ساقٍ لأبنائِهِ تُشَعْشِعُ رَاحُهْ
إنَّما هذه الحياةُ سَرابٌ … ضَلَّ مَنْ غَرَّهُ بِها لَمَّاحُهْ
وقُيودٌ للرُّوحِ لابدَّ أنْ يُطْلَقَ … يومًا من سِجْنِهنَّ سَرَاحُهْ
وغَدٌ غَيْبُهُ المُحَجَّبُ عَنَّا … بِيدِ الله وَحْدهُ مِفْتَاحُهْ
رَحلَ العاهلُ الذى صانَ مُلْكًا … شَادَ مَغناهُ عَزْمُهُ وكِفاحُهْ
وبنى مَجْدَهُ، ولَمْ يألُ حتى … عَمُرَتْ بالرخاءِ والعِلْمِ سَاحُهْ
ورَعى اللهَ فى غِناه فَلَمْ يَبْطَرْ … ولم يأتشِبْ بِظُلْمٍ صُرَاحُهْ
أرْيحىُّ السَّخاءِ ما فارَقَتْهُ … بَسْمَةُ البَذْلِ أوعَداهُ ارْتياحُهْ
كَمْ حَبا العِلْمَ جُودُهُ ونَداهُ … وحَمى الدِّينَ بِرُّهُ وصَلاحُهْ
فإذا الأَسْوَدُ الدَّفوقُ نُضارٌ … شَعَّ فى غمرةِ الدُّجَى مِصْبَاحُهْ
قُوةُ الحاكمينَ مالٌ وعَدْلٌ … إنْ أُتِيحا للشَّعْبِ تَمَّ فَلاحُهْ
عَرفَ الأزْهرُ الوَفىُّ له الفضلَ وقدْ هَزَّ جانِبيهِ سَماحُهْ
نَفحاتٌ له تَوالى نَداها … عَاطِرًا كالشَّذا تَوالى نُفاحُهْ
وهِبَاتٌ لنَهْضَةِ الدِّين والعِلْم حَبَتْها للأزْهَرِيين رَاحُهْ
وأقامتْ للأزْهرياتِ حِصْنًا … عَصَمَ الدينَ بِيضُهُ ورِماحُهْ

قُدوةٌ أكبرتْ رسالتَهُ الكبرى لِمَن ضَاقَ بالعَطاءِ شَحاحُهْ

واحْتِسَابٌ لله، لا لِرياءٍ تَتَرَضَّى غُرُورَهُ أمْدَاحُهْ

إنَّما المَالُ للغَنِيِّ امْتِحَانٌ فيهِ خُسْرَانُهُ وفِيه رَبَاحُهْ

* * *

إيهِ آلَ الصبَّاحِ ما ضلَّ شَعْبٌ أنْتُمو فِى سَمائِه أصْبَاحُهْ

كُلَّمَا مَالَ لِلْغُروبِ صَباحٌ لاحَ مِنْكُم صُبْحٌ يَشعُّ لِياحُهْ

فَخُذوا الرَّاحِلَ الكريمَ مِثالًا رَائِعَ النَّهْجِ يُحْتَذى إصْلاحُهْ

واحْفَظُوا نِعْمةَ الإلهِ بِشُكْرٍ عَاطِرٍ يَغْمُرُ الحِمى فَوَّاحُهْ

واذْكُروا الأزْهرَ الذى فَرَعَ النَّجمَ ذُراهُ وأعْرَقَتْ أدْواحُهْ

لم يزلْ يقهرُ النوازِلَ حتى أعْجزَ الدَّهرَ سَبْقُهُ ونَجاحُهْ

قَبسٌ مَاخَبَا سَناهُ لسَارٍ ومَعِينٌ لم يُفْنِه نُزَّاحُهْ

وابذُلوا للنُّهوضِ بالدِّينِ والعِلْمِ ففى أرْضِكُم يفيضُ مُتاحُهْ

سَالَ بالنِّفْطِ نَبْعُها لِحِماكُم لا لِعَادٍ على الحِمَى يَمتاحُهْ

إنْ أوْطانكم أحَقُّ وأوْلَى مِنْ غَريبٍ يُجْبَى له مُسْتباحُهْ

أشْعِلوهُ على (يهود) جَحِيمًا وانْفُثُوه صَواعِقًا تَجْتاحُهْ

لفلسطينَ فى العُروبةِ ذنبٌ كُلُّ أبنائِها عَليهم جُناحُهْ

* * *

يَـا بَنِـى الـسَّالِمِ الـصَّباحِ سَـلِمْتُمْ   وَصَــفَا وِرْدِكُــم وطَــابَ قُرَاحُــهْ
الــصَّبَاحُ الجَديــدُ أشْرقَ فــيكمْ   فَجَــلا غيمــةَ الأسَــى وضَّــاحُهْ
وعــلى أرْضِــكُم أطَــلَّ سَــناهُ   فأَدَالــتْ أحْــزَانَكُم أفْراحُــهْ
حَــسْبُكُم فى العَــزَاءِ أنْ خَلَــفَ الرَّاحِــلَ مِــنكُمْ مَــنْ لا يُفَــلُّ سِــلاَحُهْ
عَاهِــلٌ مِــنْ بنــى الــصَّبَاحِ عَرِيــقٌ   تَفْتَديــهِ مِــنْ شَــعْبِهِ أرْواحُــهْ

* * *

٤٤- مصرع بلبل

شاعرٌ شابٌّ وافته المنية وهو يتهيأ للاشتراك فى مهرجان أدبى.

١- قلتُ للروضِ وهْوَ فى جلوةِ الفنِّ وروحى تهفو إلى المِهرجانِ
والضُّحى يغمرُ المروجَ سَناهُ والربيعُ الضَّحوكُ فى العُنفوانِ
والشَّذا يوقظُ البَلابِلَ للشدْوِ ويُوحى بأعذبِ الألْحانِ
إيهِ يا روضُ ما لِطيْرِكَ أضْحَى ساهِمًا مُطْرِقًا على الأَفْنانِ؟!
٥- ولحلوِ النَّشيدِ صارَ نُواحًا فِى تباشيرِ عُرْسِكَ المُزْدانِ ؟!

***

مَادَهى رَوْضَى الحَبِيبِ فأمْسَى جَفَّ يَنْبُوعُهُ وشَحَّ الرَّبِيعُ
لهَوَاتُ الطَّيرِ غُصَّتْ نَشِيجًا والأغَارِيدُ بَلَّلَتْهَا الدُّمُوعْ
والأزاهيرُ ذَابلاتُ الأمَانِى إنْ كَواها الصَّدَى سَقاها النَّجِيعْ
عَصَفَتْ بالشُّموعِ ليلةُ العُرْسِ رِياحٌ تَذوبُ فيها الشُّمُوعْ
١٠- خَفْقةٌ ثُمَّ وَمضَةٌ ثم صَمتٌ مُوحِشٌ لَفَّ فى دُجَاه السُّطُوعْ

***

قَالَ لى الرَّوْضُ: هاتِ دَمْعكَ هاتِ واسْقِ مَيْتَ الوُرودِ بالعَبَراتِ
كانَ بالأمسِ بينَ طَيرى صَدوحٌ ذهبِىُّ الأنْغَامِ والنَّبراتِ
جاءَ يَسعى شَوقا إلى مهرجانى ويَحُثُّ الخُطا إلى أيْكَاتِى

هَـاتِفٌ بـالمُنى ،حَفِيًّا وَفِيًّا ... فى رَبيـعٍ مِـن الـشَّبابِ مُـواتِى
حَـسدتْهُ المنـونُ صَـوْتًا وشَـدْوًا ... فَرَمَتْـهُ بِـسَهْمِها فى اللَّهـاةِ

* * *

قُلتُ :ياروضُ فالمُصَابُ مُصَابى ... والعَـذابُ الـذى تُحِسُّ عَـذابى
خِـدَعٌ هـذه الحيـاةُ ووهْـمٌ ... ضَاعَ فيه رُشْـدى وضَـلَّ صَـوابِى
غَايَـةُ العِلْـمِ والكِفـاحِ فَنَـاءٌ ... وقُـصَارَى المُنَـى خِـدَاعُ سَرَابِ
لهْـفَ نَفْـسى عَـلى شَـهيدٍ فَقَـدْنَاهُ ... نَـضِيرُ الآمـالِ، غَـضُّ الإهَـابِ
كـل خطـبٍ يهـونُ بالـصبرِ إلا ... أن أقسى الخطوبِ موتُ الشبابِ

* * *

٤٥- عـــزاء (١)

أنــا مـــن ذاقَ فُرْقـــةَ الأحبـــابِ   واكتَـــوَى قلبُـــه بنـــارِ العـــذَابِ
يا أخِى يا (زكيُّ) جُرْحُكَ جُرْحى   والمُصابُ الـذى دَهـاكَ مُـصَابى
جَمَـــعَ الحــزنُ بيننـــا فكلانـــا   غَالـــه دَهْـــرُه بِظُفْـــرٍ ونَـــابِ
إنْ تكُـنْ قـد فقـدتَ أكـرمَ زوجٍ   فأنـا قـدْ فقـدتُ زَيـنَ الـشبابِ (٢)
كُلَّـما جِئـتُ كَـى أُعَزِّيْـكَ فِيهـا   غَلـبَ الـدَّمْعُ عَزْمَتِـى بِانْـسِكَابِ
وتَـــذَكَّرتُ مَـــا دَهـــانِى فأمْـــضَى   فى أنِيْنِـــى ولَـــوْعَتِى وانْتِحَـــابِى
فلـــكَ اللهُ مِـــنْ لَظـــى ذِكريـــاتٍ   كُـــلُّ يـــومٍ نيرانُهـــا فِى التِهـــابِ
لـيسَ أقـسَى مـن ذكريـاتِ حبيـبٍ   غَـاب عنَّـا وصَـارَ رَهْـنَ الـتُّرابِ
كُنـتَ قبـلَ المُـصابِ أسـعدَ زوْجٍ   ينهَـلُ الـصَّفْوَ بـالمُني والرِّغـابِ
فَعَزِيـــزٌ عَـــلَى أَنْ تُـــصْبحَ اليَـــوْمَ حَلِيفًـــا لِوَحْـــشةٍ واكْتِئَـــابِ
ياصَـــديْقِى الـــوَفِى عَـــزاءً وصَـــبْرًا   وارْجُ عِنْـدَ الإلـهِ حُسْنَ الثَّـوابِ

* * *

---

١) هذه القصيدة عزاء لزكي مجاهد صديقي في زوجته.

٢) فقدتُ ولدي الوحيد (محمد) قبل ذلك في نفس العام.

الشعر الاجتماعي

٤٦ - المَكْفُوفُ

مَنْ لِسَارٍ فِي اللَّيْلِ طَالَ سُرَاهُ   وَمَحَا نُورَ نَاظِرَيْهِ دُجَاهُ ؟
كُلُّ لَيْلٍ يَمْضِي فَيَا لَيْتَ شِعْرِي   لَيْلُهُ السَّرْمَدِيُّ مَا مُنْتَهَاهُ ؟!
الضُّحَى والأَصِيلُ والصُّبْحُ واللَّيْلُ   تَسَاوَتْ فَكُلُّهَا أَشْبَاهُ!
وَضُرُوبُ الأَلْوَانِ مُتَّفِقَاتٌ   فِي سَوَادٍ تُحِسُّهُ مُقْلَتَاهُ
لاَ يَرَى جَلْوَةَ الرَّبِيعِ إِذَا اخْتَالَ   ولاَ البَدْرَ حِينَ يَبْدُو سَنَاهُ
لاَ وَلاَ يَجْتَلِي سَنَى الشمسِ رَقْرَاقًا   إِذَا فَضَّضَ الوجودَ ضُحَاهُ
وَإِذَا ذَهَّبَ الأصيلُ رَوَابِيهِ   عَدَا طرفَهُ اجتلاءُ رُبَاهُ
وإِذَا الطيرُ رَدَّدَ اللحنَ فِي الدَّوْحِ   مَضَى لا يُحِسُّ إلاَّ صَدَاهُ
كُلُّ ما في الوجودِ مِنْ فِتَنِ الدنْيَا   لَوَتْهُ عن سِحْرِهِ دُنْيَاهُ
أَبَدًا يَحْتَوِيهِ سِجْنُ لَيَالِيهِ   وما فيهِ من سَجِينٍ سِوَاهُ

***

إنْ مَشَى سَارَ مُرْتَعِشَ الخَطْوِ   وَئِيدًا تَخْشَى الأَذَى قَدَمَاهُ
وَإِذَا لَمْ يَجِدْ رفيقًا وفِيًّا   أرشَدَتْهُ إلى الطريقِ عَصَاهُ
أَوْدَعَ اللهُ نفسَهُ دِقَّةَ الحِسِّ   ففي حِسِّهِ الدقيقِ هُدَاهُ
وجَلاَ سَمْعَهُ فلا يخطئُ الهمْسَ   ونجوى النسيمِ في مَسْرَاهُ

يُرْهِـفُ الأُذْنَ حـين لا تـسعفُ العيْـنُ خُطـاهُ فَعَيْنُـهُ أذْنَـاهُ
وإذا ضَـلَّ راحَ يفغـرُ فَـاهُ   مـستغيثًا ولـوَّحَـتْ كفَّـاهُ
لـو تـراهُ محملِقًـا مُـصْغِيَ الجِيـدِ رأيـتَ العجيـبَ فيمـا تـراهُ
لهفـةٌ للـرؤى تثيـرُ أمانيـهِ   فيرجـو اجتلاءَهـا ناظـراهُ
ثـم يرتـدّ شَوْقُـهُ حَـسَرَاتٍ   يـا لـشَوْقِ الأعْمَـى ويَـا لُمَنَـاهُ!
لـيسَ أشْـقى مِـن فَاقـدٍ نـورَ عينـهِ وأغـلى مـا في الفتـى عينـاهُ
أَيُّ طعـمٍ للعـيشِ إذْ لَمْ يَـرَ الدُّنْـيا ومـا حظُّـه.. ومـاذا جَنَـاهُ ؟
مـا لَـهُ فـي حياتِـه مـن عَـزَاءٍ   أو رَجَـاءٍ يُـسلِّيهِ إلاَّ اللهُ
هـوِّنِ الخطـبَ يـا أخـي إنَّ هـذا   زَمَـنٌ لَـمْ تَعُـدْ تَـسُرُّ رؤاهُ
حسبُكَ العزلـةُ التي أنـتَ فيها   حين شاهتْ دنيا بَنِيـهِ وشاهُـوا
إنَّ فـي نفسِـكَ الجميلـةِ دنيـا   مـن جمـالٍ يُغْنِيـكَ عمـا عَـدَاهُ
لـكَ يـا رَبِّ فـي النـوازلِ سـرٌّ   عـيَّ فهـم العبـاد عـن معنـاهُ
كـلُّ خطـبٍ قَدَرْتَـهُ يـا رحيمًـا   لـك فيـه لطـفٌ يـدقُّ خفـاهُ
قد سلبتَ الأعمى وأعطيتَ حتى   صحّ عدلُ القضاءِ فيمـا قـضاهُ
إن تكـنْ قَـدْ حَرَمْتَـهُ نُـورَ عينيـهِ ففـي قلبـه يَـشِعُّ ضِيَـاهُ

٣ـ لَيسَ بالعَينِ مبصرٌ أو كفيفٌ ... بَصَرُ المرءِ قلبُهُ أو عَمَاهُ
رُبَّ أعمى منحتَه منكَ نورًا ... ورفعتَ الحجابَ حتى رآهُ
وسكبتَ الذكاءَ في حسِّهِ المرْهَفِ حتى أنسيتَه ما دَهَاهُ
يدركُ الخاطرَ الخفيَّ بحِسٍّ ... يسمعُ النملَ في دبيبِ خُطَاهُ
وأديبٍ ماضي اليراعِ بَرَاهُ ... خالقُ النابغينَ حتى بَرَاهُ!
٣ـ وفريدٍ في شعرِهِ عبقريٍّ ... ينفثُ السحرَ أو يفضّ رُقَاهُ
وصَنَاعٍ تجيلُ أنملُهُ النَّوْلَ على لُحمةِ الكِسَا أوْ سَدَاهُ
وشَجِيِّ الألحانِ إنْ رَتَّلَ الذِكْرَ أَتَى اللهَ تائبًا مَنْ عَصَاهُ!
وفَتَاةٍ غَطَّى الجمالَ عَمَاهَا ... وكَسَاهَا من سِحْرِهِ وحُلاَهُ
نِعَمٌ هَانَتِ المصائبُ فيها ... وعزاءٌ ينسي المصابَ أَسَاهُ

***

٤ـ أيها الناعمونَ بالحَدَقِ النُّجْلِ ومَا فاتَهُمْ غِنًى أوْ جَاهُ
اذكروا نعمةَ الإلهِ عليكمْ ... وأعينوا الأعمى على بلواهُ
أطلعوا صبحَ ليلِهِ بالأماني ... وأصيخُوا إلى مريرِ نِداهُ
وانشلوهُ منْ بحرِهِ الهادرِ المَوْجِ ومنْ لُجِّهِ الذي قدْ طَوَاهُ

واكفلــوهُ فربَّمَــا صَــارَ يومًــا   علمًــا يهتــدي الحِمَــى بِهُــدَاهُ

٤٥ ـ شَرُّ مــا يَقْتُــلُ المواهــبَ إغْفَــالٌ   وداءُ النبــوغِ أَنْ تنــسَاهُ

لاَ يُــضيِّعُ اللهُ حُــسْنَ صَنيــعٍ   فاغنموا شُكْرَهُ وحُوزُوا رِضَاهُ

* * *

٤٧ - أمل الفلاح [1]

" فازت بالجائزة الأولى فى مسابقة الشعر البريطانية عام ١٩٤٥ "

وكانت لجنة التحكيم من : الدكتور طه حسين ، والأستاذ عباس العقاد والأستاذ أحمد حسن الزيات .

اللهَ للفَـــــلاَّح فِى بُؤسِــــــهِ … وصَرخَـــةِ الآمَـــالِ فِى نَفـــسِهِ
يَبْخَــــسُه الـــدَّهرُ وأوْطَانُـــهُ … عَـونٌ مـع الـدَّهْرِ عَـلى بَخْـسِهِ
ومَـــا سَرَى فِى أفقــه كَوْكَـــبٌ … إلا وغَـضَّ الطَّـرْفَ مِـنْ نَحْـسِهِ
مُـضنيً يقـصُّ الـدهْرُ مِـن كَدْحِـهِ … وتــسْمُرُ الأيَّـــامُ فِى بَأْسِـــهِ
عَـــلَى مُحَيَّــاهُ سُــطُورُ الفَنَــا … قــد خطَّهــا المَقْـدُورُ فِى طِرْسِـهِ
مُـــنَغَّصُ الــصَّفْحَةِ يَطْـوِى بِهَــا … دفَـــائِنَ الأسْرَارِ عَـــن تَعْـــسِهِ
تُحَـــسُّ ذلَّ البـــؤسِ فى صَـــوتِهِ … وتُـــدْرِكُ التَّـــبْرِيْحَ مِــنْ جَرْسِــهِ
الفَقْـــرُ والجَهْـــلُ وأسْـــقَامُهُ … مَعـــاوِلٌ تَهـــدِمُ فى أُسِّـــــهِ
يَبِيــتُ صِـفْرَ اليَـدِ مِــن عُدْمِــه … والــذَّهَبُ الإبْرِيْــزُ مِــن فأْسِــهِ
وقُوتُـــهُ مَـــا خلَّفَـــتْ أرْضُـــهُ … مِــنْ حَنْظَـلِ الـزَّرْعِ ومِــنْ يَبْـسِهِ
يَعِـــيشُ بَـــينَ الـــبَهْمِ فِى كَوْنِــه … كَأَنَّـــهُ لَمْ يَـــكُ مِـــنْ إنْـــسِهِ

---

(١) من ديوان " وحى الربيع ".

مَنْ أسْكَنَ المُتْرَفَ فِرْدَوْسَهُ ... يَسْكُنُ فِى المُعْتِمِ مِن رمْسِهِ
ومَنْ كَسَا الوَادِى حَرِيْرَ المُنَى ... مُرَقَّعَ الأَطْمَارِ مِنْ لِبْسِهِ
فكَمْ شَواهُ القَيظُ فى جَمْرِهِ ... وكَمْ طَوَاهُ البَرْدُ فِى قَرْسِهِ
جُنْدِيُّهُ المَجْهُولُ فِى كَدْحِهِ ... ورَمْزُهُ الصَّادِقُ فى قُدْسِهِ
مَنْ كُلَّمَا مَسَّ الثَّرَى كَفُّهُ ... أحَالَهُ تِبْرًا لَدَى مَسِّهِ
عَيٌّ فصيحُ الشكوِ فى عِيِّهِ ... يَبُثُّهُ للهِ فِى هَمْسِهِ
قَدْ خطَّهَا شَكْوىً عَلَى أرْضِهِ ... ذَاكَ اليَرَاعُ الحُرُّ مِن فَأْسِهِ
هَلْ لِلْمُنَى الجَرْحَى بأحْشَائِهِ ... هِزَّةُ عطفٍ مِنْ بَنِى جِنْسِهِ ؟
فَكَفْكِفُو المَسْفُوحَ مِنْ حُزنِهِ ... وبَدِّدُوا المُرْبَدَّ مِنْ يَأْسِهِ
طِبُّوا لعاصِى الداءِ فى جِسْمِهِ ... واشْفُوا عُضَالَ الجَهْلِ فِى نَفْسِهِ
واسْقُوهُ عَذْبَ المَاءِ ، لا آسِنًا ... يُرَنِّقُ (المِكْروبَ) مِنْ كَأْسِهِ
وكافِحُوهَا فِيهِ أمْيَّةً ... تَنْفُثُ رُوْحَ الشَّرِّ مِنْ رِجْسِهِ
تُضَاعِفُ الصِّحَّةُ من عَزمِهِ ... ويُرهِفُ التَّعليمُ مِنْ حِسِّهِ
لا تَحْرِمُوهُ مِنْ جَنى غرْسِهِ ... واحمُوا الجَنَى الغالىَ مِن وَكْسِهِ
واسْتَبدِلُوا من كَوْخِهِ جَنَّةً ... مِن رافِهِ العَيْشِ وفِرْدَوْسِهِ

هَـــذِى أمانِيـــهِ .. نَـــواعِيرُهُ ... أشْـجَتْ بِهَـا الـشَّادُوفَ فِى مَيْـسِهِ
يلهــو الحِمَــى النــاعِمُ فى خَيرِهــا ... عَـــنْ مـــأتَمِ الفَـــلَّاحِ فِى عُرْسِـــهِ
خَلُّـــوهُ والـــسلمُ رفِيـــفُ المُنـــى ... يـــستقْبلُ الآمـــالَ مِـــنْ شَمـــسِهِ
٣٠- أنْ تُـــسعِدُوهُ اليـــومَ فِى ظِلِّـــهِ ... يــنَسَ مَريــرَ العَــيشِ مِــن أمْــسِهِ
أو تُنهِـــضوهُ تَنْهَـــضوا بِـــالحِمَى ... وترفَعــوا المَخْفُــوضَ مِــنْ رَأْسِـــهِ

***

٤٨- اليتيم الشريد (١)

(فازت هذه القصيدة بجائزة الشعر فى المسابقة الأدبية الكبرى التى نظمتها محطة الشرق الأدنى للإذاعة العربية وأذعتها فى ٢٨ فبراير سنة ١٩٤٧)

زَفَراتُ هذا القَيْظِ مِنْ زَفراتِهِ ... ودموعُ هذا الغيمِ مِنْ عَبَرَاتِهِ
ضَاقَ النَّهارُ أسىً بحمْلِ هُمومِهِ ... وانشَقَّ صَدرُ اللَّيلِ مِنْ أنَّاتِهِ
عَارٍ تَكَشَّفَ للخطُوبِ فَلا أبٌ ... يحْنُو ولا أمٌّ طَوتْ سَوآتِهِ
لله واهى الخَفْقِ بَينَ ضُلُوعِهِ ... زادَتْ كَوارِثُهُ عَلى دَقَّاتِهِ
أسوانُ تُدرِك شَجوهُ مِنْ صَوتِهِ ... وتُحسُّ ذُلَّ اليُتْمِ مِنْ نَبرَاتِهِ
وأخُو محُيًّا كالخِضَمِّ مُغَضَّنٌ ... يَطوِى الشُّحُوبَ أساهُ فى طَيَّاتِهِ
خَطَّ الشَّقاءُ عَلَيْهِ قِصْةَ يُتْمِهِ ... إنْ تَلْقَهُ تَعرِفْهُ مِنْ قسمَاتِهِ
وطَريدُ كونٍ ضلَّ فِى آفَاقِهِ ... فَجَميعُها - إنْ سَارَ - مِنْ غايَاتِهِ
وإذَا أقَامَ فَما يَفِيءُ إلى حِمىً ... يَحنو عَلى المشْبوبِ مِنْ لوعَاتِهِ
حَمَلَ الفَوَادِحَ رَأْسُهُ ما ضَمَّهُ ... صَدْرٌ يلُمُّ الشَّعثَ مِنْ أشْتَاتِهِ
ومشَى يئنُّ فَما أقَالَتْهُ يَدٌ ... مَسَحتْ على المكدودِ مِن شَعَراتِهِ
عَقمَتْ أمانيهِ ولكنْ دهرُهُ ... أعْيَا مَناكِبَهُ بعبءِ بَناتِهِ

(١) كان العنوان الأصلي للقصيدة (اليتيم) ولكنه غيره فى آخر مراجعة كما هو الآن .

وارحمتاهُ لليتيمِ ومَنْ يُصَبْ ... فى والدَيْهِ فيا شقاءَ حياتِهِ [1]

كمْ حسرةٍ قد أورثتْهَا نَظرةٌ ... لمُنى الطُّفُولَةِ فِى وجوهِ لِداتِهِ

ويرى البشاشَةَ فى مواكبِ لهْوِهِمْ ... فيذوقُ طعمَ الموتِ قبلَ مَماتِهِ

يارُبَّ طفلٍ صاحَ منهُمْ : يا أبِى ... فيكادُ يَصْعَقُهُ صَدَى صَيَحَاتِهِ

أوْ صاحَ يا أُمِّى فكانتْ هتْفَةً ... تنشقُّ منها النفسُ عَنْ حَسراتِهِ

وكأنَّهُ مِنْ دَهْرِهم تَقْطِيبُهُ ... لعبوسِهِ تبدو على صَفَحَاتِهِ

وهمو أغارِيدُ الحياةِ شَدَتْ بِهَا ... شَفَةُ الرَّبيعِ الطَّلْقِ فِى بَسَماتِهِ

إن ساجَلُوه الشَدْوَ فى أفْرَاحِهم ... غنَّى مِنَ الأشجانِ فى آهَاتِهِ

أو رَامَ تَنْغيمَ السُّرُورِ لَهُ فَمٌ ... مَاتَتْ أغَانِى البِشْرِ فَوقَ لَهاتِهِ

أبدًا تُغَالِبُهُ الدُّمُوعُ كَأنَّهَا ... خُلِقَتْ مَعَ الأجْفانِ فِى حَدَقَاتِهِ

وإذا أهلَّ العيدُ فِى آفَاقِهِ ... وأشَاعَ فى الدنيا سَنا بَهَجَاتِهِ

وتسابقَ الأطفالُ فيهِ مَوْكِبًا ... نَشْوى سَقَاهَا العِيدُ مِنْ نَشَواتِهِ

وعلى جُسُومِهِمُو جَدِيدُ ثِيابِهِ ... وعلى وجُوهِهِمو سَنا لَمَحَاتِهِ

أبْصَرْتَ مَطويًّا على أسْمَالِهِ ... يطوى الضلوعَ أسَىً عَلَى جَمَرَاتِهِ

---

(١) حذف هذا البيت فى المراجعة الأخيرة وكذلك المقدمة .

حيرانَ ينظُرُهم فيرْجِعُ باكِيًا   مُتَعَثِّرًا فى الذُّلِّ مِنْ خُطُواتِهِ
العيدُ يملأُ كَأْسَهُم مِنْ شَهْدِه   ويَصُبُّ مُرَّ الصَّابِ فِى كَاسَاتِهِ
ما العيدُ للمَحْزُونِ إلا لَوْعَةٌ   تُضنِى وتَجْديدٌ لظُلْمِ حياتِهِ
ذِكْرَىً لآلامِ اليَتيْمِ مَريرةً   يَعيا بها فَيَتِيْهُ فِى غَمَرَاتِهِ

* * *

مَنْ لليتيمِ يَحُوطُهُ بِرِعَايَةٍ   ويُقِيلُهُ فِى العَيْشِ مِنْ عَثَرَاتِهِ
شُدُّوا عَزَائِمَهُ فَرُبَّ إساءَةٍ   للدَّهْرِ صَارَتْ بَعْدُ مِنْ حَسَناته
واحْموا مَواهِبَهُ يَجِئْكُمْ فى غَدٍ   بالمعجِزَاتِ الغُرِّ مِنْ آيَاتِهِ
إنَّ الذى خَلَقَ النُّبُوغَ مَواهِبًا   قد صيَّر الإغْفالَ مِنْ آفَاتِهِ
وَلَرُبَّ مَغْمورِ الطُّفُولَةِ خَامِلٍ   يَومًا يَهَابُ الليثُ من وثَبَاتِهِ[1]
ولرُبَّما نَهَضَ اليتيمُ بِقومِهِ   وأطلَّتِ الآمَالُ مِن راياتِهِ
اليُتْمُ أنْجَبَ للزَّمانِ (مُحَمَّدًا)   فمَحا دُجاهُ وكانَ خيرَ هُداتِهِ

* * *

(١) تم إضافة هذا البيت بعد ذلك (ليس فى وحى الربيع المحطوط) ولكنه فى آخر نسخة مخطوطة سنة ١٩٨٤م .

٤٩ - دنيا الغد

" فازت بالجائزة الأولى فى مسابقة هيئة الإذاعة البريطانية عام ١٩٤٤ قبل انتهاء الحرب العالمية الثانية ".

بَـوادِرُ مِـنْ دُنْيـا غَـدٍ وبَـشَائِرُ ... تَـرِفُّ فتَهْفُـو للـسَّلَامِ المَـشَاعِرُ
أُطَالِعُهَـا فِى الأُفْـقِ نَـشْوانَ حَالِمًـا ... فَيَغْمُرُنِـى مِـنْ عَـالَمِ النُّـورِ غَـامِرُ
أحـسُّ بقلبـي سـابِحًا فى جوائـه ... يُرَقْـرِقُ فِيهَـا البِشْرُ والجَـوُّ عَـاطِرُ
وأحـسَبُ نَفْـسِى مِنْـه بَـينَ عَـوالِمٍ ... مِنَ النُّورِ تَسْرِى فى سَناها الخَـواطِرُ
يهـيمُ بِهـا رُوحِـى المَـشُوقُ كَأَنَّـهُ ... مِنَ الشَدْوِ والشَّوْقِ المُبَهْرَجِ طَائِرُ
طَوالـعُ مِـنْ دنيـا غـدٍ بيـنَ أُفْقِـهِ ... تلـوحُ فـلا ترتـدُّ عَنها النَّـوَاظِرُ
ودُنْيـا سَـلامٍ لا يُكَـدَّرُ صَـفْوُهُ ... فلا الشرُّ غَلاَّبٌ ولا الحِقْدُ كَاشِرُ
ولا الجَـوُّ مَـسمومُ النسـائِمِ مَيِّـتٌ ... ولا الطَّـيْرُ نَـوَّاحُ الأغَارِيـدِ حَـائِرُ
ولا الـبَرُّ مجنـونُ الحديـدِ مُعربِـدٌ ... ولا البحـرُ معتـوهُ الـسفائِنِ ثـائرُ
ولا الكـونُ مشبوبُ الـضِّرامِ مُفَزَّعٌ ... تَـضِجُّ مآسِـيهِ وتـشْكُو المَجَـازِرُ
ولا الأرضُ أمْسَتْ بالـضَّحَايا مَقَـابِرًا ... وسَالَ بِهَـا مِنْ نازفِ الدَّمِ طَاهِرُ
ولا الطمـعُ المِلْحَـاحُ يَهْتـاجُ طَائِـشًا ... فَيَبْعَثُهَـا شَـعْواءَ فِـيمَا يُخَـاطِرُ

يهونُ عليهِ صَيحةُ الكَونِ بالأَسَى … فيُمْعِنُ فى مأْسَاتِهِ[1] وهْوَ سَادِرُ
لقدْ أخْرَسَتْهُ صَيحةُ الحَقِّ حُرَّةً … وأسْلَمَهُ للوهْنِ والمَوْتِ قَادِرُ
وراحتْ عِصاباتُ الظلامِ شَتيتةً … يطارِدُها جيشٌ من الفجرِ زاخرُ
واشرَقَ فى الدُّنْيا السلامُ بنورِهِ … مَدَى الدهرِ لا تَغْشى سناء الدياجرُ
وأضحتْ ضَعِيفاتُ الشُّعوبِ عزيزةً … يؤازِرُها الميثاقُ فيما يُؤَازِرُ
وما ساورتْ نفسُ الضَّعيفِ مَخاوفٌ … ولم يزْهُ بالنصرِ المحالفِ ظَافرُ
تُعاودُ حريَّاتِها كلُّ أُمةٍ … فتهتفُ للآمالِ منها الحَناجِرُ
وينتظمُ الدوْلاتِ حرٌّ تبادلٍ … مواردُهُ مكفولةٌ والمَصَادِرُ
وتُرفعُ فيها للثقافاتِ رايَةً … وتُنصَبُ للآدابِ فيها المَنابِرُ
سلامٌ وعدلٌ شاملٌ ورفاهَةٌ … وأمْنٌ ومجدٌ للحضَارَاتِ زاهِرُ
هُو الغدُ ميمونُ الطَّليعةِ عِنْدَما … تَسيرُ بإعلانِ السَّلامِ البشائرُ
تَعَجَّلْتُهُ حتى وددتُ لو أنَّنِى … طويتُ إليهِ العمرَ كَيما يُباكِرُ
وغَنَّيتُ بالدُّنْيا الجديدةِ فى غَدٍ … وما أنَا إلا صادقُ الحسِّ شَاعرُ

(١) كانت فى الأصل الأول غلوائه.

٥٠ - الخَنافِسُ

" ليس أعجبُ من كائنٍ خلقه اللهُ رجلا فأبى "

مَـنْ مُجِـيرِى مِـنْ الـذينَ اللـواتِى ... حِرْتُ فِيهم بَينَ الفَتَى و الفَتاةُ ؟
شَـبهٌ فى الـسِّماتِ والـسَّمْتِ أعْيا ... كُـلَّ طَـرْفٍ ، وأتْعَـبَ الحَـدَقاتِ
إيـهِ يـا زرقَـاءُ اليَمامـةِ (١) عُـودِى ... أسْـــعِفِينا بِحــدَّةِ النَّظَــرَاتِ
عَجَبًـا للفَتَــى ... يبــدِّلُ خَلْقًــا ... صــاغَهُ الله بــارئُ النَّــسماتِ
ليـتَ شِـعْرى مـاذا دَهـاهُ فَأَمْـسى ... فى الغَــوانِى مُؤنَّــثَ القَـسماتِ؟
يتَثَنَّــى جِيْــدًا ، وقَــدًا ، وخَـصْرًا ... كتثَنِّــى الكَــوَاعِــبِ الغَانِيــاتِ
بالــشُّعُورِ المُــرَجَّلاتِ ، وقَـدْ طَـا ... لَ عِنَــانُ الــذَّوائِبِ المُــسْبَلاتِ
وبِـــصَدرٍ مُقَلَّـــدٍ مُـــسْتَعَارٍ ... مِـن صُـدورِ النواهـدِ الفَاتِنـاتِ
والمــساحيقِ فى فــمٍ وعيــونٍ ... وخــدودٍ مـصبوغةِ الوجنــاتِ
والبنانِ المخضوبِ، والمعصمِ الحَالى ... ووشْــى الملابـسِ اللامِعــاتِ
لم يــدعْ مــن مفــاتِنٍ للعَــذارى ... أوْ يغــادِرْ لهــنَّ مــن مُغْرِيــاتِ
يـا بَنـي الخُنْفـساءِ كيـفَ رَضـيتُم ... رضِيتُم بانتسابٍ لأحقَرِ الحشَراتِ

---

(١) كانت ترى على سيرة ثلاثة أيام لحد بصيرتها .

كَيـفَ يُرجــى غـدُ الـبلادِ بِجيـلٍ … نَرْجِسِيٍّ[1] الميـولِ والنزَعـاتِ ؟

لا رعـى اللهُ صُنْعَكُم مِن شبابٍ … مغــرمٍ بالتقليــدِ فى التُّرَّهَــاتِ

تُـسرعونَ الخُطـى لكـلِ وبـاءٍ … مُــستعِار بأخبـثِ الآفــاتِ

وتَهيمـونُ بـالجديـدِ مـن الغـرْ … بِ ، ولـو كـانَ أقـبحَ العـاداتِ

كدتُ – واللهِ – حينَ صِرْتُم بناتٍ … أتَمَنــى لــو عــادَ وأدُ البنــاتِ

***

---

(١) النرجسية نظرية معناها إعجاب المرء بنفسه واشتهاؤه لجسمه .

١٥ - التيه

" ركنٌ منعزلٌ لم تصلْ إليه أضواءُ البعثِ الجديدِ حينما انبثقتْ لأولِ مرةٍ تُبدِّدُ بالعدلِ والكرامةِ كل ظلامٍ .... فهذا تصوير له فى تلك الفترة قبل أن تغمرَهُ الأضواءُ "

مـن للحيارَى طـوَتْهُم ظلمـةُ الياسِ ... الـضَّائعينَ فـلا راعٍ ولا آسِـى؟
يَمـشونَ فى التِّيـهِ أشـباحًا مُهزَّلَـةً ... كـأنَّما لُفِظـوا مـن جَـوفِ أرْمـاسِ
على طِـوارِ الحِمى المأهولِ قد نُبِذوا ... كأنَّهم فى الحِمَي ليسوا مِنَ النَّاسِ
قَـتلى الأمـانِى ، فـلا يَنمـو لهـم أمـلٌ ... إلا وأنْحَـى عليـهِ مِنجـلُ اليـأسِ
كَـأنَّهم غُرَبَـاءُ الـدَّارِ فِى وَطـنٍ ... مـا ضـاقَ يومًـا بـألوانٍ وأجْناسِ
يبـيعهم بمُنَـاهُ كـلُّ ذِى غَـرَضٍ ... كـأنَّهُمْ أعْبُـدٌ فى كـفِّ نَخَّـاسِ
عَـلى كَـوَاهِلهم يَعلـو ، ولذَّتُـهُ ... فى أنْ يُرى دُونَهمْ تاجًا على الراسِ
يا ساقِىَ الشعب كأس العدلِ مُتْرَعةً ... هل فى قرارَتِها ما يَرشُفُ الحَاسِى؟
ثُمالـةُ الكـأسِ تُحْيينَـا عـلى ظَمَـأٍ ... فَـلا تـضنَّ بهـا يا سَاقِىَ الكاسِ
إنّـا لَفِـى مَـأتَمٍ ، والـشَّعْبُ أجْمَعُـهُ ... مِـنْ حَولنـا بـينَ أعْيـادٍ وأعْـرَاسِ
نَمْشِى عَلَى الشَّوكِ فِى صَحْراءَ مُجْدبَةٍ ... وفِى الحِمَى نَفَحاتُ الورْدِ والآسِ
ولا نَـرَى فِى دُجَاهَـا لَمْـعَ بَارِقَـةٍ ... والنـاسُ تغمُـرُهُمْ أضْـواءُ نِـبرَاسِ
تـدبُّ فيهـا أفـاعِى الحِقـدِ مُنْـشدةً ... لحنَ الشياطينِ مِن غَاوٍ وخَنَّاسِ

دِينُ الثَّعَالبِ والذُّؤْبانِ شِرعَتُها ... مِنْ كُلِّ مُخْتلسٍ أوْ كُلِّ نَهَّاسِ
تَهْوِى الفَضِيلةُ صَرْعَى فى مَعَارِكِها ... مِنْ تَحْتِ أرْجُلِ أطْماعٍ وأرْجَاسِ
الفوزُ فيهَا لغَدَّارٍ وذِى مَلَقٍ ... وجَاهلٍ ، ولمَشَّاءٍ ودَسَّاسِ
والنابغُ الحُرُّ كابِى الحَظِّ عَاثِرُهُ ... فليسَ فى حُكمِها مِيزانُ قِسْطَاسِ
لا يَزرعُ الشرَّ فى أرضٍ وإنْ ظَهرتْ ... إلا مَظَالمُ حِرْمانٍ وإفْلاسِ

***

٥٢ - المُتسلِّقونَ أوْ القِطَطُ السِّمَانُ

لا تُهنِّـئْ مَـنْ فَـازَ بالعَليـاءِ ... فِي زمـانِ الأوْغَـادِ والجُهَـلاءِ
أهزَلَتْهـا فَـوْضَى التَّسَلُّقِ حَتَّـى ... سَـامَها كُـلُّ مُفْلِـسٍ عَـدَّاءِ
وتَـسَاوى مَـنْ لـيس كُفئًا بكُـفءٍ ... فى زحـامِ التُّجَّـارِ والوسَـطَاءِ
يـا صـديقى هَـذا زمـانُ المُداجِى ... لَـيس هَـذا الزمـانُ للأكْفـاءِ
لقَـدْ اختَلَّـتْ المَقَـاييسُ حَتـى ... غَـام وجـهُ الحَقِيقَـةِ الغَـرَّاءِ
وجَـرى الحـظُّ فِى المَناصِـبِ كالنـاسِ جُزافًـا بالـسعدِ أو بالـشَّقاءِ
فتهنَـأُ حِينًـا بعـذبِ الأغَـانى ... وتحْـزَنُ حينًـا بنـدب الرِّثَـاءِ
وإذا مـا العليـاءُ زُفَّـتْ لوغْـدٍ ... فـإلى القَـبْرِ زَفُّهَـا والفَنَـاءِ
رُبَّـما حازَهَـا مُلِّـحٌ وُصُـولىٌّ لَئـيمُ الهَـوى خَبيـثُ الـدَّهَاءِ
أشـعبىُّ الأطْـماعِ ينهَـبُ مَـا شَـاءَ بِـلا عِفَّـةٍ ولا اسْـتِحْياءِ
تَتَبَـارى لَـهُ الأقَـاليمُ سَـعيا ... واسْـتباقًا إلى فُـروضِ الـولاءِ
كُـلُّ كُلِّيَـةٍ تُنَـافسُ أخْـرى ... فِى شِراءٍ لكُتْبِـهِ واقْتنـاءِ
وَتُـزفُّ المحـاضراتُ إليـهِ ... مِـنْ ضِعاف النفـوس والجُبَنَـاءِ
وهـو فى سـائرِ الرسـائلِ عُـضوٌ ... بعـد مـا صـار أكفـأَ الأكفـاءِ
وعَليهِ (الشِّيكاتُ) تَنْصَبُّ زُلْفَى ... وَهْـىَ مَدْموغـةٌ بلَعـنِ الـسَّماءِ

كِيميَــــاءُ النِّفَــــاقِ أعْجَــــزَتْ الــــسِّحْرَ وأعيَــــتْ تجَــــارُبَ الكِيميــــاءِ

فـإذا لامَـسَتْ مِـنَ الحِـذْقِ قِـردًا   حَولَتْـــهُ لغَـــادَةٍ حَـــسْنَاءِ

وإذْا مَـــنْ بـــالأمسِ كَـــان جَهـــولًا   صَـارَ فى الحَـالِ أعْظَـمَ العُلَـماءِ

وإذا المُـــسْتَغِلُّ سُـــحْتًا غَـــدا في   لَمْحَـةِ الطَّـرْفِ أنْبَـلَ النُّـبَلاءِ

ويَكيـــلُ المنـــافِقونَ لَـــه المَـــدحَ عَـــلى نُبـــلِ فَـــضلِهِ والـــذَّكَاءِ

وإذا هُـمْ تبـادَلوا الـسُّحْتَ فِـيما   بَيـــنَهُم مُقْتـــدِينَ شَرَّ اقْتِـــداءِ

وإذَا العلـــمُ سِـــلْعَةٌ وإذَا العَـــدْوى إلـــيهمْ سَرَتْ مِـــن الرؤســـاءِ

لَـيسَ مـن يعْـتَلى المناصـبَ عَفًّـا   مِثْـلَ مَـنْ يَـستغلُّها للثَّـرَاءِ

رَبِّ رُحمَــاكَ مِــنْ وبــاءٍ تَفَــشَّى   أنْـتَ مَـنْ يُرْتجَـى لـدفعِ الوَبَـاءِ

حَـرَمُ العِلْـمِ صَـارَ مَـسْرَحَ هَـزْلٍ   كُومِـدىٌّ الـشُّخُوصِ والأزْيَـاءِ

* * *

قِطَــطٌ فى حِمَــاهُ تَغْــدو سِــمانٌ   بَـشِماتٌ مِـنْ امتـصاصِ الـدِّماءِ

يرتـــدونَ المُـــسُوح مِـــنْ (عِـــدَّةِ الـــشُّغلِ) لتَمْثيـــلِ مَظْهـــرِ الفُـــضَلاءِ

جُبَّـــةٌ كـــانَ أصْـــلُها بنطالونًـــا   طَوْقُوهَـــا بـــعِمَّةٍ فَرْعَـــاءِ

واسـتَعادُوا الوقـارَ سَـمتَ خـداعٍ   باعتجـــارِ العِمامَـــةِ اللَفَّـــاءِ

٥٣ـ الأزهرُ فى عيدِه الألفىِّ مارس ١٩٨٣ م (١)

أرَأيتَ كَيفَ طَوى القرونَ الأزْهرُ ... وأدالَ عُمرَ الدَّهرِ وهْوَ مُعَمِّرُ ؟
مَرَّت عَليه الألفُ لمْ تُوهنْ له ... عَزمًا ولا أوهَتْ قُواهُ الأعْصرُ
وأشابَ ناصيةَ الزمانِ ولم يَزلْ ... وإهابُه غَضُّ الشَّبابِ مُنَضَّرُ
اللهُ نَاطَ به الكتابَ وهديَهُ ... حِفظا ، فلا يَبلى ولا يَتغَيَّرُ
وحَبَا كنانَتَهُ بِه فأحلَّها ... شَرفًا تَطولُ به السماكَ وتُظهرُ
هَرَمٌ مِن الأهْرامِ إلا أنَّه ... حَرَمٌ يلوذُ بِه الحَجيجُ ومَشْعَرُ
أبَدًا تُشَدُّ له الرِّحالُ حَثيثَةً ... ويُؤَمُّ بَعْدَ المَسجِدَيْنِ ويُذْكَرُ
يَسْعَونَ من كلِّ الفِجَاجِ ليأخُذوا ... مِمَّنْ يصحُّ القولُ عَنْهُ ويُؤْثَرُ
لا تَغْتَرِرْ يوما بصَرْحٍ شَادَهُ ... وهمٌ على عقلِ البُناةِ مُسيْطِرُ
ليسَ الذى يَبنى الحجارةَ مِثْلَ مَنْ ... يَبنى العُقُولَ النَيِّرَاتِ ويَعْمُرُ
ما شَادَ بَانٍ فى الكِنانَةِ مِثْلما ... شادَ المُعِزُّ الفاطمىُّ وجَوْهَرُ

***

---

١) كتب الشاعر هذه القصيدة لأول مرة بداية عام ١٩٥٢ قبيل ثورة يوليو والتى أوقفت نشر هذا الديوان " وحى الربيع " بقرار منه، وهذا يوافق اقتراب العيد الألفى الهِجْرى للأزهر فى حُدود عام ١٣٦٢ هـ وكانت أقل من ثلاثين بيتا ثم أعاد كتابتها مره أخرى فى العيد الألفى الميلادى وهو بعد ذلك بحوالى ثلاثين عاما ووصلت القصيدةُ إلى شكلها الحالى وأبياتها أربعة وثمانون لذا يمكن اعتبارها أطول القصائد من حيث مدة الكتابةِ .

يـا مَعْهـدًا عَـمَّ المـشارِقَ نُـورُهُ   فَمـشَى عَـلى أضـوائِه المُتَحـيِّرُ
واستنهضَ الـدنْيا فرجَّـع شرْقُهـا   عَنـه وجـاوبَ غربُهـا المتحـضِّرُ
وَوَعَـى عُلومَ الـدين و الـدنيا مَعًـا   مُتَوثِّــبُ الخُطُــواتِ لا يتَعثَّــرُ
وحَمى الشريعةَ وهْو حِصنُ كتابِها   وبِــه يفــيضُ نَمِيرُهَــا المُتفجِّــرُ
وتَعهَّـدَ الفُـصحى فكـانَ لـسانَها   وعليـهِ ألويـةُ البلاغَـةِ تُنْـشَرُ
كَـمْ أطلعـتْ آفاقُـه مِـنْ أنجُـمٍ   زُهْـرٍ ، وكَـمْ تَنساب مِنـهُ أبْحُـرُ
مِنْ كـلِّ ركـنٍ فى الـشريعةِ يَستبِى   فى العلـمِ أفـذاذَ العُقـولِ ويَـسْحَرُ
مَـنْ كـانَ يلـتمسُ الحقيقـةَ حُـرَّةً   فلديــهِ جــوهرُ لُبِّهــا المُتخَــيَّرُ
كَمْ فِى رِحابِ الأرْضِ مِنْ طُلَّابِها   حَجُّــوا إليــهِ خَاشــعِينَ وكَــبَّروا
مـا ضَرَّ لوسَـلكَ الـشَّبابُ سَبِيلَه   فِى الحقِّ واستَهدُوا بِه واسْتَبْصَرُوا[1]
طلَبُـوا الهُدَى مِـنْ غَـيْرِه فتطرَّفُـوا   وتَخَبَّطُـوا فى الـوهمِ حتَّـى كَفَّـرُوا
ولـو استبانُوا الرُّشْـدَ لم يَتَشدَّدُوا   فالـدينُ أسْمَحُ فى الأمُـورِ وأيْـسَرُ
عِلَـلُ النُّفُـوسِ خَطِـيرَةٌ لكـنَّها   عِلَـلُ التـدينِ والعَقيـدةِ أخْطَـرُ
مَنْ ذا سواهُ يروضُ جَمْحَ نُفُوسِهم   بِهُدَاهُ وَهْـو عـلى الرِّياضَـةِ أقْدَرُ ؟

---

١) يشير الشاعر فى هذه الأبيات وما بعدها على ظهور التيارات التكفيرية فى المجتمع المصرى وانتشار التطرف باسم الجهاد وهذا سببه البعد عن المنهج الأزهرى الوسطى .

كَمْ ذا رماهُ بالتأخُّرِ مُغْرِضٌ ... فَهَل الأصَالَةُ رَجْعَةٌ وتَأَخُّرُ ؟!

حَسِبوا الحِفاظَ على التراثِ تحَجُّرًا ... فهلْ الحِفَاظُ على التراثِ تحَجُّرُ ؟!

إفْكٌ تَوَرَّطَ فيهِ كُلُّ مُضَلَّلٍ ... لَّما تَولَّى كِبرَهُ المُستَعْمِرُ

مَنْ لمْ يُؤسِّسْ بالقديمِ جَديدَهُ ... فجديدُهُ واهِى الأسَاسِ مُزَوَّرُ

مَرَّتْ عليهِ الحادثاتُ فَجازَها ... مُتَجَلِّدًا حِينًا ، وحِينًا يَزْأرُ

كَمْ قادَ ثَوْراتِ النِّضالِ وشَبَّهَا ... نَارًا على المُسْتعمرينَ تُسَعَّرُ

وَجَرَى زَكِيًّا مِنْ بَواكِيهِ دَمٌ ... عَبِقٌ بأنفاسِ الخُلودِ مُعطَّرُ

وإذا استُضِيمَ الشَّعْبُ أو رِيعَ الحِمَى ... صَرَخَتْ مآذنُهُ وضَجَّ المِنْبَرُ

مَنْ أشْعَلَ الحُرِّيةَ الحَمْراءَ فِي ... ساحَاتِه نُورًا ونَارا تَصْهَرُ ؟

ومَلاحِمًا يَجْثُو لها تاريخُهُ ... غُرًّا بأقْلامِ الخُلُودِ تُسَطَّرُ

مَنْ بَثَّ رُوحَ الوعْى حُرًّا لم يَزلْ ... يَلِدُ البُطُولاتِ التى لا تُقْهَرُ ؟

إنَّ المُوكَّلَ بالحنيفِ وهدْيهِ ... أحْرى وأخْلَقُ بالجِهادِ وأجْدَرُ

***

يا أزْهرَ الماضى المَجيدِ تحيةً ... النَّدُّ فَوْحُ أريجِها ، والمِنْبَرُ

غَراءُ يوجِبُها الوفَاءُ وذِمَّةٌ ... تَرْعى الحُقُوقَ ، ومِنَّةٌ لكَ تُشْكَرُ

أنا مِنْ غراسِ يديْكَ فَرعُ خَميلةٍ ... كَرُمَتْ منابِتُها وطَابَ المنظَرُ

يَجْرى البيــانُ الحــقُّ فى أعراقِهَــا ... عَــذْبا فتُطلِــعُ نابهيــهِ ، وتُثْمــرُ
تَتَفَيَّــأُ الفُــصحى ظَلِيــل ظِلالِهــا ... وغُــصونُها للعبقريَّـــةِ مَزْهَـــرُ
مــاضٍ عليــه مــن الجــلالِ مَهابَــةٌ ... يَعنــو لَهــا المُخْتَــالُ ، والمُتَجَــبِّرُ
إنَّــى لأذْكُــرُه فيبهِــرُ خَــاطِرى ... والمجــدُ حَقًّــا مَــا يَــرُوْعُ ويُبْهِــرُ
لبيــكَ شَيــخَ الجامِعــاتِ ومَــنْ بِــه ... مِــصْرٌ عــلى الــدُّنيا تَتِيــهُ وتَفْخَــرُ
كُنْــتَ الــسماءَ مَنــارَةً ومَكانَــةً ... طَلَــع الــشُّيوخُ بهــا نُجومًــا تزهَــرُ
كــانوا مُلوكًــا للملــوكِ وكلُّهــم ... فى وجــهِ طُغيــانِ الملــوكِ غَــضَنفَرُ
لمْ يُغْــرِهم جَــاهٌ ولا أزرَتْ بِهــمْ ... دُنيــا ولا اســتَهْواهُمو مــا يُنْكَــرُ
مَــنْ مَــدَّ فى وجــهِ الخِــديوى رِجْلَــهُ ... زُهْدا ، وضَمَّ يَديْهِ وهْوَ المُقْتِرُ؟[1]
مَــنْ صَيَّــرَ الأمــراءَ فى سُــوقِ الحِمَــى ... سِــلعًا تُقَــوَّمُ قبــلَ أنْ يتــأَمَّرُوا ؟[2]
والراســخُ الإيــمانِ لــيسَ يُخيفُــه ... مِــنْ دَهْــرِه إلا العــلىُّ الأكْــبرُ
والعلمُ كــانَ مَنــاهِلًا يَــرْوى الصَّدَى ... ظمأنُــه مِنهــا ، وعَنْهــا يَــصْدُرُ
حلقاتُــه الغَــرَّاءُ حَــوْل شُــيوخِه ... هــالاتُ أقْــمارٍ سَــناها أقمــرُ

---

[1]) هو الشيخ الباجورى الذى لم يحفل بالخديوى إسماعيل حين زار حلقتة وكان يَمدُّ رِجله فلم يضمها ، ثم لم يقبل هدية الخديوى التى بعثت بها إليه مع فقرهِ .

[2]) هو العز بن عبد السلام سلطان العلماء الذى أفتى ببيع أمراء المماليك باعتبارهم من بيت مال المسلمين .

كانَتْ خَلايا النَّحْلِ عِنْدَ دَوِيِّها ... وبِهَا جَناهَا ، والرَحِيقُ السُّكَّرُ
وبِسَاحِها شَتَّى المَذاهِبِ تَلتَقِي ... فالسَّاحُ حَشْدٌ والأئِمَّةُ حُضَّرُ
تغْشي مَجالِسَهَا الملائِكُ خُشَّعًا ... ويَحُفُّهَا مَدَدُ السَّماءِ النَّيِّرُ
وتَعمُّهَا النَّفَحاتُ مِنْ أنْفاسِها ... وكَأنَّها المِسكُ العَتيقُ الأزْفَرُ
فالعِلمُ قَصْدُ الطَّالبينَ لِذَاتِه ... لا يُبتَغَى جَاهٌ بِهِ ، أو مَظْهَرُ
ما بَالُه أضْحَى غُثَاءَ تِجارةٍ ... تَلغُو بِها سوقٌ ويَلْهُو مَتجَرُ
عَمَّتْ معاهِدُهُ المدائِنَ والقُرَى ... أتُرى كَمظْهرِهَا يسرُّ المَخْبَرُ ؟
وتَرى بكلِّ مدينةٍ كليةً ... أتُرَى كمنظرِهَا يَروقُ الجَوهرُ ؟
يُلْقَى إلى القِطَطِ السِّمانِ زِمَامَها ... فيسومُهَا (الدَّلَّالُ) و (الشَّهْبَنْدَرُ)
يتقاسمونَ الغُنْمَ فيما بَيْنهم ... فالرِّبحُ وَفْرٌ والجِهالةُ أوْفَرُ
مِنْ كُلِّ نَهَّازٍ تَسَلَّقَ للذُّرا ... وضَمِيرُهُ بِثَرَى الحَضيضِ مُعَفَّرُ
ومُهَرِّجٍ يَعْلُو مَناكِبَ عُصْبَةٍ ... تَحْميهِ وهْوَ الأحْمقُ المُتَهَوِّرُ
يَنْهَى ويَأمُرُ باسْمِها مُتبجِّحًا ... وكَذاكَ يَنْهَى (العصبَجِيُّ) ويأمُرُ
أشْلاءُ مَجْدٍ مَزَّقَتْهُ مَخالِبٌ ... خَرْقاءَ في سَمْتِ التُّقَى تَتَسَتَّرُ
وتُراثُ أسْلافٍ قَدْ انفردوا بِه ... في النَّهْبِ دُونَ تَحرُّجٍ واسْتأثَروا
وَقْفٌ عَلى الجُبناءِ مِنْ أذْنابِهم ... أمَّا الأبِيُّ العبقرِيُّ فَمُهْدَرُ

لكنَّهـــا حُرِيَّتِــــى وتَرَفُّعِــــى ... وكَرامتـى أغْـلى الكُنـوزِ وأنْـدَرُ
حَسْبى مِنَ الـدنيا غِنَاى بِهَا وإنْ ... كَانَـتْ ذُنُوبًـا عنـدَهُمْ لا تُغْفَـرُ
قَالوا : التَّطَوُّرُ قُلتُ : صِبغٌ حَائلٌ ... إنَّ الأصِـيلَ الحُـرَّ لا يتَطَـوَّرُ
أمِـنَ القُـشورِ الهامِـشِيَّةِ يُرتَجى ... عِلْـمٌ سَـوِىٌّ أوْ سُـلُوكٌ خَـيِّرٌ ؟
لا يَخْـدَعَنْكَ بهـا كِتـابٌ أبْـيضٌ ... مِنْ بعدِ مَا هُجِرَ الكِتَابُ الأصْفَرُ
يا أزْهَرَ الماضى وكَمْ فِى النفسِ مِنْ ... ذِكْـرىً يُؤَجِّجُهـا أسـىً وتَحَسُّرُ
عُـذْرًا إذا شَـطَّ الـيَرَاعُ فَأَنْـتَ مَـنْ ... يَعْفُــو إذا شَـطَّ الـيراعُ ويَعْـذِرُ
عَقَـدتْ لِـسَانَكَ عُجْمَـةٌ ولَطَالَمَـا ... قَـدْ كـانَ باللُّغَـةِ الفَـصِيحةِ يَهْدِرُ
مَــنْ أهْمَـلَ القـرآنَ حِفظًـا غَالـه ... عِيُّ اللسانِ الأعْجَمىِّ فَيُحْـصَرُ
جِيـلٌ لعمْـرِكَ مَـا يُـصَحِّحُ آيَـةً ... حَتـى غَـدَتْ منـه المنـابِرُ تَـسْخَرُ
نفثَـاتُ أشْـجَانٍ زَحَمْـنَ مَـشاعِرى ... ومِــن الـشُّجُونِ مُقَيَّــدٌ ومُحَــرَّرُ
أشْدُو وفى عَيْنِى وبَيْنَ جَـوانِحِى ... دَمْـعٌ يَجُـولُ ومُهْجَـةٌ تَتَفَطَّـرُ
لكنَّنِــى فِى عِيــدِكَ الألفــىِّ لا ... أنْـسَي الرجـاءَ فُـرُبَّ كَـسْرٍ يُجْـبرُ
مَهْمَا نَظَمْـتُ لَـكَ الوفـاءَ وصُغْتُه ... دُرًّا فـــإنِّى فى الوفـــاءِ مُقَـــصِّرُ
يكفيكَ أنَّـك أنْـتَ مِصرُ ومَجْدُها ... يَـومَ الفَخَـارِ وأنَّ مِـصْرَ الأزْهَـرُ

٥٤ـ لحن السلام [1]

دَعَوْتَ للسِّلْمِ بَعدَ الحَرْبِ مُقْتَدِرًا   ومَا جَنَحَتْ لَهُ ضَعْفًا ولا خَوَرَاْ
وكيفَ يُرمى بالاسْتِسلامِ داعيةٌ   إلى سلامٍ عزيزٍ يشملُ البَشَرَا
فللكرامَةِ خُضْتَ الحَرْبَ مُنْتَصِفًا   وللسَّعادَةِ خُضْتَ السِّلمَ مُنْتَصِرًا
إن السَّلامَ نَشِيْدُ الخُلْدِ تعزفه   ملائكُ الله لحنًا خالدا عَطِرَا
ينسابُ فى الكونِ قُدسىَّ الصَدا هَزِجا   فَيُلهم النَّاى والقيثارَ والوَتَرا
كَمْ أرْهفَتْ سَمْعَها الدُّنْيا لنغْمَتِهِ   حُلْمًا يُدَاعِبُها فِى يَقْظَةٍ وكَرَى
ورَجَّعَتْهُ عَلى الأفْنَانِ سَاجعَةٌ   جَناحُها ضَمَّ غُصْنَ الَّزيْتِ فَازْدَهَرَاْ
فلا تُصغِ لهُراءِ المُرجفين ولا   تَحفلْ بمن شكَّ أو يَحزُنْكَ من غدرا
اللهُ حسبُك فى حربٍ وفى سلم   ما دام قلبُك بالإيمانِ عَمِرا
والسِّلْمُ قَدْ يُدْرَكُ الحَقُّ السَّليبُ بِهِ   مَنْ لَيسَ يُدْرِكُهُ بالحَرْبِ مُسْتَعِرَا
والقائدُ الفذُّ قد تغنى صلابتُه   عن خوضِ نارِ الوغَى كالليثِ إنْ زَأرَا
ومَنْ يَجِدْ فى مَساعِى السِّلْمِ بُغْيَتَهُ   ورَامَ حَرْبًا يَكُنْ بالحَرْبِ مُنْتحِرَاْ
فسر على الحق لا يثنيك ذو غرضٍ   مضى يشوِّه ما أحرزْتَ أو نَكَرَا

---

١) هذه القصيدة كانت دعما لاتفاقية السلام مع إسرائيل المعروفة باتفاقية كامب ديفيد.

وأدْرِكَ الشعبُ إن الشَّعبَ أنهكَهُ　　　هذا الفسادُ الذى قد طمَّ وانتشَرا
يكادُ يقتلُه اليأسُ المُلِمُّ به　　　من طول ما ارتقبَ الإصلاحَ وانتظرا
فِى كُلِّ يومٍ مَناحَاتٌ عَلى خُلُقٍ　　　ومأتَمٌ لِضَمِيرٍ بيننا قُبِرَا
تفاقمَ الشرُّ حتى عَزَّ رادِعُهُ　　　واستفْحَلَ الخطبُ حتى أعْجَزَ القدَرَا
كَمْ يَسْتَبِدُّ بِمالِ الشَّعْبِ مُخْتَلِسٌ　　　وَيَنْهبُ القُوتَ مَنْ فى قُوتِهِ اتَّجَرَا
بالحَزْمِ والعَدْلِ طَهِّرْهُ لتنقذَهُ　　　مِن سَارقٍ عاثَ أو مِن فَاتكٍ فَجَرَا
واطْرَحْ تَسامُحَكَ الحانِى فَرُبَّ أَبٍ　　　يَقْسُو عَلى الابْنِ أحْيانًا ليَزْدجِرَا
دِعَامَةُ المُلْكِ أخْلاقٌ ومَرْحَمَةٌ　　　فإنْ تَهاوتْ تَداعَى المُلكُ واحْتَضَرَا

❊ ❊ ❊

٥٥ - صَيْحَةٌ جاهِلِيَّةٌ (١)

حوالي عام ١٩٤٨م أثارت دسائس السياسة والحزبية، ونوازع المطامع والأهواء رياح الفتنةِ والتعصب الإقليمي في الأزهر بين الصعيدي والبحراوي من أبنائه فقلت:

١- رُويدَ بنى الوجهينِ أنْتم بَنو مصرِ ... وكلُّ بنى قِبلِى شَقِيقُ بَنى بَحْرِى
فَكَيفَ شَبَبْتُم فِرْقَةً جاهِلِيَّةً ... تُؤَرِّثُ نِيرانَ الحَفِيظَةِ والثَّأرِ
ومَا بَالُكم تَسْتَنْزِفُونَ دِماءَكم ... لِيَهْدرَها الشيطانُ فى حَمْأةِ الوِزْرِ
أَلا إِنَّها أبْقَى وأطْهَرُ لَوجَرَتْ ... لإِنقاذِ دِينِ اللهِ مِنْ عَنَتِ الكُفْرِ
٥- أَلا إِنَّها أبْقَى وأطْهَرُ لَوجَرَتْ ... لتحريرِ أوطانٍ تَضجُّ من الأسْرِ
لَقَدْ رَاعَنى أنَّا عَلى مِحْنَةِ الحِمَى ... نَرُوحُ عَلَى ذُحْلٍ ونَغْدُو عَلَى وِتْرِ
ونُصبحُ فِى المعمورِ أوْسًا وخَزْرَجًا ... نُقَطِّعُ حَبْلَ اللهِ بالسَّفَهِ المُزْرِى
وقَد ألَّفَ الإسْلامُ بَين قُلوبِهِمْ ... وكَانوا مِنَ الأضْغَانِ كَالماءِ الجَمْرِ[٢]

---

١) القصيدة من ديوان وحى الربيع وكان عنوانها " العُنْصريَّةُ البَغِيضَةُ " وكانت مقدمتها : (يعانى الأزهر فيما يعانيه من محنة السياسة، وفتنة المناصب، وسموم الحزبيةِ وما يبعثُ فيه أحيانا تلك الصيحة الجاهلية، والتعصب الإقليمى بين الصعيدى والبحيرى وهذه القصيدة صدى لتلك العنصرية البغيضة).

٢) محذوفة من نسخة ١٩٨٤م.

فَـوا أسَـفا والعُـرْبُ تَجْمعُ شَـملَها   وتَرْقُـبُ فى آمَالهـا مَطْلـعَ الفَجْـرِ
وَوَا أسَـفَا والنِّيـلُ يَنْـشُدُ وِحْـدةً   تُحَصِّنُ وادِيـهِ مِنَ الخَتْلِ والغَـدْرِ
وما بالُنا نبكى فلسطينَ إنْ جَرتْ   على غيرِ وادِيها الدماءُ التى تَجْرى
وأيُّ اتِّحــادٍ للعروبَــةِ يُرْتَجَـى   بأقْطارِها إنْ شَتَّ شَمْلُ بَنِى قُطْرِ؟

***

بَنِى الأزْهَـرِ المَعْمـورِ مَـاذا أصَـابَكُمْ   وأنْتُمْ حُماةُ الـدِّينِ مِنْ سَالفِ الدَّهْرِ
أفى الـدينِ أن يـدعو الـدعاةُ لوحـدَةٍ   وأنـتُم أوانَ الجـد مُختلفـو الأمْـرِ ؟
أفِى الدِّينِ أَنْ يَسْتصرِخَ العُربَ صَارِخٌ   وآذانُكم عَنْ صَـيحةِ الحَقِّ فِى وَقْرِ؟[1]
أفى الـدين أن تَـدْعوا جهـارا لِفُرْقَـةٍ   وللنـاس فـيكُم قُـدوةُ الخيـرِ والـبِرِّ؟[2]
ولَوْ كَانَ هَذا الخَطْبُ فى غَيرِ سَاحِكُمْ   لكَـانَ لِمَـنْ أذْكَـاهُ شَيءٌ مِـنَ العُـذْرِ
إذا لم يُحَـصِّنْكُم مِـنَ الـدِّينِ مَعْقِـلٌ   مِنَ الخُلُقِ العـالى فيـا ضيعةَ العُمْـرِ
خُذُوا بِلُبَابِ الدِّينِ والعِلْـمِ واطْرحُـوا   هُـرَاءَ قُشُورٍ فِى حَواشِـيكُمُ الصُّفْرِ
شُـغلتُم عـن الخيـرِ اللُّبـابِ بِقِشرِهـا   وأىُّ غَنـاءٍ للحقيقـةِ فى القِـشرِ ؟!

---

١) محذوفة من نسخة ١٩٨٤م.

٢) محذوفة من نسخة ١٩٨٤م.

وقَدَّسْـتُمُ الألفـاظَ حَتَّـى تَنكَّبَـتْ   بكم لاحِبًا يغنى عن المَسْلكِ الـوعر[١]

لقــد عـوَّدَتْكُم أن تَـشُنُّوا مَعاركـا   معـاركُ شَـنَّتْها لزيـدٍ عـلى عَمـرو[٢]

وكُنـتم هُـداةً تحملـونَ مـشاعِلا   يُبَـشِّرُ فيهـا النُّـورُ بالْمُثُـلِ الغُـرِّ[٣]

فـدبَّ الهَـوى حَتـى تَقَلَّـدْ بَعْـضُكُم   لِـبَعضٍ عِـصِيًّا كالرُّدَينيـةِ الـسُّمْرِ

أهَـذا هُـو المعمـورُ سَـبَّاقُ نَهضَةٍ   فما بَالُه فى الركْب مُضْطَرِبَ السيرِ؟!

* * *

ألا قَـبَّح اللهُ الـسياسةَ إنَّهـا   صِلالٌ تَدَسَّى فى قُطوفٍ من الزَّهْرِ

أقامتْ من الأهـواءِ سُوقا وأجْلَبتْ   عليها شبابَ الجيلِ بـالثَّمنِ المُغْرى

تباعُ بها الأخـلاقُ بخْسًا وتُشترى   فيكْفُرُ فيهـا مَنْ يبيـعُ ومَنْ يَشْرِى

ومَـا عَمَـرَتْ إلا بِطالـبِ مَنْـصِبٍ   يَروحُ عَلى رَأسٍ ويَغدو على ظَهْرِ

مراقِيـه أكْتـافُ الـشَّبابِ وهَمُّـهُ   عَـلى كَاهِـلٍ غَـضٍّ وهَتَّافَـةٍ غِـرِّ

فَيـا فِتْيَـةَ المَعْمُـورِ فُـضُّوا نُيُوبَهَـا   وثُـورُوا عَلَيْهـا ثَـوْرَةَ الحَانِقِ الحُـرِّ

فـماذا جَنَيْـتُم مِـنْ شُبُوبِ أوَارِهَـا   بِنا غَيرَ شرٍّ فى الكنانِةِ مُسْتشْري ؟

---

(١) محذوفة من نسخة ١٩٨٤م.

(٢) محذوفة من نسخة ١٩٨٤م.

(٣) محذوفة من نسخة ١٩٨٤م.

٥٦ - أمـي (١)

١ـ أنْـتِ فَـيْضُ المُنَـى ونَبْـعُ الحَنَـانِ ... ومِثَـال الوَفَـاءِ والإحْسَانِ
أنْـتِ رَمْـزٌ لرَحْمَـةِ اللهِ فى الأرض ... وسِرُّ الوجـودِ فى الإنْسانِ
أنـتِ فى ظُلمـةِ الحيـاةِ ضِـياءٌ ... ورَجَـاءٌ للمُـدْلِجِ الحَـيرانِ
كم سهرتِ الليـلَ الطويـلَ لأجلى ... وتحملـتِ فِىَّ كُـلَّ هـوانِ
٥ـ إذا مـا مرِضْـتُ أمسيتِ مِـثلى ... تـشتكينَ السِّقامَ ممـا أعَـانِى
أنـا مَهـما بـذلتُ لـستُ أوفِّى ... لـكِ حقًّا عَـلى مَـدَى الأزْمَـانِ
جَعَـلَ اللهُ مِـن رِضَـاكِ رِضَـاهُ ... حِـينَ أوْصَى عَليـكِ فِى القُـرْآنِ
ولمَـن عقَّـكِ الـسعيرُ وهيهـاتَ ... لـه أن يـشمَّ ريـحَ الجِنـانِ
لـكِ يـا أمُّ - ماحييـتُ وفـائى ... لـك يـا أمُّ أجمـلُ العِرفـانِ
١٠ـ ولـكِ الحُـبُّ خالـصا والأمَـانِى ... ولـكِ الـشُّكْر صَـادقا والتَّهـانِى

***

---

(١) كتبها بعد وفاة والدته بمدة تزيدُ عن عشرةِ أعوام إذْ بدأ الاحتفالُ بعيد الأم فى مارس ١٩٥٦ وكانت والدتُه قد تُوفيتْ فى ١٩٤٦م.

٥٧ - تهنئة وأمل (١)
لأحد شيوخ الزهر بتوليه منصبة

هَلْ أنْتَ آسٍ جِراحَ الأزْهَرِ العَانِى   ومُـوْقِظٌ لِعُـلاه كُـلَّ وَسْـنَانِ ؟
وهـل لليـلِ الحيـارى فى غياهِبـه   فجرٌ بعهْدِك يَهْدى كلَّ حَيرانِ ؟
وهـل تعيـدُ لـه ماضـاعَ مـن ثقـةٍ   ومـا تبـدَّدَ مـن عِـزٍّ وسُـلْطانِ ؟
وهَلْ تُرى يَنْهَضُ العِمْلاقُ مُنْتَفِضًا   حـرًا أبِيًّا عزِيـزَ الـشَّاوِ والـشَّانِ ؟
يعنو لـه الـدَّهْرُ إجْلالًا ويرهـبُ أن   يَغشى حِمـاهُ ومـا يعنـو لإنـسان
مَـوْلاىَ عُـذْرَ القَـوَافِى فِى تَـساؤُلِها   فلستُ مهما جفـا قـولى بخـوَّان
أضـاعنى حـرُّ رأيـى فى صراحَتِـه   وقبلُ كمْ ضاع ذو حسٍّ ووجدانِ
كـم راحَ غـيرُك مز هـوًّا بمنـصبهِ   والتهنئـاتِ ، ولم يـنهضْ ببُنْيـانِ
وكـم مُحِـبٍّ عـلى مرقـاه هَنَّـانِى   لَمَّـا تنكَّـر للآمـالِ عَزَّانـى
لكـنَّ مِثْلَـك لا يُزهـى بتهنئـةٍ   إلا عـلى عمـلٍ مُجْـدٍ وإحـسانِ
لَمَّـا تجَاوَبَـت البُـشْرَى حَمَلْـتُ لَهَـا   قِيثَـارَتِى بَعْـدَمَا طَهَّـرْتُ أَلْحَانِى
تزاحمتْ فى فمـى للحقِّ واستبقتْ   لظِـلِّ روضِ مـن الآمـالِ فينـانِ

(١) لها رواية أخرى فى مخطوطةِ (وحى الربيع) بعنوان تحية وتهنئة وكانت مهداه إلى الشيخ إبراهيم حمروش شيخ الأزهر وأحدث فيها تغيرا وهذه النسخة النهائية منها .

أقول: يا شعر هذا الروض فانشَ به ... على الوفاء شذا رَوْحٍ وريحانِ

حَقٌّ عليكَ فكم أعلاكَ مَنزلةً ... وطالما شرفَتْنِي منه أُذْنانِ

مَنْ لَوْ يَجُرُّ على طِرْسٍ يَراعَتَهُ ... ثَنَاكَ تَعْثُرُ في إغْضاء خِزْيانْ

الألْمَعِيُّ الذِي تَكْفِيكَ لُمحَتُهُ ... فَطَنُّهُ ويَقِينُ النَّاسِ سِيَّانِ

ومُرْهفُ الحِسِّ لَمْ تُخْطيءْ مَشاعِرُهُ ... مَشْيَ النِّمالِ عَلى مَلساءَ صَفْوانِ

هَنِّئْهِ يا شعرُ واهتفْ فى خمائلِه ... واصْدَحْ بِعصْماءَ يَرْوِيها الجَدِيْدانِ

إنَّ المعالى للأكفاءِ مفخرةٌ ... وللدَّعِيِّينَ نقصٌ أيُّ نقصانِ

ما كُلُّ مَنْ نالَها أَهْلٌ لِتهْنِئَةٍ ... فَقَدْ تَعَزَّى إذَا ما نالَها وانِ

إنَّ العلا لَعَرُوسٌ إنْ خَطبتَ لها ... مَنْ ليس كُفْئًا تَرَدَّت ثوبَ أحزانِ

وَبُرْدَةٌ مِنْ كَرِيْمِ الخَزِّ لو خُلِعَتْ ... عَلَى قَعِيدٍ غَدَتْ أخْلاقَ أكْفَانِ

في مَهْرَجانِكَ يامَوْلاى أبْعَثُها ... عَذْراءَ تَخْتالُ في وَشْيٍ وأَلْوانِ

هَامَ الرَّبيعُ بِها حُبًّا فَالَّفَ مِنْ ... أشْتَاتِها زَهْرَةً فى كُلِّ بُسْتَانِ

جاءَتْكَ بالأمَلِ المَرْجُوِّ ناضِرَةً ... فَلا تَدَعْها بِلا سَاقٍ ولا حَانِى

أعِدْ لأزهرنا قدسىَّ منصبِه ... فطالما اهْتَزَّ مِنْ ذُلٍّ وخِذْلانِ

وصَدَّ عنه تَعِلَّاتٌ يُرَوِّجُها ... مُرَوِّجُ الزَّيْفِ مِنْ زُوْرٍ وبُهْتَانِ

وأَلْـقِ فى مِـسْمَعِ الـدُّنْيا بِـصَيحتِه حتَّـى يـردَّ مَـسرَّاهَا الـسِّماكَانِ

ولا تخيِّـبْ رجـاءً فيـكَ منعقـدا فأنـت أدرى بـآلام وأشْـجانِ

٣٠- لاحتْ مخايـلُ إصْـلاحٍ بـدأتَ بهـا فـأتْممِ الخـيرَ تغـنمْ كُـلَّ شُـكْرانِ

* * *

٥٨ - أجرٌ وعافيةٌ

بمناسبة عودة الأستاذ أحمد حسن الباقوري مدير جامعة الأزهر بعد علاجه في لندن.

١- أجْـرٌ وعَافِيــةٌ وعَــوْد أحْمَــدُ ... فاسْـلمْ لآمـالِ الحِمَـى يـا أحْمـدُ
أرِقَتْ لِطُول نَـواكَ جَامِعـةُ الهُدَى ... والــشَّوقُ فى أحــشائِها يَتَوَقَّــدُ
أوحشتْ مَغْنَاهـا وشُـقْتَ رِحابَهـا ... ورَمَـتْ مناهـا شُـقَّةٌ بـك تبعـدُ
سَـهِرَتْ عليـكَ قُلوبُهـا وعيونُهـا ... لله تجـــأرُ بالـــدعاء وتَجْهَـــدُ
٥- وسَرَتْ عَـلَى بُعْـدِ المَـزارِ مَـشُوقةً ... تَطْـوي الجِـواءَ إلى لقـاكَ وتَحْفِـدُ
لَهفَـى تَـرِفُّ عـلى سَـمائِكَ تـارَةً ... طَــيْرًا وآنًــا في سَريــرِكَ ترقــدُ
اليَــوْمَ عُــدْتَ لَهَـا فقَـرَّ مُـرَوَّعٌ ... وأفَـاقَ عَـانٍ واسْـتراحَ مُـسَهَّدُ
طافَــتْ بهــا فاسْتبَـشَرَتْ لِهُتافِهـا ... بُـشْرَى تَقَـرُّ بِهـا العُيـونُ وتَـسْعَدُ
صَـحَّتْ بِـصِحَّتِكَ المُنَـى وتَخايَلَـتْ ... نَــشْوَى بِهــا مَزْهُــوَّةً تَتَجَــدَّدُ
١٠- الحمــــدُ لله اللطيــــفِ فإنَّــــهُ ... لأَحَــقُّ مَـن يُثْنَـى عَليـه ويُحْمَـدُ

***

٥٩ - أبا سلوى

١ - أبـا سَـلْوى بِحَـسْبكَ أنَّ سَـلْوَى ... تُحـاكِي الأُقْحُوانَـةَ في نَـدَاهَا
نمـتْ فى دوحـةِ الـشَّرفِ المُعَـلَّى ... فتوَّجـتِ المَفَـاخِرَ في ذُراهـا
وشَـبَّتْ مِـنْ رَبيعِـكِ في ريـاضٍ ... تفتَّحَـتِ الأزَاهِـرُ في رُباهـا
فيـا لَـكِ زَهْـرةً حَـسناءَ ترنُـو ... أزاهـيرُ الربيـعِ إلى صِـبَاها
٥ - ويـا لـكِ نجمـةً لـما تَبـدَّتْ ... نُجومُ الليـلِ غـارَتْ مِـنْ سَـناهَا
حَباهَـا اللهُ ذَوقًـا شَـاعريًّا ... وحِـسًّا مُرْهَفًـا فـيما حَباهـا
رعاهَـا ظِلُّـك الحـانِى ملاكًـا ... سماويًّا فَبُـورِكَ مَـنْ رَعَاهـا
٨ - بَقِيـتَ لهـا وعِـشْتَ بِهـا قَريـرًا ... وقَـدْ بلغـتْ مـن الـدنيا مُناهـا

***

٦٠ـ عودة الشفاء

(تهنئة لأحد شيوخ الأزهر بشفائه من مرضٍ أبعده طويلاً عن الأزهرِ)

أَوْحَشْتَ مَغناهُ والرِّحابَا وشُقْتَ أهليهِ والصِّحابَا
فعُدْ إلى الأزْهَرِ المُعَنَّى وأطفِئِ الشَّوقَ والعَذابَا
أرَّقْتَهُ لوعةً وسُهدا وطُولَ سُؤلٍ لِمَا أصَابَا
كَمْ باتَ يَسْتَنْبِئُ الليالِي لهفانَ يَستَعْجِلُ الجوابَا
ويرقُبُ المَوْكِبَ المُرَجَّى حَيرانَ يَسْتَطْلِعُ الرِّكَابَا
واهتزَّ كُرسِيُّه حَنيناً وضجَّ مِنْ شَوْقِهِ ارْتِقابَا
وكادَ يَسْعَى إليكَ لَمَّا أطلْتَ عن سَاحِهِ الغيابَا
فليُهْنِهِ اليومَ ما تَمَنَّى ولْيَحْمَدِ العَوْدَ والإِيَابَا
مُحمودُ يَا مَعْقِدَ الأمانِي ومَنْ حَدَوْنَا بِهِ الرَّغابَا[1]
أصابنا ما شكوتَ مِنه ومَسَّنَا ضُرُّهُ ونابا
سَحَابَةٌ طَوَّفَتْ ببَدْرٍ والبَدْرُ كَمْ مَزَّقَ السَّحَابَا
وعاصِفٌ مَرَّ فوقَ بَحْرٍ ومَا طَوى العَاصِفُ العُبَابَا

---

(١) الرغاب : جمع رغبة جمع تكسير .

وَضَـــيفنٌ[1] غَـــرَّه كَـــريمٌ ... فاسْـــتمرأَ المُكْـــثَ واسْـــتَطابَا

قَـــد أقبـــلَ الـــدَّهْرُ في اعْتِـــذارٍ ... لينـــشدَ الـــصَّفح والمتابَـــا

فاصْـــفَحْ فـــإِنَّ الكَـــريمَ سَـــمْحٌ ... لا يُوسِـــعُ المـــذنِبَ العِتابَـــا

واســـلَمْ وصُـــنْ مـــن أذى الأعـــادي ... شَريعـــةَ اللهِ والكتابَـــا

قُـــمْ واعْـــلُ بـــالأَزْهَرِ الثُّرَيَّـــا ... وافـــتح لـــه في الـــسماءِ بابـــا

وصُـــن حِمـــاهُ مـــن كـــلِّ عـــادٍ ... يَعْـــدُو عـــلى حقِّـــه اغْتِـــصَابا

وازْأَرْ تجـــدْ كـــلَّ ذي بُغـــامٍ ... يخـــافُ ظُفـــرًا بـــه ونابَـــا

الحمـــدُ للهِ قَـــدْ دَعونَـــا ... ليكـــشفَ الـــضُّرَّ فاسْـــتجابا

* * *

(١) ضيفن: المراد به المرض وهو الضيف ثقيل.

عودةُ المراغي- ١٩٣٥م

سَرتْ باسمكَ البُشرى فعاد لنا البِشرُ ... وعـادتْ لـدينِ الله آمالُـه الغُـرُّ

ودانـتْ لـكَ الأيـامُ بعـد اعتسافها ... وأقبـلَ في دُنيـاه يعتـذرُ الـدهرُ

وأشرقَ نـورُ الحـقِّ فانقشعَ الـدُّجى ... وحاقتْ بأهلِيها الدسائسُ والمكرُ

فقـل لطغـاة التيـهِ موسـى أتـاكمو ... أقلُّوا من الأوهامِ قد بطلَ السحرُ

وقلْ لِبُغاث الطيرِ قد ضلَّ سربُكـم ... فعـودوا إلي الأوكارِ جاءكمُ النسرُ

تـداركتِ المعمـورَ أقـدارُ رحمـةٍ ... ولله فـيها قـد ألمَّ بـه سِرُّ

صـبرنا إلي أن بـارك اللهُ صـبرَنا ... وأجمـلُ شيءٍ في الحياةِ هـو الـصبرُ

****

فَعـدْ يـا إمـامَ المسلمينَ لِمنصبٍ ... أضرَّ بـه الـشوقُ المبرِّحُ والهجـرُ

تهلَّـلَ لمـا عُـدتَ حـرًّا مكرَّمًـا ... يحالفُ اكَ السعْدُ المؤزَّرُ والنصرُ

خلعـتَ عليهِ مـن جلالِـك هيبةً ... فأمـسي عزيـزًا لا يُلِـمُّ بـه ضـيرُ

عرفتَ أبيَّ النفسِ لا تعرفُ الهوى ... ومن آفةِ الأخلاقِ أن يُعرفَ النُّكرُ

فأدركَ حبرَ المعمورِ من محنةِ الهوى ... فأنـتَ لـه في كـلِّ نائبـةٍ ذخـرُ

[illegible]

وكُن والدًا للكلِ يأسو جراحَهم ... ويستلُّ ما يضني النفوسَ وما يَعرو

١٥ - أهنيكَ يا مولايَ والناسُ كلُّهم ... يُهنِّئني حتى سما بك لي قَدْرُ

ومثلُكَ لا يُزهي بغرٍّ قصائدي ... ولكنْ به تُزهي قصائديَ الغرُّ

* * *

٦٢ - الخوارج (١)

(هؤلاء الذين يعترضون ركبَ العروبة في زحفه المقدس على طريق الحرية والحق والنور ، محاولين تعويق مسيرته باسم الإسلام).

١ - من هؤلاءِ على ركبِ السُّرى زَحفُوا ... أشباحُهم كالأفاعي الرُّقْطِ تنْعَطِفُ؟
تَرَاكَضوا فى الدُّجى للغَدْرِ واجْتَمَعُوا ... عِصَابَةً بستارِ الليلِ تَلْتحِفُ
وموكبُ النورِ ماضٍ نحو غايته ... على طريقِ الهُدى والنصرِ لا يقفُ
مَدُّوا إليه رؤوسَ الحقدِ وائتمروا ... وأضْمروا الشَّر للأحرارِ واعتسفوا
٥ - يُبيِّتُون وربُّ العرشِ يكتب ما ... يُبيِّتُونَ، فيخزيهم وينتَصِفُ
يا ويحهم هل يضير الشمسَ حاسدُها ... وطرفه من سناها الغَمْرِ مُخْتطَفُ ؟
وهل يضلُّ بليلِ الغَدْرِ موكبُها ... وقد تلاشت على أضوائِه السُّدَفُ؟
شَقَّتْ مشاعِلُهُ الظَلماءَ فافْتُضِحوا ... ومَزَّقتْ سِتْرَهم بالنورِ فانْكَشَفوا
وَقَى الكِنَانَةَ بَارِيها وسَلَّمَها ... وَقَدْ أُعِدَّ لَهَا التَّدْمِيرُ والتَّلَفُ
١٠ - وصانَ أحرارَها من شرِّ ما مَكروا ... وحَاقَ بالمَاكِرِيْنَ الخِزْىُ والأَسَفُ
صَالوا غُرورًا فلما صاحَ رَائِدُها ... تَفزَّعُوا مِنْ زَئِيرِ الليْثِ وارْتَجَفُوا
لقَدْ تهاووا خَزايا مِن تآمُرِهم ... وانهارَ فُرسانُ ليلِ الغدرِ فاعترَفوا

(١) كتبت هذه القصيدة بعد حادث المنشية الذي استهدف الرئيس الراحل جمال عبد الناصر.

مَـنْ هَـؤُلاءِ ؟ أَنُـسَّاكٌ كَـما زَعَمُـوا ... فَـإِنَّهم عُـصبةٌ للـشرِّ تَـأْتَلِفُ

كـانُوا دُعـاةَ الهُـدَى حَتَّـى تنكَّبَـه ... مِنهُم خَوارِجُ خَانوا العَهْد وانْحَرفُوا

كَـانُوا كَتائِـبَ إِقْـدامٍ وتَـضْحِيَةٍ ... قُلوبُ أعْدائِهِم مِنْ بَأْسِهم تَجِفُ

كَمْ زَلْزَلُوا جَنَباتِ الأرْضِ واندفَعُوا ... كالسيلِ يَجْتاحُ مايَلْقَى ويَجْتَرِفُ

حَتَّى اسْتَدارَتْ عَلَى الأعْقَابِ عُصْبَتُهُمْ ... وقَدْ تغلغَلَ فيها العُجْبُ والصَّلَفُ

يَـسْتحلِفون عَـلى إثْـمٍ ومَعْـصيةٍ ... وهَلْ على الإثمِ فى دينِ الهُدَى حَلِفُ؟

لِمَنْ بَنادِقُهم ؟ فِيْمَن خَناجِرُهُمْ ؟ ... ومَنْ تَكُونُ الضَّحَايَا إِنْ هُمُو نَسَفُوا؟

أللَّـذِى حَطَّـمَ الأغْـلالَ فى وَطَـنٍ ... أبْناؤهُ فى قُيودِ الذُّلِّ كَم رَسَفوا ؟

أللـذى حقـق الآمـال ، فانطلقـت ... بها شعوب كواها الشوق واللهف؟

للمُنْشَآتِ بمالِ الشَّعْبِ قد نَهَضَتْ ... وشَادَها السَّاعدُ المَفْتُولُ والكَتِفُ؟

الـدِّينُ يَـبْرأُ مِمَّـا يَهْرِفُـونَ بِـه ... فَليسَ فى الدِّينِ والأخْلاقِ مَا هَرَفُوا

ومِـنْ دُعـاةٍ لِحِلْـفٍ باسْـمِهِ كَـذِبا ... واللهُ يعلَـمُ مَـا المَقْـصودُ والهَـدَفُ

قَـدْ زَيَّفُـوهُ شِـعارًا يَـسْتُرُونَ بِـه ... ما يُضمرونَ وما استحيَوا ولاأنِفُوا

وهَـلْ يُحـالِفُ أعـداءَ العُروبَـةِ في ... طَريقِ آمالِهـا إلا مَـنْ انْحَرَفُـوا ؟

هُمْ يَذْرِفونَ على الإسْلامِ دَمْعَهمو ... ولَـيسَ للهِ مـا نـاحُوا ومَـا ذَرَفُـوا

كَـمْ يظلـمُ الـدِّينَ مُحْتَـالٌ بـشرْعَتِه   وكَـــمْ يُخَـــادِعُ دَجَّـــالٌ ومُحْـــتَرِفُ

ورُبَّ داعٍ إلى الأخْــــلاقِ مُحْتَــــشِدٍ   لَـو طُهِّـرَ النـاسُ مِـنْ آثامِـهِ نَظُفُـوا

الدِّينُ للخَيْرِ والعُمْرانِ جاءَ؛ وهُـمْ   بالشَّرِّ والهَدْمِ والتَّخْرِيبِ قَدْ شُغِفُوا

والدِّينُ بِـاللُّطْفِ والإحْسَانِ دَعْوَتُـهُ   وَهُمْ عَلَى العُنْفِ والإِرْهَابِ قَدْ عَكَفُوا

سِرْنَـا عَـلى هَدْيِـهِ عَـدْلا وتَنْمِيَــةً   فِيمَ الخلافُ وما فِي الحَقِّ مُخْتَلَفُ ؟

مَـاذا يُرِيـدُونَ والتَّعويـقُ دَيْـدَنُهُم   أَكُلَّـما سَـارَ رَكْـبٌ للعُـلا وقَفُـوا ؟

عَهْـدُ الفَـوارِقِ قَـدْ دَالَـتْ مَعالِمُـهُ   بالقَصْدِ حَتى أَتَى الحِرمَانُ والسَّرَفُ

فَـلا فَقِـيرٌ مِـنَ الحِرمـانِ فى سَـغَبٍ   ولا غَنِـىٌّ قُـصَارى أمـرِهِ الـتَّرَفُ

الـدِّينُ لـيس بِـه ، جَـاهٌ ولا لَقَـبٌ   إلا النَّزَاهَـةُ والإِخْـلاصُ والـشَّرَفُ

***

يا فتيةَ الأَزْهَـرِ المعمـور ، أزْهَـرُكم   حَامي الحَقيقةِ ، لا زَيفٌ ولا سَخَفُ

إلى مَنارَتِــه كَــمْ خَــفَّ مُقتَــبِسٌ   ومِــن ينابيعِــة كــم عــلَّ مُغــترفُ

كونُـوا عـلى الحـقِّ حُرَّاسًـا لأمـتكم   واحْمُوا عَقيدتها من زِيف ما وَصَفُوا

صُونُوا مَكَاسِبَهَا ، واحْدُوا مَوَاكِبَهَا   فَــلا يُعوِّقُهــا شَــوْكٌ ولا زَغَــفُ

***

يَا حَامِيَ الدينِ والأخلاقِ سِر قُدُما　　فالشعبُ خَلْفَكَ صَفٌّ ليسَ يَخْتَلِفُ

لا تُلْقِ بَالًا لخرَّاصين قَدْ مَرَقُوا　　وعَن طَرِيقِ العُلا والمَجْدِ قَدْ عَزَفُوا

طَبَائعُ الناسِ شَتَّى فِي خَلَائِقهَا　　لا يَستَوي الذَّهَبُ الإبْرِيزُ والخَزَفُ

٤٤ـ المحسنونَ لهُمْ إحسانُ ما عَمِلوا　　والمُفسدون عليهم وزرُ ما اقترفُوا

* * *

٦٣- في موكب الذكرى

فى احتفال الأزهر بتوزيعِ الجوائزِ على أوائلِ الشهاداتِ العليا وكنتُ أنا مِنهم وذلك فى سنة ١٩٣٩م.

تلفَّتَ خاطِرِى وهَفَا جَنَانِى ... وأطرقَ فى مواكبِها بيانى
يَروعُ جلالُها قَلبى فتعنو ... لهيبتِها كَريماتُ المَعانى
وتُلْهِبُ لوعَةُ الذِّكْرَى حَنِينِى ... فَيَعْقِدُ لَذعُها القَاسِي لِسانى
وما فيضُ المشاعِرِ غيرُ دَمعٍ ... تَحدَّرَ من جِراحِ القلبِ قانِ
أروحُ أُسائِلُ الماضى فَيَعْيا ... وأَينَ جَوابُهُ مِمَّا أُعَانِى
ومن يُطْرِى مُسالَمَةَ الليالِى ... كَمَنْ يُطرِى الشجاعةَ فى الجَبانِ
لمحتُ بغمرةِ الذكرى شُعاعًا ... من التكريمِ لَمَّاحِ الأمانى
يمرُّ ندى سَناهُ على جَبينى ... فيغمُرُنى بأطيافِ الحنانِ
وأسمعُ هاتِفًا فى الأُفْقِ يَشْدو ... فيملأُ صَوتُه رَحْبَ العنانِ
هو المعمورُ فخرُ الشرقِ طُرًّا ... وليس له على الغَبراءِ ثَانِ
يُسَافِرُ صِيتُهُ شَرْقًا وغَرْبًا ... إلى قَاصٍ مِن الدُّنيا ودَانِ
وقُلْ للمُرْجِفينَ بِه أفِيقُوا ... فَما يُصْمِيه مَفْلُولُ السِّنَانِ
مَتَى نالت حصاةٌ من خِضَمٍّ ... وهل يَخشى القَتَامَ النيِّرانِ ؟

فَــإِنْ عمِيَــتْ بَــصائِرُهُمْ فَهَــلَّا … تفــتَّحَ فى سَـــــناهُ النَّــاظِرانِ ؟
وإِنْ عَــشِيتْ نَــواظِرُهُمْ ضَــلَالا … فَقَــدْ يُغْنــى الــسَّمَاعُ عَــن العَيَــانِ
أَبٌ بَـــــرٌّ يُجـــــاهِرُه بَنُـــــوه … عُقوقًـــا بالمثالـــبِ والطِّعـــانِ
نماهُــــم فى ذُراهُ فـــــروعَ دَوْحٍ … ولَيْــسوا غــيرَ أغــصانٍ لِــدانِ
وكَــمْ وَرَدُوا مَنَاهِلَــه ظِــمَاءً … فَــذاقو الــشَّهْدَ مِــنْ حُلــو الــدِّنَانِ
وأرضَــعَهم فَمُــذْ فُطِمُــوا جَفَــوْهُ … وفى أفــــواهِهِم دَرُّ اللِّبـــانِ
إمــامَ المــسلمين ومُــصطفانا [1] … سَلمْتَ سَلمْتَ من ريبِ الزمانِ
فَــدَيْتُكَ أَنْــتَ أوّلُ مَــنْ حَبَــانِى … بِتَقْــدِيرٍ وأَكْــرَمُ مَــنْ رَعَــانِى
إذا صــادفتُ مــن دَهــرى جُحُــودًا … كَفــانى مِنْــك تَقــديرٌ كَفــانِى
عَرفتُ الفَخْرَ مذ أطرَيْتَ شِعْرى … ودِنْتُ الـنجمَ مُذْ أعليتَ شَانى
إذا أنـــشدتُه يومًـــا أصَـــاخَتْ … لــه الــدنيا وأصْــغَى الــشِّعْرَيانِ
فَرَائِــدُ مِــنْ يَتِــيْمِ الــدُّر شَــاقَتْ … كَـــرَائِمهنَّ لَبَّـــاتُ الغَـــوانِي
ومــا أنَــا فيــه إلا أزْهَــرِىٌّ … أُغنِّــى للوفــاءِ وقــد دَعــانى
شَــأَوْتُ فَــوَارِسَ المَيْــدانِ فِيــهِ … وحُزْتَ الخَصْلَ مِنْ قَصَبِ الرِّهانِ

١) هو المغفور له الشيخ مصطفى عبد الرازق شيخ الجامع الأزهر آنذاك.

وكيـفَ يفـوتُنى فى الـشِّعر فَـوقٌ ... ومجـدُ الأزهـرِ العـالى نَمانـى

ومـا عـرفَ البيـانَ الحُـرَّ شَـادٍ ... إذا لم يَـنْشَ منـه شَـذَا البيـانِ

٣٠ - بقيـتَ لنـا تُبلِّغُنـا المَعـالى ... وتَـدفَعُنا لهـا مِنـك اليـدان

* * *

٦٤- الدكتور / محمد العيد الخطراوى (١)

الشاعر المحلق ، والعالم المحقق ، والأديب المبدع ، رمز الآباء الحر ، والوفاء النبيل.

لـو نظمـتُ النجـومَ عِقـدَ ثناءِ   لـك لمْ أقـضِ بعـض حَـقِّ الوفـاءِ
لـكَ يـا (خَطْـراوى) عَـلَىَّ أيـادٍ   غَمَرَتْنــى بــسابغِ الــنَّعماءِ
كُلَّما نَـابنى مـن الـدهرِ خطـبٌ   كنتَ فى الخطبِ سَلوتِى وعَزائى
كَيــفَ أنْــسَى وأنْــتَ أوْفَى تلامِيْـذِى وأصْــفَى الخِــلَّانِ والأصْــدِقَاءِ
لمْ أعُــدْ أذْكُــرُ البَنــينَ بِفقــدٍ   أنْــتَ عَوَّضْـتَنى عَــنِ الأبْنــاءِ
يــا عزيــزَ الإبــاءِ فِى زمــنٍ ينــدرُ فيــه ، مَــنْ كَــانَ حُــرَّ الإبــاءِ
سَــادَ فِيــه النِّفَــاقُ واسْــتَحْكَمَ الحِقْــدُ وماجَــتْ دُنْيَــاهُ بِالبَغْــضَاءِ
جَمعتْنــا شَــمائِلٌ نحــن مِنهــا   فى بنــى عَـصْرنا مــن الغُربَــاءِ
كَــمْ تُعــانِى مِــنَ الجُحُــودِ مُعانَــاتِى وتَــشْكو مِــثلى مِــن الأدْعِيــاءِ
ولكــمْ ضِــقتَ بالنفــاق كــما ضِــقتُ وكــم هالنــا وبَــاءُ الرِّيــاءِ
لَــيْسَ بالعَيْــبِ أنْ يَثُــورَ أبِــىٌّ   إنَّــما العَيــبُ ذِلَّــةُ الإغْــضَاءِ
يــأنفُ الحــرُّ أن يُــسيغ الــدنيَّاتِ ويــأبى تَطــاوُلَ الجُهَّــلاءِ

---

١) هذه القصيدة مستلَّةٌ من قصيدة قديمة في ديوان وحي الربيع بعنوان مهرجان صديق بعنوان جانبي : الصداقةُ والصديق بعد تعديلها واختصارها.

رُبَّ داعٍ للـــدينِ وهْـــوَ يـــسبُّ الــدينَ فى صُـــبْحِهِ وعِنــدَ المَــساءِ
مِحْنَــةٌ تَخْنُــقُ النُّبُــوغَ وتُــزْرِى   بِــذَوِى المَوْهِبــاتِ والأكْفَــاءِ
أَتُراهَـــا ضَريبــةَ العَبْقَرِيَّـــاتِ عَـــلى العِلْـــمِ والحِجَـــى والــذَّكاءِ ؟
ياصَـدِيْقِى هَـذا زَمَـانُ الأفَـاعِى   لَــيْس هَــذا الزَّمــانُ للــشُّرَفَاءِ
كـمْ تمنيــتُ أنْ أرى وجْــهَ حُــرٍّ   فِيــه حتَّــى وجَــدْتُ فيــه رجَــائِى
صَــاغَك الله يــا (محمــدُ) رَمْــزًا   لنقـــاءِ الـــسريرةِ البيـــضاءِ
وإذا مَــا طَوِيَّــةُ المَــرءِ صَــحَّتْ   كَــانَ للخَــيْرِ مَــصْدَرًا والعَطَــاءِ
حَــدِّثِى يَــا مَدِيْنَــةَ النُّــورِ عَنْــهُ   كَــم تَغْنِــى بِمَجْــدِكَ الوَضَّــاءِ
عَبْقَــرِىُّ الــيَراعِ سَــجَّلَ تاريخَــكِ سِــفْرًا حُرُوْفُــهُ مِــنْ ضِــيَاءِ (١)
شَــاعِرٌ عَــالِمٌ أديْــبٌ نَبِيْــلٌ   صَــادِقٌ فى الــودِّ أرْيَحِيُّ الــصَّفَاءِ
يــستعيرُ الرَّبيـــعَ بِــيضَ سَــجاياهُ عُقــودًا للروْضَــةِ العَــذْرَاءِ
الــصديقُ الــصدوقُ لمْ يَتَحــوَّل   عَــنْ وَفــاءٍ ولمْ يَحُــلْ عَــنْ وَلاءِ
والــصَّديقُ الــوَفِيُّ فى هــذهِ الأيــامِ أضْــحَى مِــنْ أنْــدَرِ الأَشْيــاءِ
أصْـــدقاءُ الزَّمَـــانِ أحْبَــابُ سَرَّاءٍ وأعْـــدَاءٌ سَـــاعَةَ الـــضَّرَّاءِ

(١) إشارة إلى رسالة الدكتوراه التى كتبها عن المدينة المنورة وآثرها فى الحياة الثقافية والأدبية.

يَــا رَفِيْقِــى فِى عُــسْرَةٍ ويَــسَارِ   ونَــدِيْمِى فِى شِــدَّةٍ ورَخَــاءِ

٣٨- عــشتَ للمكرُمــاتِ حُــرًّا أبِيًّــا   يا (ابْـنَ عِيْـدٍ) ودُمْـتَ رَمْزَ الوفاءِ

* * *

٦٥ـ الدكتور / أحمد عبد الله اليحيى

أوفى من عرفت من تلاميذى وأصدقائي :

بنفسِي مَنْ يَقلُّ لهُ فِداهَا ... ومَنْ بوفائِهِ رَوَّى صَدَاها
رَأيتُ بِه المَودَّةَ رأىَ عَينٍ ... ولَمْ أكُ قَبلَ صُحْبَتِه أرَاهَا
أخيِ يا أحمدَ اليَحْيى (١) بِرُوحى ... فأنْتَ نَديمُها وسَنا دُجَاها
عرفْتُكَ فاغتَفَرْتُ ذُنوبَ دَهْرِى ... وقَدْ شَاهَتْ خَلائِقُهُ وشَاهَا
فَلَمْ أر فيهِ غَيرَ لئيمِ نَفْسٍ ... على خُبثِ السريرةِ قَدْ طَواها
حَقُودُ الطبعِ ما سَنَحَتْ لِطَعْنى ... سَوانِحُ رَميةٍ إلا رَمَاها
فإنْ أصْحَبه يُمْطِرْنى ثَناءًا ... وإنْ أتْرُكْهُ يُوسِعْنِي سِفَاها
أَشَدُّ عُرى صداقَتِه وفَاءًا ... فيقطعُ فى مُخاتَلَةٍ عُرَاها
لقدْ ظلمَ الصَّداقةَ مُدَّعِيها ... وما عرفَ الوفاءَ من إدَّعاها
فلا تخدَعْكَ ألفاظٌ حِسانٌ ... تُقالُ وما تجَاوزتِ الشِّفَاها
وجَدتُ بكَ الصديقَ الحقَّ ... تَزْكو شَمَائِلهُ فينْفَحُنِى شَذَاها
وأوْفَى مَنْ صَحِبْتُهمُ اخْتِبَارًا ... وأصْدَقُ مَنْ عَرفْتُهمُ اكْتِناها

---

١) هو الدكتور / احمد بن عبد الله اليحيى من بريدة بالقصيم بالمملكة العربية السعودية.

وأسـمحُ طلعـةً وأعـفُّ خُلْقًـا وأعْـرقُ مَحْتِـدًا وأصَـحُّ جَاهـا
نَقَـاءُ سَريـرَةٍ وصَـفاءُ قلـبٍ إذا مـا عـزَّ فى الـدُّنيا صَـفَاها
١٥ - شَـمائلُ طَالمـا شَـاقتْ خَيـالى وطـوَّفَ باحثًـا عنهـا فتَاهَـا[1]
ولـولا أنَّهـا مَثُلَـتْ لِعَيْنِـى لَمَـا صَـدَّقتُ فى زَمَنـى رُؤاهـا

* * *

[1] تاها: ضَلَّ ولم يهتدِ إليها.

٦٦- الإذاعةُ ١٩٥٠م

قُـلْ لمـنْ يكفُلـونَ دارَ الإذاعَـةْ   أنْقِـذوا الـشَّعبَ وارْحَمـوا أسْماعَهْ
حطِّمُوهـا علـى النَّواعِـبِ فيهـا   وأرِيحُـوا أعْـصَابنا المُلْتاعَـهْ
اسْـتَمَعْتُمْ لَهـا فَهـلَّا اسْـتَمَعْتُمْ   لِسِوىَ الهَـزْلِ والخَنَـا والخَلَاعَـةْ
هَى سُوقُ الرَّخِيصِ مِن كُلِّ فَنٍّ   لا تَـرى فيـهِ غَـيرَ زَيـفِ البِضاعةْ
وهْـىَ حـربٌ علـى الرفيـعِ مـن الفـنِّ إذا لمْ تكـنْ لديـهِ شَـفَاعَهْ
كُـلُّ حِـزْبٍ رَامٍ لهـا المحاسـيبَ ارْتِزاقًـا وحَاشِـدٌ أتباعَـهْ
مـن خَليـعٍ يَهْذى بِكُـلِّ خَليـعٍ   ورَقِيـعٍ يُجيـدُ فَـنَّ الرَّقَاعَـةْ
وجهـولٍ يُـذيعُ لَغـوًا ولَـولا   أنَّـه ذَيْـلُ شَـافِعٍ مَـا أذاعَـهْ
وصـفيقٍ يمـشى بكـلِّ رِكَـابٍ   وهْـوَ فِى كُـلِّ مَوْجَـةٍ فُقَّاعَـهْ
جَهْلُـهُ فى الحِمَـى هِتَـافُ نِفَـاقٍ   وشَـهَادَاتُهُ فُنُـونُ الـضَّرَاعَهْ
اهْـدِمُوها عَـلى النَّواعِـبِ دَارًا   صَـيَّرتنا إلى العُـلا فِى مَجَاعَـةْ
كُلَّـما صَـاحَ فى الإذاعَـةِ مِـنْهم   صَـائِحٌ زادَ لِلحِمَـى أوْجاعَـهْ
بِـئسَ دَهـرٌ أحـرارُهُ فى ضَـياعٍ   وفنـونُ الأحْـرارِ فيـهِ مُـضَاعَة

٦٧- شاعر

قيلت فى تكريم الشاعر الكبير الأستاذ عزيز أباظة.

سَاجِعٌ لَحْنُهُ السَّنَا والعَبِيرُ ... رَجَّعَتْ شَدْوَه الرُّبي والطُّيورُ
نَفَخَ الخُلْدُ بالحَياةِ أغَانِيهِ فَرِحَتْ بِهَا تُغَنِّى الحُوْرُ
أرهفَ الدهرُ سَمْعَه لِصِداها ... فانثنى وهْوَ بالصَّدَى مَسْحورُ
شَاعِرٌ صَاغَه الأَسَى عَبْقَرِيًّا ... والأسَى عَبْقرِيَّةٌ ونُشُورُ
صَهرَتْ قَلْبَهُ اللَّيالِي وألْوَى ... بِمُنَاهُ الزَّمانُ والمقْدُورُ
فإذا نَفْسُه مُنًى ووفَاءً ... وإذا قَلْبُهُ رُبًى وغَديرُ
فجَّرَ الحزنُ فى الحنايا ينابيعَ مِن الشِّعرِ، فَيضُهنَّ غزيرُ
تَجِدُ النَّفسُ فيه رُوحَ عَزاءٍ ... يَتأسَّى بِه الفُؤادُ الأسيرُ ؟
شَاعِرٌ صَادقُ الشُّعورِ رَقيقٌ ... إنَّما الشِّعرُ رِقَّةٌ وشُعورُ
ومِنَ الشعرِ ما وعَتْهُ صدورٌ ... ومن الشِّعرِ ما حوتْهُ قُبورُ
ومِن الشِّعرِ ظُلمةٌ وقَتادٌ ... ومن الشِّعرِ شُعلةٌ وعَبيرُ
نَظَمَ الحُبَّ والبُطولَةَ لَحْنًا ... تَتَغَنَّى به فَتُشْجَى العُصُورُ
وكؤوسًا يُديرُها عَبْقَرِىٌّ ... للنُّفوسِ الظَّمأَى، ونِعمَ المُديرُ
ردَّ للمسرحِ الحياةَ، وقد كانَ ... إلى الموتِ بعد شوقى يَسيرُ
فرأينا دُنًى من الفنِّ يجلوها ... يراعٌ بسرِّهِنَّ خَبيرُ
ورأينا الهوى أفانينَ شَتَّى ... وأغاريدَ صَاغَهُنَّ قَديرُ

٦٨- معهدى

يامراحَ الـصِّبا ومغْدَى الـشَّبَابِ   ومنـاطَ المُنـى ومَهْـدَ الرِّغَـابِ
قَـدْ حَجَجْنَـا إليـكَ يَـا كَعبـةَ العِلـمِ عـلى الـشَّوقِ بَعْـدَ طُـولِ الغِيـابِ
ووردْنـا منـاهلًا لـكَ كُنَّـا   نتـساقى منهـا رحيـقَ الـشبابِ
واسـتبقنا إلى ربيعِـكَ طـيرًا   شَـاقها مِنـك فاتنـاتُ الرَّوابِـى
كُلـما ضَـمَّها بظلِّـكَ أيْـكٌ   هَتَفَـتْ فيـكَ بالأمَـانِى العِـذابِ
لَمْ يغـيِّرْ عُهودَنـا فيـكَ بَـيْنٌ   لا ولم نَنـسَها مَـدى الأحقـابِ
لَفَحَـاتُ الأشْـوَاقِ بَـينَ الحَنَايَـا   وحَنِـينُ الوَفَـاءِ مِـلءُ الإِهَـابِ
كَـم تفيَّـأتُ مـن رياضِـكَ ظِـلًّا   ضَـمَّنِى أُنْسُه مَـع الأَصْحابِ
وهَـدانِى الـسبيلَ نُـورُك حتـى   جُزْتُ هولَ الدُّجى ووعْرَ الشعابِ
ذكريـاتٌ تعتـادُنى اليـومَ لَمَّـا   زُرتُ قُدسَ الهُدى وطُهْرَ الرِّحابِ
أنْـتَ يـا مَعهَـدى أبٌ وأنـا ابْـنُ   نِـسبةٌ تَزدَهـى عـلى الأَنْـسابِ
أنْـتَ علمتنـا الوفـاءَ ومـا خـانَ حقـوقَ الهـوى سِـوى الكَـذَّابِ
وإذا المـرءُ عـقَّ مَعهـدَهُ لم   يُـؤتَمَنْ وُدُّهُ مـعَ الأحبـابِ
أنـا ذا اليـومِ فى رحَابِـكَ أشْـدو   بِقَـصيدٍ مِـن لحَنِـىَ المُنْـسابِ

يَطْرَبُ السَّامِعُونَ فِيهِ لآمَالِي   ومِثْلِيَ الجَدِيرُ بِالإِطْرَابِ
وأمانِى المُعلمين من الآلامِ طيفُ النعيمِ بينَ العَذابِ
مَنْ سواهُمُ أحقُّ بالعَطفِ حتى   تَتراءَى آمالُهم كالسَّرابِ
إنَّ مَنْ يُنْشِئُ العُقُولَ جَدِيرٌ   بِاعْتلاءِ السُّهَا وسُكْنَى السَّحَابِ
وإذا أهْملَ المُعلِّمَ شَعبٌ   دُفِنَ العِلْمُ والنُّهَى فِي التُّرابِ
مَنْ يَمِزْهُ مِنَ الطَّوَائِفِ لَمْ يَظْلِمْ وَمَنْ يُنْصِفِ النُّهَى لا يُحَابِي
كَرَّمَ اللهُ مِنْ قَديمٍ مساعِيهِ وأعْلى مَقامَهُ فِي الكِتَابِ
يا صِحَابِي طُوفوا بكعبتِنا الغَراءِ واقْضوا حقوقَها يَا صِحابِي
فلهَا فى الأعناقِ أكرمُ دَيْنٍ   يقتضينا حُقوقَهُ فِي الرِّقَابِ

***

٦٩- اعتذار (١)

" بعث بها إلى صديق نبيل ، أرجف الوشاةُ بينى وبينه ، ثم ظهر لى كذبُهم فيما نقلوه عنه لى ، ونبلُه فيما رد به وشايتهم عنى ".

١- يُحيِّيكَ يا ربَّ اليراعَةِ شَاعِرٌ ... يَرَى شُكْرَكم حَقًّا عليه وواجِبَا
شَهدتَ له نُبلًا ، وأنْصَفتَ رأيه ... وأعذَرْتَه فى مَشهدِ القومِ غَائِبَا
أيَغْضَبُ سَمْحٌ من وِشَايَةِ حَاسِدٍ؟ ... فديتُك مسماحا ، وأفديكَ غاضبا
وما كانَ بالمُصغى لإفكِ وشايةٍ ... مُعوِّدُنا أن يطرَحَ اللغوَ جانِبا
٥- مَحَاسِنُ مَحْمُودِ الخِلالِ مَحَاسِنٌ ... وَإنْ رَاحَ يُسْمِيها الحَسُودُ مَثَالِبَا
لَقَدْ أرْجَفَ الوَاشونَ عَنْكَ ... بِمَزْعَمٍ تبيَّنَ عِندى أنَّه كَان كَاذِبا
ومِنْ عَجَبٍ أنْ يُبْلِغُوكَ ومَا دَرَوا ... بأَنَّ أخَا الوَجْهَينِ يَرْتَدُّ خَائِبَا
تَعثَّرَ حظِّى يا صديقُ بمعشرٍ ... يُحيلونَ صَدَّاحَ الأغاريدِ ناعِبا
وَمَنْ كَانَ فى ليلِ المَظَالِمِ رَامِيا ... أصَابَ عدوًّا أو تحَيَّفَ صَاحِبا
١٠- أعيذُكَ مِنْ مَرْضَى النِّفاقِ فإنَّنى ... ألاقِى ذِئَابًا مِنْهُو وثَعَالِبَا
أعيشُ غريبًا بينهم بِصراحَتِى ... وأكشفُ منهم كُلَّ يومٍ غَرائِبَا

---

(١) القصيدة موجودة في ديوان وحي الربيع، ولكنها في الشعر الملكي وهي تختلف عنها وهذا يعني أنها لم تكن لصديق وإنما كانت للملك وفيها هناك اعتذار واضح واعتراف بالخطأ وطلب العفو بصيغة لا تكون من صديق.

وكَمْ ألصقوا بى تُهْمَةً بَعدَ تهمةٍ ... وكَمْ نَسبُوا زُورًا إلى كَواذِبا

فلا تغتَرِرْ مِنهم بِخادعِ مَظهرٍ ... يُخَبِّئُ أظفارًا ويُخفى مَخالِبَا

١٤ - وأنتَ على نبلٍ من القولِ جاءَنى ... لكَ الفضلُ إنْ أعْتَبتَ أوْ كُنْت عاتِبَا

* * *

٧٠ - سر ابن زيدون

" كان الأستاذ الكبير الشيخ محمد عرفة أحد أعضاء لجنة مناقشة رسالتى عن (ابن زيدون) وكان مريضا ، فوافق شفاؤه الموعد المحدد للمناقشة ".

أيُّ عيدٍ لنا وأيَّةُ بُشْرى يَوم   عُوفيتَ فانْتَشى العِلمُ بِشْرَا ؟
حمِدتْ عودَكَ العيونُ الحيارَى   وارتَوتْ أنْفُسٌ مِنَ الشَّوْقِ حَرَّى
يا مُديرَ الإرْشادِ ما مَسَّكَ الضُّرُّ، ولكنْ مَسَّ الهُدى والخَيرَا
لو مَلكنا الخَيارَ كنا حَمَلنا   بَدلًا منكَ ما أساءَ وضَرَّا
عَاصفٌ لم يَلُذْ بغيرِكَ بَحْرًا   وسَحابٌ لَمْ يَغْشَ غَيرَكَ بَدرا
رُبَّ غَيمٍ من صفحةِ البدرِ غيرانُ، وريحٍ من صَولةِ البحرِ غَيرَى
ضَيْفَنٌ لا يَزُورُ إلا كَريما   رَاقَهُ العِلمُ والنَّدى فَاسْتَقَرَّا
وابْتلاءٌ يُضَاعِفُ اللهُ فِيه   لأحِبَّائِه ثَوابًا وأجْرَا
فاهْنَ بالبِرِّ يا مُحمدُ واسْعدْ   إنَّه نِعْمَةٌ مِن اللهِ كُبْرَى
كَانَ وعدًا عليه يومَ امتحانى   أن يوافِيكَ بالشِّفاءِ فَبَرَّا
لَسْتُ أدْرِى أكَانَ ذَاكَ رَجَائِى   فِيهِ ؟ أمْ أنَّ لابْنِ زَيْدُونَ سِرًّا ؟

❊ ❊❊ ❊

٧١ - طفولة

يَـا مُـصْطَفَى يَـا ابْـنَ أَحْمَـدْ ... يَـا مَاجِـدًا وابْـنَ أَمْجَـدْ
عَـلَى مُحَيَّـاكَ مِنْـهُ ... آيَـاتُ نُبْـلٍ وسُـؤْدَدْ
وفى عيونِـك لَمْـعٌ ... مـن الـذكاءِ تَوقَّـدْ
مخايـلٌ مِـن حجـاهُ ... عـلى النَّجابـةِ تَـشهدْ
البيـتُ منـك سَـماءٌ ... وأنـت فى البيـتِ فَرْقـدْ
دَرَجْـتَ فِيـهِ عَزيْـزًا ... مُنَضَّرَ العُـودِ أمْلَـدْ
تحنـو عليـكَ قلـوبٌ ... بِحُـسنِ مـرآكَ تَـسْعَدْ
فأَنْـتَ كُـلُّ مُنـاهُ ... مِـن الزمـانِ وأَوْحَـدْ
وأنـت أعـذبُ لحـنٍ ... عـلى الـشفاهِ تـرَدَّدْ
حلـو الطفولـة إمـا ... تُطيـعُ أو تتمـرد
وحيـنما تـترضَّى ... وحيـنما تَتوعَّـدْ
بُغَامُـكَ العَـذْبُ أحْـلَى ... فِى الـسَّمْعِ مِـن صَوْتِ مَعْبـدْ
سِـحْرٌ لعمـرِى إذا مَـا ... حَـاكي ونَـاغَي وقلَّـدْ
مسقْـسِقٌ إن تغنَّـي ... خلنـا العُـصَيفيرَ غـرَّدْ
عِـشْ يـا رجَـاء صـديقى ... وانهـضْ إلى المجـدِ واصْـعَدْ
وكُـنْ لـهُ خـيرَ شِـبلٍ ... واهنَـأْ بِـدُنياكَ واسْـعَدْ

٧٢ - هذا الشباب

« قيلت في تكريم الصديق الأستاذ(١) أحمد الشرباصى بدار الشبان المسلمين » عام ١٩٣٩م.

كـرِّمْ رفيـقَ الـشَّبابِ ... وحَـيِّ خـيرَ الـصِّحابِ
مَـنْ غـيرُ (أحْمـدَ) أوْلى ... بـشعرِيَ المُـستَطابِ
كَرَّمْـتُ فيـه أدِيْبًـا ... مُهَـذَّبَ الآدابِ
وكاتِبًـا عبْقرِيًّـا ... فِي دَوْلَـةِ الكُتَّـابِ
عَـفُّ البيـانِ رَقيقًـا ... يَـسْمو بِكُـلِّ عُجَـابِ
تَحَـدَّرَ الـسِّحْرُ مِنْـه ... بَـين المِـدَادِ المُـذابِ
يـا صـاحِبى ورَفيقـى ... أفْـدِيكَ مـن كُـلِّ عَـابِ
أُعجِبْـتُ فِيـكَ بِعَـزْمٍ ... مُغَـامِرٍ ، وثَّـابِ
ومطمـحٍ لا يُبـالى ... يومًـا بهـولِ الـصِّعابِ
ومَـا أحابِيـكَ ، إنِّـى ... يـا صَـاحِبى لا أُحَـابى
إنَّ الحَيـاةَ عُبـابٌ ... فَخُـضْ غِـمارَ العُبـابِ

---

(١) د. أحمد عبده الشرباصي مواليد قرية البجلات - منية النصر - الدقهلية، (١٩١٨ - ١٩٨٠م)، كان أستاذًا وخطيبًا مفوَّهًا وأديبًا ألمعيًا وأزهريًّا عبقريًّا.

وخُذْ مَكانَك مِنها ... يا صاحِ فوقَ السَّحابِ
يا صاحِبى رُحْتَ تَشكو ... من جاحِدٍ مُرتَابِ
ومِنْ هوىً مُسْتَبِدٍّ ... يُزْرى بِجَهدِ الشَّبابِ
بَعْضَ الشكاةِ ، فَهذا ... يا صاحِبى بَعضُ مَابِى
هَذا مصابُك فِيهم ... فهل علمتَ مُصابِى ؟
كَمْ هاتِفٍ بالرَّوابى ... تَضِجُّ منه الرَّوابى
مقلِّدٌ ، مَا تَملَّى ... مِنْ حُسنِها الخَلَّابِ
وليسَ يُشْجيهِ صوتٌ ... إلا نعيبَ الغرابِ
تَراهُ هَيمانَ يَهْذِى ... فِى جِيئَةٍ وذِهَابِ
والأرضُ خَاطرُ وهمٍ ... فى فكرِهِ الصَّخَّابِ
وحاشدٍ كُلَّ لفظٍ ... فى زَينبٍ والرَّبابِ
يظلُّ يشكو هَواهُ ... فى لَوْعَةٍ وانْتِحابِ
كيْما يُقَالَ : أديبٌ ... مُتَيمٌ بكَعَابِ
وما أحسَّ غرامًا ... فى حُلْوِهِ والعذابِ
وإنْ تغنَّى بِلَيلَى ... شَقَّتْ جَديدَ الثِّيابِ

وشَاعِرٌ مُسْتَميتٌ بِفَنِّهِ الكَذَّابِ
بِكلِّ بابٍ تَراهُ مُقبِّلَ الأعتابِ
ولا يُبَالى قَفَاهُ بِصفْعَةِ البَوَّابِ
إِنْ سَارَ رَكْبُ عَرُوسٍ رَأَيتَهُ فِى الرِّكَابِ
أو مَرَّ موكبُ نعشٍ عَرَفْتَهُ بالنُّعابِ
يَا صَاحِبى دَعْ هَوَاهُمْ فَكَيْدُهُمْ فِى تَبَابِ
إِنَّ الزمَانَ كَفيلٌ بِرَدِّهِمْ للصَّوَابِ
المُدَّعِى الفَنَّ زُورا كالأشْيبِ المُتَصابِى
فانْشُر بيانَك فِينا واصدعْ بفَصلِ الخِطابِ
للصَّابرِ المُتَمَنِّى طُوبَى وحُسْنُ مَآبِ

❊ ❊ ❊

٧٣ ـ خواطر فى العيد

" بعث بها إلى صديق كبير غمرني بحبه وتقديره "[١]

١ـ شَـــادٍ بِحُبِّــكَ لا تَغْفُـــو مَزَاهِــرُهُ … تَهْفُــو إليــكَ شَــجَيَّاتٍ خَــوَاطِرُهُ
أَلهمتَـه فَـشدا ، والغيـثُ يعرفُهـا … للبحـرِ حـينَ يَـردُّ الغيـثَ زَاخـرُه
من كنتَ يا مصطفي وحيا لخاطرِهِ … باهــتْ أواليــهِ إلهامًــا أواخــرُه
يا مَنْ حَبانَى بالحبِّ الكبيرِ ومَـنْ … والَى الجميل إلى أنْ عِيَّ حاصِرُهُ[٢]

٥ـ ومَـنْ لَقِيـتُ بِـه دِرْعًـا وُقيـتُ بِـه … مِن صَوْلَةِ الدَّهْرِ حَتَّى طَاشَ بَاتِرُهُ
ومُلْبِسي مِـنْ حَنَـانٍ كنـتُ فاقـدَهُ … مَــا زَانَ عاطِــلَ آمَــالى جَــواهِرُهُ
يهنيـكَ عيـدٌ سـعيدٌ أنـتَ بَهجتُـهُ … وأنْـتَ بُشْراهُ إذا فاضَـتْ بـشائِرُهُ
وأنـــتَ في كـــلِّ يـــومٍ للمنـــي … ولنـا عيـدٌ يهـلُّ علي الأيامِ بـاكرُه

***

وافَى وفى النفسِ ليلُ اليُتْمِ مُعتكرٌ … ومــا كَليــلِ اليتــامى جَــنَّ عَــاكِرُهُ

---

١) مخطوط فى وحى الربيع :" ... قال فى مقدمتها " بعثت بها إلى المغفور له الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق عندما كان شيخا للأزهر في عام ١٩٤٦م؛ وكان حذف منها خمسة أبيات (٣ ، ٨ ، ١٠ ، ١١ ، ١٥) في نسخة ١٩٨٤ م .

٢) الشطر الأول في (وحي الربيع) : يا مُسبغَ النعمةِ الكبرى عليَّ..

ذكـرْتُ أمِّـيَ فيـه بعـدَ رقْـدَتِها ... والجرحُ من فقدِها ما التامَ نـاغرُهُ
ووالــدًا بكَّــرَ البــينُ المُلِــمُّ بــه ... وكـم قـسا البـينُ لَمَّـا طـاف دائـرُهُ
ذِكْـرَى يُجدِّدُها عِيـدُ اليَتِيْمِ أَسًـى ... إِنَّ اليَتيمَ قَرِيْـبُ الشَجْو حَـاضِرُهُ
عِيـدُ الـشَّجِيِّينَ تَجْديـدٌ لـشَجْوِهُمو ... و للخَليِّـينَ عُــرْسٌ جَـدَّ سَـامِرُهُ
ما العيدُ إلا رُواءُ النفسِ يُسْعِدُها ... ولـيسَ بالعيـدِ مـا غَـرَّتْ مَظَـاهِرُهُ
مـولايَ طـالعني في ليلـه ألَـقٌ مـنْ ... صبحِ عطفكَ ضـافي النـورِ سـافرُهُ
حَالَـتْ مَنـاظِرُه فى العــينِ مِــنْ ... شَجَنٍ لَمَّا ذكرتُك راقَتْنِى مَناظرُهُ

***

٧٤- وداع [1]

أحَقًّـا لم يَعـدْ غـيرُ القليـلِ ... ويـؤذنُ بـالنَّوى ركـبُ الرَّحيـلِ
وكَيْـفَ تُطِيـقُ يـا قَلْبِـى وَدَاعًـا ... لمـنْ هـو صـاحبُ الخلـقِ النَّبيـلِ
وكُنْـتَ إذا نَـأَى نَأيًـا قَـصِيرًا ... تَحِـنُّ فكيـفَ بالنَّـأيِ الطَّويْـلِ
هـى الـدنيا تُفـرِّقُ كـلَّ جَمـعٍ ... وتَنـأى بالخليـلِ عـنِ الخليـلِ
وكـمْ تَرمِـى بنـا فى كُـلِّ دَرْبٍ ... فيمْـضى كُـلُّ سـاعٍ فى سَـبيلِ
ليَهْنِـكَ يـا أخِـى سَـفرٌ حَميـدٌ ... مَحـطُّ رِحالِـه بَلَـدُ الرَّسـولِ
هُنَـا لِـكَ تَجْـتَلى أنْـوارَ طَـهَ ... وتَحْظَـى بِـالجِوارِ وبـالمُثُولِ
كَفـاكَ رِضـا الجميعِ ومـن يَحُزْهُ ... يَحُـزْ كَنـزًا مـن الـذَّهبِ الأصيلِ
تركـتَ الكـلَّ بيـن أسـىً وذكـرىَ ... مُعطَّـرةَ الأزاهـرِ والخَميـلِ
فـإنْ تَبْعُـدْ فأنْـتَ بِكـلِّ قلـبٍ ... بـما قَـدَّمْتَ مِـنْ عَمَـلٍ جَميـلِ
وإنْ تَرْحَـلْ فَأَنْـتَ هُنَـا مُقِـيْمٌ ... بَـما خَلَّفْـتَ مِـن ذِكْـرٍ جليـلِ
فَـسَافِرْ فى أمَـانِ اللهِ واهْنَـأْ ... بـما تلقـاهُ مِـنْ حُسْنِ القَبُـولِ

---

١) كان العنوان : " في وداع د. أحمد عمر هاشم" ثم حذف الاسم وأبقاها علي صورتها الحالية في مراجعة ١٩٩٣م.

تَنَقَّـــلَ فى الـــبلادِ منـــارَ عِلْـــمٍ تَنَقُّـــلَ سَـــيبَوِيهِ أوْ الخَلِيـــلِ

١٤- سَـلِمْتَ سَـلِمْتَ فى قُـربٍ وبُعْـدٍ وعِـشْتَ العُمْـرَ فى ظِـلٍّ ظَلِيـلِ

* * *

من شعر ما قبل العشرين

٧٥- شجون (١)

أمضَّكَ شجوٌ فالدموعُ تسيلُ … كأنَّكَ من فرطِ الهمومِ عليلُ
تبيتُ سَجِيْنَ الهمِّ رَهْنَ كآبةٍ … تُفكِّرُ فيما أنْتَ فِيهِ مُطِيْلُ
كَأنَّ الطُّيورَ الشَّادياتِ بوكْرِها … تَنُوحُ فَلَمْ يُطْرِبْكَ ثَمَّ هَدِيْلُ
وليْسَ جَبِينُ الشمس إلا مُقطِّبا … لَديْك وأمَّا ضَوْءه فَضَئِيلُ
رُوَيْدكَ لا تحْزَنْ فما أنْتَ بالذى … تحَمَّلَ خَطْبِى إنَّه لجَلِيلُ
أَعِرنِي سَماعًا إنْ للشُّعْرِ رَنَّةً … تُفَرِّجُ مَا حُمِّلْتُهُ فَيَزُولُ
ومَنْ عَضَّهُ الدَّهْرُ الخَؤونُ بِنابِهِ … فليسَ لهُ غَيرَ الدُّموعِ سَبِيلُ
ألمْ ترَ عودى كيف أصبحَ ذاويًا … وغُصْنُ شَبابِى يعتريْهِ ذُبولُ
يُصافِحُنى عَهْدُ المشيبِ ولم أزلْ … بعهدِ الشبابِ الغضِّ وهْوَ عَجُولُ
ولم أبلغِ العشرينَ عامًا وإنَّما … تُشيبُنى الأحداثُ حين تَصولُ
نَشأْتُ يَتِيمًا مُرْضَعًا مِنْ لِبانِها … عَلَى مَضَضٍ إنَّ اليتيمَ ذَلِيلُ
سَلِ الروضَ ما للروضِ بعدَ بهائِهِ … ونظرتِهِ قد باتَ وهْوَ مُحِيلُ ؟

---

(١) ديوان زورق الشجون بعنوان «خواطر وآلام» مع حذف وتعديل، وهي تحكي قصة يُتمهِ ويستعيدُ بها عندما كان هو في الخاصة ومات أبوه.

ومَا لِلنُّجُومِ المُشْرِقاتِ عَلى الدُّجى ... غَـدَتْ يَعْتريهـا فى الـصَّباحِ أُفُـولُ
هُوَ الدهر جم الحادثات شَقَاؤهُ ... كَثـيرٌ وأمَّـا صَـفْوُهُ فَقَلِيْـلُ
عَجْبَتُ لأنِّى مُذْ تَصَفَّحتُ سِفْرَهُ ... قَـرأتُ فُـصُولاً والحيـاةُ فُـصول

* * *

تَعالَ فَسِرْ فِى الأرْضِ تَلْقَ عَجَائِبًا ... فَفِـى الأرْضِ آلام الزمـانِ تَهـولُ
تَـدورُ الرَّزَايـا بـالخلائِقِ مِـثْلَما ... تَـدُورُ بحـانِ المُـدمِنينَ شَـمولُ
فَـرُبَّ عَزيـزٍ فى الزَّمـانِ مُحَصَّنٍ ... تَقـومُ ليـوثٌ حَولَـهُ وشُـبولُ
دَهتْهُ خُطوبٌ أعجزتْ كُلَّ دافعٍ ... وقـد تَعـتَرى السيفَ الصَّقيلَ فُلولُ
هَوى مِن عُلوٍّ شَاهِقُ العِزِّ فاغْتَدى ... ذلـيلاً ويـومُ العـزِّ لـيس يطـولُ
وذِى سُقْمٍ أضْناهُ طُولُ سَقامِهِ ... وعَـزَّ عَلَيْـهِ الـبُرْءُ فَهْـوَ نَحِيْـلُ
تضيقُ لديهِ الأرضُ وهْىَ فَسيحةٌ ... ولا يَـسْتَطيبُ الظِـلَّ وهْـوَ ظليـلُ
يمـدُّ إلى المـوتِ الـزُّؤامِ يمينَـهُ ... لعـلَّ الـردى ممـا دَهـاهُ يُقيـلُ
ويَنْظـرُ طَـوْرا للحَيـاةِ مُـؤَمِّلًا ... فيرتَـدُّ عنْـهُ الطَّـرْفُ وهـو كَلِيـلُ
إذَا مَـا قَـضاءُ اللهِ حُـمَّ فَكُـلُّ مَـا ... يُحاولُـه فيـهِ الطبيـب فُـضُولُ

* * *

وبَاكِيَـةٍ لَـيلًا وقَـدْ مَـاتَ بَعْلُهَـا ... فَللـــهِ مَـــنْ مَاتَـــتْ لَهُـــنَّ بُعُــولُ

جَثَا حَوْلها الأيْتَامُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ ... لَهُـمْ مِـنْ بُكَاهـا ضَـجَّةٌ وعَوِيـلُ

لَقَدْ مَاتَ مَنْ بِالأَمْسِ كَانَ يَعُولُهم ... فَمَــنْ ذَا الــذِى بَعْـدَ الفَقِيْـدِ يَعُـولُ

تَـرُدُّ نَـشِيجَ الطِّفْلِ مِنْهُمْ بِبَسْمَةٍ ... وفِى الـنَّفْسِ هَـمٌّ لَـوْ عَلِمْـتَ دَخِيـلُ

٣٧- فَقَـامَ مِـنَ الأيْتَـامِ طِفْـلٌ مُفَـزَّعٌ ... يَقُـولُ فَيـدمِى القَلـبَ حِـيْنَ يَقُـولُ

حَنَانَيـكِ يَـا أُمَّـاه مَـاذا أصَـابَنَا ... فَقَـــد قَيَّـــدَتْهَا بِـــالهُمُومِ كُبُـــولُ

وأيْنَ أبِى يَا أُمِّ كَى يَدْفَعَ الطَّوَى ... فَعَهْـدِي بِـه إنْ غَـابَ لـيسَ يُطِيْـلُ

جثا الطفلُ يبكى حِين قامَ فلم يَجِدْ ... سِـــوى فَتَيـــاتٍ دَمْعُهـــنَّ يـــسيلُ

فقامـتْ لـه الأمُّ الـرؤمُ تـضمُّهُ ... ولـلـدمعِ منهـا في الخُـدودِ مَـسِيلُ

٣٥ - وقالَتْ : تُصبَّرْ يا بنى فإن يَمُتْ ... أبـــوكَ فـــإنَّ اللهَ عنـــه كَفيـــلُ

وقَفْـتُ إلَـيْهم لَحْظَـةً فأصَـابِنى ... عَـــلى غِـــرَّةٍ مِمَّـــا رَأيـــتُ ذُهـــولُ

وكَمْ هَيَّجَتْ لِي عِبْرَةُ الدَّهْرِ عَبْرَةً ... لَهَــا كَــشَآبيبِ الــسَّحابِ هُطُــولُ

❊ ❊ ❊

خَلِـيْلِىَ دَعْ عَنْـكَ الهُمُـومَ فَإنَّهَـا ... لعمـــرُك عِـــبءٌ فِى الحيـــاةِ ثَقيـــلُ

إذا شِـئْتَ أنْ تَحْيـا حيـاةً سَـعِيْدةً ... فَعِـــشْ واحـــدًا فـــالإنفراد جميـــلُ

ولا تغْــتَرِرْ بِــالمُظْهِرينَ مَــوَدَّةً   بِــرَغْمِ القِــلَى فالمُخْلــصون قَليــلُ
وما النَّاسُ إلا كالـذِّئابِ طَبَائِعًا   تَــروحُ وتَغْــدُو فِى الفَــلَا وتَــصُوْلُ
يَغُــرُّكَ مَعسُولُ الكَـلامِ وتحْتَــهُ   لُعَــابٌ مِــن الــسُّمِّ الزُّعَــافِ يُــديلُ
وقد سترَ الحقَّ الضَّلالُ فلا تَرى   مِــنَ النــاسِ مــن يَــصبُو لــه ويميــلُ
صَدفْتُ بقلبى عن صَداقةِ مَعْشرٍ   مُــرائِينَ فــالإخلاصُ ثَــمَّ قتيــلُ
إذا شِئتَ أنْ تَلقى الصَّداقةَ عِنْدهُمْ   فَــثمَّ عُيــونٌ للــصَّداقَةِ حُــولُ
بَنَوْهَا على الأغْراضِ فَهْىَ مَشُوبةٌ   مَتــى زَالــتِ الأغــراضُ فَهْــىَ تَــزولُ
إذا كنتَ حقًّا فى الصداقةِ مُخلصًا   فمالــك بَــين العــالمينَ مَثيــلُ

* * *

ويا شعرُ لا أعْتَاضُ عَنكَ بصاحبٍ   ومَــا لى إذا صَــادقتُ عنــكَ بَــديلُ
فأنتَ سَميرى إن خلوتُ ومُؤنسى   إذا مــا جَفــانى صــاحِبٌ وخَليــلُ
يَئستُ من الأصحابِ بعدَكَ راضِيًا   فإنَّــكَ روضٌ للوفــاءِ جَميــلُ

* * *

شعر ما قبل العشرين

٧٦ مصرع الفضيلة ١٩٣٣م (١)

فَتَـاةٌ دَهَاهـا اليُـتْمُ فى مَيْعَـةِ العُمْـرِ ... يَـنُمُّ مُحَيَّاهَـا عَـنْ النُبـلِ والطُّهْـرِ
على القسماتِ الغُرِّ مِنْ حُرِّ وَجْهِها ... غَلائِـلُ أشْـجانٍ مـن اليُتمِ والفَقْرِ
نَمتْ فى ظلالِ الرِّيفِ أنْقَى من النَّدَى ... وشَبَّ صِباها فِيه أصْفَى مِن الفَجرِ
كَأنْ أفرِغَـتْ فِى قَالِبِ الحُسْنِ كُلِّهِ ... فَفِيهَـا جَمَالُ الظَّبْى والبَانِ والبَـدْرِ
رَمَتْهـا المنايـا فى أبيهـا وأمِّهـا ... ولـمـا تـزَلْ عـذراءَ فى مَيعـةِ العمـرِ
فأضْحَتْ وجيشُ الفقْرِ يَغْزو حَياتَها ... وأمْسَتْ وسَيفُ الهَمِّ يَنشَبُ فى الـصدْرِ
لَهَـا اللهُ لا تَلقَـى حَنانـا يَحوطُهـا ... فَـذَلَّتْ، ولَمْ تَـنْعَمْ بِعَطْـفٍ وَلا بِـرِّ
دَعَتْ مَطْلَبًا للعَيْشِ حِلًّا وإنْ يَكُـنْ ... كَفَافًا فَلَبَّاهَـا فَتًى مِـنْ ذَوى اليُسْرِ
وقَامَـتْ لَـه فِى قَصْرِه الفَخْمِ خادما ... تَـروحُ وتَغـدو فِى مَطالِبِـه الكُثْـرِ
فلَـمْ يلـقَ مِنهـا غَـيرَ طُهْـرٍ وعِفَّـةٍ ... ولَمْ تَلـقَ منـه غـيرَ مَيْـلٍ إلى الـشَّرِّ
وفى ليلـةٍ والكـونُ يغمـرُهُ الكـرى ... ولمْ يبـق يقظانًـا سـوى ذَلـكَ الغِـرِّ
أتاهـا وقــد جَـافى المنـامُ عيونَهـا ... لـشدةِ مـا تَطْـوِى مـن الهَـمِّ والفِكْـرِ
فَـدَاخَلَها سُوءٌ مِنْ الظَّـنِّ فَاستوتْ ... بِمَضجَعِها تَستطلِع السِّرَّ فِى الأَمْرِ

---

(١) ديوان زورق الشجون مع حذف وتعديل للقصيدة.

وناَدَتْــهُ يــا مــولاىَ مــاذا تريــدُه   فــديتُك بُــحْ لِى بالحقيقــةِ والــسِّرِّ
فما كانَ عهدى فيكَ من قبلُ ما أرَى   بسعيكَ فى جوفِ الدُّجى خافتَ السَّيرِ
أنالَــك ضُرٌّ تبتَغينــى لدَفْعِــه ؟   فَمُرْنى إذَنْ كَى أفْتَدِيكَ مِنَ الضُّرِّ
فقالَ لها: لا أبتغى مِنك مأربًا سوى   العِرْضِ، صاحَتْ: واشقائى مِنَ الغَدْرِ
أيُرضيكَ أن أحيا وعِرضى مُمَزَّقٌ   وما لفتاةٍ باعَتْ العِرضَ من قَدْرِ ؟
أيُرضيكَ أن أحيا حَياتى شَريدةً   وقد ضاعَ أغلى ما أرَجِّيهِ مِنْ ذُخْرى
إذا كَانَ مَا تَبْغِيْهِ مِنْ هَتْكِ حُرْمَتِى   ونَيْلَكَ من عِرضِى فيا ضَيعة العُمْرِ
أجَابَ : رُويدًا يا فتاتِى فإنَّنِى   سأُعْليك شَأنًا فى الوصِيفَاتِ والقَصْرِ
وأُغْنيكِ مِن مالى ، أجَابتْهُ : سيِّدى   رُويدَك إنَّ العِرْضَ أغلى مِن الدُّرِّ
فما العرضُ إلا خيرُ ما يملكُ الفَتى   وماالمالُ بعد العِرْضِ عندى سوى الجَمْرِ
فقالَ لَها لا تُكثِرى القَوْلَ وأرْضَخِى   وإلا سَأَشْفِى غُلَّتِى مِنكِ بالقَسْرِ
أجابتْه: يا مولاىَ رُحماكَ أعْفِنى   لِضَعفى فليسَ الغدرُ من شيمةِ الحُرِّ
وعجِّلْ بِموتِى أو فَدعْنى طَريدةً   أعِيشُ على دِينِ التَّعفُّفِ والطُّهرِ
ولا تَكُ يا مولاىَ بالعِرضِ عابثًا   فتلهو بِه كالطفلِ يعبثُ بالطَّيرِ
فلم يَرحمِ الشريرُ ضَعفَ شَبابِها   وكبَّلها فى قَسْوة الفاتِكِ الغِرِّ

وَلَمَّـا قَـضَى مِنْهـا مَـأرِبَ غَيِّـهِ ... وَلَمْ يَرْحَمِ الدَّمْعَ المُرَاقَ عَلى النَّحْرِ
تَـرَاءَى لَـه عَـارُ الجَرِيْمَـةِ فارتَـدَى ... لها القَتْلَ كَى يُخْفِى بِهِ وصْمَةُ الـوِزْرِ
فأشـعلَ فيهـا النـارَ حتـى إذا دَنَـتْ ... مَنِيتُهـا قالـتْ: لِىَ اللهُ فى أمْـرِى
لقـدْ عِـشْتُ فى فَقـرٍ ويُـتْمٍ وذِلَّـهِ ... فصرتُ أرىَ كـل السعادةِ فى القَـبرِ
ووَارَى الـدُّجَى فِيْـهِ رُفَـاتَ شَـهِيدَةٍ ... تَوَالَـتْ عَـلى أَيَّامِهـا مِحَـنُ الـدَّهْرِ
وجَرَّدَ جَيْشُ الـصُّبْحِ بِيْضَ سُيُوفِهُ ... عَلى ظُلُـماتِ الليـلِ يطلـبُ بالثَّـأْرِ
خَلِـيلىَ كَفْكِـفْ مِـنْ دُموعِـكَ رَيـثَما ... تَرَى كَيفَ تَقضِى شِرْعَةُ النَّابِ والظُّفْرِ
لَقَـدْ بَـرَّأُوهُ والجَـرَائِمُ جَمَّـةٌ فَيَـا ... لَـضَلالِ الحُكْـمِ فِى ذَلـك العَـصْرِ
غَـدا القَلـبُ لا تُطفـى جَـواهُ قـصائدٌ ... وكانَ يُسرِّى عَنهُ بيتٌ مِنَ الـشِّعْر
إِذَا مَـا جَنَـى ذو الجـاهِ بَـرَّأَهُ الغِنَـى ... ويُقْذَفُ فِى جَوْفِ السُّجُونِ أخُـو العُسْرِ

* * *

٧٧ - زكى مجاهد (١)

أحد أصدقائى الأوفياء ، عرفته منذ سنوات طويلة حين كنت أتردد على مكتبته بخان الخليلى ، فكان لى نعم الصديق ، والأخ الوفى ، وهو صاحب كتاب " الأعلام الشرقية فى المائة الرابعة عشر الهجرية " وقد قرظته بأبيات ، وأنا أثبت هنا القصيدة وفاء له ، رحمه الله .

عَلَمٌ يُؤَرِّخُ سِيرةَ الأعْلامِ ... فِي الشَّرْقِ خَلَّدَها على الأيَّامِ

و(مُجَاهِدٌ) بِشَبَا اليَرَاعَةِ ، سِفْرُهُ ... قَد ضَمَّ مَجْدَ الشَّرْقِ والإسلامِ

ومُتَرْجِمٌ للنَّابِهِيْنَ ، مُصَوِّرٌ ... قَدْ كَادَ يُنْطِقُهُمْ مِنَ الإحْكَامِ

يَجلُوهُمُو بأمَانةٍ ، فكَأَنَّهُمْ ... عَادو لَنا بِالرُّوحِ والأجْسامِ

ثَبْتٌ وَفِيٌّ لَمْ يُضَيِّعْ نَابِهًا ... فِي الشرقِ باسْتِقْصَائِهِ المُتَرامِى

أجْمِلْ بِصُنْعِكَ (يا زكِيُّ) فإنَّه ... عِبءٌ نَهَضْتَ بِه نُهُوضَ هُمَامِ

أنصفتَ أعلامًا لهم بِرقابِنا ... دَيْنٌ يزيدُ على مَدَى الأيامِ

ونَفَضتَ عَنْهُمْ من جحودِ زمانِهِم ... ما كادَ يُنْسِي من غبارِ رُكامِ

ولربَّما أزْرى الجَحودُ ببعضِهِم ... حَيًّا وماتَ على الجُحودِ الدَّامى

أحْيَيْتَ سِيْرَتَه بِقُدْرَةِ مُنْصِفٍ ... أضْفَى عَلَيْهِ سَوابِغَ الإكْرَامِ

---

(١) القصيدة منشورة في ذيل كتاب «الأعلام الشرقية» صـ١١١٢.

ووصَلْتَ بالماضِى المظفَّرِ حاضِرًا حتى الْتقَى الأعْلامُ بالأعْلامِ
فى سيرةِ الأَعْلامِ أكْبَرُ قُدْرَةٍ وأجَلُّ مَوعظَةٍ ، وخَيرُ إمامِ
أهْدِى إلَيكَ مِن الثناءِ أجَلَّهُ ولأنْتَ أجْدَرُ بالثناءِ السَّامِى
١٤- قَدْ أَلهَمَتْنِيهِ يراعتُكَ التى تُزْرى بِكُلِّ رَوائعِ الأقْلامِ

* * *

٧٨ - تحية صادقة

" فى أول عهدى بالرياض جمعنى مجلس بالعالم الورع السمح الشيخ ابن باز ، ومع أنى لم أعرفه إلا بعد انفضاضِ المجلسِ ، فقد لمستُ فيه روعةَ الخلقِ ، وصفاء النفوس ، وقوة الدين . لما كنت لم أزل موزع النفس ، مشتت الخواطر ، مضطرب البال ، من أثر السفر والغربة ، لم أستطع إجابته إلى ما طلب من الشعر فى ذلك المجلس . فإليه هذه الأبيات بمثابة معذرة وتقدير ١٩٦٠م.

١ - تحيةُ شَاعِرٍ لَكَ يَا ابْنَ بَازِ ... تَجِلُّ عَنِ الحَقِيقَةِ والمَجَازِ

يقدِّمُها لوجهِ اللهِ ، إنِّى ... بِغيرِ اللهِ ما كانَ اعْتزَازِى

أبِىٌّ لمْ يدنِّسهُ نِفاقٌ ... ولا أزْرَتْ بهِ دُنيا النَّوازِى

تَوسَّمَ فيكَ نُبلا فى السَّجايا ... كَريمًا نَمَّ عن كَرمِ النُّحازِ (١)

٥ - وآنَسُ فِيكَ مِنْ وَرَعٍ وعِلمٍ ... مِثالا لا يُوازِيه مُوازِى

مُحيًّا وَادِعُ القَسماتِ سَمْحٌ ... حَوى خُلقًا فَرِيدًا فِى الطِّرَازِ

بمثلكَ تَزْدَهى فى الفَضلِ نَجدٌ ... ويَحسُدُها عليهِ بنو الحِجازِ

---

(١) النُّحاز : الأصل.

٧٩- العالمُ الحلاَّقُ

يَـــا مُزْرِيًـــا بِالعَـــالِمِ الحَــلَّاقِ ... خَــلِّ المَــلَامَ وكُــنْ مِــنَ الحُــذَّاقِ

هـلْ يَمنَعُ العِلـمُ احْـتَرافَ صِناعةٍ ... تُغْنِى عَنْ اسْتجدَاءِ ذِى إِمْلاقِ ؟!

أَوْ يَـــسْتَوى ذُو حِرفَـــةٍ مُـــتَعَلِّمٍ ... والجَاهِـلُ العَـارِى مِن الأَخْـلاقِ ؟

أَوْ مَــنْ يُحَـصِّلُ عَيـشَهُ بِكفاحِــهِ ... تَلحــاهُ حِــينَ تَـشيدُ بالأَفَّــاقِ ؟

مــا العلــمُ إلا كالــسِّلاحِ لربِّــهِ ... فــاضرِبْ بــهِ فى ســائِرِ الآفَــاقِ

إِنَّ الأَئِمَّـــةَ قَبلنَـــا مِـــن أَهْلِـــهِ ... لمْ يَجْعَلـــوهُ مَطِيَّـــةَ الأَرْزاقِ

كَــدُّوا لوجــهِ الله فى تَحْــصِيلِه ... مِــنْ بَــيْنِ حَــذَّاءٍ ومِــنْ وَرَّاقِ

كُــلُّ الــصِّنَاعَةِ فى الحيــاةِ شَرِيفَــةٌ ... مَــا لَمْ تَمَــسْ شَرِيْعَــةَ الخَــلَّاقِ

فَــتَعَلَّمْ العِلْــمَ الــشَّرِيفَ لِذَاتِــهِ ... واسْتَبْقِ مَـاءَ الوجْـهِ مِـنْ إِهْـرَاقِ

العِلْــمُ زَيْــنٌ والحِلَاقَــةُ زِيْنَــةٌ ... بِهِــمَا يَكــونُ تَطَــاوُلُ الأَعْنَــاقِ

مَــا بــينَ زِينــةِ بَــاطِنٍ أَو ظَــاهِرٍ ... لا تَعْجَــبَنَّ لعــالِمٍ حَــلَّاقِ

* * *

٨٠ - النَّزْل [(١)]

١ - سلمت للنبل والأمجاد يا نزل ... يا بلدة ما بها وغدٌ ولا نذل

أفديك يا نُزُلَ الفِرْدَوسِ من بَلَدٍ ... ما في الدَّقَهْلِيَّةِ الكُبرى لَها مثلُ

بَنُوكِ يا مَنْزِلَ الأحْرَارِ قَدْ طُبِعُوا ... عَلي السَّخَاءِ فَلا شحٌّ ولا بخلُ

الدينُ رائدُهم ، والعِلمُ زِينَتُهم ... والحَقُّ شِيمتهم،والجُودُ والبذلُ

٥ - عاشوا كراماً ،أُباةَ الضيم ما قبلوا ... في العيش ذلا ولا أزري بهم ذلُّ

إذا رأوني تلقتني شهامتهم ... كالأم شاق حنايا صدرها الطفلُ

هُمُ الأُولي رَفَعُوا قَدْرِي ومَنْزِلَتِي ... وعَمَّنِي مِنْهُم التَّكْريمُ والفَضلُ

ولستُ أَفْضُلُهُم عِلماً ولا أدباً ... لَكنما هُو حُسْنُ الظَّنِّ والنُّبْلُ

زينَ المدائنِ كَمْ أنْجبتِ من علمٍ ... في كُلِّ فنٍ ، ونعم المنجبُ النَّزلُ

١٠ - ديناً وطبّاً وقانوناً وهندسةً ... وعذبَ صوتٍ بترتيلِ الهُدَي يحلو

خميلة أنت شاقتني بلابلها ... لها علي علي أرضٍ في الحمي ظَلُّ

ما كان أسعدني لو كنتِ لي سكناً ... وكان لي من بنيك الصحبُ والأهلُ

---

(١) بلدة من بلدان مركز منية النصر محافظة الدقهلية ، اشتهر أهلها جميعا بالشهامة والسخاء ، وعرفوا بحب العلم والعلماء ، ونالوا حظا وافراً من الثقافة والتعليم.

فـإنَّنِي بـينَ قـومٍ لا خَـلاقَ لَهُـمْ ... بقريـةٍ طـمَّ في آفاقهـا الجهـلُ[1]
فمـن أقـارب دبـت لي عقـاربهم ... وأوسـعوني كيـداً دونَـهُ القتـلُ
ومِـنْ أبَاعِـدَ لا يَـألُونَنِي طَمَعـاً ... كَـأنَّ كُـلَّ خَـدُوعٍ مِـنْهُمُ صِـلُّ
فيالهـا غُربـةً يـشقي الفـؤادُ بهـا ... والجسم والروح والوجدان والعقلُ
إني وجـدت عزائـي في سـوائمهمْ ... فـلا خـداعٌ ولا حقـدٌ ولا ختـلُ
بقيـت يـا نَـزْلُ في البلـدان مفخـرةً ... يسود فيك رخاء العيش والعدلُ
كـم سـائلٍ قـالَ مِـنْ أيِّ الـبلادِ أنـا؟ ... فقلـتُ بلـدتيَ الفُـضلي هِـيَ النـزلُ

* * *

(١) يشير إلى جفوة بينه وبين أهل قريته وأهله، وأنشد هذه القصيدة إغاظة لهم، فكانوا يُعيِّرون لها ويتفاخر عليهم أهل النزل والبلدتان متجاورتان.

٨١- عتاب (١)

بلـدَ الهُـدَي والعِلْـمِ والقـرآنِ   ومنـارةَ التوحيـدِ والإيـمانِ
بَلـدَ الـشهامةِ والمَـرْوَءة والنَّـدَي   ومَـلاذَ أهـل الفَـضْلُ والإحْـسانِ
أحببتُـه وعـشقتُ صُـحبةَ أهلِـه   فوجـدتُ فـيهم أصـدقَ الخـلانِ
قلدتُـه عقـدَ الثنـا وصـنعتُ مـن   شـعري لـه تاجـاً مـن العرفـان
وأشـدتُ في الـدنيا بعـاطرِ ذكـرِه   فطـوي شـذَاه سـائرَ البلـدانِ
ونظمـتُ مـن أمجـادِه أنـشودَةً   ترديـدها يحلـو بكـل لـسانِ
يـاوردةً أشـدو عـلي أفنانهـا   فـتردد الـدنيا صـدي ألحـاني
مـا كُنْـتُ أحْـسَبُ أنَّ فِيهـا ثَعْلَبًـا   مُتنكـراً في صُـورَةِ الإنْـسانِ
تلهـو بـه وتقـودُه زنجيـةٌ   فمُهـا يفـوقُ مَـشافرَ البُعْـرانِ
قَـدْ بَـاعَ ذِمَّتَـهُ ليَـضْمَنَ صَـوتَها   تَعِـسَتْ مُنـاهُ وبَـاء بالخُـسْرَانِ
يـا نـزلُ كيـف رمَيْتِنـي بمُخَـادعٍ   كـالأُفْعُوانِ يَجِـدُّ في خِـذْلانِي
وأنـا الـذي عانيـتُ مـا عانيتـه   من حاسديك وما برحت أعاني(٢)
ولكـم صـبرتُ مجاهـداً فيـكِ العدا   صـبرَ المحـبِّ الـصادقِ الوجْدانِ
قَـدْ صَـارَ مَجْلِسُكِ المَحَـلِّي سُـبَّةً   لَمَّـا تَـوَلَّاهُ أبُـو حَـسَّانِ

---

(١) كتبها في رئيس المجلس المحلِّي عندما أعان جارة الشاعر الجاهلة عليه فتعدت عليه ولم ينصفْهُ فعاتب النزل الذي مدحها قبل ذلك، وهذه القصيدة آخر ما كتب من الشعر فلم يكتب بعدها شيئا.

(٢) يشير إلى ازدياد معاداة أهل بلدته له حينما مدحها في قصيدة «النزل».

٨٢- مهرجان الربيع

كانت كلية اللغة العربية تقيم فى كل عام (مهرجانا) للشعر فى الربيع تحت إشرافى ، بقاعة الإمام محمد عبده ، يشترك فيه شعراء الجمهورية وشواعرها وكنت أقدم كل شاعر بأبيات تنتهى باسمه وهذه بعض النماذج من تقديم الشعر فى آخر مهرجان عام ١٩٧٩م.

الشيخ محمد بركات : مفتتحُ المهرجانِ بالقرآنِ الكريمِ

١- بِاسْمِ مَنْ سَبَّحَتْ لَـه الكَائِنَاتُ ... وتجَلَّـتْ فِى مُلْكِـه الآيَـاتُ

فَلَـهُ الحَمْـدُ بُكْـرَةً وأصِـيلًا ... وعَـلى خَيْرِ خَلْقِـهِ الـصَّلواتُ

خَـيْرُ مَـا نَبْتَـدِى بِـهِ قَبَـسَاتٌ ... مِـنْ كِتَـابٍ آيَاتُـهُ مُحْكَـمَاتُ

بِـصوتٍ مَلائكـىٍّ سـيتلوها عَلينَـا ... (محمَّـدُ بَركَـاتُ)

***

الشاعر : أحمد خميس

٢- الرَّوابِـى الخُـضْرُ مَـنْ ألْبَـسَها ... خِلْعَـةَ الفَـنِّ فَـصارَتْ كَـالعَرُوْسْ

وسَـقاها خَمْـرَهُ حَتـى انْتَـشَتْ ... ومَـشَتْ تخْتَـالُ تِيهًـا وتَمِـيسْ

وتَغَنَّـتْ شَـفَةُ الخُلْـدِ بِهَـا ... غُنـوةً عَـذراءَ تَـستهوى النُّفُـوسْ

بُلْبُـلُ الجِيـلِ حَباهَـا فَنَّـه ... هَـل عَـرفْتُم ؟ إنَّـهُ (أحمد خميسْ)

***

إبراهيم صبرى

سـألتُ الطـيرَ لَمَّـا عِيـلَ صَـبرِى ... وضاقَ من الزمانِ الوغدِ صَدْرِى

١٠- أعِنْـــدَكَ أيُّهـــا الـــشادى نَـــشيدٌ   يُخفِّـــفُ أو يُعـــزِّى أو يُـــسرِّى
فقـــالَ : إذا فقـــدتَ الـــصَّبر يومـــا   فـــردِّدْ شِـــعر (إبـــراهيم صَـــبري)

* * *

الشاعر : الدكتور سعدُ ظَلام[١]

وصَـــفُو الـــسَّعْدّ كُلَّـــهُ بِـــالظَّلامِ   فاسْمَعوا واعْجَبوا لظُلْمِ الأسَامِي
شَـــاعِرٌ يُـــسْعِدُ الـــدُّجَى لقَبُـــوهُ   بِالـــدُّجَى وَهْـــوَ مِثْـــلُ بَـــدْرِ الـــتَّمَامْ
يَـــسترِقُ الرُّبـــا غِنَـــاءً ويُـــشْجى   مَـــسْمعيْها بِأَعْـــذَبِ الأنغـــام
ح١ـ لا تَقولُـــوا : سَـــعْدٌ ظَـــلامٌ ولكـــنْ   أنْصِفوا الحَقَّ فَهْو (سَعْدُ الظَّلامِ)

* * *

الشاعر : إبراهيم عيسى

سَـــمَاءُ المَهْرَجَـــانِ صَـــفَتْ وراقَـــتْ   وأطْلَعَـــتْ الكَواكِـــبَ والـــشُّموسَا
وأيْـــكُ الـــشِّعْرِ صَـــداحٌ تُغَنِّـــى   بَلابِلُـــه فَتـــستَهوى النُّفوسَـــا
فيَـــا عُـــرْسَ الرَّبيـــعِ جَلـــوَتَ حَتَّـــى   جَعَلْـــتَ الكَـــونَ أجْمَعَـــهُ عَرُوسَـــا
يُغـــرِّدُ فيـــهِ شَـــادٍ عبقَـــرِىٌّ   وهلْ هُو غَيرُ (إبراهيمَ عِيسى)؟

---

١) حذف هذا المقطع الخاص بسعد ظلام في نسخة ١٩٩٣م.

الشاعرةُ : روحيَّةُ القليني

٢٠ـ شَـيْخَةُ الـشَّاعِراتِ زَادتْ يَقينـي ... أنَّ بعـضَ النِّـساءِ ربَّـاتُ دِيـنِ
يـا لأَشْـواقِها ، ويـا لَغَـرامٍ ... فى حَنايـا فُؤادِهـا مَكْنُـونِ
كَـمْ سَـمِعْنَا عَـذْبَ المُنَاجَـاةِ مِنْهـا ... فطربْنَـا لـلـصَبْوَةِ وحَنـيـنِ
وتَـسَامَتْ بِحُبِّهَـا اللهَ حَتَّـى ... كَـشفتْ عـنْ سَـنَا الجَمالِ المَصُونِ
أعَـرَفْتُم ؟ أظُـنُّكُم قَـد عَـرَفْتُم ؟ ... كَيفَ تَخْفى (رَوْحِيَّةُ القِلِّينى) ؟

***

الشاعر : فاروق جويدة

٢٥ـ فَتَـى الأهْـرامِ يُنـشدُنا قَـصِيدا ... وللأهْـرامِ مَنزِلَـةٌ فَرِيْـدَةْ
تُـصوِّرُها يراعَـةُ عبقَـرىٍّ ... نَقِـىِّ الفِكـرِ مَـشبوبِ العقيـدَةْ
وفِى الإعْـلامِ يَنْـدُرُ مَـنْ تَـرَاهُ ... رَشِـيدًا يَـسْلُكُ الـسُّبُلَ الرَّشِـيْدَهْ
فيالَـكَ مَهْرجَانًـا نَـابَ فيـهِ ... عَـنِ الأهْـرامِ (فَـاروقُ جُويْـدَهْ)

***

فاروق شوشه

أنَـا اللُّغَـةُ الجَمِيلَـةُ لَمْ تُـشَوَّهْ ... يَـدُ الـشَّانِى مَحَاسِـنِىَ البَشُوشَةْ
٣٠ـ ومِنْ عَجَبٍ يُسَدِّدُ نَحو صَدْرِى ... بَنُـو قَـومِى سِـهَامَهُمُ المَرِيْـشَةْ
كَفَـانِى عَنْهُمـو أنْ راحَ يَجلـو ... جَمالَ مَحَاسِـنى (فَـاروقُ شُوْشَـهْ)

الشاعر : محمود شاور ربيع

ولستُ أرَى الربيعَ سوى حكيمٍ نُرَجِّـي عنـدهُ المثـلَ الرَّفيعـا

تَجَـلَّى فِيـهِ صُـنْعُ اللهِ حَتَّـى تَعَـالى صَـانِعًا ، وسـما صَـنِيْعَا

فَخُـذْ عنـه العطـاءَ بـلا حُـدودٍ وعانِقْـهُ تجـدْ حِـصنًا مَنيعَـا

٣- ويـا مَـنْ أرْهَقتـه خُطـا الليـالي ورامَ مَـشورةً (شَـاوِر رَبيعَـا)

الشاعر : الدكتور / مختارُ الوكيلُ

أديـبٌ شـاعرٌ .. فـذٌّ أصـيلُ لَـهُ في فنِّـهِ بـاعٌ طويـلُ

إذا غنَّـى أجابتْـه الروابِـى وصَـفَّقَ وَردُهـا ، وصَـبا الخَميـلُ

قَـدْ اخْتَـارَ البَيَـانُ لَـهُ وَكِـيلا لَـدَيْنَا ، وهْـوَ (مُخْتَـارُ الوَكِيـلُ)

الشاعرة : عليةُ الجعَّار

حَلِّقِـي فِى سَـمائِه العُلْوِيَّـهْ وأصْـدَحى فِى رِحابِـه الرُّوحِيَّـهْ

٤ - وتَحَـدَّىْ فِى الحـبِّ دُنيـاكِ واسْـقينا شراب المحبَّـةِ الفارِضِـيَّهْ

يـا ابنـةَ الحـبِّ أنـتِ رابعـةُ العـصرِ وإنْ كنـتِ فى الهَـوى مِـصْريَّةْ

إنَّ هـذا الربيـعَ تَـسْبِيحةُ لأرْضِ الأمجـادِ ذاتِـهِ القُدُسِـيَّهْ

فـتَغَنَّ بِـه فأعـذبُ لحـنٍ فى الهَـوى مـا شَـدتْ بـه صُـوفِيَّهْ

٤٤ - أشْـهِدينا سَـنا الجمالِ وأذْكِـى بالمواجِيـدِ شَـوْقَنا يـا (عَلِيَّـهْ)

شعر الطبيعة

٨٣ - موكبُ الربيعِ

مـــلأَ الأُفْـــقَ بهجـــةً وبهـــاءَ ... وكَـــسا الأرضَ زينَـــةً ورُوَاءَ
موكـبٌ ضَاحِكُ المَبَاسِمِ طَلْقٌ ... يَتَهَـــادَى مِـــنْ حِلِـــه خُـــيَلاءَ
طَـابَ إصباحُه فراقَ صباحًا ... وصـــفا ليلُـــهُ فَطَـــابَ مَـــساءَ
باركتْ راحُه الطيورَ فراحتْ ... تُفعِـــمُ الـــدَّوْحَ فرحـــةً وفنـــاءَ
وتناجَـتْ بـه الخمائـلُ سَكْرى ... شربـــتْ مـــن رحيقـــةِ الأنـــداءَ
وكـأن الـرُّبي عـرائسُ هبَّـتْ ... مِـــن كراهـــا تُطـــاردُ الإغْفَـــاءَ
فتنـــةٌ تُجـتلي وظِـلٌّ ظَليـلٍ ... وعبـــيرٌ يُعطِّـــرُ الأرْجـــاءَ
يـــا حبيبـي هـذا الربيـعُ فهيَّـا ... نغتـــنِم صـــفوَه ونَنْـــسي الـــشِّتاءَ

***

موعـــدٌ للمنـــي يفـيضُ رِغابـــا ... وشـــبابٌ يجـــدِّدُ الأحْقابـــا
كلـــما روَّعَ الزمـــانَ مـــشيبٌ ... عـــادَ في ظلِّـــه الزمـــانُ شـــبابا
هـــو روحٌ تنْـسابُ في كـل شيءٍ ... نَفَـــسًا عَـــاطِرا ولحْنَـــا مُـــذابا
وحيـــاةٌ تـدبُّ في الأرض حتَّـى ... كـــادَ أن يفـــصحَ الجـــمادُ الخِطابـــا
لبِـــسَتْ مـــن بـــرودِهِ حَـــاليَ الوشْـــي ... وحاكـــتْ خميلَـــهُ جِلبابـــا
روضـــةٌ لـــلأرواحِ تـــستَافُ ريَّاهـــا ... وســـاقٍ يُشَعْـــشِعُ الأكْوابـــا
يـــا حبيبـــي وافَى الربيـــعُ نـــداماهُ ظِـــماءً ... وبـــاكَرَ الأحْبَابـــا
وأنـــا ظـــامئُ الأمـــاني فهيَّـــا ... نبتـــدرْ مـــاءَهُ ونـنـسى الـــسرابا
أيـــن أيامُنـــا البواسِـــمُ أينـــا ... والربيـــعُ الـــضَّحُوكُ يحنـــو عَلينـــا

نتنـــاجي والنـــرجسُ الغـــضُّ غَـــيْرَانُ يُـــسجِّي عَينا ويفـــتحُ عَيْنـــا
والـــورودُ الحِـــسانُ تـــسمعُ نجْوانـــا وهمـــسُ النـــسيمِ في أذْنَيْنـــا
رقَّ مـــن شـــجوهِ لرقـــةِ شـــكْوَانا اعْـــتلالا فـــراحَ يـــسري الهُـــويْني
والغُـــصونُ اللِّـــدَانُ راحـــتْ تُحاكِينـــا فتـــذْكي الغـــرامَ في مُهْجَتَيْنـــا
رُبَّ غـصنٍ أسر نجـوىً لغُـصْنٍ فاستَحَى الـوردُ منهُما واستحيْنَا
وانـــسيابُ الرقـــراقِ في الـــروضِ يُـــشْجِينا فَنُـــصْغِي لَـــه ويُـــصْغِي إلينـــا
وكـــأنَّ الطيـــورَ تبتـــدعُ الـــشدْوَ جديـــدا ككـــلِّ شيءٍ لـــدينا

* * *

عـــادَ آذارُ كالـــضُّحى إشْراقـــا يُـــترع الكـــأسَ للنَّـــدامى دِهاقـــا
عبقـــرُ الفـــنِّ يلهـــمُ الـــشعرَ علوِيَـــا فيطـــوي خيالُـــه الآفاقـــا
ولقـــد أيقـــظَ المـــشاعرَ حُبَّـــا وحنِينـــا وجـــدَّدَ الأشْـــواقا
يُـــسكِرُ الـــروحَ والنـــواظرَ مَـــرآهُ كـــما يُـــسكرُ النَّـــدى الأوْرَاقَـــا
هـــامَ قلبـــي في أفْقِـــهِ الطلـــقِ نـــشوانَ يبـــارِي طـــيرَ الـــروابي انْطلاقـــا
يـــا حبيبـــي هَـــذا الربيـــعُ بـــساطٌ للتلاقِـــي يجْمـــعُ العُـــشاقا
تتلاقـــي القلـــوبُ فيـــهِ سَـــلامًا وتَـــذوبُ الأرواحُ فيـــهِ عِناقـــا
سـامرٌ مـؤنسُ الـرؤى لا تـدعْني فيـــه وحْـــدي أكابـــدُ الإطْراقـــا

* * *

لا أحـــسُّ الربيـــعَ إلا بنفـــسي مـــجْتَلَى بَهجـــةٍ وجِلْـــوةُ عُـــرْسِ

وبروحـــــــي أراهُ لا بِعيـــــوني   مَطلَعــا للمُنــي ومَــشرِقَ شــمسِ
مــا الربيــعُ الــضَّحوكُ إلا أمــانٍ   مُــشْرِقاتٌ تَجلــوا غياهِــبَ يأسِــى
وعبـــيرٌ تهفـــو بـــه نَـــسَماتٌ   إنْ سرتْ فتَّحَــتْ مغــالِقَ نفــسي
يــا حبيبــي كــلُّ الربيــعِ نَـدامي   تتــساقَى الهــوي وقــدْ جـفَّ كـأسي
كــلُّ إلْــفٍ بإلْفِــهِ في صــباحٍ   وأنــا مــوحشُ الخــواطرِ مُمْــسي
الــصباباتُ لافِحَــاتٌ بــشوقِي   والأمـــاني معطَّـــراتٌ بِهمْـــسي
فأعِــدْ لي الربيــعَ لَحــْنا و أُنْــسًا   يــا حبيبــي فأنــتَ لحنــي وأُنْــسي

***

وداع المصيف في رأس البرِّ ١٩٥١م

٨٤ - الشاطئُ المَهْجُورُ

وكانت ندوةً تنظم رجالَ الأدبِ والتعليمِ يرأَسُها الأستاذُ الكبيرُ والشيخُ المحترمُ سعدُ اللبَّان بكْ شهدتْ شروقَ المصيفِ كما شهدتْ غُروبَه فكانَ لهذه الأحاسيسِ أثرها في نفس الشاعر.

على الشاطئِ المهجورِ أغْفَتْ مَزاهِرُ ... وأطْرَقَ صدَّاحٌ وجفَّتْ أزَاهِرُ
وأقفَرَ رَوضٌ كان بالأمسِ حَاليًا ... يرفُّ به وردٌ ويصدحُ طائرُ
وشحَّ ربيعٌ كانَ ريَّانَ ناضِرًا ... تَرُوقُ مجالِيهِ وتَسْبِي المناظِرُ
ندىٌّ طَوي فيه النَّدامى بساطَهم ... وودَّعه السُّمَّارُ وانفضَّ سامرُ
وحطَّم كاساتِ المُدامِ مديرُها ... فلا الشطُّ مخمورٌ ولا الكأسُ دائرُ
وغشَّتْهُ من بعد البشاشةِ وجمَةٌ ... فلا الثغرُ بسَّامٌ ولا الوجهُ ناضرُ
ونامتْ لياليهِ الوِضاءُ عشيَّةً ... فلا النورُ رقراقٌ ولا الليلُ ساهرُ
وماتَ بكفِّ الهُوْجِ عِطْرُ نسائمٍ ... رقاقٍ لوتْها زَعْزَعٌ وأعاصِرُ
وأمستْ صبابَاتُ الهوى في رِمَالِه ... دفينةَ صدرٍ تحتويها سَرائرُ
مواكبُ من سحرِ الجمالِ تحمَّلتْ ... فلا الشطُّ مسحورٌ ولا الحُسْنُ ساحرُ
ودنيا من الأحلامِ مرَّت سريعةً ... كما عبرتْ بالشاعِرينَ الخواطرُ
صحونا على أصدائِها وهي زادُنا ... يعيشُ بذكراها وفيٌّ وذاكرُ
فديناكِ رأسَ البرِّ ما أطيبَ السَّنا ... وما أحسنَ المُصطاف والقيظُ فائرُ
إلى ظلكِ الحاني يفيءُ متيَّمٌ ... ويفزَعُ محرورٌ وينهضُ شاعرُ

نهـارُكِ وضَّـاحٌ وليلُـكِ مُـؤْنِسٌ ... وأفْقُـكِ نـشوانٌ وجـوُّكِ عَـاطِرُ
فـأينَ صَـباحٌ فـوق شـطِّكِ حـالِمٌ ... كـأنَّ الحـسانَ الغيـدَ فيـه بـشائِرُ
سـفرْنَ بـه يخطرْنَ في جلوةِ الـضُّحى ... فيـالَفتونِ الحـسنِ والحسنُ سـافِرُ
تــأوَّدْن أعْطَافــا كأغــصانِ بانَــةٍ ... على مَتنِها الممشوقِ رفَّـتْ غـدائرُ
ويـسْقِينَ مـن خمـرِ العُيـونِ صَـبابةً ... يُعتِّقُهـا سـاجٍ مـن الطَّـرْفِ فـاترُ
وللرمــلِ في أقــدامِهنَّ ضراعــةٌ ... وللبحـرِ عِربيـدٌ مـن المـوجِ هـادرُ
يغــارُ إذا مــا قبلــتْهُنَّ نــسْمَةٌ ... فتــسْتبِقُ الأمــواجَ كــيما تُبــاكرُ
فيالــكِ مــن غِيـد لـسحرِ جمالهـا ... تغــارُ علــيهنَّ البحــارُ الزَّوَاخِــرُ

لياليـكِ رأسَ الـبَرِّ أحـلامُ شـاعرٍ ... وأشـواقُ مَهْجُـورٍ تـصَّباه هَـاجِرُ
ليـالٍ كـأحلامِ العــذارى رفيفُهـا ... علي النيـل أطيـافُ الجَمال العـوابرِ
وأيــن عــشيَّاتُ المِـلاحِ بـشطِّهِ ... وأضـواؤهُنَّ الـساحراتُ الخـوامرُ
مــشينَ يُبــارينَ الــزوارقَ خِفَّــةً ... فيحنـو علـيهنَّ الـشِّراعُ المفـاخِرُ
ولـلزورقِ الفـضيِّ في الأفْـقِ صـبوَةٌ ... يرقرِقُهــا في المــاءِ نُــورا يخــامرُ

وأيــن نــسيمٌ باللــسانِ مُفــتِّحٌ ... مغـالِقَ نفـسٍ أوحـشتها المخـاطِرُ
تَعـانقَ فيـه النيـلُ والبحـرُ مِثلمـا ... يعـانقُ كهْـلا يـافعُ العـودِ نـاضرُ
علـى صـخرهِ الجبـارِ يخشعُ عابـدٌ ... ويـسكنُ عِربيـدٌ ويـؤمنُ كـافرُ

فهـذا جـلالٌ يمـلأُ الـنفسَ هيبـةً وهـذا جمالٌ مـن سنا السـحرِ بـاهرُ
فيـا لَجَمـالِ النيـلِ والنيـلُ سـاكنٌ ويـا لجَلالِ البحـرِ والبحـرُ ثـائرُ
وهــذا الفــضاءُ اللانهــائيُّ كُلُّــه صراعٌ مـن الأمـواجِ في البحـرِ دائـرُ
وهــذا فــراتٌ طيِّـبُ الـوِرْدِ سـائغٌ وهــذا أُجَــاجٌ تجتَويــهِ المــشاعرُ
٣٥ - وبيــنهما مِــنْ صــنعةِ اللهِ بــرزخٌ وحِجْرٌ من الغيبِ المُحجَّبِ حاجرُ
وقد ربضَ (الجندولُ) في سمتِ راهبٍ يُمجِّــدُ صُــنعَ اللهِ واللهُ قــادرُ

فـديناكِ رأسَ الـبرِّ مـا أجمـلَ الـسنا وما أطيبَ المصطافَ والقيْظُ فـائرُ
أتينـاكِ أعـشاشا كأوكـارِ رَوْضَـةٍ جلتْهـا لأسْرابِ الطيـورِ الأزاهـرُ
تناسقْنَ بـين البحـرِ والنيـلِ أَسْـطرا كـأنَّهما جفنـانِ وهْـيَ محـاجِرُ
٤٠ - فـما بالُهـا أضـحتْ رُسـوما دوارِسـا كـأن بقاياهـا الـشخوصَ مقـابرُ
سـلامٌ عـلي أيامِـكَ البـيضِ قـد خبَـا سـناهَا سريعـا واحتوتنَـا الـدياجِرُ
وأصـبحتِ ذِكـري للبـشاشةِ والمُنـى يغنِّـي بهـا شـادٍ ويهْتِـفُ شـاعرُ
خـلا ربْعُـكَ الزاهِـي كـأنْ لم يقـم بـه أنـيسٌ ولم يـسْمر بمغنـاه سـامرُ

***

٨٥ - الليل الرهيب (١)

أيها الزَّاخرُ الأطمُّ العبابِ   لُجَجٌ أنت من ضنيً وعذابِ
تُهتُ يا ليلُ في دياجيكَ حيرانَ غريقًا في وحشتي وارتيابِي
أنتَ في هذهِ الحياةِ كحظِّي   أسودُ اللونِ حالِكُ الجِلْبابِ
شِمْتُ في صمتِكَ الرهيبِ ارتياحًا   من عناءِ الشجونِ والأوصابِ
فإذا أنتَ جُذْوَةٌ من شقاءٍ   وإذا أنتَ عالَمٌ من ضَبابِ
وإذا كلُّ ما تمنيتُ أمسي   فيكَ يا ليلُ قِيعَةٌ من سرابِ
يا مثيرَ الأشواقِ بعد سُكونٍ   ومُعيدَ الشجونِ بعد ذهابِ
لم أجدْ فيكَ ما يُخفِّفُ آلامِي سوي وحشةٍ اكتئابِ

* * *

غرقَ الكونُ في دجاكَ فأمْسي   في إهابٍ من السوادِ الكابي
كيف تطغى على الكواكب شَمَّاءَ بأمواجك العوادي الغِضَابِ
لكأنَّ النجومَ فيكَ عَذارى   سابحاتٌ في مائجٍ صَخَّابِ
أو كأنِّي بها لآلئُ دمعٍ   حائراتٌ في نرْجِسٍ خلَّابِ
أو كأنَّ الدُّجى مُدامٌ بكأسِ الكَونِ فيه النجومُ مثلُ الحُبابِ
يا نجومَ المساءِ هِجْتِ شُجوني   وأثرتِ الحنينَ في أعصابي

---

(١) من شعر ما قبل العشرين بعنوان : وحشةُ الليلِ وقد اختصرها الشاعر إلى نصف عدد أبيات القصيدة الأولى مع تعديلها ثم اختصرها في آخر مخطوطة جمعت له في نهاية الثمانيات من القرن الماضي ولكني وجدت هذه المجموعة أكثر حيوية من الأخيرة وعنوان الأخيرة " يا ليل ".

لا تراعِي مما دهَاكِ من الليلِ فهذا يا فِتْنتي بعضُ ما بي

فيه ضاقتْ بالبائسين رَحَاباتٌ وضاقوا ذرْعا بتلكَ الرِّحابِ

فمتى يُشرقُ الصباحُ ويمضي   بأسُ هذا المظفرِ الغلَّابِ

أنا جدَّدْت لامرئِ القيسِ شَكْوى   طُولِه بعد هذِهِ الأحقابِ

***

٨٦- الشراع

يـا شراعـا يلُـوحُ عَـبْرَ المَـصِيفِ   في دُجـى الـيَمِّ كالـشعاعِ اللطيـفِ
يتهـادى عـلي العُبـاب كطيـفٍ   عـــابرٍ للمُتَـــيَّمِ الـــشغوفِ
رفَّ كـــالطيرِ خَافِقًـــا بجنـــاحٍ   أبـيضٍ سـاحرِ الـسُّري والرفيـفِ
بـين مسري الهواءِ يسري كرَوْحٍ   ذابَ في رقـةِ النـسيمِ الـشفيفِ
أو خيـــالٍ لـــشاعرٍ عبقـــريٍّ   مُلْهَـمِ الحسِّ والـشعورِ الرهيـفِ
والهـــواءُ العليـــلُ في صـــفْحَتيهِ   قُـــبُلاتٌ لعاشـــقٍ ملهـــوفِ

* * *

يـا شراعـا يلُـوحُ عَـبْرَ المَـصِيفِ   في دُجـى الـيَمِّ كالـشعاعِ اللطيـفِ
خَـفَّ قلبـي إليـكَ يـا مَرفـأَ الحُـسْنِ مَـشُوْقا إلي حمـاكَ العطـوفِ
فأمانًـا لــه مــنَ الخُـرَّدِ الغيـدِ ، ومِـنْ صـولةِ الجـمالِ العنيـفِ
عند شطِّ مُعَرْبـدِ الحسنِ يَسبي   بـرُؤاهُ لُـبَّ الحليمِ الحـصيفِ
خطَـرتْ فوقـه الظبـاءُ صـفوفا   فاتنـاتٍ تختـالُ خلـفَ صـفوفِ
وتنـــاثرْنَ حولَـــه كزهـــورٍ   نَثرتْهـا في الـروضِ كـفُّ الخريـفِ
مـا تَـرَي البحْـرَ والـهًا بلَّـلَ الرمْـلَ بـشكويً مـن دمعـهِ المنـزوفِ ؟
شـاقَ أمواجَـه الجـمالُ فأمَّـتْ   شـاطئَ الحُسنِ في سِباقِ طَريـفِ
مَوجـةٌ إثـرَ موجـةٍ تـسرعُ الخطْـوَ لتحظـى مِـنْ قَبلِهـا بـالوقوفِ
وأسرَّتْ للـشطِّ نَجـوى هواهـا   ثـم عـادتْ وئيـدةً كالأسِـيفِ
كـلُّ إلْـفٍ يختـالُ أُنسا بـإلفٍ   وهْـيَ في وحـشةٍ بغـيرِ أليـفِ

يــا شراعــا يلُــوحُ عَــبْرَ المَـصِيفِ في دُجــى الــيَمِّ كالــشُّعاعِ اللطيــفِ
خــفَّ حِلْــمُ البحــرِ الوقــورِ مــن الحــسنِ فَكُــنْ أنــتَ فيــه غــيرَ خفيــفِ
٣٠- أنتَ رمزُ العفافِ والطُّهر فاحذرْ عــارِي الحــسنِ فهْــوَ غــيرُ عفيــفِ

* * *

من وحي الريف

٨٧ - محْرابُ شاعرٍ (١)

خَميلةَ الشعرِ كمْ حرَّكْتِ أوتاري ... للشدوِ فيكِ وكمْ ألهمتِ أفكاري
يا مَبعثَ الروحِ في الأبدانِ هامدةً ... ومَهبِطَ الوحي من آياتِ أشعاري
حيَّيْتُ فيكِ مكانًا كمْ نظمتُ بهِ ... لآلئَ الشعرِ فوقَ الجدولِ الجارِي
من كلِّ عصماءَ من نجواكِ رائعةٍ ... عذراءَ تختالُ في وَشيٍ وأنوارِ
ساجلتُ طيرَكِ فيها شاكيا غَرِدًا ... كأنني طائرٌ ما بينَ أطيارِ
بكَتْ أليفًا عن الوكرِ الجميلِ نَأي ... فرحتُ أبكي أليفًا نائيَ الدارِ
والبدرُ يشرقُ أحيانا فيؤنِسُني ... وتارةً يتواري خلفَ أستارِ
والأرضُ مجلوةُ الآفاقِ وادعةٌ ... تُبدي المزارعُ فيها قدرةَ الباري
والكونُ حولَكِ قد سادَ السكونُ بهِ ... عدا نسيمٍ رقيقِ النفحِ مِعطارِ
والكونُ معبدُ رُوحي ، في محاربِهِ ... أسبِّحُ الله في صمتٍ واسْرارِ

* * *

خميلةَ الشعرِ كم من أنْعُمٍ عَظُمَتْ ... أصونُها لكِ في حبٍّ وإكبارِ
كم عشتُ في جوِّكِ النشوانِ مُنفرِدا ... مُطَهَّرَ النفسِ من حقدٍ وأوضارِ
سئمتُ من معشرٍ بيضٍ ظواهِرُهم ... لكنْ بواطِنُهم سوداءَ كالقارِ
وجدتُ فيكِ - غَناءً عَنْ صَداقتِهم ... خِلًّا وفيًّا ، ومِحْرَابًا لأفْكَارِي

---

(١) من شعر ما قبل العشرين (زورق الشجون) تحت عنوان غابة الشعر وأثبتها الشاعر بعد تعديل أبياتها وتجويدها .

٨٨ - رأس الهلال

في رحلة لطلاب السنة النهائية بكلية اللغة العربية بالبيضاء في ليبيا عام ١٩٧١ م إلى رأس الهلال بالجبلِ الأخضر في يوم مطير .

يا نجومَ الفُصْحَى برأْسِ الهِلالِ   فِي ربا الأخضرِ السخيِّ الظِّلالِ
يستضيفونَنا الغداةَ بأرضٍ   هِيَ في الجودِ مَضْربُ الأمثالِ
فعلي الرأسِ ينزلُ الضيفُ منها   في محلِّ التكريمِ والإجلالِ
حسدَتْها السماءُ في الجودِ حتَّى   نافستْهُ بغيثِها الهطَّالِ
شاركَتْكُم في الاحتفاءِ بِنا اليومَ بطلٍّ حُلوِ الرنينِ سِجَالِ
كَرَمٌ عمَّنا سماءً وأرضًا   ما سمعنا بمثلِه في الخَوالي
يا شبابَ الفُصْحى هُنا موطنُ الشعْرِ ومِنْ هَا هُنا مطارُ الخيالِ
فتنةٌ ترتدي الطَّبيعةُ فيها   سُنْدُسًا مِنْ خمائِلٍ ودَوالي
فَرُبَّا تلبسُ الخمائلَ بُرْدا   ورُبَّا تستحمُّ في شلالِ
فَجَّرَ الصخْرُ عندَ أقدامِها البيضِ عُيونًا تجري بعذبٍ زُلالِ
وهنا البحرُ ذو العبابِ تَحدَّي   موجُه هادرًا شموخَ الجبالِ
كم وَعَي من تاريخِ لِيبْيا وكمْ شاهدَ فيها تقلُّبَ الأحوالِ
يلتقي بالسماءِ فيما ترى العينُ فيوحي برهبةٍ وجلالِ
لُجَجٌ لا ترى سواها ، فبعضٌ   متدانٍ والبعضُ في الأفْقِ عالِ
أبدًا يلطُمُ الصخورَ كطاوي   تِرَةٍ لا يمَلُّ طُولَ النضالِ
يتلَوَّي بينَ الأخادِيدِ زحْفا   كتلوِّي الحيَّاتِ بين التِّلالِ

أتُـــراهُ يـــسْعَى إلي الـــشطِّ لهْفَـــانَ ليحظـــى بلـــثمِ غيـــدِ الرمـــالِ ؟

يحـــسبُ المـــرْجَ مـــستَرادَ جمـــالٍ   تتهـــادي بـــهِ ذواتُ الحجـــالِ

هُـــنَّ يـــا بحـــرُ خـــرَّدُ الجبـــلِ الأخْـــضَرِ يَـــشْبِبنَ في حمـــي الأبطـــالِ

لابِـسـاتٌ مـن الخمائـلِ (جُـردا)   وطنيَّـــا متوَّجـــا بعِقَـــالِ

كـــل خَـــوْدٍ في الحُـــسن ليبيَّـــةُ العِفَّـــةِ تحميـــهِ مـــن فُـــضُولِ الرجـــالِ

لا يـــصونُ الجـــمالَ والحُـــسنَ إلا   ســـابلاتُ الأردانِ والأذْيـــالِ

والمعـــرَّي مـــن الجـــمالِ رخِـــيصٌ   مـــستباحٌ لريبـــةٍ وابتـــذالِ

يُقبِـــلُ المـــوجُ نحوَهـــا مُـــستهاما   ثـــمَّ يرتـــدُّ خائـــبَ الآمـــالِ

غـــير أنَّ الـــصخورَ مـــدَّتْ ذِراعَيْـــها إليـــه فكانتـــا كـــالهلالِ

مَنظـــرٌ يُجْـــتَلَي وظـــلٌّ ظَلِيـــلٍ   وجمـــالٌ مـــا بعـــدَه مِـــنْ جمـــالِ

* * *

غـــدُكُمْ حـــلَّ يـــا شَـــبيبةَ لِيبيـــا   فـــاحملُوا رايـــةَ العُـــلا والمَعـــالي

وامنَحـــوا ليبيـــا كَـــما منحـــتْكُم   مِـــن رعاياتهـــا كـــريمَ النـــوالِ

قـــد خـــرجْتُم إلي الحيـــاةِ فـــشقُّوا   دربَ آمـــالِكم بعـــزمِ الرجـــالِ

وانتهيتُمْ من واجبِ الدرسِ كيْما   تـــستقلّوا بالواجبـــاتِ الثقـــالِ

إن فـرغْتُم مـن ضربِ زيدٍ لعمـروٍ   فلكـــي تـــضربُوا بكـــلِّ مجَـــالِ

* * *

لكُمـــو يـــا شـــبابَ ليبيـــا ثنـــاءٌ   لا يفـــي حـــقَّ هـــذه الأفـــضالِ

إن شــكرْنا لكُــمْ جميــلَ صَــنيعٍ　　　فمَقــامُ الــصنيعِ فــوقَ المقــالِ

أســعدُ العمــرِ ســاعةٌ جمعتْنــا　　　وتجــلَّي فيهــا الوفــاءُ المثــالي

نــسبُ العلــمِ بيننــا أوثــقُ الأنــسابِ قــربيً عــلي مــدي الأجيــالِ

واللِّقــاءُ الــسعيدُ أجمــلُ ذِكــرى　　　ســوفَ تَبقــى عَــلى مُــرورِ الليــالي

وإذا مــا يــدُ النَّــوى فرَّقَتنــا　　　في مــرامٍ بعيــدةِ الأميــالِ

فــستبقَى أرواحُنــا في تــلاقٍ　　　وســتبقي قلوبُنــا في اتِّــصالِ

شَــكرَ اللهُ مــا صــنعتُم جميعــا　　　وســعدتُم في الحــلِّ والترْحَــالِ

* * *

٨٩ - عروسُ البحر
قيلت في رأس الهلال بالجبل الأَخضر ليبيا ١٩٧٢ م

عــادتِ الأيــامُ يــا رأسَ الهــلالِ   والتقينــا بــينَ هاتيــك المجــالي
تجْــتَلِي الــسحرَ ونــشدو للجَــمالِ   (يا عروسَ البحرِ يا حُلمَ الخيالِ)(١)

هــا هُنــا الــوادِي كــما قــد كــانَ مخــضلًّا نَــدِيًّا
وهُــوَ اليــومَ كــما بــالأمسِ يلقانــا حَفيًّــا
والــتلالُ الــشمُّ تــستوحي الإبــاءَ العَرَبِيَّــا
والجمــيلاتُ صــبايا تفــتِنُ المــوجَ العتِيَّــا
مــا تُــراهُ اســتهدفَ الــشطَّ سِــباقا أبــدِيًّا؟
وترامَــي عنــدَ أقــدامٍ لهــا يجْثُــو جِثيًّــا
فاســتَحَتْ منــه وغطَّــتْ بــذراعيها المُحَيَّــا
وارتــدتْ مــن ســندسِ الأغــصانِ جُــردا بــدوِيًّا
فمــضي للــشطِّ يــشكو مــن هواهــا للرمــالِ

عــادتِ الأيــامُ يــا رأسَ الهــلالِ   والتقينــا بــينَ هاتيــك المجــالي
تجْــتَلِي الــسحرَ ونــشدو للجَــمالِ   (يا عروسَ البحرِ يا حُلمَ الخيالِ)

أنــا لا أصــبو إلى الحُــسنِ المعــرَّي المــستباحِ
تنهــبُ الأعــينُ منــه في غُــدوٍّ ورَوَاحِ

---

(١) الشطر من قصيدة – كرنفال فينيسيا– للشاعر علي محمود طه، غناها محمد الوهاب، بعنوان الجندول، وكان الشاعر حسن جاد يغنيها على عوده مثل عبد الوهاب.

وأري فيه تهاويلَ ابتذالٍ وافتضاحِ
وهْوَ في الصيفِ على الشطِّ لحومٌ كالأضَاحي
تنزعُ الأنفسُ بالطبعِ إلي غيرِ المباحِ
أنا من يهفوا إلى الحُسنِ ويصبو للملاحِ
في حمَيً من عِفَّةِ التقوى وحِصْنٍ من صلاحِ
إنما يَسبي الجمالُ الحقُّ من خلفِ وشاحِ
فاستري حسنَكِ يا أختُ وضِنِّي بالجمالِ

عادتِ الأيامُ يا رأسَ الهلالِ   والتقينا بينَ هاتيك المجالي
تَجْتَلي السحرَ ونشدو للجَمالِ   (يا عروسَ البحرِ يا حُلمَ الخيالِ)

يا شبابَ الضادِ في البيضاءِ بوركتُمْ شبابا
يَومُكم مُؤْتلِقُ الشمسِ سَماءً وهِضَابا
لم يكدِّر صفوَكم غيثًا ولا غامَ ضبابا
أنتمُ الغَرسُ الذي أينعَ في لِيبيا وطابا
فاسلكُو العيش كِفاحا وخُذوا الدنيا غِلابا
واطلُبوا الرزقَ حلالا في سهولٍ أو جبالِ

عادتِ الأيامُ يا رأسَ الهلالِ   والتقينا بينَ هاتيك المجالي
تَجْتَلي السحرَ ونشدو للجَمالِ   (يا عروسَ البحرِ يا حُلمَ الخيالِ)

يا أحبَّايَ وأنتمْ في دُجي ليلي شموعْ

لـو نظمـتُ الأنْجـمَ الزُهـرَ وأزهـارَ الربيـعْ

٣٥ـ لا أوفِّـيكُم ثنـاءً واجبـا أو أسـتطيعْ

لستُ أنسي موقفا أحسنتُمو فيه الصَّنِيعْ (١)

وأنـا في غمـرةِ المحنـةِ والبلـوى صَريـعْ

وإذا برقيَّـةٌ سَـالتْ لمرآهـا الـدمُوعْ

فلـتكُن تـضحِيتي مـن أجلِكـم خـيرَ شـفيعْ

٤٠ـ إنـه العرفـانُ والمعـروفُ عنـدي لا يـضيعْ

وسـأبقي ذاكـرا عِرفـانَكم طُـولَ الليـالي

عـادتِ الأيـامُ يـا رأسَ الهـلالِ والتقينـا بـينَ هاتيـك المجـالي

تَجْـتَلِي الـسحرَ ونـشدو للجَـمالِ (يا عروسَ البحرِ يا حُلمَ الخيالِ)

* * *

(١) إشارة إلى موقف هؤلاء الشباب طلبة السنة الرابعة حين أرسلو برقية يُلِحُّون فيها على حضوري وأنا بجوار ولدي المريض فضحيت من أجلهم وتركت ولدي .

من شعر ما قبل العشرين بتصرف

٩٠- الورقاءُ الثكْلي

ما لها أمستْ علي الدَّوْحِ تنوحْ؟ ... وتبثُّ الروضَ آلامَ الجُرُوْحْ ؟
ما لها تخفِقُ كالقلبِ الجريحْ ... وتهزُّ الغُصْنَ من فرطِ الأنينْ

* * *

بَكَرتْ تشدو بألحانِ المُني ... والنَّدي يغمرُ في الروضِ الجَنَا
حينَ لاحَ الصبحُ لمَّاحَ السَّني ... يَفتِنُ الألبابَ بالسحرِ المُبينْ

* * *

أيقظَتْ بالشدوِ أسرابَ الطيورْ ... تجْتَلِي الأنوارَ من سِحْرِ البُكورْ
وتبثُّ الشدوَ فياضَ الحُبورْ ... في سماءِ الروضِ يشجي السامعينْ

* * *

ثم جدَّتْ مَطلبا في عَيشِها ... وأنامَتْ فرخَها في عُشِّها
مُطمئنًّا في حنايا فرشِها ... يرقبُ الإشفاقَ والصدرَ الحنونْ

* * *

وانثنَتْ بالحبِّ تَبْغي وَكْرَها ... في حنانٍ لتلاقِي طَيرَها
وإذا الصيادُ ينوي غدْرَها ... راصدا عودَتَها خلفَ الكمينْ

* * *

حين دانَتْ وكرَها واستشرَفَتْ ... فوقَ أغصانِ حِماها واستوتْ
سدَّدَ السهمَ إليها فهوتْ ... تتنزَّي في دمِ الجُرحِ الثَّخينْ

* * *

لم يـصبْها الـسهمُ إلا في الجنـاحْ ... فاسـتطارَتْ رغْـمَ آلامِ الجِـراحْ
فمـشي الـصيادُ مـن يـأسٍ وراحْ ... بعـد مـا خابـتْ بمـسعاهُ الظُّنُـونْ

* * *

ظلَّـتِ الورقـاءُ تجتـازُ الفـضاءْ ... ودنـتْ مـن وكرِهـا بعـدَ العنـاءْ
وإذا الفـرخُ طـريحٌ في الـدماءْ ... غالَـه الـسهْمُ وأرداهُ المنـونْ

* * *

وقفـتْ في الـروضِ تَبكـي حالَـه ... حيـنَما الـسَّهْمُ تعـداها لَـه
ورأتْ في عُـشِّها أوصـالَه ... إرَبـا تحملُهـا ريـحُ المَنـونْ

* * *

حرَّكَـتْ بـالنوحِ شَـجْوا ساكنا ... كـانَ في قلبـي سـجينا كامِنـا
وأثـارتْ بالبُكـا بعـدَ الغِنـا ... لاعـجَ الحـزنِ وأنَّـاتِ الـشجونْ

* * *

أيُّهـا الورقـاءُ لا تبكـي فَـما ... ينَفـعُ النـوحُ بخطـبٍ عَظُـما
عـصفَ الـدهرُ بقلبـي مِـثلَما ... قـدْ دهـاكِ اليومَ يا وَرْقا الشُّجونْ

٩١ - حديث القمر

يـشعُّ بقلبـي سـناك الأغـر   فـأشرِقْ عـلي مهجتـي يـا قمـرْ
لَكَـمْ فِيـكَ مِـنْ مُتْعَـةٍ للنُّفُـوسِ   وكَـمْ فِيْـكَ مِـنْ بَهْجَـةٍ للبَـصَرْ
بعثـتَ إلي الـرَّوْضِ صَـافِي اللُّجَـيْنِ   فَـنَقَّطَ أزْهَـارَهُ والثَّمَـرْ
ومَـرَّ عَـلي صَـفَحاتِ الغَـدِيرِ   شُـعَاعُكَ فَاسْـتَلَّ مِنـهُ الكَـدَرْ
ورَصَّـعْتَ بالـدُّرِّ زَرْعَ الحُقُـولِ   وتوَّجْـتَ بـالأُقْحُوانِ الـشَّجَرْ
وأرسـلت في الليـل جـيش الـضياء   فمـزق ظلمتـه وانتـصر
تبـارك مـن صـوَّر الحسنَ فيـكَ   مثـالا يـشوقُ حِسانَ البـشرْ
ألا أيهـذا الـسميرُ الحبيـبُ   نـديمُ العـشيِّ نَجِـيُّ الـسَّحَرْ
تحـدَّثْ إليَّ فيـا طالمـا   رويـتَ الحـديثَ وسُـقتَ الخـبرْ
شـعاعُك يَلمَـعُ في نَـاظِريَّ   كَـما لَمعـتْ في العُقـولِ الفِكَـرْ
وتعتـادني ذكريـاتُ الهـوى   إذا مـا أطلـتُ إليـك النظـرْ
فكـم ليلـةٍ مـن ليـالي المنـى   صـحبتُك فيهـا وطـالَ الـسَّمرْ
وكـم ليلـةٍ مـن ليـالي النـوى   سـمعتَ شـكاتيَ ممـنْ هَجـر
وكَـمْ ضِقتُ ذَرْعًـا بِغَـدْرِ الزَّمانِ   فَكُنْـتَ عَزائِـيَ عَمَّـنْ غَـدَرْ
وكـم جئتُ أسكبُ حُرَّ الـدموعِ   وأشـكو إليـكَ صروفَ القـدرْ

فكنـــتَ أنيـــسيَ في وحـــشتي ... وكنــتَ نــصيريَ عنـــد الغِـــيَرْ

وجـــدتُ عـــن النـــاس فيـــكَ الغَنَـــاء فأنـــتَ الـــصديقُ الـــوفيُّ الأَبَـــرْ

تَجنَّـــي عَلَيْـــكَ غُـــزَاةُ الفَـــضَاءِ وقَـــدْ شَـــوَّهُو فِيـــكَ مَـــا قَـــد بَهَـــرْ[1]

وقــالوا خرافـــةُ أهـــل الخيـــال تغنـــي بهـــا بـــدوهم والحـــضر

ولَمْ يَتَغَنَّـــوا بِغَـــيرِ هِـــضَابٍ ... مِـــنْ الـــصَّخْرِ أو بِـــتِلالِ الحَجَـــرْ

وكَـــمْ خَـــدَعَ الـــوَهْمُ مِـــنْ شَـــاعِرٍ ... جَمُـــوحِ الخَيَـــالِ شَرُوْدِ الأَثَـــرْ

حَـــذَارَكَ يَـــا دَيْـــدَبانِ الـــسَّماءِ ... فقَـــدْ يَـــدْفعُ النَّائِبَـــاتِ الحَـــذَرْ

لقد دنسوا الأرض من رجسهمْ ... فـــضاقت بِـــشرِّهمُ المُـــستعرْ

ولم يَكْفِهِـــمْ أنَّهـــمْ رَوَّعُـــوهَـــا ... فَـــلا أَمْـــنَ فِيهـــا وَلا مُـــسْتَقَرْ

فَرَامُـــوا سَـــمَاءَكَ كَـــي يُفْـــسدُوها ... بِـــما حَمَلُـــوا مِـــنْ أذَاةٍ وشَرْ

فردَّهمـــو عـــن حمـــاك الأمـــين وأحرقهمـــو بـــشواظِ الـــشررْ

هـــو العلـــمُ إن لم يقـــد رَبَّـــه ... إلى الخـــيرِ كـــانَ ســـلاحَ الخطـــرْ

ومَـــنْ لـــيسَ يَعْـــصِمُهُ عَاصِـــمٌ ... مِـــنَ الـــدِّينَ ضَـــلَّ بـــه وانتحَـــرْ

مثـــالُ الجـــمال ورمـــزُ الـــصفاء عـــلى رغمهـــم أنْـــتَ أنْـــتَ القمـــرْ

---

(١) ذكره لغزو الفضاء جاء في إصدارة ١٩٨٤م إذ إن زورق الشجون ١٩٣٤م ووحي الربيع ١٩٥٢م وهما إصدارتان للقصيدة كانتا قبل غزو الفضاء في ١٩٥٩م.

٣٠ـ وإن الحقيقـــةَ حينـــا تَـــسوءُ فيـــصرفُ عنهـــا خيـــالٌ يَـــسرْ

تمهـــلْ فللعـــينِ منـــك الـــضياءُ وللـــروحِ نجـــوى المنـــى والـــسمرْ

وللنـاسِ فيـكَ حِـسَابُ الـشُّهورِ ولِي فِيـك شَـتَّي الـرُّؤَى والـصُّوَرْ

* * *

شعر المرأة

٩٢- حُطَامٌ (١)

صدى تجربةٍ عاناها صَديقٌ شَاعِرٌ حطَّمتهُ امرأةٌ.

ولقيــتُ الــصَّديقَ ذاتَ مَـساءِ   ومُحَيَّـــاهُ غَـــائِمٌ بالـــشَّقاءِ
واجِـــمٌ عانَقَـــتْ كآبتُـــه الليـــلَ عنـــاقَ الظَّلْـــماءِ للظَّلـــماءِ
سـاهِمُ الطَّـرْفِ لـيسَ فيـهِ بَريـقٌ   غَـيرَ وَمْـضٍ لِدَمْعَـةٍ خرسـاءِ
كِـدْتُ أنْـساهُ بَعــدَمَا فَرَّقَتْنــا   عَاديـاتُ النَّـوى ، وطَـال التَّنـائِى
قلـتُ : يـا شـاعرًا أصـاخَتْ لــه الــدُّنيا زَمانًـا مُـدوىّ الأصْـداءِ
كَيـفَ لَـفَّ الظَّـلامُ أُنْـسَ لَياليـكَ وقَـدْ كَـانَ سَـاهِرَ الأضْـواءِ ؟!
وأغَارِيـدُك التـى كَـم شَـجَتْنا   غَالَهَـا صَـمْتُ وَحْـشَةٍ نَكْـرَاءِ
لُـذْتَ بِالـصَّمْتِ والخُمُـولِ وَمـا كُنْـتَ جَـدِيرًا بِعُزْلَـةٍ وانْطِـواءِ
قَـالَ لى الـشَّاعِرُ الحَـزِينُ وقَـدْ   هِجْـتُ أسَـاهُ وزِدْتُ فِى البُرَحَـاءِ:
لا تَـسلْنِى عَـن محِنتَـى وشَـقائى   قَـدرٌ خَطَّـه يَـراعُ القَـضاءِ
مـا احْتِيـالُ الفَتَـى إذا قُـضِىَ الأمْـرُ وأعْيَتْـهُ حِيلَـةُ الأذْكِيـاءِ؟
لا تَقُـلْ :أيْـنَ مَوْهبـاتِى وفَنِّـى ؟   أيْنَ شِعرى ؟ وأينَ عَذْبُ غِنَائِى؟

---

١) كان اسم القصيدة حطامُ امرأة وغيره إلى الاسم الحالي في مراجعتنا ١٩٩٣م، وهذه القصيدة الوحيدة التي كتبها للمرأة بعد ديوان زورق الشجون الذي صوَّر حبَّه الأول وضياع محبوبته.

صـوَّحَتْ أيكتِـى ، وأقْفـرَ رَوْضِى   ورَبيعـى طَـواهُ ليـلُ الـشِّتَاءِ
قُلـتُ : إنَّ الآلامَ مُلْهِمَـةُ الفَـنِّ ومَجْـلى قَـرائِحِ الـشُّعراءِ
والأَسَـى الفَـذُّ شُـعْلةُ العَبقريـاتِ وسِرُّ النبـوغِ فى البُوسـاءِ
قـالَ : قـد تُفْحِـمُ الخُطـوبُ إذا جَلَّـتْ وترمـى الفُحـولَ بالإعْيـاءِ
كَيـفَ يَـشدُو مُغَـرِّدٌ فَـوْقَ أيْـكٍ   عَشَّـشَتْ فِيـهِ بُوْمَـةُ الأَرْزَاءِ؟
لا تَقُـلْ لِى :وَرَاءَ كُـلِّ عَظِـيمٍ   مِـنْ بُنَـاةِ الحَيَـاةِ إحْـدَى النِّساءِ
مَثَـلٌ "سَـائِرٌ"ويَـارُبَّ قَـولٍ   سَارَ فى النَّاسِ وهْوَ مَحْضُ الهُراءِ
قَـلَّ مَـنْ تَحْفَـظُ المَـوَدَّةَ مِـنهنَّ وتَحْـدو مَواهِـبَ النُّبهـاءِ
كَـمْ أمَاتَـتْ حَـوَّاءُ مِـنْ عَبْقَـرِىٍّ   ولَكَـمْ أَخْمَلَـتْ مِـنَ العُظَـماءِ
رُبَّ بـانٍ بَنَـى فَلَّـما دَهَتْـهُ   هَـدمتْ مـا أقَامَـهُ مـن بِنـاءِ
" وأتعـسُ النـاس في البريـةِ زوجٌ   عبقـريٌّ لزوجَـةٍ رعنـاءِ"
" همُّـهُ غـيرُ همِّهـا فـإذا مـا   طـارَ سدَّتْ عليـهِ بـابَ السماءِ"
كُلَّـما رَامَ بـالطُّموحِ خُلـودًا   جَذَبَتـهُ إلى حَـضِيضِ الفَنـاءِ
وإذا مـا سَـمَا لِقِمَّـةِ مَجْـدٍ   أنْزَلَتْـهُ مِـنْ قِمَّـةِ العَليـاءِ
وإذَا حَـازَ سُـمْعَةً أو فَخَـارَا   أمْعَنَـتْ فِى تَهَكُّـمٍ وازْدِرَاءِ

وإذا أبْـــدَعَ الغِنَـــاءَ أعَـــارَتْ   شَـــدْوَه أُذْنَ صَـــخْرةٍ صَـــمّاءِ
أعْـذَبُ اللحْـنِ عنـدَها صَرْخَـةُ البُـومِ وأشْـجَى الغِنـاءِ رَجْـعُ العُـواءِ
أنـا مَـنْ حَطَّمَتْـهُ رُوحًـا وقلبًـا   فأنَـــا مَيِّـــتٌ مَـــعَ الأحْيَـــاءِ
وأنَـــا ذلـــك الحُطـــامُ الـــذى لَمْ   تبـــقَ فيـــه مِنـــى سِـــوى أشْـــلاءِ
ضَـاعَ عُمْـرى مـا بَيـنَ غَـامِرِ يـأسٍ   مُـــدْلَهِمٍّ وخَـــادعٍ مـــن رَجَـــاءِ
خَطَـأُ بِعْـتُ فِيـه كُـلَّ حَيـاتِى   وكِفَـــاحِى بِخَيْبَـــةٍ وشَـــقَاءِ
فَعَـلى العُمْـرِ أَلْـفُ أَلْـفُ سَـلامٍ   وعَـــلى المَوْهِبـــاتِ أَلْـــفُ عَفَـــاءِ
قُلْتُ يا صَاحِبى فَجُرْحُكَ جُرْحِى   والمَـسَاءُ الـذِى طَـواكَ مَـسائِى

* * *

٩٣ـ جَنازة حُبٍّ (*)

١ـ دَفَنْتُ غرامى وإحْتَسَبْتُ رَجائِيا ... وودَّعْتُ فى دُنيا هَواكِ الأَمانِيا
وأخْمَدتُ مَشبوبًا من الحُبِّ طَالَمَا ... تَلَظَّى فُؤادِى فى نَوازِيهِ صَالِيا
وكَفَنْتُهُ فِى الذِّكرياتِ(١) وقد أَبَى ... عَلَيَّ إبائِى أنْ أُوارِيهِ بَاكِيا
يُحَاذِرُ قَلْبِى أنْ أحِسَّ الْتِياعُهُ ... ويُشْفِقُ طَرْفى أَنْ أرَى الدَّمْعَ جَارِيَا
٥ـ ولولا اعتزازِى حِينَ شَيَّعتُ نَعْشَه ... لأَبْصَرْتِ نَعشًا فَوقَ دَمْعِيَ طَافَيا
عَزيزٌ على نَفسى وقَدْ كُنتُ شادِيًا ... بِهِ أنْ أعُودَ اليومَ أبْكيهِ نَاعِيا
جَنَيْتِ عَليه وهْوَ فى المَهْدِ ناشِئٌ ... ويا طالما أمَّلْتُ مِنْهُ مجَانِيا
وضَيَّعْتِ عَهدًا كُنتُ أرْعى حِفاظَه ... وأسْهَرُ فى نَجْوى مُنَاهُ اللياليا
ذَوى غُصْنُه النَّادِى وصَوَّحَ زَهْرُه ... وقَدْ كانَ مُفْتَرَّ البَراعِمِ حَالِيا
١٠ـ وماتَتْ بِكَفَّيكِ العُطورُ فما سَرَى ... إليَّ عَبيرٌ كانَ بالأمسِ سَارِيا
إلى اللهِ أشكوها جِراحًا بِمُهْجتى ... ولَمْ أَلْقَ يومًا للجِراحاتِ آسِيا
وصبوةَ قَلْبٍ دَائمِ الخَفْقِ هَائمٍ ... يَحِنُّ ولا يَلْقَى مِنَ النَّاسِ حَانِيا
وداعًا وداعًا أيُّها الحُبُّ إنَّنِى ... دَفَنْتُ هَوى نفسى وأمْسيتُ خَالِيا

(*) من شعر ما قبل العشرين يصور فيها مأساة زواج محبوبته «نعمة» وعجزه عن الاحتفاظ بها.

١) فى رواية أخرى (بالذكريات).

إِذَا نَـازَعَتْنِى فِيـكَ أَشْـواقُ صَـبْوَةٍ ... كَبَحْـتُ جِماحَ الـشَّوقِ فَارتَـدَّ قَاليـا

ومَـنْ يَـرْتَخِصْ يَوْمًـا حُقُـوقَ مَـوَدَّتِى ... فَلَـسْتُ بِمُعْطِيـهِ مِـن الـوُدِّ غَالِيَـا

وبَاقَلْـبُ أخْلَـصْتَ الـوِدَادَ لجَاحِـدٍ ... وقَـدْ كَـانَ غَـدَّارًا فَلاتَـكُ وَافِيَـا

❊ ❊ ❊

على أطلالِ الحُبِّ (من شعر ما قبل العشرين)

٩٤- النِّسيانُ

انْقَـضَى الحُـبُّ ياحَبِيْبَـةَ أمْـسِ   بَعْـد طُـولِ الغِيـابِ والهَجْـرُ يُنْسِى

أنتِ مَنْ أنْتِ ؟ لاأرى فِيكِ مَعْنَىً   مِـن معانِى الماضى الحَبيـبِ لنفْسى

أنْـتِ مَـنْ أنْتِ ؟ إتَّهَمْتُ ظُنُونِى   حِينَما عُـدْتِ لِى وكَـذَّبْتُ حَدْسِـى

أنْتِ مَنْ أنْتِ؟ لستِ مِحْرابَ رُوحى   مِثْـلَ عَهـدى ولَسْتِ مَعْبدَ قُدْسِـى

أنْتِ مَنْ أنْتِ ؟ لَسْتِ هَتْفَةَ قَلْبى   فى حَنِينِـى ولَـسْتِ نَبْـضَةَ حِـسِّى

أنَـا أنْكَـرْتُ فيـكَ كُـلَّ أحَاسِيـسِى فَلَـمْ يَبـقَ غَـيرَ حُبِّـى لأَمْـسِي

مـا لِمـرآكِ لَمْ يُثِـرْ لاعِـجَ الـشَّوقِ وقَـدْ كَـانَ يُـشْعلُ الـشَّوقَ جَمْـرَا؟

مـا لعينيـكِ لا تَفيـضَانِ بالـسِّحْرِ وقَـدْ كَانَتـا لِروحـىَ سِـحْرَا؟

مَـا لِنَهْـديْكِ لا يَمُوجَـانِ بـاللَّحْنِ وكَانَـا لَحْنًـا وشَـدْوًا وشِـعْرَا

ومُحَيَّـاكِ لَمْ يَعُـدْ شَـمْسَ آمـالِى ولا عـادَ مـثلما كَـانَ بَـدْرَا

عَافَـتِ الـروحُ هـذه الـشفةَ الحَيْرَى كَـما عافَـتِ الفراشَـةُ زَهْـرَا

لَمْ يَعُـدْ فِيـكِ مِـنْ مَتَاعٍ لِرُوحِـى   وخَيـالِى سِـوى حَنِـينٍ وذِكْـرَى

ذَلـكَ الجِسْمُ كَـانَ مَعْبـدَ رُوحِـى   وَهْـوَ اليـومَ حَانَـةُ الخَـمَّارِ

ذَلـك الحُـسْنُ كَـانَ مَـسْرَحَ قَلْبِـى   وهْـوَ اليَـومَ نَهْبَـةُ الأنْظَـارِ

١٥- ذَلِكَ الحُبُّ كَانَ غُنْوَةَ شِعْرى   فَغَفَا طَيْرُهُ عَلى الأزْهَارِ
ذَلِكَ الشَّوْقُ ، ذَلِكَ الدَّمْعُ شَكْواىَ   وَهَبْتنى هَزِيْمَتى وانْتِصَارِى
لَوعَتِى للفِراقِ، فرْحةُ نَفسى   يومَ لقياكِ بعد طُولِ انتِظَارِ
كُلُّ شىءٍ ولَّى فما عَادَلِى   فيكِ مِنَ الحُبِّ غَيرَ طَيْفٍ سَارِ
يا ابنةَ الأَمْسِ ما سُؤالِكِ عَنِّي   بعدما كُنتِ لا تَعِينَ سُؤالِى
٢٠- زَمَنٌ قُلَّبٌ ودَهْرٌ عَجِيبٌ   وصُروفٌ تَجْرى بِهِنَّ الليالِى
أينَ ذُلِّى لِكِبْرِيَائِكَ بَلْ   أيْنَ دُمُوعى ومَا رَثيتِ لِحَالى
وخُشُوعِى لعَرْشِ حُسْنِك طَيفًا   هَائِمَ الرُّوحِ والمُنَى والخَيالِ
عُدتِ لى اليومَ فاتْركينى فَقَدْ   عُدْتِ بِجِسْمٍ مِن وَمْضَةِ الرُّوحِ خَالِ
٢٤- لستُ أهواكِ، غَيرَ أنِّى أهْواكِ   حَنينا فى الزَّمانِ الخَالي

* * *

من شِعرِ ما قبلَ العشرين

٩٥ـ لَحْنٌ جَدِيدٌ (١)

عُـدتُ أُلْقـى مُنَـاىَ بَـينَ يَـديْكِ   وَهَفـا القَلْـبُ مِـنْ جَدِيـدٍ إليـكِ
عَطَفَتْنـــى إِليـــكِ بعـــدَ جفـــاءٍ   نَظَـراتُ الحَنـانِ مِـنْ عَينيـكِ
وحَيَـــاءٌ يَـــشِعُّ فَـــوقَ مُحَيَّـــاكِ   فيغنـــى عـــن كـــل قـــول لـــديك
نَهَلَتْ من سَناكِ رُوحى ، وعَلَّتْ   مـن حـديثٍ يَنْهَـلُّ مِـنْ شَـفَتَيكِ
فـاذا بِـى أَنْسى الـذى كـانَ مِنِّى   وإذا بـى أحْنُـو بِروحـى عَليـكِ

***

خَفَـقَ القَلْـبُ مِـنْ جَدِيـدٍ يُغَنـى   فاسْمَعى مِن هَـواه لَحـنَ التَّمَنِّي
نَغَّمَـــتْ شَـــوقَهُ الـــصَّباباتُ للأيـــكِ   فهـــزَّتْ أَلْحانُـــهُ كُـــلَّ غُـــصْنِ
أَنَـــا رُوحٌ يَـــسْرِى بأُفْقِـــكَ هَـــيمانٌ   هَدَتـــهُ إِليـــكِ أَطيـــافُ حُـــسْنِ
هَـــاتِفٌ بـــالجَمالِ فى نَـــشوة الحـــب   ومـــا أنـــت غـــير كأســـى ولحَنـــى
فاسْـمَعى مِـنْ غِنـاءِ رُوحـىَ لحَنًـا   يَرْتَـضِيهِ العَفَـافُ مِنـكِ ومِنِّـي

***

هَتْفَـةُ الـرُّوحِ أَنْـتِ بَعـدَ سُـكونٍ   ورَبيـعٌ بعـدَ الـشِّتاءِ الحـزينِ

---

١) هـذه القـصيدة غير موجـودة في ديوان زورق الشجون المطبوع ١٩٣٥م بعد بلوغ الشاعر الحادية والعشرين ولكنها موجودة بعد ذلك في مخطوط " وحي الربيع" الذي توقف الشاعر عن نشره ١٩٥٢م بسبب قيام ثورة يوليو لذا يترجح أنها كتبت بين ١٩٣٥ و١٩٥٢م وليس قبل العشرين.

عَصَفتْ بالهَوى ظُنونٌ كِذابٌ ... قَدْ تَبيَّنْتُها ضَلالَ ظُنونِ

فاغْفِرى لِى جَفاءَ ظَنِّى ، فإنِّىَ ... لَمْ أَحُلْ عَنْ وَفائِىَ المَكْنونِ

وأعِيدِى الحَياةَ أُنْسًا ونُورًا ... لفُؤادِى ومَسْمَعى وعُيونِى

إنَّ رُوحِى إليكِ ظَمأى ، فَهَيَّا ... أسْمِعِينى لَحَنَ الهَوىَ واسْمَعِينى

* * *

من شعر ما قبلَ العِشرين

٩٦- ضَيْعَةُ الأملِ فِى ليلَةِ الزِّفافِ (١)

أولُ تجربةٍ شِعْرِيَّةٍ كاملةٍ لأولِ تَجْرُبةٍ عاطفيةٍ وحيدةٍ عانَيْتُها فِى سِنِّ السَّابعةَ عشرَ،أُثبتها هنا كَما نظمتُها على سذَاجَتِها وبساطتِها لما فيها من تصويرٍ صادقٍ لعاطفةٍ بريئةٍ تمثِّلُ حُبًّا طاهرًا بريئًا.

١- يا فُؤَادًا يَذُوبُ فى زَفَراتِى ... وضُلُوعًا مَشْبُوبَةُ الجَمَراتِ

يا شَبَابًا قَدْ حَطَّمَتْهُ الليَالِى ... وعُيونًا فَيَّاضَةَ العَبَرَاتِ

يا دُموعًا نَظَمْتُهنَّ قَصِيدًا ... زَاخرَ الحُزْنِ بَاكِىَ الأبْياتِ

أىُّ سَهْمٍ أصْمَى فُؤادِى المُعَنَّى ... أىُّ نَارٍ قَدْ صَعَّدَتْ آهَاتِى

٥- يَا ضَياعَ الآمَالِ بَعدَ رَجَائِى ... مِن غَرامِى وياضَياعَ حَياتِى

***

إيهِ يا ليلَةَ الزِّفافِ لَقَدْ هِجْتِ شجونى وزدت فى آلامى

أوَلَمْ يَكْفِ ما عَصَفْتِ بِقَلْبِى ... من ضَياعِ الآمالِ والأحْلامِ

كُنْتُ أخْشاكِ مِنْ زَمَانٍ بَعيدٍ ... خِيفَةً مِنْ فَجِيعَتى فِى غَرامِى

صَوَّرَتْ لى الأوْهَامُ صُورَتكِ السَّوداءَ حَتى تَحَقَّقتْ أوْهَامِى

---

١) مقدمة القصيدة فى زورق الشجون : "ليس أعزُّ على النَّفسِ مِن الفجيعةِ فِى الأملِ وأشقى الناسِ مُحِبٌّ عاشَ بالأملِ فأبَى القَدرُ إلا أنْ يَفْجَعهُ فيهِ فَوقَفَ فى ليلةِ الزفافِ أمامَ حبيبهِ وقد أفْلَتَ من يدِهِ ، وقَلْبُه يتفطَّرُ فى هذه الأبياتِ".

فارْحَمِى قَلْبى الجَريحَ ودَاوِى   مِنْ سَقامِى فَما أشَدَّ سَقامِى

***

يا رجاءَ الفُؤادِ هَلْ سرَّكِ اليومَ بِأنِّى أمْسَيْتُ فِى الحُزْنِ فَردَا

قَد تَقلَّدْتِ مِن حُلِيِّكِ عِقْدًا   وتَقلَّدتُ من دُموعِى عِقْدَا

ألبَسوكِ التَّاجَ المُكَلَّلَ لكنْ   ألبسونِى مِن الكآبةِ بُرْدا

سَالَ فِى عُرْسِكِ النُّضَارُ ولَكنْ   سَالَ قلبى بينَ الأضالعِ وجْدَا[1]

هَلْ تَذكرتِ حُبنَا أمْ تَسلَّيْتِ فَلَمْ تَذكُرى مِن الحُبِّ عَهْدَا؟

***

أوْقَدوا حَولَكِ الشُّموعَ ولكنْ   أوْقَدوا فِى الفُؤادِ مِثلَ الشُّموعِ

جَرَّعُوكِ الصَّفَاءَ مِنْ كُلِّ كأسٍ   وتَجَرَّعْتُ مِنْ كُئوسِ دُموعِى

جَمَعوا حَوْلكِ الجُموعَ مِنَ الناسِ وكَانتْ كُلُّ الهُمومِ، جُمُوعِى

آهِ لَو يَعْلمونَ خَطبى ومَا لاقيتُ فِيهِ لأَحْسنُوا فِى الصَّنِيعِ

خَفِّضِى الوَطْءَ يا ضُلوعِى فَإنِّى   كِدْتُ أَقْضِى من الجَوَى يَا ضُلوْعِى

***

مُنْيَةَ الرُّوحِ هَلْ عَلِمتِ انْفرادِى   فى هُمومِى وأنْتِ بينَ الرِّفَاقِ

دَقَّ طَبْلُ الزِّفافِ خَلْفَكِ لَكِنْ   لمْ يَكُنْ مِثْلَ قَلْبىَ الخَفَّاقِ

---

١) البيت محذوف من ديوان ١٩٨٤م.

أصَحِيحٌ أنَّ الزمانَ قَضَى اليومَ عَلينا ، بِلَوْعَةٍ ، وفِراقِ
أيْنَ أيامُ حُبِّنا وهوانَا؟ أيـن أيامُ قُرْبِنا والتَّلاقِى ؟(١)
آهِ.. مَا أصْعَبَ الفَجِيعَةَ فى الحُبِّ وأشْدِدْ بِهَا عَلى العُشَّاقِ

* * *

وقَستْ ليلةُ الزِّفافِ فَلَمْ ترْحَمْ فُؤادِى ولَمْ تُرَعْ لأنِينِى
غمرتْ بالسُّرورِ والبِشْرِ قَومًا ورَمَتْنِى بِصَبْوَةٍ وحَنِينِ
إنْ تَغَنَّوا فِى بْشْرِهم رُحْتُ وحْدِى أتغَنَّى مِنَ الأسَى فى شُجُونِى
ضِقْتُ ياليلةَ الفَجِيعةِ ذَرْعًا فارْفُقِى بِى مِنَ الجوى وارْحَمِينِى
أشْرَقَ البِشْرُ فى النُّفوسِ ولَكِنْ أظْلَمَ الحُزْنُ فى فؤادِى الطَّعِينِ (٢)

* * *

لارَعى اللهُ ليلةً أيْنَما سِرْتُ وَجَدْتُ الهُمومَ فِيها حِيالى
أطْلَقَتْ مِنْ يَدىَّ صَيْدِى وأذْكَتْ نَارَ وَجْدِى وحَطَّمَتْ آمالِى
لَستُ أنْساكِ يامُنَى القَلبِ مَهْمَا فَرَّقَتْ بَيْنَنا صُروفُ اللَّيالِى
فاعْلَمِى أنَّنِى عَلَى الحُبِّ بَاقٍ مِثْلَ عَهْدى وأنَّنِى غَيرُ سَالِى
وسلامٌ عَلى تَليدِ هَوانَا وَسلامٌ عَلى العُهودِ الغَوالِى

---

١) البيت محذوف من ديوان ١٩٨٤م .
٢) في زورق الشجون " خيَّمَ الحزنُ..."

٩٧- عَلى غَيْرِ مَوْعِدٍ ١٩٣٢م (١)

١- بِـلا وَعْـدٍ لقيتُـكِ فى الـصَّباحِ   وقَـدْ سَـهِرَتْ عـلى لَـيْلى جِراحِـى
وكَـمْ أمَّلْـتُ طَيفَـكِ لـو يُـوافِى   ولكــنْ راحَ أدْرَاجَ الرِّيــاحِ
فَلَـمَّا أنْ رأيْتُـكِ بعـد يـأسٍ   ورفَّ القَلـبُ للأمَـلِ المُتـاحِ
رَأَيْـتُ العُمْـرَ جُمِّـعَ فى ثَـوَانٍ   جَنَيْـتُ بِرَوْضِـهِنَّ جَنَـى كِفَـاحِى
٥- عَـلامَ تُنْكِـرينَ وكُـلُّ شَـىءٍ   يَـنُمُّ عليـكِ باللُّـسِنِ الفِـصاحِ؟
خَلَعْـتِ عَـلى النَّسيمِ بُـرودَ عِطْـرٍ   فَحَـدَّثَ عَـنْ شَـمائِلكِ المِـلاحِ
وقَـدْ ألْقَيْـتِ بالمنْظـارِ سِـتْرًا   على سَكْرانَ سَاجِى اللَّحْظِ صَاحِ
عَرَفْتُـكِ يـا مُنـاىَ بِخَفْـقِ قَلْبـى   ومـا كـذبَ الفـؤادُ فـلا تُلاحِـى
٩- عَـشِقْتُكُ للعُـلا أَدَبًـا وطُهْـرًا   وآفَـاقٍ مِـنَ الـدُّنْيا فِـساحِ

* * *

---

١) من ديوانِ وحى الربيع ١٩٥٢ م(مخطوط) ولم تُدرج هذه القصيدة فى ديوان زورقِ الشجونْ الصادر فى عام ١٩٣٥ وهذا يرجِّح أنها كتبت بعدَ هذا التاريخ ولكنى أثبتُه لأنه فى الأصلِ بخط الشاعر.

٩٨- حَسْبى!! ١٩٣٣ (١)

حَسْبى مِنَ الحُبِّ آمَالى بِلقياكِ ... لـو كنـتِ تُغرينَ بالآمالِ مُضْناكِ
فَعَلِّلِينِـى بِوعْـدٍ منـكِ أرْقُبُـه ... فَفِى التَّعِلَّةِ سَلْوَى الْمُغْرَمِ الشَّاكِى
ماذا عليكِ إذا آسِيتِ ما جَرَحَتْ ... بِلَحْظِهـا السَّاحِرِ الفَتَّـاكِ عَيناكِ
نَـاداكِ قلبـى الْمُعَنَّـى صَـارِخًا وَلِهًا ... فَهَلْ سَمِعَتِ نِداء الصَّارخِ البَاكِى
جَزَيْتِنِى عَن غَرامى بِالصُّدُودِ وهَلْ ... يُجْزَى عَلى حُبِّه مَنْ كَانَ يَهْواكِ
يا مُنيةَ الروحِ بُوْحِي بالذي فعلتْ ... يـدُ الغـرامِ بأحـشائي وأحـشاكِ
لا تُنكري بالتَّجنِّي ما أصابَكِ من ... بَلْـوَاهُ فالحـبُّ أبكـاني وأبكـاكِ
تلكَ العيونُ عليكِ اليومَ شاهدةٌ ... بـما جنـاهُ عـلي جفنـيَّ جفنـاكِ
يحلو هواكِ علي ما فيه من مضضٍ ... كـالوردِ من بـين أقْتَـادٍ وأشْـواكِ
يهتَزُّ لاسْمِكِ قَلبى حِينَ أسْمَعُهُ ... وتَستَشيطُ ضُلوعِى عِندَ ذِكْراكِ
دواي الأُساةُ سقامي وهْيَ مُعضلةٌ ... ومـا شـفَوا داءَ لحظٍ منكِ فتَّاكِ
فاحَتْ سَجَاياكِ كألازهارِ عَاطِرَةً ... يَا حُسْنَ هذا الشَّذا يا طِيبَ ريَّاكِ
أسْراكِ جُنُّوا غرامًا في هواكِ فهل ... رَحِمتِ في الحبِّ يا دُنيايَ أسْراكِ
فَعطِّرِى القَلْبَ مِن ريَّاكِ يَحْيَى بِها ... وأشْرقـي بِـضِياءٍ مِـن مُحَيَّـاكِ
تَصْفُو الحياةُ إذا ما كُنْتِ باسمةً ... وكُـلُّ شـيءٍ إذا لَمْ تَبْسَمى بَاكِي

***

---

١) من شعر ما قبل العشرين (زورق الشجون) وكان حذف منها الأبيات من ٦-٩ ، والأبيات ١١ و١٣ في ديوان ١٩٩٣م، اختصارا.

٩٩- الأملُ - ١٩٣٣م

١- يــا شُــعَاعًا فى دَيــاجِيرِ الحَيــاهْ　　شَــعَّ فِى قَلْبِــى وفِى رُوحِــى سَــناهْ
أنــتَ للــنَّفْسِ رَشَــادٌ وهُــدَى　　أنْــتَ زَهْــرٌ عَطَّــرَ الــدُّنيا شَــذاهْ
أنَــا لَــولاكَ شَريــدٌ حَــائِرٌ　　غَلَــبَ اليَــأْسُ عَليــهِ فَمحَــاهْ

* * *

يــا نَــسيمًا بَــينَ طَيَّــاتِ الهَجــيرْ　　وابْتِــسامًا فِى فَــمِ العَــيشِ المَريــرْ
٥- يــا يَقِينًــا يَــسْكُنُ القَلْــبُ لَــه　　ومَــلاذًا للطَّريــدِ المُــسْتَجِيرِ
كَــمْ عــلى هَــدْيكَ قامَــتْ دَولــةٌ　　ولَكَــم شَــيَّدتَ مِــنْ مُلْــكٍ كَبــيرْ

* * *

لَيْتَ شِعْرِى مَا الذِى يُخْفِى القَضَاءْ　　أنَعِــيمٌ فِى حَيَــاتِى أمْ شَــقَاءْ؟
يــا أمَــانِى الغَــدِ مــاذَا فى غَــدٍ　　حَــدِّثِينى بَــل دَعِيــهِ فى خَفَــاءْ
٩- لا تَبــوحِى بالــذِى خَبَّأْتِــه　　فأنَــا اليَــومَ سَــعيدٌ بالرَّجَــاءْ

* * *

شعر الفكاهة

١- العمادةُ العذراءُ

تَهْنِئةٌ ومُدَاعَبةٌ لأحدِ أصْدقائِنا حِينَ تَولَّى أولَ عمادةٍ لإحْدَى الكلياتِ الجَدِيدةِ

بشراكَ يا ناحرَ الأغْنامِ والنُّوقِ ... قد عينوكَ عميدا بالزقازيقِ
عِمادةٌ يا أبا (سَرْحانَ) مَا رَضِيَتْ ... سِواكَ بَعْلًا ولا انْقَادَتْ لَمِخْلوقِ
عَذْراءُ ماراضَها فَحْلٌ ولا افْتَرَعَتْ ... قَبْلًا فَأَنْتَ عَلَيها غيرُ مَسْبوقِ
أدْنَى المَنَاصِبِ مَطْرُوقٌ ، وأرْفَعِها ... ما كانَ مِنْها جَدِيدًا غيرَ مَطْروقِ
مَهَرْتَها لحِيةً شَمْطاءَ رُحْتَ بِها ... تُزْهَى عَلى كُلِّ حَاخَامٍ وبِطْرِيقِ
عَرَفْتَ كَيفَ تَرُوضُ المُسْتَحِيلَ بِها ... وكَمْ سَعَيْتَ حَلِيقًا دُونَ تَوْفِيقِ
غِظْتَ العباقِرةَ الأكْفَاءَ فانْكَفَأُوا ... مِنْ غَيظِهِم بينَ مَصْرُوعٍ ومَصْعُوقِ
ظَنُّوا المَواهِبَ تُغْنِي مِن حماقَتِهم ... فاضْحَك على خَيبةِ الحمقى المخاريقِ
وقل لهمْ يابنى قومي أمامَكُمو ... بَابُ الوصُولِ ومِفْتاحُ المَغَالِيقِ
طُوْلُ اللِّحَى والنِّفَاقُ العَذْبُ والنَّقَرِى[1] ... ثَلاثَةٌ دُونَها شُمُّ الغَرانِيقِ
نَصِحْتُكُمْ فاجْعَلُوها نُصْب أعْيُنِكُمْ ... لِتَبْلُغُوا المَجدَ مثلى دُونَ تَعويقِ
إنَّا لَفِى زَمَنٍ أضْحَتْ مَناصِبُهُ ... كالمالِ مَا بَينَ مَنْهُوبٍ ومَسْرُوقِ
فكَمْ مَناصِبَ شَتَّى يستَقِلُّ بها ... من لا يُجِيدونَ غيرَ النَّفْخِ فِى البُوقِ

---

(١) الولائمُ الخاصةُ.

وكـانَ فى مِـصْرَ (فَـاروقٌ) بِمُفْـرَدِه ... فأصبحَ اليومَ فيها ألـفُ فَـاروقِ[1]

* * *

يَا خَادِعَ السَّمْتِ أَبْقَى اللهُ لِحْيَتكُم ... نَمُوذَجًـا للمَخَـالِى والجَوالِيــقِ
وزادَهــا بَـسْطةً حَتـى تَجُـرَّ بِهَـا ... رِجْلَ الثُّرَيَّا فَتَهْـوِى فَـوقَ عَيُّـوقِ
نِلــتَ العِـمادَةَ لا نَهْبًــا ولا سَرَقًـا ... لَكِــن بِبَحْــثٍ وتَقْريــرٍ وتَحْقيــقِ
لـكَ الحـدائِقُ مِـنْ تِـينٍ ومِـنْ عِنَبٍ ... وبُرْتُقــالٍ ولَيْمــونٍ وبَرْقُــوقِ
والقَصْرُ ذُو الشُّرُفَاتِ المُشْرِفاتِ عَلى ... أَكْوَاخِ أَهْلِ الحِجَى والبُؤْسِ والضِّيقِ
وفى الحَظَــائِرِ آلافٌ مُؤَلَّفَـــةٌ ... مِـن الجَـوَامِيسِ والأبْقـارِ والنُّـوقِ
سُبحانَ مـن قَـسَمَ النُّعْمَـى فَسَائِمَةٌ ... مَرْزُوقَـةٌ وأرِيــبٌ غَـيرُ مَـرْزوقِ
يــا عَبْقَــرِىَّ زَمَــانٍ لُغْــزُ مَنْطِقِــهِ ... يَـدِقُّ عَـنْ كُـلِّ مَفْهُـومٍ ومَنْطُـوقِ
كليـةُ (الـضَّادِ) لاتَنْسى لَكُـمْ زَمَنًا ... سَــقِيتَها فيــهِ آلافَ الخَوازِيــقِ
نَهَضْتَ بالقِسْمِ حتـى صـارَ مَبْوَلَـةً ... كُـبْرَى يُطَرْطِـرُ فيهـا كُـلُّ مَزْنـوقِ
مَــا للزَقَــازِيقِ قَــدْ مَـادَتْ بِآهِلِهَــا ... ومَــاجَ بَحْــرُ مُـوَيْسٍ بالزَّقَــازِيقِ
يَمْشِى أَبُـو الرِّيشِ مُجْتَابًا شَـوَارِعَهَا ... فى موكـبٍ مـن أغاريـدٍ وتـصفيقِ

---

(١) أضاف هذا البيتَ في نسخة ١٩٩٣م، وهو تلخيصٌ لخبرته الممتدة عبر الملكية والجمهورية حيث تقسمها الثورة زمنيا إلى نصفين.

وفى الحُسَيْنِيَّةِ العَصْماءِ قَدْ خَرَجَتْ مَواكِبٌ للفُتُوَّاتِ العَمَالِيقِ
خَفُّوا إلى فَاتِحٍ ضَنَّ الزَّمَانُ بِهِ عَلى الأوَائِلِ مِنْ رُوْمٍ وإغْرِيقِ
كَمْ رُحْتَ يا حَامِى (المَعْمورِ) تُعْلِنُها حَرْبًا عَلى كُلِّ مُنْحَلٍّ وزِنْدِيْقِ
٣٠- وكَمْ عِظاتٍ قَرَعْتَ السامعينَ بها قَرْعَ القَواقيزِ أفْواهُ الأباريقِ
فَاحْدُ المَواكِبَ واصْحَبْهَا إلى حَرَمٍ هُنَاكَ فى سَاحَةِ النَّحَالِ مَرْمُوقِ
وأقرأْ على قَبْرِ "إبراهيمَ "فَاتِحَةً تَغْنَمْ بنَفْحَةِ إلْهامٍ وتَوفِيقِ (١)

* * *

١) حذف هذا البيت عند صناعة نسخة ١٩٩٣م حتى لا يقع في شبهة تقديس الأضرحة . وقد أوردها في سياق سخريته من صديقه.

١٠١- رثاءُ ديكٍ رُومىٍّ

"دَعَانا إليهِ صديقٌ ، وفى لَيلَةِ الوَليمةِ المُنْتظرةِ مَاتَ الدِّيكُ وهُمْ يُزَقِّقُونَهُ بالحَبِّ"

أنَــا مَــنْ لا يُطِيــقُ بَعْــدَك صَــبْرَا   لَستُ يا دِيكُ أَبْتَغِى فِيكَ أجْـرَا
كُــلُّ لَحْـمٍ قــد صَـارَ بَعْـدَك فَحْـما   كُـلُّ حُلـو قَــد صَـارَ بَعْـدَكَ مُـرَّا
يـا سَـليلَ الـرُّومِ القَيـاصِرِ نَفْـديكَ   ونَفْـدِى مِـنْ أجْلِـكَ الـرُّومَ طُـرَّا
وفِــدَا كُــلِّ أعْجَمِــىِّ المُحَيَّــا   عَرَبِــىُّ الـرُّؤَى خِرَافًــا وطَــيْرَا
أينَ مِنْكَ الـدَّواجِنُ العُرْبُ، لابَـلْ   أَيْنَ مِنْ قَيْصَرِ الـدَّوَاجِنِ كِسْرَى؟
كُلُّهــا فِى ذَرَا عُــلاكَ صَــعَاليكٌ   تَــراءَتْ مِــنْ حَــوْلِ تَاجِـكَ ذَرَّا
لَـيْسَ مَــنْ يَخْفِـضُ المَوائِـدَ قَــدْرًا   مِثْـلَ مَــنْ يَرفَـعُ المَوائـدَ قَــدْرَا
يـا طويـلَ النِّجـادِ تَبكيـكَ بَطْـنٌ   أنْــتَ خَلَّفْتَهـا مِـنَ الجُـوعِ حَـرَّى
إنَّ عَبْــدَ الحميــدِ أكْــرَمَ مَثْــواكَ   ولَمْ يــألُ فِى شِرائِــكَ سِــعْرَا
لَمْ يُــرِدْ أن تَمــوتَ مِــنْ وفْــرَةِ الحَــبِّ   ولَكــن قَــد يُعْقِــبُ الخَــيرُ شَرَّا
قــد دَعانــا إليــكَ منــذُ زمــانٍ   فنوينــا الــصِّيامَ عــشرينَ شَــهْرَا
لَهْــفَ نفــسي عليــكَ حــينَ وجَــدْناكَ   طَرِيحًــا عَــلى الثَّــرَى مُغْــبَرَّا
لَمْ تَمُــتْ بينَنــا شَــهيدًا بِــسِكِّينٍ   ولَكــنْ أرْدَاكَ عِزريــلُ قَــسْرَا
يــا صَريــعَ الطَّعــامِ كَيــفَ تَعَجَّلْــتَ   فَلــم تَــستَمِتعْ وِداعَــك شِــعْرَا؟
لم نَكُــنْ نرتَــضِى لــك الأرْضَ قَــبْرًا   بَــلْ جَعلْنــا بُطونَنــا لــكَ قَــبْرَا

١٠٢- البصارة

كانتْ وليمةً دَعانا إليها أحدُ الأصْدقاءِ بالدارِ البيضاءِ بليبيا ، فاحْتشدَ الزملاءُ لها مؤمّلين أن تكونَ وليمةً دَسِمةً حتى فوجئوا بما لَمْ يَكنْ فِي حُسْبَانِهِم.

دَعَانَا السَّيِّدُ المَنْصورُ يومًا ... لِمَأْدُبَةٍ وشَدَّ لَهَا إزارَهْ
وبثَّ دُعَاتَه في كلِّ حيٍّ ... وعَلَّقَ (يَافطَةً) فِي كُلِّ حَارَهْ
ولَمْ يُغْفِلْ سِيادَتُهُ حِمَارًا ... مِنَ البَيضاءِ[1] أوْ يُهْمِلْ حِمَارَهْ
وطافَ بكلِّ بَيْتٍ مُسْتَعِيرًا ... إلى أنْ صَارَ منزلُه استعارهْ
فَهَذي (حَلَةُ) مِنْ بيتِ جَارٍ ... وهَذِي صَحْفَةٌ مِنْ بَيتِ جَارَهْ
وأفْرَغَ كُلُّ مَدْعُوٍّ حَشاهُ ... كَما أفْرَغْتَ مِنْ (جِبْسٍ) (شِكَارَهْ)
وراحُوا يَحْلُمونَ فقال قومٌ ... هو الروميُّ يَحْتَلُّ الصَّدارَهْ
وقالَ البعضُ بل عِجلٌ حنيذٌ ... سَمعْنا فِي حَظِيرَتِهِ خُوارَهْ[2]
وقال البعضُ بل حَمَلٌ سَمينٌ ... شَراهُ مِن حَوانِيتِ الجِزَارَهْ
ولَمَّا جَاءَ يَومُ الفَصْلِ طِرْنَا ... كأَسْرابِ الجَرادِ نَؤُمُّ دَارَهْ[3]
فلمَّ أنْ وصَلْنَاها وَجَدْنا ... سِيادَتَه علي بابِ العِمارَهْ
يَقولُ تَفَضَّلُوا ونَقولُ طَبْعًا ... فَما جِئنَاكَ مِنْ أجْلِ الزِّيارَهْ

---

١) البيضاءُ مدينةٌ بليبيا.

٢) في ديوان ١٩٨٤م : "سمعتُ بكلِّ ثانيةٍ خوارهْ" وهذا التعديل كان في ١٩٩٣م.

٣) في ديوان ١٩٨٤م :" ولما حان يوم الفصل سرنا مواكبَ كالجراد نَؤمُّ دارهْ

وأفْــــضَينا إلي بَهْـــــوٍ فَـــــسيحٍ   جَلَـسنا فِيــه نَنتظِــرُ الإشَــارَهْ[1]

وأبْـــصرنَا عـــلى بُعـــدٍ مِئـــاتٍ   مِــنَ الأطْبــاقِ تَحْجُبُهــا سِــتارَهْ

فَــسَالَ لُعَابُنَــا حَتَّــي نَهَــضْنا   أسُــودًا في الــضَّراوَةِ والجَــسَارهْ

عَـــلى الأطْبـــاقِ أطْبقنَـــا فَلَـــمَّا   كَـــشَفْناهَا وَجَـــدْنَاها بِـــصَارَهْ

وصَـــدْمَةُ خَيْبَـــةٍ قَـــدْ أذْهَلَـــتْهُمْ   فَــشَنُّوا بَيْــنَهُمْ في البِيْــتِ غــارَهْ

فَمفْجُـــوعٌ ومَغْـــشِيٌّ عَليــــهِ   ومَـــصْدُوعٌ ومَفْقُـــوعُ المَــرَارهْ

صِـــياحُ مُهـــدِّدٍ وصُراخُ بَـــاكٍ   وقَـــذْفُ مُنَـــدِّدٍ خَـــلِّي وقَـــارَهْ

ولَمَّـــا ضَـــاقَ أهْـــلُ الحَـــيِّ ذَرْعًـــا   رَمَوْنَـــا بِـــالطَّمَاطِمِ والحِجَـــارَهْ[2]

وعُـــدْنا كالجِنـــازَةِ بَعـــدَ دَفْـــنٍ   نُوَلْـــوِلُ تَـــارَةً ونَـــسُبُّ تَـــارهْ

(مَـــشَيْناها خُطـــىً كُتبـــتْ علينـــا)   ومَـــنْ كُتـــبَ المَـــسيرُ عَليـــهِ سَـــارَهْ

وَمـــنْ كانـــت مَنِيَّتُـــه بأكـــلٍ   فلـــيسَ يَمـــوتُ إلا بالبِـــصارَهْ

* * *

---

١) لهذا البيت والأبيات الثلاثة التي تليه رواية أخري كانت في ديوان ١٩٨٤م وتم تعديلها إلي هذه الرواية المثبتة في المتن في ١٩٩٣ م في آخر تعديل:

وأفضينا هناكَ إلي خِوانٍ   علي ما فوقه وُضِعتْ ستارهْ

تدافعنا إليه فذاكَ يرمي   بكلكَلِهِ وذاك (يَزقُّ) جارهْ

وأسرعنا لكشف الستر عنه   ففوجئْنا بأطباقِ البصارهْ

مفاجأةٌ أضلَّتْهُم فطاشوا   وشنُّوا بينهم في البيتِ غارهْ

٢) روايةُ هذا البيت في نسخة ١٩٨٤م كانت :

"ولَمَّا ضاقَ أهلُ البيت أنْحَوا   عليهِمْ بالطماطِمِ والحجارهْ "

١٠٣ - الطهارةُ مِنَ البِصارةِ

تَأثَّر صَاحِبُ الوليمةِ مِنْ قَصيدةِ (البِصارةِ) فأعادَ الوليمةَ على نحوٍ آخر يُرضي الزُّملاء فكانت هذه القصيدة صديً للوليمةِ الجديدةِ.

أخِـي مَنْـصورُ مَعْـذِرةَ القـوافِي   ومِثلـكَ مَـن عَفـا عَمَّـنْ أسَـاءَا
فَـلي شَـيْطانُ شِـعْرٍ لَـيس يَـألوا   مُناصَـبَتي الخُـصُومَةَ والعَـدَاءَا
إذا مـا رُمـتُ يَعْكِـسُ لِي مُـرادِي   ويعبـثُ بـالقَوافِي حَيْـثِ شَـاءَا
فأحْيانًـا أرَي هَجْـوِي مَـدِيحًا   وأحْيانًـا أرَي مَـدْحِي هِجَـاءَا
وأنـتَ أجَـلُّ مِـنْ شِـعري مَقامًـا   وأرْفـعُ مِـن تَناوُلِـهِ سَـناءَا
فـلا واللهِ لمْ يَحْمِـلْ فُـؤادِي   لَكُـم إلا المَـوَدَّةَ والوَفـاءَا
فلـم أرَ قَـطُّ أوْفَي مِنْـكَ غَيْبًـا   وأسْـمَحَ عِنـد مَحْـضرِه لِقـاءَا
ولا أسْـخَي موائـدَ حَـافلاتٍ   إذَا افْتَقَـدَ الـصَّعاليكُ الـسَّخَاءا
لَقَـدْ آوَيـتَهُم بعـدَ ابـنِ وَرْدٍ   وكُنْـتَ لهـم عَـلي البَلْـوَي عَـزَاءَا
ولَمْ أرَ حَاتِمًـا إنْ قِـيْسَ يومًـا   بِهاطِـلِ جُـودِكُمْ إلا هَبـاءَا
ويَمْدَحُـهُ الـذي مـا ذَاقَ زَادا   لَـه أو عَـبَّ مـن سُـقياهُ مـاءا
ولكنِّـي مَـدَحْتُك عـن عيـانٍ   فـلا كَـذِبًا أقُـولُ ولا رِيـاءَا
فَكَـمْ جِئْنَـا لِبَيْـتِكُمْ خِمَاصًـا   وعُـدْنَا مِـنْ مَوَائِـدِهِ مِـلاءَا

فـــــراخٌ أو أوزٌّ أو حمـــــامٌ   فُطُــورًا أوْ غَـــدَاءًا أو عَـــشَاءَا

ولـنْ نَنْسَي الفَطَـائِرَ كُـلَّ قـرصٍ   كَقُـرْصِ الـشَّمْسِ مَخْضُوبًا مَـسَاءَا

صَدَدْتَ عِنِ البِصَارَةِ فاسْتَجَارَتْ   بِطُوبِ الأَرْضِ واشْتَكَتْ الجَفَاءَا

وراحَــتْ عِنْـدَ مَهْـدِيٍّ وطَــهَ   وعُـــثْمانٍ وأكْثَـــرتِ البُكَـــاءَا

فقـالوا : لا تُراعِـي بَـلْ أقِيمِـي   لَـــدَيْنا واطْلُبِـــي مِنَّـــا الفِـــداءَا

فَـإنَّ بُيُوتَنَـا لـكِ خَـيْرُ مَـأْوي   أقَـامَ العَـدْسُ فِيهـا مُنْـذُ جَـاءَا

أخـي مَنْـصورُ طَلِّقْهـا ودَعْهـا   لَهُـمْ كـيما تُـريحُ الأصْـــدقاءَا

لَـكَ الجَفَنـاتُ تَلمعُ في الـدَّياجِي   فتجْمَــعُ مَــنْ تَــداني أو تَنَــاءَي

وعِنْـدَكَ مِـنْ قُـدُورٍ رَاسِـياتٍ   ثَمانيـــةٌ يُطـــاولنْ الـــسَّماءَا

❊ ❊ ❊

١٠٤ - مُرشَّحُ الدجاجِ

١- نرشِّــحُ إبــراهيم حتــى وإنْ شــطَّا   ونقديـه حتـى ولـو غـدا بيننـا قطَّـا

ضَــمنّا لــه فــوزًا عــلي كــلِّ نائـبٍ   مَتَى اشْتَرَطُوا فيـهِ القـراءَةَ والخطّـا

سكْسِبُ أصواتَ الدجاج بأسْرِها   فـإن هـيَ لمْ تُـسْعِفْه لم يعـدَمِ البطَّـا

٤- إذا مـا أشـاروا بالبنـانِ لنائِـبٍ   أشَرْنا لإبراهيمَ بالإصْبعِ الوسْطَي

❊ ❊ ❊

١٠٥ - صورةٌ أزهريةٌ (١)

أدركتُ أنَا وصديقٌ لى آخرَ العَهْدِ بالدِّراسَةِ الأزْهَرِيَّةِ القَدِيمَةِ الأصِيلةِ التى كانتْ تقومُ على أصُولِ التُّراثِ مِنْ مُتونٍ وشُروحٍ وحَواشٍ وتَقاريرَ ، كَما كَانتْ تَعْتَمدْ على الحُوارِ الدَّقيقِ بين الطُّلابِ والأساتذةِ استِهْدافًا للحقيقةِ ؛ غير أنَّ هذه المؤلفاتِ على دِقتِها وعُمْقِها وأصالَتِها كَانَتْ فى الأعَمِّ الغَالِبِ مُلْتَويةَ الأساليبِ ، غامضةَ العباراتِ بسببِ دِقتِها وتَركيزِها تَحتاجُ فى فَهْمِها إلى دِقةِ مُلاحَظةٍ وعُمْقٍ وتَفْكيرٍ.

وكانَ أشَدُّ ما يواجِهُ الدَّارسِ هو خفاءُ مَرجِعِ الضَّميرِ ، يَسْتعينُ الأساتِذَةُ والطُّلابُ على إدراك هذا المرجعِ بالنشوقِ والتصفيقِ والتلويحِ با لا بهامِ ونحو ذلك من اللوازمِ التى كانت سِمةَ الطلابِ والشيوخِ على السواءِ لفهم المراد.

وهذه الأبياتُ صدىً لطريقةِ الدراسةِ فى تلكَ الأيامِ المجيدةِ.

١- يَا رَفِيقِى فى عُسْرَة ويَسارِ ... ونَديْمِى فى شِدَّةٍ ورَخَاءِ
أيـنَ أيامُنا وأيـنَ ليالٍ ... نَتَساقى فيها كُئوسَ الصَّفاءِ ؟
حينَ كنا بالأزهرِ الحقِّ والعُمْرُ ... نَضيرُ الشَّبابِ غَضُّ الرُّواءِ
نقتُلُ الشرحَ والحواشىَ بحثًا ... ونُريقُ الدماءَ فوقَ الدماءِ
٥- وتَرى الحربَ بينَ زيدٍ وعمروٍ ... شِرعةٌ من شَرائعِ القُدمَاءِ

---

١) كانت في ديوان وحي الربيع (مخطوط) ضمن مجموعة بعنوان " مهرجان صديق" وكان عنوانها الجانبي الخاص بالقطعة المذكورة "ذكريات- فكاهة"

كُلُّ حَرْبٍ لهُدْنَةٍ ولَظَاها سَرْمَدِيُّ الشُّبوبِ والهَيْجاءِ
ولكمْ دَقَّ مرجعُ لضَميرٍ غامضِ الرَّجْعِ مُوغلٍ فى الخَفاءِ
فَقَدَحْنَا أذْهَانَنا فِيه حَتَّى عَادَ بالقَدْحِ بَعْدَ طُولِ العَناءِ
نَتَعَاطَى له النُّشُوقَ الحُسَينِى عَلى صِحةِ الرَّضِىْ والكِسَائي
وتُدَارُ الحِقَاقُ نَخْبًا بِنَخْبٍ كَمَدَارِ الكُئوسِ بالصَّهباءِ
وإذا ما اسْتعْصى عليكَ ضَمِيرٌ فَتَنَشَّقْ وانْشُق عَميقَ الهَواءِ
وأشَرْ بالإبهامِ للخَلفِ واقْبِضْ ثُمَّ صَفِّقْ يَرجعْ مَع الأصْداءِ
ذِكرياتٌ لغَابرٍ أيْنَ منه؟ حَاضِرٌ لَيسَ فيه غَيرُ الهُراءِ

* * *

١٠٦ - أكول ١٩٤٧ م

اسْـتَجَرْنَا بِـالله منـهُ أكُـولا   عَمْـرَكَ اللهُ هَـلْ رَأيـتَ الغُـوْلَا؟

تَفْـزَعُ الأَرْضُ والخَلائِـقُ مِنـهُ   مِـثْلَما يَفْزَعُـونَ مِـنْ عِـزْرِيلَا

حَـسِبُوهُ مـن قـومِ يـأجوجَ وافَى   بَعْـدمَا هُـدَّ سَـدُّهُمْ وأُهِـيلاْ

جُثَّـةٌ ضَـخْمَةٌ يُـدَحْرِجُهَا اللهُ كَـما دَحْـرَجَ امْـرُؤٌ بِـرْمِيلَا

لا يُـرى غَـيرَ آكِـلٍ في صَـباحٍ أو مَـساءٍ أوحَامِـلٍ مَـأْكُولا

لم يَـنَمْ عُمْـرَهُ حِفَاظـا عَـلي الأكْـلِ وخَوفًـا مِـنْ نَومِـهِ أنْ يَطُـولَا

فَـإذَا قَـام كَـانَ هَيْكَـلَ رَضْـوي   وإذا سَـارَ خِلْتَـهُ أُسْـطُولا

لَـوْ عَـرَاهُ الإغْـماءُ يَوما لِـسُقْمٍ   شَـمَّمُوه كَوارِعًـا أو بُقُـولَا

ورِمَـتْ بطنُـه فـصارَ كحُـبْلي   ذاتِ تِـسعٍ تُجَـنُّ في الـبطنِ فِـيلا

رُكِّبَـتْ في شَـماها رأسُ دُبٍّ   لبِـسَتْ كالعِمامَـةِ الـزِّنْبِيلاْ

شُـقَّ فِيهـا فَـمٌ كَخِـزَّانِ أُسْـوانَ وإن عـز أن يكـون مثـيلا

يَـسعُ الـضَّرعَ في نَواحِيـهِ والـزَّرْعَ وتَبـدو في مَاضِـغِيهِ قَلـيلَا

يَبْلَـعُ العِجْـلَ دُونَ مَـضْغٍ وهَيهـاتَ فَأَلْقِمْـهُ إنْ أَرَدْتَ عُجُـولَا

وكـأنَّ الخِرفـانَ لِـبٌّ صـغيرٌ   بـين شِـدْقيهِ لا تَـسُدُّ غَلِـيْلَاْ

ولَـهُ لِحْيَـةٌ كَمِكْنَـسةِ الـشارِعِ تَحْـوي قِمامَـة وفُـضُولَا

شَـيَبتْ فَرْعَهـا هُمـومُ طَعـامٍ   مَـا تَـراهُ بِغَـيرِهِ مَـشْغُولَا

يَـرحمُ اللهُ قَريَـةً وَسِـعَتْهُ   سَـوفَ يُفْنـي بأرْضِـها المَحْـصُوْلا

١٠٧- وليمة بخيل!!

وذِى شُــحٍّ يُدارِيْــــهِ ... ويَــــسْتَحِى مِـــنْ الـــشُّحِّ
ويَـــسْتَجْدِي الثَّنَــاءَ كَسَائِلٍ ... مُــــضْنَىً مِـــن الـــبَرْحِ
أقَـــامَ اليـــومَ مَأدُبَــــةً ... لِيُنْعَـــتَ بــالفَتى الــسَّمْحِ
وقَـــضَّى الليـــلَ يَحْـــسبُها ... تَكاليفًــــا إلى الـــصُّبْحِ
فَمِـــــنْ طَـــرْحٍ إلى جَمْــعٍ ... وَمِـــنْ جَمْـــعٍ إلى طَـــرْحِ
رُوَيْـــدَكَ نَحْـــنُ نَخْــشَى أنْ ... تُحاسِـــبَنا عَـــلى المِلْـــحِ
فَلَـــمْ تَغْـــرَمْ لَنــا شَــيئًا ... سِـــوى مَــاءٍ بِــلا رَشْـــحِ
بُيُـــوتُ القَرْيَـــةِ انْقَرَحَـــتْ ... مَآقِيهَـــا مِـــن النَّـــوْحِ
عَـــلى مَــا ضَــاعَ مِـــن وِزرٍّ ... وَمَـــا قَـــدْ طَـــارَ مِـــن بَـــحٍّ
وسِـــتُّ الـــدارِ قَـــدْ سُرِقَـــتْ ... دَجَاجَتُهَـــا مِـــنْ الـــسَّطْحِ
وأمُّ الخَـــيرِ قَـــدْ شَــقَّتْ ... مَلابِـــسَهَا مِـــنَ الـــرَّدْحِ
إذا أقْـــسَمْتَ لِى حَقًّـــا ... بِــــلا مَـــــنٍّ ولا شَرْحٍ
بِـــأنَّ الأكْـــلَ مِـــنْ حَـــلٍّ ... إذن أعْفِيــكَ مِـــن قَـــدْحِى

١٠٨- خديجة

كانتْ تَقومُ بِخِدْمةِ صَديقِنا المَرحُومِ الدكتورِ عَبدِ الحميدِ المَسْلُوتْ وكانَتْ تَخدمُنا أيام الدراسةِ فرأينا من الوفاءِ أنْ نَحتَفِلُ بقرانِها.

هاتِها يا نَديمُ قبلَ المتابِ وأدِرْها فى غُرزةِ الأَصْحابِ
كُلَّما قَبَّلَ الزبائِنُ فاها كَرْكَرَتْ بَطْنُها بِضِحْكٍ عُجَابِ
وعَذُوْلٍ مِنَ المَباحِثِ فِيها قُلتُ دَعْنى وخَلِّ عَنْكَ عِتَابِى
أحَلَالٌ أكْلُ البَهَائِمِ مِنْه وحَرَامٌ عَلى ذَوِى الأَلْبَابِ؟[1]
أينَ مِنَّا خَدِيجَةُ اليومَ تأتِى بدجَاجٍ مُحَمَّرٍ وكَبابِ
طَالما أشْبَعَتْ مِنَ الجُوعِ بَطنِى وأتَتْنَا بالشَّايِ فى الأكْوابِ
ووعَتْ مِنْ عُلُومِنا ماحَفِظْناهُ بِطُولِ السَّماعِ خَلْفَ البَابِ
لَوْ أرادَتْ نَيْلَ الشَّهَادَةِ حَازَتْها وفَازَتْ بأرْفَعِ الألْقَابِ
ولفَاقَتْ عَبدالحميدِ وكَانَتْ خَيرَ أُستاذَةٍ لخيرِ الشَّبابِ
وخلَّتْهُ للطَّبخِ ولِلْكَنسِ إلى عَودِها وغَسْلِ الثِّيابِ
الحِسَانُ الذَّوَاتُ يَحسُدْنها اليَوْمَ وقَدْ شَاقَهُنَّ كَتْبُ الكِتَابِ
جَلَّ رَبي فَرُبَّ رَاكبَ تَاكْسِي هُوَ أشْقَي مِنْ سَائِرٍ كَعَّابِي
وجَدِيدُ الحِذَاءِ مِنْ صُنْعِ بَاتَا لم يَنَلْ حَظَّ لابِسِ القُبْقَابِ
يُسْعدُ اللهُ مَن يَشاءُ إذا شَاءَ بِما شَاءَ بِغَيرِ حِسابِ

---

(١) يقصد «الحشيش».

١٠٩- أبو الفضل (١)

أدِرْهَــا بِكَفِّــك يــا جَحْــدَرَهْ ... وطُــفْ بالــصَّعَالِيكِ في المَنْــدَرَهْ
وأنْعِــشْ بأنْفَاسِــها العَــاطِراتِ نُفُــوسَ نَــداماكَ في الهَنْكَــرَةْ
إذا وُضِــعَ الفَــصُّ في نَارِهــا ... تــأَلَّقَ في النَّــارِ كــالجَوْهَرهْ
أبُــو الفَــضْلِ عِرْبِيــدُها العَبْقَــرِيُّ ... ورَصَّــاصُ أحْجارِهــا المُــصْهَرَهْ
وقــارِعُ أجْراسِــها للجلــوسِ ... وفي مَجلسِ القَــومِ مَــا أفْــشَرَهْ
وحَــالفُ أيْمانِهــا بــالطَّلاقِ عَــلى مَــا رآهُ ومَــا لَمْ يَــرهْ
لقَــدْ شَــادَ في بَيتِــهِ غُــرْزَةً ... تــرِنُّ بأرجائهــا الكَرْكَــرَهْ
فــلا يَخْــدَعَنَّك فِي توبــةٍ ... فــإنَّ أبَــا الفَــضلِ مَــا أكْفَــرَهْ
إذا اســتَغْفَرَ اللهَ مِــنْ شُرْبِهــا ... رَآهَــا فتَــابَ مِــنَ المَغْفِــرَهْ
ويَــومَ يمــوتُ سَــيأبى المَــماتَ إذا لَمْ تُــصَاحِبْهُ فِي المَقْــبَرَهْ

***

---

(١) كانَ -غفر اللهُ له- من ظرفاءِ الريفِ، وكان يترددُ علي زملائِي من بلْدَته بالقاهرة ،ولما علمتُ قصة إدمانه "الحشيش" وإسرافهِ في أيمانِ الطلاق نصحتُه أن يتوبَ فوعدني بشرطِ أن أصِفَ حال إدمانِه شِعرا، فقلت هذه الأبيات ولكن هيهات.

١١٠- حبيب وعبد الودود

كانَ لصدِيقِنا الأستاذِ حَبيبِ بَيومي زَميلٌ اسمهُ (عبدُالوَدُودِ) وكانَ بينهُما تنافسٌ وخصامٌ صَوَّرْناهُما في هاتين القَصيدتَينِ اللتينِ تنحازُ إحْداهُما إلى (عَبدِالودودِ) والأخرى إلى (حَبيب).

عـدوُّكَ يـا عبـدَ الـودود حَبيـبُ ... وقَـصْدُكَ في كُـلِّ الأمُـورِ يَخيـبُ
وكَيفَ تُرَجِّي مِن حَبيبٍ مَودةً ... ومَـا لـكَ بـينَ العـالمينَ حَبيـبُ
يُـبَغِّضُ فيكَ الناسَ لُـؤمُ تَخَلُّـقٍ ... وخِـسَّةُ طبـعٍ أنـتَ فيـه مُريـبُ
ووَهْـمُ غُـرورٍ لَـسْتَ أهْـلًا لمِثلِـهِ ... فـإنَّ غُـرورَ العَـاجزينَ كَـذوبُ
ومـا أنـتَ بـينَ النـاسِ إلا ذبَابـةً ... لهَـا في ذُرا المُـسْتنْقعاتِ دَبيـبُ
لَبِسْتَ سَوادَ الحادِثاتِ بِمِعْطَفٍ ... تَـشَاءَمَ مِنْـهُ مُبْعَـدٌ وقَريـبُ
كَأنَّـكَ في الـدُّنيا حِـدَادٌ لأهْلِهـا ... تُـرَوِّعُهمْ- إمَّـا رَأوْكَ- خُطـوبُ
وأنتَ غُرابُ النَّحْسِ إمَّا ارْتَدَيْتَهُ ... لَـهُ بـينَ أعْـراسِ الحَيـاةِ نَعيـبُ
عَلَيْـكَ فِـراءٌ لُحْـتَ فِيـهِ كَثَعْلَـبٍ ... وأنْـتَ لجِـنْسِ الثُّعْلُبـانِ قَرِيْـبُ
آبَا الفَرْوِ مَاذَا مِن حَبِيبٍ رَجَوْتَهُ ... ومالـك يومـا مـن عـلاه نـصيب
أغَاظَكَ مِنه حُسْنُ خُلْقٍ حُرمَتَهُ ... وللنـارِ في قلـبِ الحَـسُودِ شُـبُوبُ
وما هُوَ إلا الشَّمسُ شَعَّ ضِياؤها ... ومَـا أنْـتَ إلا الـثَّلجُ مِنـهُ يَـذُوبُ

تَــراهُ فتَعْــدو كــالخَرُوفِ أمامَــهُ وَمــا هُــوَ إلا فِي حياتِــكَ ذِيــبُ
وكمْ حَسناتٍ أثقلتْ منهُ كاهلًا وأنــتَ الــذي قــد أثْقلتْـكَ ذُنـوبُ
وكَـمْ مِـنْ ثَنـاءٍ نالَـهُ حيـنَ لَمْ تَنـلْ سِـوى صـفعاتٍ في قَفـاكَ تَغيـبُ
وكـلُّ جَـديبٍ سَـارَ فيـه مُنَـضَّرٌ وكــلُّ خَـصيبٍ سِرْتَ فيـهِ جَـدِيبُ

* * *

عَــدُوُّكَ يـا عبـدالودودِ حَبيـبُ ومـا لِحَبيـبٍ مِـنْ عُـلاكَ نَـصيبُ
فَدَعْـهُ ولا تَحْفِـلْ بكـلِّ وَعيـدِه فــإنَّ وعيــدَ العــاجزينَ كَــذُوبُ
هُــراءُ حَـسودٍ غاظَـهُ مـا بَلَغْتَـهُ وللنَّــارِ في قَلْـبِ الحَـسودِ شُـبوبُ
ومَنْ لَمْ يَكُنْ في المَجْدِ صِنْوَ عَدُوِّهِ فــأهْوِنْ بـما يرمـي فلـيسَ يُـصيبُ
إذا طَرَقَـتْ أُذْنَيْـهِ ذِكـرَاكَ فُزِّعَـتْ مَفَاصِــلُهُ واعْتَــادَهُنَّ وَجِيْــبُ
وإنْ رَاعَــهُ مَــرْآكَ بَلَّــلَ ثَوْبَــه مِـن الخَـوفِ بَـوْلٌ صَـارَ فِيـه يَصُوبُ
يَــراكَ فَيعْـدُو كَـالظَّلِيمِ لِخوفِـهِ ويقْفِــزُ مَــصْروعًا كأنــكَ ذِيــبُ
كَأَنَّـكَ قِـطٌّ وهْـوَ كالفـأْرِ مُـسرِعٌ لِينجُـوْ ومَـا يُنجيـهِ منـك هُـروبُ
كفـاكَ انْتصارًا أنْ غدوتَ رَئِيسَهُ وأنْــتَ عليــهِ مُــشْرِفٌ ورَقِيــبُ

* * *

١١١ - الفأر الشاعر

مُحاضَرةٌ اسْتَعَرتُها من الصديقِ الزَّميلِ الأستاذْ مُحَمَّدٍ سَرحان فَعدا عليها الفأرُ سنة ١٩٤٥م.

رَبَّ اليراعِ بعثْتُ الشِّعْرَ يَشْفَعُ لي ... فَهلْ سَتَقْبلُ عَنِّي مِنْهُ أعْذارُ
لَمْ أنْسَ فضلكَ أو أهْمِلْ محاضرةً ... أعَرْتَنيها ولَكِنْ ثَمَّ أسْرارُ
فَأرٌ وَلوعٌ بِقرضِ الشِّعرِ شَاركَنِي ... فِي مَسْكَني ولَه في مَكتبي دَارُ
إذا رأي شاعرًا أمْسي يُعارِضُه ... قَرْضًا بِقَرْضٍ كأَنَّ الفَأْرَ غَيَّارُ
جَلوْتَها في رياضٍ منك نَاضِرةً ... فراحَ يَقْرِضُ من أوزانِها الفَارُ[1]
حَتَّى أتتْكَ كَغِرْبالٍ مُخَرَّقَةً ... تُغْضِي حَياءً كَمَنْ أزْرَي بِه العَارُ
لا تأسَفَنَّ علي طِرسٍ فقدتَ ولا ... عِلمٍ يضيعُ فما للعِلْمِ أقْدارُ
إنَّا لَفي زَمَنٍ خَيرُ الكِتابِ به ... دُرَيْهِمٌ وأجَلُّ العِلمِ دِينارُ
لم يبقَ للعلمِ قَدْرٌ أو لصاحبِهِ ... وللجهالةِ والجُهَّالِ أقْدارُ
قَدْ سادَ بالجهلِ فيهِ كلُّ ذِي سَفَهٍ ... فمنْ يكونُ إذنْ شَوقي وبَشَّارُ؟
غَرْثَانُ مِنْ كَثْرَةِ الآلافِ يَجْمَعُهَا ... ومَا لَنا في رِحابِ الأرْضِ أشْبارُ
فَاقْبَلْ (مُحَمَّدُ)في تَمزيقِها إربًا ... عُذْرَ الأديبِ وبعضُ العُذْرِ أوْزارُ

---

١) الشطرُ الأوَّلُ كان في وحي الربيع :" أثرتَ غيرتَهُ بالشعرِ منتخِبًا..."

١١٢- مأدبة اللئام

دعـــاني للقِـــرى عَبدُالـــسلام ... مُحـــاولًا التَّـــشَبُّهَ بـــالكِرَامِ
وأَعْلَـــنَ عـــن وَليمَتِـــهِ مُـــشِيدًا ... بأطْيَـــبِ مـــا حَوَتْـــهُ مِـــنْ الطَّعـــامِ
فَمَـــنْ حَمَـــلٍ إلي عِجْـــلٍ حَنيـــذٍ ... إلي تِـــسْعِينَ زَوْجًـــا مـــن حَمـــامِ
وفيهـــا للمُحَـــافِظِ بِبْـــسكُولا ... وللزِّنْـــدِيقِ أَقْـــداحُ المُـــدامِ
وقَـــالَ مفـــاخِرًا لمْ أدْعُ إلا ... كِبـــارَ الأَشْـــعَبِيِّينَ العِظـــامِ
فَقُلْـــتُ لـــه مَعَـــاذَ الله دَعْنـــي ... فَلَـــمْ أَعْتَـــدْ مُجالـــسة الطَّغـــامِ
ولـستُ بمـن يُـسيغ طَعـامَ سُحْتٍ ... ولا مَـــنْ يَرْتَـــضي أَكْـــلَ الحـــرامِ
عَـــلى أنَّ الوَليمـــةَ قـــد تَغَيَّـــتْ ... سِـوَي دَعْـوى المحبـةِ والوئـامِ
وَسِـيلَةُ مـن يَـرومُ بُلـوغَ قَـصْدٍ ... فُيخْفِيـــهِ لِيظْفَـــرَ بـــالمَرامِ
ولـو خُـيِّرتُ بـين المـوتِ جُوْعًـا ... وبـــين حُـــضُورِ مَأدُبَـــةِ اللئَـــامِ
فـإنَّ المـوتَ أهْـونُ بَـلْ وأشْـهَى ... مَـــذاقًا مِـــنْ قِـــرَى عَبْدِالـــسلامِ

***

١١٣ - تكريم بلا مناسبة - ١٩٣٨م

"في حفلٍ أدَبيٍّ فُكاهيٍّ أُقيمَ لتكريمِ الأدِيبِ المَهدِي مُصْطفى بلا مناسَبة"

قِفْ بِشُبْرَا يا صَاحِ وارْكَبْ تِرَامَهْ ... وسَلِ الكُمْسَرِيَّ أيْنَ القِيامَهْ

صرختْ في الوَرَي مَطيتُها الكُبري ... وعَوَّي دَجَّالُهَا العَلَّامَهْ

فإذا ما وصلتَ للبعثِ فاهْتِفْ ... للزَّعيمِ الدَّجالِ: تَحْيا الزَّعَامَهْ!

هُو هذا المَهديُّ مُنْتظَرُ البَعثِ فهلْ بعدَ هذه من عَلامَهْ؟

***

أيها المحتفونَ مِنْ غيرِ دَاعٍ ... ولَدينا مِن الدَّواعِي الكَثيرُ

شاعرٌ مرهفُ الربابةِ شُعرورٌ ... ومَا كُلُّ شَاعِرٍ شُعْرورُ

أخذَ الشِّعْرَ عَنْه فِيكْتُورْ هُوجُو ... وتلقَّاهُ صَاغرًا شِكْسبيرُ

وَهْوَ ذُو قُدْرَةٍ علي النَّشْلِ حتي ... ضَجَّ مِنه بُولِيسُه والمُرورُ

سَارَ يومًا في شَارِعِ السدِّ والجوع كواه والناس جمٌّ غفيرُ

وخِلالَ الزِّحَامِ بائعُ عيشٍ ... بائسٌ مُعْدِمُ الجُيُوبِ فَقيرُ

مدَّ مهديُّ يمناه فاختطفت ... منه رغيفًا وراحَ وهْوَ يطيرُ

وإذا العَسْكريُّ وجْهًا لوجهٍ ... قد علا صَوتُه ودَوَّي الصَّفيرُ

***

ولقَدْ ضَاقَ مَرَّةً بالحَواشِي ... فَمَضَي هَائِمًا إِلي الأَحْراشِ

وَجَدَ الحَرْب قَائِما بَين إِيْطَاليا وبَين الفَوَارِسِ الأحْباشِ

زجَّ في الحَرْبِ نَفْسَهُ وتَفَاني ... بِحَواشِيْهِ في صُفوفِ النَّجَاشِي

فأصَابَتْه طعنَةٌ مَاتَ منها ... فَرَمَوْه في قَلْعةِ الأكْباشِ

بُعِثَ اليَوْمَ بينكُمْ يَتَهادَي ... في ضِياءِ التَّكْرِيْمِ كَالخُفَّاشِ

* * *

وقَدِيمًا مَشَي بِشَارِعِ كَالَوْتَ وفي أُصْبُعَيْهِ عُقْبُ سِجَارَهْ

وعَلَي رَأْسِهِ عِمَامَةُ هَارُونَ قَدِ اخْضَرَّ زِرُّها كالخِيارَهْ

قُلْتُ أينَ اتجاهكَ اليومَ قُلْ لي ... يا عَلِيَّ بن حَمْزَةَ بنَ عِمارَهْ

قَالَ :أقْسمتُ أنْ أجاهِدَ في الله وأقْضي عَلي بُيُوتِ الدَّعَارهْ

أوْدَعُوهُ الخَنْكِيَّ عِشْرِينَ عَامًا ... كُلَّ يومٍ يَشنُّ فِيها الغَارَهْ

وأتَاكُم مُفَاخِرًا بعد أنْ أبْدى خَفايا جُنونِهِ بِمهارَهْ

* * *

ولقَدْ ضَاقَ بالخَلائِقِ يَومًا ... فتمنَّى لو عاشَ بينَ النُّجومِ

قالَ يا ربِّ أعجَبَتْني السَّمواتُ وإنِّي مِنْ حُبِّها في جَحِيمِ

ما جُلُوسِي بَينَ الخَلائِقِ إلا ... كَجُلُوسِ الرِّجالِ بَينَ الحَرِيمِ

فَمُرْ الرِّيحَ أنْ تَطِيرَ بِجِسْمِي ومُرِ الطَّيرَ أن تَشيلَ هُدُومِي

ومَشي في الخَلاءِ ينتظرُ الرَدَّ ويهذي بالخُلْدِ كالمَحمومِ

واعْتلي قِمَّةَ المُقطَّمِ تَخْفِيفًا على الرِّيحِ مِثْلَ مُوسَي الكَلِيمِ

فَهَوتْ رِجْلُه فخرَّ صَريعًا وأتاكُم في حَفْلَةِ التَّكْريمِ ٣٥-

كَمْ لَه مِنْ مآثرٍ لو عَدَدْنا لقضينا في العدِّ طُولَ الزَّمانِ

أوَ لَيستْ تَكْفِي لِتكْريْمِهِ اليَومَ ولوْ فِي حَدِيقَةِ الحَيوانِ؟

وإذا لَمْ يَكُنْ فَيكْفيهِ فَخْرًا أنَّه مِنْ فصيلةِ الإنْسانِ

* * *

١١٤- مَحكمةُ المَجاذيبِ ١٩٥٥م

كتبَ أحدُ الكُتَّابِ واسمُهُ الرَّمْزى (عائدٌ) مقالًا ينتقدُ فيه سياسَةَ رئيسِهِ الكبيرِ ويندِّدُ بما شَاعَ فى عهدِه من ظُلمٍ وفسادٍ فتَشَكَّلَ له مجلسُ تأديبٍ مُؤَلَّفٌ من اثنينِ مِن كِبارِ الرُّؤساءِ رمزنا إليهما باسمَي (تُركِى وسمعان) ومحامٍ مِن الخارجِ رمزْنا له باسمِ الهِلباوى وقبلَ انعقادِ المجلسِ بأيَّامٍ انفردَ العُضوانِ الكبيرانِ ، وتورَّطَا فى كتابةِ قرارٍ بفصلِ الكاتبِ ووقَّعاهُ اعْتقادًا منهما بأنَّ العضوَ الخارجىّ سيوافقُهما ويوقِّعُ على قرارهما ، ولكنَّه امتنعَ عن التوقيعِ واعتبرَ قرارَهُما هذا مُخالفَةٌ قانونيةٌ حولتْهُما من حَكَمينِ إلى خَصْمينِ ، ومن قاضيينِ إلى مُتَّهمين ، إذْ أنَّ قرارَهما صدرَ دون محاكمَةٍ أو دفاعٍ وقد نقلنا مَسرحَ هذه الأحداثِ إلى إحْدى ساحاتِ الدَّراويش.

المنظر الأول

ينفرجُ الستارُ عن حجرةٍ متوسطةٍ اجتمعَ فيها اثنان من أعضاءِ مجلسِ التأديبِ الثلاثةِ وهما الرئيسُ "سمعانُ" والعضو "تُرْكى" وذلك قبلَ الموعدِ الرسميِّ للجلسةِ بأيامٍ.

١- (تركى): ما بالُ شَيخى اليومَ يُطرقُ سَاهِما ... هلْ جَدَّ أمرٌ أو تغيَّرَ حالُ ؟

والعهدُ فيكَ تروحُ قبلُ وتغْتَدى ... جَذلانَ مهما طَمَّتِ الأهوالُ

(سمعان) : لا شيءَ

(تركى):بلْ أفْصِحْ أُعِنْكَ بِحِيلَتى ... إنِّى لكلِّ مُعقدٍ حَلَّالُ

(سمعان):رَعَاكَ اللهُ يَا تُرْكِى ... فأنْتَ العَوْنُ فى الضَّنْكِ

إذا ورَّطَنِى قيدٌ ... مَننت علىَّ بالفَكِّ
وإنْ أحزنَنى أمْرٌ ... دَفَعت الحزنَ بالضِّحْكِ
وكَمْ مِنْ مُشْكلٍ أعْيا ... وكَمْ مِنْ حَادثٍ يُبْكِى
أحَلْتَ يَقينَهُ الفَضَّاحَ يا تُرْكى إلى الشَّكِّ
ولَكنّنَا قد فُضِحْنا جَميعًا ... وكِدْنا نُكَبْكَبُ فى الهَاويهْ

(تركى): بماذا ؟

(سمعان):أتَنْسى الذى أظْهَرَتْهُ ... قَضِيَّةُ "عَائِدنا" القَاضِيَهْ ؟
(تركى):أتَقْضِى علينا ونحنُ القضاةُ ... وفى يدِنا الصَّوْلَةُ العَاتِيَهْ ؟
(سمعان):أذَاعَ على النَّاسِ أخْطَاءَنا ... وكَشَّفَ أستارَنا الخَافِيهْ
وقَارَعَ بالحقِّ أوْهَامَنا ... وبَدَّدَ حُجَّتَنَا الوَاهِيَهْ
غَدونا مِنَ الأمرِ فى مُشْكِلٍ ... فهلْ عِندكَ الحَلُّ ياداهِيهْ؟
(تركى):أجَلْ ، والحَلُّ تُوجِبُهُ عَلينا ... رعايةُ حَقِّ رَائدِنا الإمامِ
يُحَتِّمُهُ الولاءُ لَه وفَضْلٌ ... أقلُّ حقوقِهِ رَعىُ الذِّمامِ
هُوَ الفَصْلُ الذى يُنْهى القَضايا ... ويَقْطَعُ ما يُقالُ مِنَ الكَلامِ
(سمعان):أطال الله عمرَكَ للرزايا ... وبوركَ فيك يا بطلَ الصِّدامِ

أغِثْنِــى بالنُّــشُوقِ فــإنَّ أنْفِــى　　تَـــوَرَّمَ مـــن تبَــاريحِ الزُّكَــامِ

(تركى وَهُو يناولُه النُّشوقَ): تَفَضَّلْ

(سمعان): يــا تُـرى هــذا حُسَيْـنى

(تركى):　　بلــى هـذا النشوقُ مِـنَ الإمامِ

(سمعان) يدسُّ النشوقَ فى أنفهِ ويقولُ:

(تركى): تَعـالى فَخُـطَّ مـا أُمْـلى علامَا؟

(سمعان):　　على أعْلى مُذَكِّـرَةِ المُحامى

مِنْ حيثُ أنَّ عائِدا قَدْ لامَ رَبَّ "المَعْشَرِ"

وأعْلَـنَ الحَـقَّ جِهــارًا ونَبا ، بالمُنْكرِ

وراحَ يُزرى بالنِّفاقِ وهْوَ ليس بالزَّرى

وضَاقَ بالفَسَادِ والمُجُــونِ فـى تَهَـوِّرِ

فَقَدْ رَأينا فَصْلَهُ مِن المُحِيطِ "المَعْشَرِى"

(تركى):اللهُ أكْبَر ذَاكَ حُكْـمٌ عَـادِلٌ　　قَــد زَادَ إنْـصَافًا بـما هــو حَـاوِى

وَقِّــعْ عليــهِ فــإنَّنى وقَّعْتُــه　　وابعــثْ بِــهِ ليوقِّــعَ الهِلْبــاوِى

يُناوِلُه إيَّاهُ لِيوَقِّعَه ويُسدَلُ الستارُ

(المنظرُ الثانى)

فى إحْدَى القاعاتِ جلسَ العضوان (سمعانُ) و(تركى) ومعهما (الهلباوى)العضوُ الثالثُ وبيده وثيقةُ قرارِهما المزيفِ الذى أبى أن يوقعَ عليه دونَ محاكمةٍ.

(الهلباوى):

أجِيْبـونِى ألـيسَ الـدِّينُ حَقًّـا؟ فكيـفَ جَعَلْتُمـوهُ هَـوىً مُطَاعَـا؟

٣٠- لَعِبْـتُمْ بالعدالـةِ وهْـىَ حِـصْنٌ هَـوَتْ كُـلُّ الحصونِ وما تَـداعَى

تَعـالى اللهُ قدَّسَـها وأوْصى بِهـا مِـن أنْ تُهَـضَّمَ أو تُـضَاعَا

فكيـفَ زَعَمْـتُما أنِّـى سَـأرْضَى بِحُكْمِكُـما وأتَّبِـعُ اتِّباعَـا!

أيُفْـصَلُ مَـنْ يقـولُ الحَـقَّ مِـنْكُمْ ويُكْـرَمُ مَـنْ يُـضَيِّعُهُ ضَـياعَا؟!

ولمْ أرَ نَاصِـحًا للهِ يَجْـزِى بِقَطْـعِ الـرِّزْقِ أو يَخْشَى انْقِطَاعَـا

٣٥- تَـسابَقْتُمْ إلى الحُكْـمِ اعْتِباطَـا وقَـرَّرْتُم نِهايَتَـهُ سِراعَـا

وزَوَّرْتُـمْ فلـمْ نَـشهدْ عليـهِ مُداولـةً ولَمْ نَـسمعْ دِفاعَـا

لقـدْ كُـشِفتْ مَخـازِيكم فَبانَـتْ وذَاعَ خَفِـىُّ أمْرِكُمـو وشَـاعَا

وكـانَ عَـلى فَـضَائِحِكُم قِنَـاعٌ فكَـشَّفَ عَـنْكُمُ اللهُ القِنَاعَـا

(العضوان): رُويْـدكَ إنَّ هـذا الأمْرَ سِرٌّ

(الهلباوى): إذنْ قَـدْ كـانَ عائدُكُم شُـجَاعَا

٤٠- وكيـفَ نَـسيتُما للهِ عِلْـمًا يُحِـيطُ بِـسرِّ أمْـرِكُما اطِّلاعَـا

(العضوان):

حـسبنا، حـسبنا، فإنـا أفقنـا ونوينـا مـن الـذنوب المتابـه

هَـذِه وَرْطَـةٌ وأنْـتَ المُرَجَّـى فَـامْحُ أخْطَاءَنـا بِحُسْنِ الإصَـابَهْ

وأغِثْنَا بِرَدِّ مَا قَدْ كَتَبْنَا   أَوْفَمَزِّقْ أَوْرَاقَنَا والكِتَابَهْ

(الهلباوى):

كَيفَ أُغْضِى ووَاجِبُ العَدْلِ أنِّى   أُبْلِغ الأمْرَ عَنْكُما للنِّيَابَهْ

(الشيخان):

يالَهَا مِنْ فَضيحَةٍ !! بَلْ قَصاصٌ   يُنْصِفُ اليومَ منكمُ المظلومَا

قَدْ مَكَرتُم واللهُ أسْرَعُ مَكْرًا   وظَلَمْتُمْ وظُلْمُكمْ لَنْ يَدومَا

خرجَ الأمرُ من يديكُم جميعا   ليَدَىْ "عائدٍ" إليهِ فَقُومَا

واطْلُبَا صَفْحَهُ بكلِّ رجاءٍ   فعسى أنْ يكونَ سَمْحًا كَريما

يخرجُ العضوان وهما يُردِّدان:

يالحكمِ السَّماءِ!يالقَضاها   لائمُ القومِ كيفَ يغدو مَلُومَا !؟

كيفَ كُنا؟ وكيفَ صِرنا ؟   لقدْ كُنا قُضاةً واليومَ صِرْنا خُصُومَا

يُسدَلُ السِّتارُ

المَنظرُ الثالثُ

"قاعَةٌ فَسيحةٌ اجْتمعَ فيها أعْضاءُ المحكمةِ وكِبارُ الدَّراويشِ وجمعٌ كبيرٌ منَ المجاذيبِ والأتباعِ والحاشيةِ والكلُّ فى انتظارِ حضورِ عائدٍ حسب الموعدِ المحددِ لمحاكمتِهِ "

(أحدهم):

اليـــومُ يـــومُ الفـــصلِ يـــا أصْـــحابى
فاسْـــتَفتِحوا بالفـــاتِحِ الوَهَّـــابِ
وأقْبِلُـــوا عَليـــهِ بالمَتَـــابِ
هَيَّـــا اقْـــرَأوا فَاتِحَـــةَ الكِتَـــابِ
وعَفِّـــروا الوجـــوهَ بـــالتُّرابِ
وأدْمِنـــوا القـــرعَ عَـــلى الأبـــوابِ
فـــالفرجُ المنـــشودُ في اقْـــترابِ

(آخر):

يـــاتُرى مـــا لعائـــدٍ أبطـــأَ اليـــومَ   علينـــا وقـــدْ مَللنـــا انتظـــارَا
لَمْ نُجـــربْ عليـــهِ قبـــلُ غِيابـــا   أتُـــراهُ قـــدْ أدْرَكَ الأسْرَارا؟

(ثالث):

أنَـــا أخـــشى ألا يجـــيءَ فنبقَـــى   هكـــذا واجِمِـــينَ خَوفًـــا حَيـــارى
لَمْ أرَ النَّـــومَ مُنْـــذُ خَمْـــسِ ليـــالٍ   وأنَـــا لمْ أذُقْـــهُ إلَّا غِـــرارًا!

(آخـــر):

(آخرون):

يـــشهدُ اللهُ مـــا طَعِمْنـــا طَعامًـــا   أوعَرفْنـــا لـــيلًا مـــضى أو نَهـــارًا

أحدهم):

اطْرَحُـوا يأسَـكُم فـما رَدَّ يـأسٌ   حادثًـا أو أقَـال يومًـا عِثـارَا

واجْمَعُـوا الآنَ حِلْمِكُـمْ واسْـتَرِدُّوا   مِـنْ بَقَايَـا أعْـصَابِكُمْ مَـا انْهَـارَا

(الحاجب): الآنَ جاءَ عائدٌ

(الرئيس): يا مَرحبًا بعائِدِ

قِفـوا جَميـعًا واغمروه بالحفاء الزائد

"يدخلُ عائدٌ فيقفُ الجميعُ ويعانقونَهُ"

(عائد):

ليـتَ شِـعْرى مَاذا أرى أهْـوَ حُلْـمٌ   أمْ هُـوَ الحَـقُّ لـيسَ فِيـهِ خَفـاءُ؟

مـا احْتفـاءُ الأعْـضاءِ بـى يـا تُـرى اليـومَ ومـاذا يُكِنُّـهُ الاحْتِفـاءُ؟

ولقـدْ كـانَ يجـرحُ الـنفسَ مـنهم   إنْ رأَوْنـــى تَجَهُّـــمٌ وازْدِرَاءُ

إجْلِـسوا إجْلـسوا فـما أنـا مِمَّـنْ   غَـرَّهُ فى الاعْـضاءِ هَـذا اللقـاءُ

واكْـشفو لى عَـن الحَقيقـةِ حتـى   لا يُريـبَ الفـؤادَ منهـا خفـاءُ

(كبيرهم):

لاشـىءَ إلَّا أنَّ صـوتَ ضَـميرِنا   قـد بـاتَ يلْـذَعُنا مِـنَ التَّأْنِيـبِ

وصَحَا فأدْرَكْنا الضَّلالَ مِنَ الهُدَى   لَـيسَ الرُّجُـوعُ إلى الهُدى بِمَعِيـبِ

اليَـوْمَ بِاسْـمِ الحَـقِّ بَعْـدَ ظُهُـورِه   جِئنـا لنُلْغِـى مَجْلِـسَ التَّأدِيـبِ

(عائد):

عَجِيبٌ أمْرُكُمْ فالعهْدُ فيكُمْ   تُسِرُّونَ العَداوَةَ والخِصَامَا
فما لِعُبوسِكُم أضْحى ابْتساما ؟!   ومَا لزئيرِكُم أمسي بُغَامَا؟!
بَلى إنِّي أُصِرُّ عَلى التَّقاضِي   ولَسْتُ أرِيدُ إلا الاحْتِكَامَا

(الكبير):

رُويدكَ قد أسأتَ الظنَّ فِينا   ولمْ تَرعَ الحقوقَ ولا الذِّمَامَا
نُريدُ محَبَّةً وتريدُ بُغْضًا   وتَبغى الحَربَ إذْ نبغى السَّلامَا
فهلْ لكَ أنْ تفىءَ إلى حِمانا   لتبلُغَ فى حِمايتنا المَرامَا؟

(عائد):

معاذَ الله لستُ أريدُ جاهًا   وليسَ هَوى المناصِبِ من طِباعى
فكفُّوا عنْ مُساوَمَتى بِدُنيا   يُباعُ الحقُّ فيها كالمَتاعِ

(أحدهم):

أخى أرْهَقْتنا فأسْمعْ ودَعنى   أُزِحْ عَنْ سِرِّنا زَيفَ القِناعِ
تَعَجَّلْنا بِفَضْلِكَ دُونَ أدنى   مُداوَلَةٍ عليهِ ولا دِفاعِ
فكانت ورطةً كُبرى رمَتْنا   إلى ذُلِّ التَّحايُلِ والمساعِى

فَرِفْقًا بالمجاذِيبِ الحَيارى   وأبْقِ على الوِئامِ منَ التَّداعِى[1]

(عائد):

أجل: ألْغُوا قَضِيَّتكُمْ لنَحْمِى   حِمَانا من إشاعاتِ السَّماعِ
رضيتُ إذنْ ولكنْ لستُ أُعْفى   مَجاذِيبَ الإدارةِ مِن صِراعِى
لقَدْ ساءتْ بضعْفكمو وشاهَتْ   وأسلَمَتِ الحقوقَ إلى الضَّياعِ
يمينُ اللهِ لا أُلْقى سِلاحِى   ولستُ بِمُغْمدٍ يومًا يَراعِى
إلى أنْ يَطْهُرَ الكُرْسىُّ مِنْكُم   ويَنجُو مِن أذَاكم يا أفَاعِى

ينهضُ الجميعُ فرحين ويقرعونَ الدفوفَ وهم ينشدون هذا النشيدَ:

الحَمْدُ لمنْ خَلَقَ الأُمَمَا   واللَّوْحَ قَدِيمًا والقَلَمَا
وصلاةُ اللهِ على طَهَ   وسلامُ اللهِ على (القُدَما)
والشكرُ لمنْ قَدْ أيَّدنا   فى وقفِ مَحاكِمنا كَرَما
تكفينا اليومَ موافَقَةٌ   مِنه تَنفى عنَّا التُّهَمَا

---

١) هذا البيت جمعه من بيتين في ١٩٩٣م:

فَرِفْقًا بالمجاذِيبِ الحَيارى   بحرمةِ سيِّدي الشيخِ الرفاعي
وانقذْ سُمعةَ الأقْطابِ منَّا   وأبْقِ على الوِئامِ منَ التَّداعِى

وكان الحذف خوفا من أن يظن ظانٌّ أنه يميل إلي تصوف الدراويش ويقدس القبور مع أنها دعابة وسخرية، وخاصة لو طبع الديوان بالمملكة السعودية كما كان يخطط لذلك.

وغـــــدا يُفْرِجُهـــــا اللهُ إذا   مـــا صـــالَ علينـــا أو هَجَـــما

يـــاربِّ صـــنيعُك مَـــشْكورٌ   سُـــبْحانَكَ تَحْمـــى مَـــنْ ظَلَـــما

القَـــاضِى أصْـــبَحَ مُـــتْهَما   عَجَبًـــا والخَـــصْمُ غَـــدَاْ حَكَـــمَا

مَـــدَدًا مَـــدَدًا يـــاالله[1]   بَـــدْءًا فى القَـــوْلِ ومُخْتَـــتَما ٩٩-

ستار الختام

* * *

١) كانت في الأصل : مددا مددا يا سيدنا وغيرها لنفس السبب السابق في ١٩٩٣م، مع العلم أن الشاعر لم يذكر لفظ الدراويش أو المجاذيب إلا تعريضا وذمًّا وسخرية.

سوط النقد

١١٥- الأقنعة الزائفة ١٩٧٧م (*)

عرفنـاك فـاهزِلْ يـا زمـانَ الغرائـبِ   ونكّـل بأربـاب النُّهـى والمواهِـبِ
تُجـنُّ الليـالي منـكَ كـلَّ عجيبـةٍ   فـما تلـدُ الأيـامُ غـيرَ العجائِـبِ
سَلامٌ على الإنصافِ والعلمِ والتُّقَى   سَلامٌ على ماضٍ من المجد ذاهبِ
عَلى المُثُـلُ العُلْيـا ، عـلى القِيمِ التِي   غَـدَتْ في يَـدِ الأوْغـادِ لُعْبَـةَ لاعِـبِ
سـل الأزهـرَ المعمـورَ أيـن جلالُـه؟   وأيـن سـنا أُفْـقٍ مضيءِ الكواكـبِ؟
لقـد كـانَ بـالأمسِ المبـاركِ سـاحُه   سـماءَ شـيوخٍ كـالنجومِ الثواقـبِ
وكــانَ لطُــلَّابِ الحقيقــةِ مَــنْهلاً   كَثيرَ زحـامِ الـورْدِ عَـذبَ المشارِبِ
فـأقفرَ مـن أبطالِـه الـصِّيد واغتـدَى   زئـيرُ الـشرَى فيـه صريـرُ الجنـادِبِ
مَعَاهِــدُهُ أضْــحَتْ بِحَــشْدِ بُغَاثِهــا   مَلاجئَ جيلٍ فاشلِ السَّعْي خَائِبِ
غُثــاءُ كَتاتيــبٍ ونبــذُ مَــدارسٍ   فمـن كـلِّ أُمِّـيّ ومِـنْ كُـلِّ رَاسِـبِ
وصَـارَت خَلايـا (...) مـن حَلقَاتِـه   تَكَايـا وُصُـوليِّيْنَ شَـتَّي المـآرِبِ
كـأنَّ بَواكِيـه وقَـد نَـسَجَتْ بهـا   خُيـوطَ خُرافـاتٍ بيـوتُ العَناكـبِ

(*) كان قد نقل هذه القصيدة إلى باب الشعر الاجتماعي في مراجعة ١٩٩٣م حتى يطبع في المؤسسة التي يتبعها، وحذف من أبياتها ما كان معلوما لأصحابه.

يَطوفُ بِها قُطْبُ الزَّمَانِ وحَوْلَه ... مجاذِيبُ يَسْتجدُونَ نَفْحَةَ جَاذِبِ

إذا أمْعنوا في الشَّطْحِ أرغَوا وأزْبَدوا ... وثنَّوا بترقيصِ اللِّحي والعَصَائبِ

دَرَاويْشُ قَدْ خَفُّوا إلى قُطْبِ غَوْثِهِمْ ... مَواكبُ جَذْبٍ تَلتقِي بِمَواكِبِ

يَؤُمُّونَ بينَ الصَّحْوِ والمَحْوِ تَائِها ... يَهيمُ بِليلٍ مُدلهِمِّ الغَياهِبِ

فَتُبْصِرُ مِنْهُمْ غَائِبا غَيْرَ حَاضِرٍ ... وتَشْهدُ مِنْهم حَاضراً غَير غَائبِ

تَصَوُّفُ مَخبولينَ مَدُّوا شِبَاكَهُم ... علي كلِّ دَرْبٍ لاقْتِناصِ الرَّغَائِبِ

تصوف أهل الحق لله وحده ... وليس لجاهٍ أو بلوغ مراتبِ

* * *

لجامعة المعمور فليبك مشفقٌ ... علي ما دهاها بالدموع السواكبِ

تَجُوبُ ذَواتُ البَنْطَلُونَاتِ سَاحَهَا ... فُجُورًا ولا يَسْمَعْنَ صَيْحَةَ غَاضِبِ

و لا تَسْتَبِينُ الفَرْقَ بين خَنافِسٍ ... تَجُوسُ مَغَانِيها وبَينَ الكَواعِبِ

فكيف هوتْ من شامخ وتعثَّرت؟ ... وحاقت بها الأهوال من كل جانبِ؟

وفي كلِّ يومٍ تابعٌ من فروعها ... يُشَيَّدُ للغِرْبانِ فوقَ الذَّوائِبِ

فليس لعلم ما يشادُ وإنما ... لمحض دعايات عراضٍ كواذبِ

أيرأسها بعد المغاوير فايدٌ ... وأين من الآساد جبن الأرانبِ؟

وكيف يدير الأمر أغبي مُخاطَبٍ إذا جئتَه يوماً وأعيا مُخاطِبِ؟
ومن يتحدي النابهين ويحتفي بكل جهولٍ عنتريّ الشواربِ
ويخفضُ من قدرِ الأبيّ ويعتلي بمنحرفِ الأخلاقِ جمِّ المعايبِ
أشاعَ بها فَوْضَي القِيادَاتِ خَابِطًا بِعَشْوَاءِ رَأيٍ في الدُّجُنَّةِ حَاطِبِ
إلي ابنِ (.....) يُلقِي زِمَامَ أمُورِهِ فيوردُه بالحُمْقِ شَرَّ المَعَاطِبِ
كَأنِّي بِهِ فِي جَمْحِهِ وشُرُودِهِ بَعِيرُ فَلاةٍ حَبْلُهُ فَوْقَ غَارِبِ
أحَادِيثُهُ عَنْ زَرْعِهِ وضُرُوعِهِ تَسيرُ بِهَا الأمْثَالُ مِنْ كُلِّ ضَارِب
وليسَ لهُ في العِلمِ سهْمٌ ولا يَعي سوى سَمَرِ الزُّرَّاعِ فوقَ المَصَاطِبِ
مكرٌ مفرٌ دائما متلفتٌ تَلفُّت نَشَّالٍ من السجنِ هاربِ
ويا مجلسَ الآداب كيفَ وسعته وما كنتَ يومًا مرتَعًا للسَّوائِبِ
فلا فرقَ بين الفنِّ و(الفتِّ) عنده ولا بين شادٍ في الرياضِ وناعبِ
ولو صح ميزان العدالة لم يكن (......)غير راع للسوائم حالب

***

أتجارَ دينِ الله في عصرِنا الذي غدا الدِّينُ فيه مَتجرا للمكاسبِ
دخلْتُم به سوقَ النِّفاقِ لتغْنموا فَخَامةَ جاهٍ أو ضَخَامةِ رَاتبِ

ولـيس لوَجـهِ الله سـلٌّ يراعـةٍ ... ولا رفعُ صوتٍ في الإذاعةِ صاخبِ

فلولا اقْتِنَاصِ المالِ لمْ نُلْفِ مِنْكمو ... حَـديثَ مُـذِيعٍ أو مَقَالَـةَ كَاتِـبِ

ويـارُبَّ فَتْـوي للتَّزَلُّـفِ لمْ تَقُـمْ ... عَلي أي وَجْهٍ مِنْ وُجوهِ المذَاهِبِ

مضي سلفٌ كانوا الملوك صدارةً ... وجئتم فسرتم في ذيول المواكبِ

يؤمِّـلُ كـلٌّ منكمـو شرّ غـيره ... ويطلبُ خيرا من وراءِ النوائبِ

قُصَارَي أمَـانِيْكُمْ مِـنَ الخَيْرِ كُلِّهِ ... تَقَاعُـدُ كَهْـلٍ أَوْ وَفَـاةُ مُرَاقِـبِ

فَفِـي وَفَيـاتِ الصُّبْحِ تَـدْقيقُ نَـاظِرٍ ... وفي السنِّ طولَ الليلِ إحْصاءَ حاسبِ

أفي الـدينِ ألا عـزمَ عنـد شُـيوخِه ... إذا طَمحـوا إلا تمَنِّـي المَصائِبِ؟!

* * *

هـو الأزهرُ المعمـورُ أمسي خَرائبا ... وأنـتم بحمـدِ الله بُـومُ الخرائـبِ

وقفـتم عـلى جُهالـه كـلَّ منـصبٍ ... وأغريتمـوهم بـاقترافِ المعايـبِ

إذا لاحَ في الآفـاقِ بـارقُ مَنْـصبٍ ... ترامـوا عليـه زَحمـةً بالمناكـبِ

طـوافٌ دَءوبٌ حَـوْلَ كُـلِّ رِئاسـةٍ ... وسَعيٌ مُريبٌ بين شَتَّى المكاتِـبِ

وتمثِيـلُ سـمتٍ واستِعَارَةُ [لحيـةٍ] ... وترْصِيعُ مَـدحٍ وازدواجُ مـآدِبِ

وَسَـائِلُ يـأبى كـلُّ حـرٍّ سـلوكَها ... ويـأنَفُ منهـا عَبقـريُّ المواهـبِ

ولو شئتمُ الإنصافَ لم يُعطَ منصبٌ   لحـرصِ مُلـح أو لحاجـةِ طَالـبِ
ولكـنْ كـذا مـن قبلُ كنتم فكلكـم   عـصائبُ نهـبٍ تهتـدي بعـصائبِ
تقاسـمتمُ الأسـلابَ :جاهًـا لخامـلٍ   ومـدًّا لمحـسوب ومـالا لناهـبِ
ومِنْ عَجَبٍ أنْ تَدَّعُوا الزُّهْدَ والتُّقي   فأين تُقَاكُمْ يا لُصُوصَ المَنَاصِبِ؟
إذا لم تَــــروا غــــير (....)   فَإنَّ خِداعَ السَّمْتِ دِينُ الثَّعالبِ
وكَـمْ مَلْتِحٍ بَادي الصَّلاحِ بَسَمْتِهِ   ولكَّنــه في الحــقِّ أكْـذَبُ كَـاذِبِ
وأخْطرُ مَنْ يَجني على الدِّين خَادعٌ   خبيـثٌ بـدا للنـاسِ في زِيِّ رَاهِـبِ
ومَـا الكُـفْءُ إلا بِالمَنَاقِـبِ والحِجَـا   ولَـيْسَ بِـسَمْتٍ خَـادِعٍ وجَلَابِـبِ

***

أقـولُ ومـالي مـن هـوى في مناصـبِ   ولا أنـا في حقِّـي علـيكُم بعاتِـبِ
فكـم عبقـريٍّ قـد قتلـتم نبوغَـهُ   بأنيـابِ حقـدٍ أزهـريِّ المخالـبِ
شَرِيْعَــةُ جَـوْرٍ لا تَــدينُ لنَابِــهٍ   بِحــقٍّ ولا تَــألوهُ كَيْــدَ مُحَــارِبِ
ولكــنَّ (.....) ترفعــون شــعاره   وقفـتم عـلي أطلالـه كـالنوادبِ
أغَـارُ عَلَيـهِ مـن تَمَـضْوفِ مـدَّعٍ   ومِـنْ كُـلِّ مِلْحـاحِ الهَـوَي مُتكَالِـبِ
ولـو شـئتُ ذُلَّ المرتقـي لبلغتُـه   وأرْضَـيْتُكُم مَـدْحًا بِزيـفِ المناقِـبِ

وعَــوذتُكُمْ بِــالله مِــنْ شَرِّ حَاسِــدٍ ومِنْ كُلِّ مُستخفٍ ومِنْ كُلِّ سَارِبِ
سـبيل النِّفـاقِ النـذْلِ سَـهلٌ وإنَّـما سـبيلُ الإبـاءِ الحُـرِّ جَـمٌّ المَصَاعِبِ
ولكننــي أعتــزُّ بــالله وَحْــدَهُ ولــيسَ لغــيرِ الله يــركنُ جــانبي
ولي مـن إبـاءِ الـنفسِ أكـرمُ عاصـمٍ عن الـذُّلِّ والزُّلفي وأمْنَعُ حاجبِ
ومـاضرَّنِي أن لم تـدعْ لي صراحتـي وفــاءَ محــبٍ أو مــودةَ صــاحِبِ
إذا كـانَ قـولُ الحـقِّ يـؤذي فـإنني ألفــتُ مــن الأيــامِ مُـرَّ النوائـبِ
مـصائبُ شَـتَّى رَوَّعَتْنـي فَرُضْـتُها بـصبري حتـى لم تَعُـدْ بمـصائبِ
بنيـتُ لكـمْ مجـدًا وشِـدتُ مفـاخرا ودَافعتُ عَـنكم كلَّ بـاغٍ وغَاصِبِ
وكَـمْ قَـدْ جَنَيْتُمْ مِن ثِمَارِ قَصَائِدِي ولَمْ أجْنِ مِنْكُم غَيرَ سُمِّ العَقَـاربِ
أغاريــدُ أمجــادٍ نكــرتُمْ لحُونهــا إذن فاسْمعوا مِني صِياحَ النَّواعـبِ
ومَـنْ لم يَـرُقْ شَـدْوَ البلابـلِ سَـمْعَهُ شجَاه عَزيفُ الجِّن بـينَ الـسباسبِ
سأصـليكموا شِـعري فـإن لم تُحِـسُّه بلادَتُكـمْ أخرجْـتُ مـا في الحَقائـبِ
سأفْـضَحُ مــا تُبْدُونَــهُ مِــنْ محَاسِــنٍ وأكْــشِفُ مَـا تُخْفُونَـهُ مِـنْ مَقَالِـبِ
ولـستُ عـن الـرأيِ الـصريحِ بحائـدٍ ولا عـن طريـقِ الحـقِّ يومًـا بناكـبِ
ويــاربِّ إنْ كَانــت لِنفــسيَ غَايــةٌ فغايةُ نفسي مِنك حُسْنُ العَواقبِ

* * *

نماذج بشرية

١١٦ - متصوف

أعيذُكَ مِنْ ثقيلِ الظلِّ وَغْدِ ... يخادعُنا بِمِسْبحةٍ وَوِرْدِ
إذا أبصرتُه أحسستُ أني ... على رأسي حملتُ جبالَ نجدِ
يذودُ الناسَ عنه جفاءُ طبعٍ ... كذي جربٍ من البعرانِ يُعدي
تبرأ سيبويهُ النحوِ منه ... ومن نَسبٍ إلى فُصحى مَعدِّ
وضجَّ النقشبنديون لَمَّا ... تَمَسَّحَ بالطريقِ النَّقْشَبنْدِي
وريْعتْ يثربُ الفيحاءُ منه ... بِفيلٍ دبَّ في سهلٍ ونهدِ
لجمعِ المالِ هجرتُه إليها ... وكل مُهاجرٍ رهناً بقصدِ
طَرِيقُ اللهِ أسْمَى مِن دَعِيٍّ ... تَرَدَّي للخِداعِ مُسُوحَ زُهْدِ
ومِنْ مُسْتَعْبَدٍ للبطْنِ يطوي ... له الأمْيالَ مُلتَمسا لِرِفْدِ
يشردُه فلا يؤويه بيتٌ ... ولا يحظي له أهلٌ بِوُدِّ
يُطَوِّفُ في البلادِ فما يُبالي ... أحَطَّ على ثَرِيٍّ أوْ بِمُكْدِ
وكم فجعَ الأراملَ حينَ يغشَى ... بديكٍ ما ملكْنَ سواهُ فردِ

ورُبَّ عَديمةٍ قَالتْ لجارٍ: … أغِثْني بِالقِرى فَالشَّيخُ عِنْدِي

ولم يرحَمْ سَواغبَها اللواتي … كَساهُنَّ الطَّوى مَهْزولَ بُردِ

يُؤرِّقُهُ الطَّعامُ مُنىً وشَوْقا … ويُورِثُهُ السُّعارُ عَذابَ سُهْدِ

فإنْ يَظْفَرْ بِه يَهجِمْ عَليه … بِكَلْكَلِهِ العَرِيْضِ هُجُومَ فَهْدِ

ولولا الأكلُ لمْ يسلُكْ طَرِيقا … ولمْ يهتِفْ بتسبيحٍ وحمْدِ

رِجالُ الله أنْضَاءٌ عِجَافٌ … وصَاحِبنا كَبشَّارِ بْنِ بُرْدِ

فأيْنَ هُزَالُ عُبَّادٍ كَساهُمْ … شُحُوبا مِنْ مُجاهَدَةٍ وَوَجْدِ؟

شَرُودٌ لا يقيمُ على ودادٍ … ولا يُوفي لصاحبِهِ بعهدِ

تبلَّدَ حِسُّهُ رُوْحًا وذَوْقًا … فلمْ يشْعُرْ بصَابٍ أوبِشَهْدِ

ومَنْ فَقَدَ المَشاعِرَ لَمْ يُشاهِدْ … جَمَالَ الله مِنْ حُجُبٍ وَسَدِّ

وتقوى الله تظهرُ في السجايا … إذا ما النورُ حل بقلب عبد

وأَعْجَبُ ما بِه دَعوي وُصولٍ … بُقرْبِ اللهِ وهْوَ طَرِيدُ بُعْدِ

يتيه ويستطيل بها غرورا … ألم يعلم بأن التيه يردي ؟

وما كانَ التَّصَوُّفُ بِاغْترارٍ … ولا مَرَحٍ ولا تَصْعِيرِ خَدِّ

ولَا بتَمَشْدُقٍ ونِفَاقِ قَوْلٍ   وإضْمَارٍ لإيذَاءٍ وكَيْدِ
ولا شَهَواتِ بَطْنٍ أشْعَبيٍّ   يَجُرُّ إلي الغِوايَةِ والتَّرَدِّيْ
ولكن التصوفَ صفوُ نفسٍ   ودفنُ غرورِها المُزري بوأدِ
٣٠ـ وبَذْلُ الوُدِّ للإخْوانِ صِرْفًا   وإيْثَارٌ لَهم فِي كُلِّ قَصْدِ
ولِينُ العِطْفِ دُونَ جَفاءِ طَبْعٍ   وإقْبالٍ بِلا صَلَفٍ وصَدِّ
لقد ظَلَمَ التَّصَوُّفَ مُدَّعِيه   وجاوزَ في الظُّلامَةِ كُلَّ حَدِّ
وباسمِ الدِّينِ كمْ يحيا لدَينا   دجاجِلةٌ بعيشٍ جد رغدِ
٣٤ ـ فلا تحكمْ على من لم تجربْ   ولايخدعك شامخُ كلِّ طودِ

١١٧ - وسامُ الجهلِ

مَنحــوا وِسَـامَ الجَهْـلِ للكُـرْدي   يـا عِلـمُ ويْحَـكَ مُـتْ مِـن الحِقْـدِ
ولَّي زمانُــكَ حــين كنــتَ بِـــه   مـــستأثِرا بـــالمنحِ والرِّفْــــدِ
تَخْتـــالُ مُنْفَـــردًا بأَوْسِـــمَةٍ   تُهْــدَي بِـــلا حَــصْرٍ ولا عَـــدِّ
والنــاس مفتونــونَ قــد خُــدعوا   بـــسرابكِ الخـــالي مـــن الـــوِرْدِ
والجَهْــلُ مَـسْلُوبُ الحُقُـوقِ وكَـمْ   عَـــانَي مِـــن الحِرْمـــانِ والجَحْــدِ
فـــاليومَ انفُــكَ في الرَّغَــامِ وقَــدْ   ســـاواك في التكـــريمِ والمجْـــدِ

* * *

أكـــرمْ بهـــا في العـــدلِ جامعـــةً   تُعطـــي بـــلا شرطٍ ولا قيـــدِ
لا فَـــرْقَ فيهـــا بـــينَ نَابغـــةٍ   حُـــرِّ الـــضَّميرِ وجَاهِـــلٍ وَغْـــدِ
حتـى عـلي الكـردِّي مـا بخلـتْ   والعلـــمُ مـــن أعدائِـــه اللـــدِّ
وهْــوَ الـــذي لا يَـسْتَحِقُّ سِـوى   ضَرْبِ الوَطَــا واللَّعْـــنِ والطَّــرْدِ
لَكَنَّهَـــا عَرَفَـــتْ مَكَانَتَـــهُ   فِي الـــشَّرِّ والإِيْـــذَاءِ والكَيْـــدِ
ورأتْ لـــهُ في الجهـــلِ فَلْـــسفةٌ   خَفِيــتْ عــلى سُـقْراطَ والكِنـدِي

فالجَهْلُ نِدُّ العِلْمِ ضَمَّهما ... دَرْبٌ وقَامَا النِّدُّ بالنِّدِّ
وكلاهما قادَ الحياةَ إلى ... غاياتها بالغيِّ والرُّشدِ
ضدان لما استجمعا حسنا ... والضد يبرز ميزة الضد
والشرُّ صنو الخيرِ قاسَمَه ... دنيا الوري والشوكُ كالوردِ
والجَهْلُ أسْبَقُ في الوُجودِ بما ... فُطِرَتْ عَلَيه جِبِلَّةُ العَبْدِ
سعدتْ بصحبتِهِ النفوسُ ولم ... يكُ بالعلومِ لهنَّ من عهدِ
حتى غزاها العلمُ مقتحمًا ... آفاقها بسلاحِه المُردي
وأدَالَ عنها نَحْسُ طالِعِهِ ... - لما دَهاها - طالِعَ السَّعْدِ
والجَهْلُ سَهْلٌ لا عناءَ به ... والعِلْمُ محتاجٌ إلى الجَهْدِ
والجاهلُ العِرْبيدُ في سِعَة ... والعالِمُ النِّحْريرُ يَسْتجدِي
والجهل كم يجدي الجهولَ غنىً ... والعلمُ لا يغني ولا يجدي
جُهَّالُ مصرَ اليومَ سادتُها ... وملوكُ عيشٍ ناعمٍ رَغْدِ
من حَائِكٍ أو سابِكٍ جَشِعٍ ... ومُتَاجِرٍ بحشيشةِ الهندِي
أو مرتشٍ أو سارقٍ خطرٍ ... أو جازرٍ للعظمِ والجلدِ

فعمائــــرٌ للـــسُّحْبِ ناطِحـــةٌ   وخـــزائنٌ بَـــشِمَتْ مـــن النَّقـــدِ

ومَراكـــبٌ تختـــالُ فارِهـــةً   صـــخَّابَةُ الأبـــواقِ كالرَّعْـــدِ

مَـصُّوا الـدِّماءَ ولمْ يُـصِبْ أحَـدًا   مِـــنهم أذي سَـــجْنٍ ولا جَلْـــدِ

والعَبْقَـــريُّ وقَـــدْ خَلَـــتْ يَـــدُهُ   مُتَـــسَوِّلُ الحِرْمـــانِ وَالفَقْـــدِ

***

نَظَرِيَّـــةٌ في الجَهْـــلِ صَـــاحِبُها   مُـــسْتأهِلٌ للـــشُّكرِ والحَمْـــدِ

ســـهر الليـــالي في صـــياغَتِها   لم يـــشكُ مـــن تَعـــبٍ ولا سُـــهْدِ

وعـــدَ الرِّعـــاعَ بهـــا وحقَّقهـــا   عمـــلاً فـــأنْجزَ صـــادقَ الوعْـــدِ

قُـــلْ لِـــلأُولَى مِـــنْ جَهلِـــهِ سَـــخِرُوا   قُومُـــوا اشْـــبَعُوا لَطْـــمًا عَـــلى الخَـــدِّ

"راحـــتْ علـــيكُم" بعـــد فلـــسفةٍ   الهـــزلُ فيهـــا مُنتهـــى الجِـــدِّ

لمـــا أســـاغَ القَـــومُ مَنْطِقَهـــا   مَنَحُـــوا وِسَـــام العِلْـــمِ للكُـــردِي

١١٨ - يا ضيعةَ الإسلامِ من تُجَّارِهِ ! [١]

كتب الشاعرُ هذه القصيدةَ بناءا على طلبِ السيدة زينب الغزالي صاحبة مجلة السيداتِ المسلماتِ وخروجا من المشاكل السياسية بدأها بالمقدمة التالية: «اقتحم دار المجلة منذ أيام مجذوب غريب أشعث أغبر، عرفنا من حاله أنه علي اتصال بعالم الأرواح وقد أخبرنا أن روح أمير الشعراء شوقي قد حلقت في إحدى جلساته الروحية وصرحت بهذه الأبيات التي أملاها علينا ثم هرول مسرعا إلى حيث لا نعلم».

١ـ طُفْ بالكنيسةِ بُكرةً وأصيلاً ... واعْكَفْ علي يدِ قَسِّها تَقْبيلا !!

واخشعْ لدي حرمِ الصليبِ معظِّماً ... واركعْ علي أعتابِه تبجِيلا !!

يا قارعَ النَّاقُوسِ مَنْغُومَ الصَّدَى ... أرأيْتَ أشْجَي مِنْ صَداهُ صَلِيلا ؟!

قُمْ دُقَّهُ ودَعِ الأذَانَ فَلَمْ يَعُدْ ... بِمُصَادِفٍ مِنْ سَامِعِيهِ قَبُولَا !!

٥ ـ واصبغْ عمائمنا بأسودَ فاحمٍ ... حتى تراها شارةً ودليلا !!

واهرعْ لدى حرمِ الكنائسِ إنَّها ... لله أهدي شِرْعةً وسَبيلَا !!

فِي ظِلِّ سَاحَتِها وفي مِحْرابِها ... أدِّ الطُّقُوسَ ورَتِّلِ الإنْجِيلَا !!

---

(١) الشاعر لا يعترض على الوحدة الوطنية بل يدعو لها فهو متسامح لأبعد حدٍّ، ولكنه كان ضد إهداء المصحف، وهذه زلَّةٌ يرفضها كل مسلم شرعا؛ فالقرآن طاهرٌ وأمر اللهُ ألا يمسه إلا المطهرون.

ودع المــساجدَ واطَّــرِح قرآنهـــا ماذا عليك وقد وجدت بديلا !!
الكــلُّ تنزيــلٌ فخــذْ مــا تَــشْتَهي لا أفْــضَلًا فِيهــا ولا مَفْــضُولاً !!
والرُّســلُ أشــباهٌ فــلا تَــكُ مــؤثراً يومــا عــلي هذا الرسولِ رَسولا !!
يــا فتيــةَ الإســلام لــيس علــيكمُ حــــرجٌ إذا بــــدلتموا تبــــديلا !!
أفتـــاكُم الـــشيخُ الجليـــلُ بفعلـــه وبقولــهِ والــشيخُ أصــدقُ قــيلا !!
كُـــلُّ الـــشَّرَائعِ تَـــسْتوي في دينـــهِ لا نَاسِــــخا فِيهــا ولا مَفْــصُولا !!
كُـــنْ مُــسْلماً أو كُـــنْ مَــسِيحِيًّا ولا تـــستهدفْ المَعْقــولَ والمَنْقُــولا !!
يــا ضــيعةَ الإســلامِ مِــنْ تُجَّــارِهِ ضــلُّوا فلــم يُهــدوا إليــهِ الجِــيلا !!
مهــلاً إمــامَ المــسلمينَ فَجَهْــدُنَا ألا نَــرَى شَــيْخَ الهُــدَي ضِــلِّيلَا !!
اهـــدأْ فمنـــصبُكَ الـــذي فدَّيْتَـــهُ بالــدينِ لــيس بــواهنٍ ليــزولا !!
ستظلُّ فيــهِ مــدي الحيــاةِ فــلا تكــنْ قَلقًــا وهــدِّئْ رَوْعَــكَ المَخْبُــولَا !!
واغــنمْ مــن الــدنيا بكــل رَغِيبــةٍ و اصمتْ فلستَ عن الهدي مسئولا!
البعــثُ وهــمٌ والحــسابُ خرافــةٌ ليــستْ لنــا إلا الحَيــاةُ الأُولي!!!
لم يَهْــدِكَ الــذِّكرُ الحكــيمُ فأهْــدِهِ للقــس واستبدل بــه الإنْجِــيلا !!!

١١٩- مناجاة عاطفية للحضرة الفرهودية

سَلْ عنه رابطةَ الأدَبْ تَسْمعْ أعاجِيبَ العَجَبْ
أزْرَي بِسُمْعَتِها ولَطَّخَ بِاسْمِهِ وَجْهَ الأدَبْ
أنَّى يقود زمامها لص خفاجيُّ النسب؟
يَدُهُ الأثِيمَةُ تَسْتَبِيحُ رَصِيْدَها تبَّتْ وَتَبْ
جَشِعٌ يتاجرُ باسْمِها في كلّ صَوبٍ أو حَدَبْ
لا تقترب منه فويلٌ للذي منه اقترب
أَدْهَى بَنِي الدُّنيا وأخْبَثُ مَنْ عَلى الغَبْرَاءِ دَبْ
وألحُّ أفَّاقٍ وصوليُّ السعايةِ والأرب
وألصُّ مُحتالٍ مخالَسةً وأكذبُ من كَذَبْ
ربُّ العماراتِ التي طالتْ فطاولت السُّحُبْ
واللهُ يعلمُ أنه رَفَعَ البناءَ بما نَصبْ
قَالُوا أبو دُلَفٍ تَقمَّصَهُ وألْبَسَهُ اللَّقَبْ
والبَعْضُ قَالَ: أبُو دِلامَةَ عَادَ بَعْدَ أنْ احْتَجَبْ!
والبعضُ قالوا: أشعبٌ والبعضُ قالَ: أبو لهبْ!

***

وسل اتحاد الكاتبينَ بمصرَ كيف له انْتسبْ؟!
أبِمَا يُلَفِّقُ مِنْ قُصاصاتٍ تُسَلُّ وتُستَلَبْ؟!
ويروحُ يسلحها على الأسوارِ مسعورَ الدأبْ

كُتُبٌ تُروِّعُ كلَّ مزْكومٍ فَيمعنُ في الهَربْ
وتُصيبُ بالغَثَيانِ قَارِئَهَا فَيلْعَنُ من كَتَبْ
والشِّعْرُ يَنظِمُهُ فينذِرُ بالكَوارِثْ والنُّوَبْ
وإذا تَعَاطاهُ تَقَاذَفَتْ الكَواكِبُ بالشُّهُبْ
لا رُوْحَ فِيه ولا رُواءَ كَأنَّهُ كُتَلُ الخَشَبْ
يا صَبرَ أيُّوبٍ تَدَارَكْ مَنْ بِه يَومًا نُكِبْ
إن الخفاجِيْ محنَةٌ   فاصبر عليها ياعزبْ
أفشاعرٌ هو؟من تكونُ ومن يكون إذن (رجبْ)؟
هو حاطب الليل الذي   لم يستبِنْ ما قد حطبْ
مرضان فيه أزمنا   واستعصيا عن كل طبْ
صنوان :قَيْءُ الشعرِ ممجوجاً وإسهالُ الكُتُبْ
شَرَكٌ يصيدُ الوافدين من الأعاجِمِ والعربْ
ويَرُوْضُ مَنْ أعْياهُ بِالزَّارِ المُجَلْجِلِ بالصَّخَبْ
حَيْثُ الدُّفُوفُ تَحَلَّقَتْ   حولَ المَباخِرِ واللَّهَبْ
قَدْ عَرْبَدَتْ دَقَّاتُها عُنْفًا كَعَرْبدَةِ الغَضَبْ
والكُدْيَةُ الرَّعْنَاءُ أغْرَتْ صَيْدَه حَتَّي انْجَذَبْ
فتراه يرقص ضاحكًا   حينًا وحيناً ينتحبْ
أمَّا أبُو دُلَفٍ فَقَدْ جَلَّى وفَازَ بِما نَهَبْ

جَـــذْلانُ يَـــرْقُصُ رَقْـــصَةَ النَّـــشْوانِ مِـــن فَـــرْطِ الطَّـــرَبْ
فَـــــرِحٌ بِـــصيدِ قنيـــصةٍ بَلْهـــاءَ يُورِدُهـــا العَطَـــبْ
كَـــــمْ بالـــدَّهَاءِ ابْتَزَّهَـــا وكَـــمْ اسْـتَغَلَّ وكَـمْ سَـلَبْ
يَـــا كُدْيَـــةَ الـــزَّارِ ارْحَمِـــي المَخْـدُوعَ مِـنْ هَـذا التَّعَـبْ
٤- آرأيـــت أكـــدي مـــن أبي دلـــفٍ عـــلي مـــر الحقـــب؟!
أَغْـــرَي بِطِـــبِّ الـــزَّارِ مَعْتوهـــا فَـــصَدَّقَهُ و(طَـــبْ)
هـــي قِـــصةٌ هَرميـــةُ الأَحْـــدَاثِ بَالغَـــةُ العَجَـــبْ
لمـــا (أبـــو صـــبحٍ) أزاح الـــسترَ عنهـــا والحُجُـــبْ
دوت فـــضيحتُها بمـــصر وفي الريـــاض وفي حلـــبْ
٤٥- جـــوَّابُ آفـــاقِ الـــبلادِ فَـــلا مَـــلالَ ولا نَـــصَبْ
في كـــلِّ دَرْبٍ مَـــذهبٌ وبكـــلِّ وادٍ مُـــضْطَرَبْ
متـــسولٌ جـــشعٌ وقـــد مـــلأ الخـــزائنَ بالـــذهبْ
لا ينقـــضي أبـــداً لـــه طمـــع ولا يَفنـــى سَـــغَبْ
أمـــا النـــدي فلـــسانه في الجـود أسـخى مـن وهـب
٥٠- فعيـــاره المفلـــوت يمتـــدح الرشـــاقة في الـــدببْ
حتـــى عـــلى الزَّبَّـــالِ يـــسخو بـــالرفيعِ مـــن الرُّتَـــبْ
دعـــه يلهِّـــبْ كيـــفَ شـــاءَ إلى المـــصيرِ المرتقـــبْ
إن المهـــرِّجَ مثلـــه عقبـــاهُ ســـوء المنقلـــب

باب النجار ١٩٨١م

١٢٠- البعيرُ

لِــــشيخةِ الجامعـــــاتِ شَـــيخٌ ... غِـــرٌّ عـــلي عرشِـــها تربَّـــعْ
تَوقَّـــعَ النَّـــاسُ مِنْـــهُ خَـــيْرًا ... ورُب مُـــــسْتَيْئِسٍ تَوَقَّـــــعْ
وقِيـــلَ : يُرْجَـــي عـــلى يَديْـــهِ ... إصْـــلاحُ مـــا انْقَـــضَّ أو تَـــصَدَّعْ
فَـــإنَّ (قَادُوْمَـــــهُ) سَـــيَفْرِي ... وإنَّ (مِنْـــــشَارَهُ) سَـــــيَقْطَعْ
لكنـــــه خيـــــبَ الأمـــــاني ... فكـــان أدهـــي ، وكـــان أفظـــعْ
وَزَادَ طِـــينَ الفَـــــسادِ بَـــلَّا ... والخَـــرْقُ مِـــن عَجْـــزِهِ تَوَسَّـــعْ
يُقْـــضَي بِـــلا أمْـــرِهِ ويُمْـــضَي ... وأَنْفُـــهُ فِي الرَّغَـــامِ أَجْـــدَعْ
ومـــن يكـــنْ مثلُـــه عَبيطـــا ... فبالعـــصا كالعبيـــدِ يُقْمـــعْ
بَلاهـــةُ الأغبيـــــاءِ تَبـــدو ... في وجهِـــهِ الكـــالحِ المقنـــعْ
ألمْ يُـــضِفْ جَـــدُّهُ قِطَـــارًا ... ليَحْتَـــسِي شَـــايَهُ المُنَعْنَـــعْ

***

وقِيـــلَ : مَـــدُّوا لَـــه فَقُلْنـــا : ... إنْ طـــالَ حَبْـــلُ البَعـــيرِ بَرْطَـــعْ
مُـــزورٌ لا يُحِـــقُّ حقًّـــا ... ولا لـــصوتِ الـــضَّميرِ يَـــسْمَعْ
كـــم بَيَّـــتَ الكيـــدَ في ظَـــلامٍ ... ومـــا رعـــى اللهَ أو تـــورَّعْ

زِيـــرُ النِّـــساءِ الـــذي تَـــراهُ   إنْ شَـــمَّ ريـــحَ النِّـــساءِ هَبَّـــعْ

وغـــاب عـــن وعيـــه صريعًـــا   كـــذاك ضـــاري الـــسُّعارِ يَـــصْرَعْ

ولـــيس منـــه يفيـــقُ حتـــى   يبـــصُق في وجهـــه و يـــصفعْ

* * *

سُـــبْحانَ مَـــنْ مُلْكُـــهُ فَـــسيحٌ   وفِيـــهِ هَـــذَاْ البَعِـــيْرُ يَرْتَـــعْ

وقائـــل : كـــم لـــه عظـــاتٌ   تـــصكُّ أســـماعَنا وتقـــرعْ

وقَائـــلٍ : مستـــشارُ بنـــكٍ   وقَائـــلٍ : عُـــضو كـــلِّ مَجْمـــعْ

تـــساءَلوا : هَـــلْ تَـــرَاه حَقًّـــا   يَـــدعو إلى الله أم لمطمـــعْ ؟

فقلـــتُ : بـــل يرتـــدي قناعًـــا   يُخفـــي بـــه حرصَـــه ويَخْـــدَعْ

أمَـــا تَـــرَاهُ بِكُـــلِّ وَادٍ   يَهـــيمُ مُـــسْتَجْديًا ويُهْـــرَعْ ؟

كُنـــوزُ قَـــارونَ في يَدَيـــهِ   ولَـــيس يَـــرْضَى ولـــيس يَـــشْبعْ

فاعجـــبْ لـــه داعيًـــا لزُهْـــدٍ   ومـــا دعـــا نفـــسَهُ لتقنَـــعْ

* * *

وشـــيخةُ الجامعـــاتِ تبكـــي   حزنـــا عـــلى مجـــدِها المـــضيَّعْ

وكيـــفَ يُرجَـــي لَـــه صَـــلاحٌ   وبَـــابُ نَجَّارِهـــا "مخلَّـــعْ" ؟

* * *

١٢١- المجنون[1]

أزْرَى بمجمعِنا الشريفْ مجنونُه (عبدُ اللطيفْ)[2]
البلطجيُّ الأحمقُ المتشنجُّ الفظُّ العنيفْ
العُضْبَجيُّ الخُطُّ هتافُ المواكبِ والرصيفْ
يتطايرُ الإجرامُ من عينيهِ كالشررِ الكثيفْ
وينمُّ عن إجرامِه وجهٌ له جَهْمٌ كَسِيفْ
حبُّ التَّسَلُّطِ عندَه مرضٌ يؤرِّقُهُ مُخيفْ
ونزوعُهُ الشلليُّ داءٌ في جِبلَّتِهِ سَخِيفْ
هَلْ يَسْتَعينُ بشلةٍ إلا المُعقَّدُ والضعيفْ ؟
تَحكي عصابتُهُ النعاجَ وقد أحاطتْ بالخروفْ
يتسابقونَ لنَعْلِهِ فيمرِّغُونَ به الأنُوفْ
ويسارِعُونَ بحمدِه رقصًا على قرعِ الدفُوفْ
قُمْ يا أبا شَادوفَ أنْشدنا على (هزِّ القُحُوفْ)
وأشِدْ بمبعوثِ العنايةِ صاحبِ المددِ الشريفْ !
قُطبِ الزمانِ وسرِّ أسرارِ الطلاسِمِ والحروفْ !

---

(١) في ديوان ١٩٨٤م كانت بعنوان «مجنون الأزهر».

(٢) ما بين القوسين كان نقط في ١٩٨٤م.

هُوَ آيةُ اللهِ الإمامُ وعصمةُ الدينِ الحنيفْ !
وزعيمُ كلِّ المصلحين من التليدِ إلى الطريفْ !
من كان مرتقبَ العُصورِ وحُلْمِ آلافِ الألوفْ !
حتى أتاحَ ظهورَهُ في عصرنا قدرٌ رؤفْ .. !
لولاهُ ضلَّ الأزهرُ المعمورُ في حلكِ الكُهُوفْ !
فعليهِ من أسوانَ يسطعُ نورُه حتى مُنُوفْ !
مَلَكَ الجُنونَ وتاجَهُ وممالكُ الدنيا صُنوفْ !
يبني الخيالُ له قصورًا من تهاويلِ الطيوفْ !
فالكون في عينيهِ آشباحٌ بكعبتِهِ تطوفْ !
والناسُ أقزامٌ على أعتابِ سُدَّتِه وقُوفْ !
ونوابغُ الحكماءِ في محرابِ حِكمتِهِ عُكُوفْ!
وطوابقُ السبعِ العُلا بإطارِ مكتبهِ رُفُوفْ!
وبأمرِهِ يَعْرُو الكُسُوفُ الشمسَ ، والقَمرَ الخُسوفْ
والرزْقُ بين يَديْهِ يُجريه على حسبِ الظروفْ
لِلَّاعِقِينَ حِذاءَهُ لا لِلأَبيِّ أو العَفيفْ
قلْ للمدلِّ مُفاخِرا بالعلمِ والعقلِ الحَصِيفْ

الجهـــــلُ – ويحـــــكَ – والجنــــونُ وســــيلتا المجـــدِ المُنيـــفْ

قـــــذفا بـــــذياكَ (الجهـــــولِ) إلي مقدمـــــةِ الـــــصفوفْ

ورمَـــى بـــه الفُـــصحى زمـــانٌ غـــالَ مغناهـــا مَـــؤُوفْ (١)

عـــصفتْ عمادتُـــهُ بـــروضِ بيانِهـــا الغـــضِّ الوريـــفْ

٣- وأطـــارَ شـــاديَ أيكِهـــا عـــن عُـــشه الحـــاني العطـــوف

باتـــتْ مغانيهـــا خـــلاءً لا أنـــيسَ ولا أليـــفْ

قـــد ظلَّلتْهـــا وجمـــةٌ خرســـاءُ تنـــذِرُ بـــالحُتُوفْ

وتنـــاثرتْ أعلامُهـــا بـــددًا كـــأوراقِ الخريـــفْ

عـــرِّجْ عـــلى أطلالِهـــا إنْ كـــان يُجـــديكَ الوقـــوفْ

٤- تَـــرَ كيـــفَ صـــارتْ للعيـــونِ قـــذىً ، ونتنـــا للأُنـــوفْ

وكأنَّـــه فيهـــا غـــرابُ الـــشؤمِ ينعـــقُ في كنيـــفْ

فـــإذا اصـــطبحتَ بـــه فقُـــلْ (ســـبعينَ) : لطفـــكَ يـــا لطيـــفْ

أي امـــرئٍ لم يـــستجرْ بـــالله مـــن (عبـــدِ اللطيـــفْ)

---

(١) المؤوف : المصاب نفسه.

١٢٢- بائعُ الكرشَةِ

أبصرتُ بائعَ (كِرشةِ)[١]   في السوقِ يومَ الجمعةِ
غَالي فضاعفَ سِعرَها   عن جدولِ التسعيرَةِ
ومضى يشيدُ بحُسنِها   ويعدُّ كلَّ مزيَّةِ
ويقولُ: يا حسناءُ يا أحْلى بناتِ الحِتَّةِ
واشْتطَّ في تصغيرِها   مِنْ (كِرْشة) لـ(كُريشةِ)
مَعْ أنها قَدْ جاوزتْ   سِنَّ العجوزِ الحُطْمَةِ
والروْثُ فيها يزكمُ الآنافَ مثلَ الرمَّةِ
جاءتْهُ من بولاقَ ستُّ الدارِ أمُّ نعيمةِ
لما رأتْ سعرَ الـ(كُريشةِ) ولولتْ: يادَهوتي
وتفنَّنَتْ في الردَّحِ وهي أصيلةٌ في الصَّنعَةِ
وتقولُ كيفَ تبيعُها   بدلَ الجنيهِ بخمسةِ
وأتتْ بشرطيٍّ فأسلمَهُ لقسمِ الشرطةِ
سألوهُ: أنتَ أبو (كُرَيْشَةَ)؟ قالَ: ليستْ بابنتي
قد كانَ والدُها يبيعُ (السقطَ) في السبتيةِ
لما خلا (المعمورُ) من جيلِ الثقاةِ الصفوةِ

---

(١) كل ما بين الأقواس في القصيدة كان (...) في ١٩٨٤م، وأخذتها من الشاعر مشافهة في ١٩٩٣م عندما خشي أن يضعها.

وتحولتْ كليةُ (الفُصحَى) إلى سلخانةِ
وخَلا المجالُ لكي تعيثَ به ذئابُ الشِّلَّةِ
ورأوه في أذنابِهم رَهنًا لكل إشارةِ
جعلوه فورا قائما بعمادةِ الكليَّةِ
فأنا على ابنتِهِ مجردُ حارسٍ بالأُجْرةِ
لَمَّا اطمأنُّوا أفرجُوا عنه بغيرِ كفالةِ
ومَضَى لحالِ سبيلِهِ بعدَ اللتيَّا والتي
وأبو (كُريشةَ) أوقعوه وحدَهُ في التهمةِ

***

لكنَّ تُهمتَهُ بـ (تزويرٍ) شهادةُ خِبرةِ
فالجُرمُ عنوانُ الكفايةِ في زمانِ الخِسَّةِ
والجهلُ مقياسُ الجدارةِ بالعُلا والرفعةِ

***

وكذاكَ صارَ أبو (كُرَيشةَ) وارثًا للعُصْبَةِ
يَنهَي ويأمرُ باسمِها مستسلِمًا كالدُّمْيةِ
عَبدٌ ينفذُ أمر سيدِهِ بدونِ تَلَفُّتِ
ذيلٌ لكلِّ مُدَلِّسٍ في الحقِّ دونَ تثبُّتِ
متقبضٌ جَهمُ المحيَّا مُكْفَهِرُّ السحنَةِ

سمجٌ ثقيلُ الظلِّ مغرورٌ خبيثُ البسمةِ
متكلفٌ سمتَ الوقارِ ومظهرَ المتزمِّتِ
أو ليسَ يعلمُ أن حبَّ الناسِ أكبرُ ثروةِ ؟

٣- والمرءُ ليس ينالُهُ بتشدُّدٍ وتعنُّتِ
لكنَّهُ التقليدُ، أو مرضُ الشعورِ بعُقْدَةِ
لا يعرفُ الإيمانَ إمَّعةٌ بلا شخصيةِ
أوْ مَنْ يبيعُ ضميرَهُ زُهدا بأبخسِ قِيمَةِ
أوْ مَنْ يجامِلُ ظَالما لينالَ أدْني رُتْبَةِ

٤- ما قيمةُ الإنسانِ لَوْ يحيا بلا حُرِّيَةِ
تبًا لطالبِ مَنْصبٍ يَسْعَى إليهِ بِذِلَّةِ
لا كنتَ يا زمنَ الخَنا وعليكَ ألفا لعنةِ
ملكَ الصعاليكُ الأمورَ وتلكَ أعظمُ محنةِ

***

١٢٣ - رثاءُ الكَلْبِ (فَرْهُود)

عثر الشاعر (......) على كلب مهزول ضال ، تطارده الكلاب ، ويذاد عن الأبواب، فآواه ورعاه ، وأطلق عليه اسم (فرهود) وظل يعتني به حتى سمن واكتنز ، وصار رئيسا للكلاب ، ولكنه تنكر للشاعر . وطغى على الكلاب وبغى ، واستأثر بالنهب والسلب ودفعه الجشعُ إلى التسلل في جنح الظلام إلى خروفٍ أعدَّه الشاعرُ للعيد فأتى عليه حتى قضى نَحبه ، وأسلمَه الظلامُ الذي استهانَ به إلى الظلام الأبدي : فرثاه الشاعر بهذه القصيدة التي تجمع بين الرثاء له والشماتة فيه .

واحرَّ قلباهُ ، ماتَ الكلبُ فَرْهودُ ... أبلغْ كلابَ الحِمى واندُبهُ يا عيدُ

هل كنتَ مِنه على وعْدٍ فأنجزَهُ ... وقلما صدقتْ منهُ المواعيدُ ؟

آويتُهُ مُستضامًا نِضوَ مخمصةٍ ... يذادُ عن كلِّ بيتٍ وهْوَ مَطرودُ

وكنتُ أحميهِ من بَطشِ الكلابِ وقدْ ... أعْيَاه عن دفعِها جوعٌ وتَشريدُ

إلي أن اشْتدَّ بعد الضعفِ ساعِدُهُ ... وصارَ كالدبِّ يعدو وهْوَ عِربيدُ

(جَضْعٌ) قصيرٌ حَكي البرميلَ دَحْرجَةً ... إذا مَشى ، وإذا أقْعَى فَطُرْبيدُ

وراح يحرسُ أغنامي وماشِيتي ... فليسَ يقربُها لصٌّ ولا سِيْدُ

يُجْبَى حصادُ الوسايا في الفروعِ له ... فَرضًا وزُلْفَى، فَمَحمُولٌ ومنْقُودُ[1]

ألبَسْتُه جُبةً من فوقِها نَهضَتْ ... عمامَةٌ طيُّهَا آثامُهُ السودُ

أخْفَتْ قماءَتَهُ مِنْ طُولِها فغَدَا ... في الحيِّ وهْوَ من الأشياخِ مَعْدُودُ

(لزومُ شُغْلٍ) لكي يحظَى بِهيمنَةٍ ... علي الكلابِ كَما تقضِي التقاليدُ

---

(١) الأبيات الأربعة بداية من هذا البيت كانت محذوفة في نسخة ١٩٩٣م.

حتَّى وجدتُ به غَدرًا شقيتُ به ... بـرغمِ أن وفـاءَ الكلـبِ معهـودُ

لكنَّنِي والوفاءُ الحقُّ من شِيَمِي ... أبكيـهِ مـا نـاحَ فـوقَ الأيْـكِ غِرِّيـدُ

أَوْدَى بـه الجشعُ المنهومُ ، وَالهَفِي ... عليـهِ وهـو طـريحُ الأرضِ ممـدودُ

كم ظل يَبشَمُ مِنْ نَهْبِ اللُّحُومِ إلى ... أنْ باتَ وهْوَ بِبَطْنِ الأَرْضِ مَلْحُودُ

***

ما كان أغناكَ يا فرْهودُ عن جَشعٍ ... فكـمْ عليـكَ تَـوالي مِنِّـيَ الجـودُ

لمـا غـدوتَ رئيسًا للكـلابِ وقـدْ ... صـارتْ إليـكَ بـما تَهـوى المَقَاليـدُ

أخذتَ تَنهبُ حتى صرتَ مُكتَنِزًا ... وهُـمْ خِمَـاصٌ مَهازيـلٌ مَعاميـدُ

غلُظْتَ جِسما ورأسا واكتَنَزْتَ قَفًا ... كأنَّـكَ الفيـلُ لا عُـودٌ ولا جِيـدُ

ورُحـتَ تنكـرني تِيهًـا وغَطْرسَـةً ... وبـاتَ عنـدكَ فَضْلي وهْـوَ مَجْحُـودُ

كـذاكَ مـن خَبُثَـتْ عِرْقـا فَـصِيلتُهُ ... وبـينَ أحـضَانها شَـبَّ الفراهِيـدُ

فاسلخ علي كل فرهودٍ ظَفِرْتَ به ... إن الفراهِيـدَ أنجـاسٌ مناكِيـدُ(١)

لمـا تـسلَّلْتَ في جـوفِ الـدجى نَهِمًا ... وأنتَ لـصٌّ شـديدُ الحرصِ رِعْدِيدُ

قـضى عليـكَ ظـلامٌ قـد مكـرتَ بـه ... مُهـدِّدا حيـثُ لم ينفعـكَ تَهديـدُ

وهَلْ ينـالُ نُباحُ الكلـبِ مـن أسدٍ ... يصولُ وهو قويُّ البَطْشِ صِنْديدُ ؟

أصبحتَ أضحوكةً يلهو النديُّ بها ... ويـسمُرُ الـشيبُ والـشبَّانُ والغِيـدُ

وصرتَ أحدوثـةً صـحَّتْ روايتُهـا ... عـن الثِّقـاتِ ، وقوتَّهـا الأسَـانيدُ

---

(١) هذا البيت محذوف من مراجعة ١٩٩٣م.

فـضيحةٌ هـزَّتِ الـدنيا تبـوءُ بهـا … ورجـعُ أصـداِئها لَعـنٌ وتنديـدُ
مُهلِّـبٌ وانتهـازِيٌّ ومُختـلِسٌ … ومُـسْتَغِلٌّ وخَـدَّاعٌ ونَمْـرُودُ
مَـسَاوِئٌ مـا لهـا حَـصْرٌ ولا عَـددٌ … ولا يحـيطُ بهـا وصـفٌ وتحدِيـدُ
قـد أخرسَتْكَ فلـمْ تنطـقْ بِبنتِ فِـمٍ … وللمخـازِي فَـمٌ بـالعِيِّ معقـودُ
كم لطمةٍ فوقَ خديكَ انسجمتَ بها … كأنَّهـا مَقْطَـعٌ غَنَّـاهُ دَاوُدُ
وفـوقَ رأسِـكَ تَنْهَـالُ النِّعَـالُ وقـدْ … شَـجَاكَ مِنْهـا الأغـاني والأغاريـدُ
وفي قفـاكَ يـرنُّ الـصفعُ تَـسْمَعُهُ … لحنـا يوقِّعُـه الجيتَـارُ والعـودُ
أمـا تحسُّ ؟ ألا ينـدَي جبينُـك مِـنْ … عارٍ؟ أما تستَحِي؟ أم أنتَ جلمُودُ؟
إن كنتَ بالنَّهبِ قدْ شَيَّدتَ ناطِحةً … فإنهـا لـك قـبرٌ يـا (فُريهيـدُ)

١٢٤ - طردُ العميد

مَـنْ لـيسَ يَـصْلُحُ أنْ يكُـونَ مُعِيـداً قَـدْ بـاتَ يحلُـمُ أنْ يكـونَ عَميـدًا!
فاعْجَـبْ لِـذَيْلٍ خَـانعٍ مُتبَلِّـدٍ عـيٍّ يـرومُ إلي الـسَماءِ صُـعُودَا
دع عنك يا صبحُ المناصبَ والتمسْ منـأيً بجهلـك للثـراءِ بعيـدا
واسـتر غبـاءَك بادِّعـاءِ العلـمِ كـي تغنـي فكـم أغنـي الغبـاءُ بليـدا
إنَّ العـمادةَ لم تكُـنْ أُلْعُوبَـةً كَـي تَعْـتلي كُرْسِـيَّهَا وتَـسُوداْ
حُلْـمٌ صَـحَوْتَ عَـلَى الحَقِيقـةِ بَعْـدَهُ فَوجَـدْتَ نَفْـسَكَ فَجْـأَةً مَطْـرُوْدَاْ
مَـنْ أنْـتَ حَتـى تَـسْتطيلَ عَـلى سَعْدِ الظَّلامِ –الفَارسَ الصِنْديدَا
إنْ كُنـتَ بـالفَرهودِ لُـذْتَ مُـؤَمِّلًا فَلَقَـدْ أذَلَّ بِبَأْسِـهِ الفَرْهُـودَا
كَـمْ نَـالَ مِـنْ سَـعْدٍ وأقْـصَاهُ بِـلا ذَنْـبٍ وأنْكَـرَ فَـضْلَهُ المَـشْهُودَاْ
والشمسُ تشهدُ أن سعدًا خيرَ من طلعـتْ عليـه شـجاعةً وصُـمودَا
الجامعـاتُ حـسدنَ جامعـةَ الهـدى فيـه فبـاتَ لمجـدِه محـسودا
سـيردُّ للمعمـورِ سـالفَ عـزِّه ويعيـدُ مجـدًا للحنيـفِ تليـدا
هـو سـيِّدُ العُمَـدَاءِ والعُلَـماءِ مَـنْ يـستأْهِلُ التَّعْظِـيمَ والتَّمْجِيـدَا

قَدْ أَلْعقَ الفَرْهُودَ نَعْلَ حِذَائِهِ ... وأَذَاقَهُ كَأْسَ الهَوَانِ صَدِيْدَاْ
مازَالَ يَفْضَحُ سِرَّهُ حَتَّي أَتي ... مُتَعَثِّرا في ذُلِّهِ مَكْدُودَا
مُتَوسِّلًا مُسْتَرْحِمًا مُسْتَعْطِفًا ... يَرجُو ويَأمُلُ أَنْ يَراهُ وَدُوْدَا
حتى عفا سعدٌ وسعدٌ لم يزلْ ... بالصفحِ عن أعدائه معهودا

***

قُمْ وانْتحِرْ يا صُبح أو فَالْطُم على ... خَديك وانْدب حَظَّك المَنْكُودَا
أَوَ مَا تُحسُّ ؟ أمَا خَجِلْتَ أمَا تَرَى؟ ... أم قَدْ خُلِقْتَ مُصَبَّرًا جُلْمُودا؟
أَوَكُلَّمَا أَبْصَرْتَ بَرْقًا خَادِعًا ... أَمَّلْتَ فِيه مَنْصِبًا مَنْشُودَا؟
أَيْنَ الخَفَاجِيُّ المُهَرِّجُ لاهثاً ... يُغْرِي بِوَعْدٍ أَوْ يَصُولُ وعِيْدَا؟!
أَين ابن جادٍ صاحبِ الغثِّ الذي ... سماه شعراً أو دعاه قصيدا؟![1]
أَعْمي يقودُكُمو فيا لكِ شِلَّةً ... خَابت وسَاءتْ قَائدا ومَقُودَا!!!
صرتُم هباءًا حين صاحَ بجمعكم ... سعدٌ وبدَّد شملكُم تبديدا!!!
مادونَ يومٍ عاد فيه مظفراً ... يومٌ تسميه العمادةُ عيدا !!!

(١) ذكر نفسه في القصيدة للتمويه حتى لا تنسب إليه مع أن الأزهريين كانوا يميزون أسلوبه وشعره. وقد حذف البيت من مراجعة ١٩٩٣م.

١٢٥ عودة العميد

سَـــجَّلتَ للتـــاريخِ خـــيرَ كتـــابِ ... ودخلتَـــه مـــن أوســـعِ الأبـــوابِ
يكفيكَ أنـك حين يعتكُـر الـدجى ... سـعدُ الظـلامِ وشـمسُ كـلِّ ضبابِ
يـــا أشـــجعَ الـــشجعانِ في أيامنـــا ... يهنيـــكَ نـــصرُ المـــنْعِمِ الوهَّـــابِ
أقـــسمتُ أن الأزهـــرَ المعمـــورَ لم ... ينجبْ سواكَ على مدى الأحقابِ!
أيقظـتَ جامعـةَ الهُدي مـن نَومِهـا ... وفـضَحْتَ سِرَّ لـصوصِها الأوْشَـابِ
لـو أنـصفوا جعلُـوكَ أنـتَ رئيـسها ... بـــدلا مـــن الأوغـــادِ والأذنـــابِ!
فلقـد وهبــتَ لهـا حياتَـك راضـيا ... لا للمناصـــبِ أو هـــوىَ الألقـــابِ!
مـا زِلـتَ بـالفَرْهُودِ تَكْـشِفُ زَيْفَـهُ ... حَتَّـــي أتَـــاكَ مُقَبِّـــلَ الأعْتـــابِ
كـم ظَـلَّ يَنْعِـقُ كَاذِبـاً ومُهَـدِّدًا ... أيَخَـافُ مِثلـك مِـنْ نَعيـقِ غُـرابِ؟!
ألقمتـــه نعـــلاً فعـــيّ لـــسانُه ... خزيـــاً ولم ينطـــقْ بـــأيِّ جـــوابِ
هـل جـاوزَ الفَرْهُـودُ قَـدْرَ ذبابـةٍ ... ظنَّـــت بـــأذُن غـــضنفرٍ وثّـــابِ؟!
أغْراهُ (صُبحٌ) كالسَّرابِ ومَنْ يكنْ ... ظَمـآنَ يلهـثُ خَلـفَ كُـل سَرابِ
طَـهَ بْـنُ عَبـدالبرِّ ينْهَـقُ جَامِحـاً ... جَمْـحَ الحَـصَاوِي في فَـسِيحِ يَبَـاب
والجاهلُ الأعمى ابن جادٍ(1) يمتري ... وخفاجـــةٌ يهـــذي بغـــير صَـــوابِ
صـــاروا بغاثـــاً إذ رأوك عليهمـــو ... تـنقضُّ يـا سـعد انْقِـضَاضَ عُقَـابِ

---

(١) ذكر نفسه هنا ليتخلص من نسبة القصيدة له لكن هيهات.

لله درك مـــن تقـــيٍّ زاهـــدٍ　　　ورع منيـــب ناســـكٍ أوابِ!!

الـصِّدْقُ فِيـكَ سَـجِيَّةٌ وتَخَلُّـقٌ　　　مَـا كُنْـتَ يَومـاً بِـالفَتَي الكَـذَّابِ!!

والحـقُّ عنـدك لا يـشابُ بباطـلٍ　　　أو زيـفِ زورٍ أو هـويً غـلابِ!!

أمـا الوفـاءُ فأنـتَ واحـدُه الـذي　　　مـا عـقَّ يومـاً أو ألمَّ بعـابِ!!

لَولا انْقِطَاعُ الـوَحْيِ خِلْتُكَ مُرْسَلاً　　　يُـوْحَي إِلَيـكَ بِـشِرْعَةٍ وكِتَـابِ!!

لكـنْ بحسبكَ أن تُعَـدَّ مـع الأُولى　　　سَبَقوا مـن الخُلفَـاءِ والأصْحَابِ!!

***

الـشِّعْرُ أنْـتَ أمِـيرُهُ بِجـدارةٍ　　　وبِـرغمِ كـلِّ مكـابرٍ مُرتـابِ!!

أخْملـتَ شـوقي البيـانِ حافظـاً　　　وأوائـلَ الـشُّعَراءِ والكتـابِ!!

إن حلَّقـوا بخيـالهم فـوقَ الثـرى　　　كُنتَ المحلِّق فوقَ كلِّ سحابِ!!

***

تِلـك المَـآثِرُ لَـيْس يَفْهـم سِرّهـا　　　أو قَـدْرَها إلا أُولُـو الألبـابِ!!

١٢٦ - على هامش العودة

خابتْ ظنونَك يا ابن جادْ[1] سعدُ الظَّلامِ اليومَ عادْ

أرأيتَ كيفَ تكونُ عاقِبةُ التَّجَنِّي والعِنادْ؟

الحقُّ مَهما نَال مِنه المُرجِفُونَ إلي مَعادْ

أعماكَ جَهْلُكَ حينَ (للفرهودِ)أسْلمتَ القيادْ

وَهْوَ الذِي شَاعَتْ مَخازِيهِ وَطَبَّقَتْ البِلادْ

والعَارُ لَطَّخَ وجْهَهُ حَتَّى تَجَلَّلَ بالسَّوادْ

لكنه رَاضٍ قَريرُ العَينِ مُرتَاحُ الفُؤادْ

مُتَبَجِّحٌ لا يَستَحِي إلا إذَا اسْتَحْيَا الجَمَادْ

وعلام يخجلُ أو يورِّقه من العارِ السهادْ

وهْوَ الذِي بالنَّهْبِ والتَّهْلِيبِ قَد بلغَ المُرادْ

يكفيه صيدُ (أرانبٍ)[2] أثري بها وبني وشادْ

وليَنْفَلِقْ مَنْ رَاح يَسْلُقُه بِألْسنةٍ حِدادْ

باللهِ كيفَ وصمتَ بالتزوير (سعدًا) يا ابن جَادْ؟!

أتدينُ أشرفَ من تُقلُّ الأرضُ من كلِّ العِبادْ؟!

---

(١) هنا أيضا ذكر اسمها حتى ينفي عن نفسه تهمة القصيدة عندما انتشرت في الأزهر وعدَّلها في ١٩٩٣م إلى (يا عماد) ولكن أبقيتُها لفهم القصة.

(٢) الأرنب: المليون جنيه.

وهْـــوَ الـــذي فَـــضحَ اللـــصُوصَ ودَكَّ أركـــانَ الفـــسادْ
عنـــوانُ أزْهرنـــا ورَمـــزُ فَخـــارِهُ في كـــلِّ وادْ
الغَـــيْرَةُ الحَمْقَـــاءُ أعْمَـــتْ نَاظرَيـــكَ عَـــنِ الرَّشـــادْ
أتطـــاوِلُ الجَبَـــلَ الأشَـــمَّ وأنْـــتَ أحْقـــرُ مِـــن قُـــرادْ؟!
أقْـــصِرْ فَـــدُونك والـــسُّمُوِّ لمجـــدِهِ خَـــرطُ القتـــادْ
مَاأنْـــتَ إلا دِمْنَـــةَ المَـــاضِي الـــذِي ولَّى وبَـــادْ
مَـــاضٍ تَعَفَّـــنَ واسْـــتَحَالَ إلي رَمـــادْ
أمثالُـــك الزَّمْنَـــي أحَـــقُّ بـــأنْ يُبـــاعوا في المَـــزادْ
دع عنـــك سـعداً والـــتمسْ قـــبراً يـــضمك يـــا ابـــن جـــادْ

على هامش العودة

١٢٧ - أبو نسب

حَسِبْتَ الشِّعْرَ جَعْجَعَةً ودَشَّا　　فَرُحتَ تَصوغُهُ صَخراً ودِبْشَا
جلاميدٌ من الألفاظِ مَوتى　　صنعتَ لها من الألفاظِ نعشَا
وما أعيَتكَ في نَحْتٍ وحَمْلٍ　　فأنتَ الفَذُّ حَفَّارًا و(وِنْشا)
كَفَي يا حَاطِبَ اللَّيلِ انْتِهَازاً　　وتَهْرِيجاً وتَدْلِيساً وغِشَّا
كَشَفْتُكَ حِينَ رُحْتَ تَسَبُّ سَعْدًا　　وأَنْتَ تَفِشُّ غِلَّك فِيه فَشَّا
وكنت تظن سرَّكَ ليس يُفشي　　وها هو سرُّكَ المفضوحُ يفشَى
ولكِنِّي عَذَرْتُكَ في حُقُوقٍ　　عَلَيْكَ لمَن غَدَاْ بِالنَّهْبِ طِحْشَا
سَتَغْنَمُ مِن غَنَائِمِهِ فإنْ لم　　تَنَلْ مِنهَا بَعِيراً نِلتَ كَبْشَا
وتكْسِبُ من أرانِبِهِ فإنْ لم　　تُحصِّل أسْتِكاً حَصَّلتَ قِرْشَا
أبا الأنْسابِ دَعْ للشِّعرِ سَعْدًا　　فَشِعْرُك صَيَّرَ الأسماعَ طُرْشَا
فَفِي مَيدانِه سَعدٌ جَوادٌ　　وفي الميدانِ ما جَاوزْتَ جَحْشَا
يصوغُ الشِّعرَ تفاحاً ووردًا　　وأنتَ تَصوغُه بَصَلاً ومِشَّا

ويُغْنِيــهِ الــشَّذَا عَــن قَطْــفِ وَرْدٍ وأنــتَ تحــشُّ وردَ الــرَّوْضِ حَــشًّا
ويعـــشقُ حـــين يعـــشقُ ذاتَ دلٍ وأنـت إذا عـشقتَ عـشقتَ وحْـشَا
وشِـــعرُكَ مُوجِـــبٌ للغُـــسْلِ مِنــهُ فَــلا تَــأْثَمْ بِــه إثــماً وفُحْــشَا
فــإنْ قَارفْتَــه وأبَيْــتَ نُــصْحِي فَخُـذْ – بَعْـدَ انتهائِـكَ مِنُـه – دُشَّـا

١٢٨ - العبيدُ

أما سَئمتمْ طولَ هـذا السُّجودْ؟ ... قومـوا فقـد ولَّى زمـانُ العبيـدْ
أرى فـلا أبـصرُ فـيكمْ سِـوى ... عمائـمًا فـوق رؤوسِ القـرودْ
نمتُم عـلى الهُونِ ومـن حـولكم ... قـد قامـتْ الـدنيا وأنْـتُم قُعُـودْ
واسـتعلنَ الفجـرُ فلـم تنهـضوا ... ولم تفيقـوا مـن نفـاقِ الـسجودْ
أنـشودةُ الـذلِّ بـأفواهِكِمْ ... حَلَـتْ فلـم تُـصْغُوا لِحُـرِّ النـشيدْ
ورنـةُ الـصَّفْعِ بأقفـائكم ... أشْـجى رنينًـا مـن تَـرَانيمِ عـودْ
مـن ثـورةِ الأحـرارِ فى أرْضِـكُم ... اهتـزتْ الـدُّنْيا وسـادَ الوجـودْ
فُكُّـوا مِـنْ الأعْنَـاقِ أغلَالهِـا ... وحطِّمُـوا الغُّـلَّ ودوسُـوا القيـودْ
أيـن اعتـزازٌ كـان أسـلافُكم ... بـه ملوكًـا للملـوكِ الأسـودْ
صـانوا جـلالَ العلـم لم يُغـرِهم ... وعْـدٌ ولم يخـشوا أذىً مـن وعيـدْ
مـضوا كرامًـا واسـتكنتُم فـما ... قـام لكـم رأس ولا طـال جيـدْ

١٢٩ - الأحمقُ الحقودُ

وأحمـقَ مغـرورٍ يتيـهُ بمالِـه ... ويـسْعِفُهُ فى الجهْـلِ حَـظٌّ مُحَـالِفُ
يـرى لـذةَ النُّعْمـى بحِرْمـانِ غـيرِه ... ويؤذيـه غيـثٌ يغمـرُ النـاسَ واكِـفُ
إذا نـالَ خـيرًا راحَ يـسأل مُلْحِفـا ... أأدركَ غـيرى مثلَـه ؟ وهـو لاهِـفُ
ينغِّـصه حـقٌّ يـصادفُ أهلَـه ... ويـشغله ـ ممـا يـودُّ ـ المخَـاوفُ
أصونُ جلالَ الشعرِ عن لؤمِ حقدِهِ ... ومـا أنـا ذو عـيٍّ ، ولا أنـا خـائِفُ

ولكنني أبصرته فوجدته هباءً ، وهل تُشجِى الهباءَ المعازفُ؟
إذا قُلتُه مدحًا فما هو فاهمٌ وإن قلتُه ذمًّا فما هو عارفُ
وهبتُ لحظِّ الجاهلينَ غرورَه وقد يصرفُ الإنسانَ للصمتِ صارِفُ
٩- وآمنتُ بالأرزاقِ تخطيءُ ذا الحِجَى فَيُرزَقُ معلوفٌ ويُحْرَمُ عالفُ

١٣٠ - هجاء للثواب

١- هجوتُكَ لا أحاولُ حصرَ عيبٍ فقد جاوزتَ رَمَلَ الأرضِ عابَاْ
وما بِى فى هجائِك من غَرامٍ ولكنِّى رجوتُ به الثوابَاْ
وبَعْضُ الهَجْوِ تسبيحٌ وإلا ذَمَمْنا فى الشَّياطِين السِّبابَاْ

١٣١ - صريع الغرور

١- عُدْ كما كُنتَ ياصريعَ الغرورِ وأفقْ من خيالكَ المخمُورِ
ذهبت غفلةُ الزمانِ وولتْ نشوةُ الجاهِ يابليدَ الشُّعورِ
فَاجْلُ من عينكَ الغِشاوةَ وانظرْ ما يلاقيكَ من هوانِ المصيرِ
ياطريدَ الأقدارِ مالَكَ مَنْجىً أو فِرارٌ من قبضةِ المقدورِ
٥- لا البطانَاتُ عنْك أغنَتْ و لا المالُ وقد سُقْتَه لِغَيرِ الفَقِيرِ
لفظتْك العيونُ لَفْظَ نواةٍ واستراحتْ من حِقْدِكَ المسعورِ
أرقَّت ليلَها مظالمُ (نيرونَ) فتاقت لهفى لصُبح مُنيرِ
فإذا بالأذانِ بَشَّر بالفجْرِ ودوَّى باليُمْنِ صوتُ البشيرِ
وتنادَى صرْعَى غرورِكَ بالشُّكْرِ وضجُّوا بالحمدِ والتَّكْبيرِ
١٠- فتجرعْ كأسَ النَّدامَةِ جَامًا فاض بالعلقمِ الكريهِ المريرِ

أيُّهـــذا المغـــرورُ كيـــف تناسيْـــتَ انتقـــامَ اللهِ العـــليِّ الكبـــيرِ ؟

لا تـــردُّ الـــسماءُ دعـــوةَ مظْـــلُومٍ وليـــستْ تنـــامُ عـــن مُـــستَجِيرِ

١٣٢ - لـــَـــوْحُ .....

لوحٌ من الجهلِ محسوبٌ علي الأدبِ ... قد أنصفوا حين سموه (.....)[1]

ومــاردٌ تخــدعُ الأبــصارَ قامتُــهُ ... وكم وراءَ خداعِ العينِ من كذبِ

شوامِخُ السرْوِ إذ طالت بلا ثمرٍ ... ما جاوزتْ قدرَ أعوادٍ من الحَطبِ

أعْيَى الغُرُورُ علي جَهْلٍ بَصِيرَتَهُ ... فَـما يُفَـرِّقُ بـين الفَحْـمِ والـذَّهَبِ

حتـى تخيـلَ أن الـشمسَ هامتَـه ... وأنّ نعليـهِ قـد قُـدَّا مـن الـشُّهُبِ

والأنجمَ الزهرَ من أنواره اقتبستْ ... فمزقـتْ كبـدَ الظلـماءِ والحُجُـبِ

وكـلَّ موعظـةٍ مـن هديـهِ انطلقـتْ ... فبـدَّدَتْ نزعـاتِ الـشكِّ والرِّيَـبَ

وأنـــه شـــاعرُ الـــدنيا بمفـــردهِ ... وأنـــه وحـــدَهُ صـــنَّاجةُ العـــربِ

قد ادعي كلَّ شيءٍ وهـو لـيس عـلى ... شيءٍ مـن العلـمِ أو حـظٍّ مـن الأدبِ

ويحـسبُ الفـنَّ ألفاظًـا مُنمَّقـةً ... والعلمَ ضربًا من الأسجاعِ والخُطَبِ

لـه عـلي كـل بـابٍ قـرعُ مُنْتَجِـعٍ ... يَسْتعذِبُ الذلَّ في الإلحاحِ والطلبِ

فاعجـبْ لذلَّتِـه في عُنْجِهيَّتِـه ... ومن جهالتِهِ ما شئتَ من عَجبِ

من شاءَ فهو أبو سفيانَ في صلفٍ ... ومـن يـشأْ فهـو في جهـلٍ أبـو لهـبِ

كـم يزدهيـهِ غُـرورا طـولُ قامتِـه ... ومـا دري أنـه لـوحٌ مـن الخـشبِ

---

(١) (أبو خشب) مكان النقط وهي من حفظي عن الشاعر ولكنه تركها هكذا.

١٣٣ - ابن نوح

عَجِبَ الناسُ حين قلتُ : أبوه ... قُطْبُ أهلِ التقي وبابُ الفتوحِ
عـرفَ الله مخلصًا فحباهُ ... بالفيوضَاتِ والشهودِ الروحي
ثم قالوا : وكيفَ يولدُ نقصٌ ... من كمالٍ وفاسدٌ من صحيحِ ؟
كيفَ بالله يُنجبُ الطهرُ رجْسًا ... ويجيءُ المقبولُ بالمقبوحِ ؟
إن (.......) عارٌ على الفصحى وجرثومةٌ لكل قبيحِ
سرطانٌ يدبُّ في مهجةِ الفصحى ... ويَفري قلبَ البيانِ الفصيحِ
قف تأملْ كليةَ الضّادِ تشهدْ ... أيَّ ثَكْلَى تَنوحُ فوق ضَريحِ
وَأَدَ العلمَ والكرامةَ والأخلاقَ والحبَّ في ثراها الفسيحِ
لا تراه إلا خَبيئًا بوكرٍ ... كوجارِ الرقطاءِ ذاتِ الفحيحِ
ينفثُ الغدرَ أو يُبيِّتُ كيدًا ... فاجرَ الدسِّ ، داعرَ التجريحِ
كَمْ يُعانِي قِسمُ (البلاغةِ) منه ... ويُقاسِي من جهلِهِ المفضوحِ
أسندوه لأحمقٍ أعجميٍّ ... مستبدِّ الهوى جهولٍ جموحِ
جمع الشرَّ كله في إهابٍ ... خادعُ السمتِ ماكرُ التسبيحِ
قرةُ العينِ عنده في أذى الناسِ ، وفي رؤيةِ الدمِ المسفوحِ
يكره الخيرَ العمى فكأيِّن ... من جريحٍ بغدرِه ، وذبيحِ
جسَّمَ اللهُ فيه صورةَ إبليسَ فجاءت نهايةً في الوضوحِ
فعليهِ بكل ذرَّةِ رملٍ ... وحصاةٍ ، في كل نسمةِ ريْحِ

لعـــــنةُ الله والملائـــــكِ والنـــــاسِ ومـــــوسى وأحمـــدٍ والمـــسيحِ

قلـتُ : يـا قـومُ كـان نـوحٌ نبيَّـا   ومَـعَ الكَـافِرِيْن كـانَ ابــنُ نــوحِ

١٣٤ - البهلوان

وبهلــوانٍ وضــيعٍ ســافلٍ دُونِ   قفـاهُ نهـبٌ لـصفعِ الـذلِّ والهُـوْنِ

قـد بـاعَ بَيْعَ البغايا عِرضـة ثَمنا   لكُنــتروِلٍ فمغبــونٌ بمغبــونِ

كليةُ الضاد أمسي فوقَ مسرحِهَا   نجــمًا يمثِّــلُ أدوارَ الثعــابينِ

يقـــوده أفعــــوانيٌّ يُدرِّبُــــه   كـما يقـادُ زمـامُ القـردِ (ميمـونِ)

بـادرْهُ بالركـلِ واقذفْـه بمحـبرَةٍ   واضربه بالنعـلِ واطعنه بسكينِ

واصفعهُ وابصقْ عليه ثم ألقِ لـه   بــدرهمٍ يلتقطْــه جــدُّ ممنــونِ

دراهـمُ الكنـترولِ المستميتِ بـه   تشفي الجراحَ وتأسـو كـلِّ مطعـونِ

وإنْ شَـكَا من صُـداعٍ في كرامتِـه   فالقِرْشُ يُغنيهِ عَنْ (رِيفو وأسكينِ)

لم أدْرِ من أيِّ شيءٍ صاغَ عُنْصرَه   من صوَّرَ الناسَ من ماءٍ ومن طينِ

كـــأنما نـــسلتُه في حماقتِـــه   من حمأةِ الشرِّ أصلابُ الشياطينِ

حربـاءُ كـلِ زمـانٍ في تلونِــه   فـما يقـيمُ عـلي عهـدٍ ولا ديــنِ

ولـيس تـؤمنُ في حـالٍ بوائقُــه   ولــيس جانبُــه يومــا بمــأمونِ

لما أصابَ الغني من بعدِ مسغبةٍ   أطغتــه ثروتُــه إطغَــاءَ قــارونِ

من شبَّ في خِسة لم يرتفعْ أبدًا ... ولــو تملَّــك آلافَ الملايــينِ

١٥ـ والنذلُ يبطره بعدَ الطوى شِبعُ ... فـلا يُطـاقُ للـؤمٍ فيـه مكنـونِ

المـال خبَّلـه حَتَّـى كَـأنَّ بـه ... مَـسًّا فأصـبحَ مختـلَّ المـوازينِ

وطيرَّ النصفَ من سمعٍ لـه وحجًا ... فصارَ نصفَ أصمٍ نصفَ مجنونِ

لو صُوِّرَت خِسَّةُ الدنيا مجسمة ... في الناس لم تكُ إلا في ابن بسيوني

١٣٥ - الذئب والشاة

١ـ قــالوا: بأســيوطَ شــادوا ... كليــــةً للبنـــــاتِ

وطَنْطَنُــــوا بالمَبــــانِي ... وطبَّلـــــوا للبُنـــــاةِ

لكـــــنهم عَمَّـــــدوها ... بأقـــــصرِ القامَـــــاتِ

وأســـندوها لـــــذئبٍ ... ضـــاري الـــسُّعارِ (فـــلاتي)

٥ـ وكيـــف يحمـــي حِماهـــا ... مراهـــقُ الـــشهواتِ؟!

نهَّـــابُ كـــلِّ متـــاحٍ ... نهَّـــازُ كـــلِّ مُـــواتِي

جاســـوسُ كـــلِّ وضـــيعٍ ... عـــلي الكـــرامِ الأبـــاةِ

مخـــــــادعٌ في ودادٍ ... متـــاجرٌ بالـــصِّلاتِ

يَبِيـــعُ حُـــرَّ ضَـــميرٍ ... بَخْـــسًا بـــأدْني الفُتـــاتِ

١٠ـ ويـــشتري بقُـــريش (١) ... مـــا شـــاء مـــن أُمنيـــاتِ

---

(١) قُريش: تصغير قرش ....

وليس يألو عُقوقًا ... للفضلِ والمكرُماتِ

قد ضمَّ غدرَ الأفاعي ... إلي خداعِ الحُواةِ

فلا وفاءَ لماضٍ ... ولا أمانَ لآتٍ

فقلتُ قد صحَّ عندي ... فيه حديثُ الرواةِ

(مُفعَّلُ) بنُ (فَعيلٍ) ... مستودعُ المخزياتُ

لو أنصفوا لم يعمَّدْ ... إلا على المومساتِ

إن الوصوليَّ عارٌ ... على حمى الحرماتِ

وللصعيدِ حفاظٌ ... مُرٌّ على الفتياتِ

وكيف يؤمنُ ذئبٌ ... على حراسةِ شاةِ ؟!

١٣٦ - الخنزير العانس

هرمَ الخَنَا ومشى علي عُكَّازِ ... متجسدًا في صورةِ العزَّازِي

جُثمان خِنزيرٍ وسحنةُ مومسٍ ... شمطاءَ ساكتْ وجهها ببرازِ

ما بين هامتِه وأخمصِ نعلِه ... ملءُ الإهاب مساويٌ ومخازي

متفرِّدٌ في الجودِ كلُّ سخائِه ... بأعزِّ ما يُحمي من الأحرازِ

كلفٌ بإعجازِ الكرامِ فكلما ... جادوا بمالٍ جادَ بالأعجازِ

سمْحُ الجنابِ فما يردُّ للامسٍ ... كفًّا وليس يصدُّ نزوةَ نازي

ولكَمْ يعللُ بالسجائرِ نفسَه ... عند السُّعارِ وحرقةِ الإعوازِ

لا يبرحُ الملقاطُ ساحلَ خدِّه ... إلا لنتفِ حشائشِ البُوغازِ

يُغْنِي مساحيقَ النساءِ تَجَمُّلا   فكأنَّه أنثي بلا (أبزازِ)

رَحْبُ الخيالِ أبو لميعةَ عنده   لم يعْدُ حدَّ الصدقِ والإيجازِ

فهو الشجاعُ العنتريُّ فَسلْ به   كم خاضَ هولَ معاركٍ ومغازي

يُزري بطائيِّ النَّدى ويغضُّ من   فتكِ الضراغمِ وانقضاضِ البازي

سبحانك اللهم كونُك مفعمٌ   بغرائبِ الأسرارِ والألغازِ

أيكونُ عزازيُّ في كليةٍ   وتميزُ بين حقيقةٍ ومجازِ ؟!

بعضُ السوائمِ في الحقولِ وبعضها   بمعاهدِ التعليمِ كالعزازي

***

١٣٧ - الإيدز

شَكى (فَعْلٌ فَعَالٌ) ذاتَ يومٍ   لفُعْلِي من عُضالٍ فيه مُخْزي

يقولُ أشرْ عليَّ فإن دائي   رمي النطسَ الفحولَ بكل عجزِ

لَدَي فَيْرُوسِهِ وَقَفُوا حَيَارَي   وُقُوفَ العاجِزينَ أَمَامَ لُغْزِ

تبناني ابنُ عثمانٍ زماناً   أبحتُ به حمايَ له وحِرْزي

فأرهقني ركوعاً أو سُجوداً   وأغراني بكلِّ خناً ورجزِ

وكَانَ قَضَي زمَانَا في فَرَنْسَا   وعادَ وعِنَدهُ مِكْرُوبُ إدْزِ

فأعدانِي وصيَّرني عليلاً   أقاسي الويلَ من ألمٍ ووخزِ

كَسَاني العـارَ حتـى صرتُ نهبـاً   لتعـريضٍ وتلمـيحٍ وغَمْـزِ
فَقـالَ لَـه: وقَعْـتَ عَـلى خَبِـيرٍ   يَبِيـعُ ضَـميرَهُ بِرَغِيـفِ خُبـزِ
فـداؤك لحيتـي شركُ احتيـالي   وسمتُ خديعتي وشعارُ هبـزِ
يُـضَاعِفُ طُولُهـا نُقْـصانَ عَقْـلي   وهَـذا السرُّ في ركْـضِي وقَفْـزِي
وإني رهـنُ أمـرِكَ فاصـطنعني   فـإني ثعلبـانيٌّ ودُرزي
أنـا مَـنْ تَرْتَـضِيهِ هَـوىً ولُؤْمًـا   فَـدَيْتُك مِـن مُغَـامَزَةٍ ولمـزِ
أزوِّر في الحقـوقِ بـلا حيـاءٍ   وأسـخو في العقـوقِ بغـيرِ كَـزِّ
نفـاقي والتجـسسُ رأسُ مـالي   وغـدري عُـدتي، والشرُّ كنـزي
فـسائلْ مكـةَ الغـراءَ عنـي   وقـد يُغني عـن التـصريحِ رمـزي
وما للملتحي الدجالِ مثلي سواكَ   وأنـتَ جـاهُ المـستعزِ
معـاذَ أبي نُـواسٍ والكِـسَائِي   وحُرْمَـةِ ثعلـبٍ وسَـعِيد كـرزِ

١٣٨ - مُستشارٌ

(....) اليـومَ مستـشارُ   مِـنَ المـواخيرِ مُـستعارُ
(....) مـن أذاهُ   وجَهْلِـهِ الفاضـحِ استجاروا
مـن أي بـارٍ تلقَّفَتْـهُ   كليـةٌ سـمتُها الوقـارُ ؟
شريعـةَ (الأزهـرِ) انبذِيـهِ   فإنَّـه سُـبَّةٌ وعـارُ

النـــورُ في شرعـــهِ ظـــلامٌ ... والليـــلُ في عُرفـــة نهـــارُ
مـــا صـــحَّ في ذِهنِـه صـــحيحٌ ... فكيـــفَ بـــالله يستـــشارُ ؟
ومالـــه في القـــضاءِ فهـــمٌ ... إلا كَــــما يَفْهَـــمُ الحـــمارُ

١٣٩ - مديرٌ

سـألتُ القـومَ كيـفَ جعلتمـوه ... مُـــديرًا يـــنطحُ الفَلـــكَ المُـــدَارَا ؟
وكيـفَ عـلي رئاسـتِه حرصْـتُم ... وجـــددتُم لـــه فيهـــا مـــرارا ؟
هـل اسْـتَوفى قَواعِـدَكم أصـولا ... ووفَّاهَـــا ســـلوكًا واختبـــارا ؟
فقـــالوا : إنَّـــه اسْـــتَوفَى ووَفَّى ... ولمْ نَـــرَ مَـــنْ يَـــشُق لَـــه غُبـــارا
فمـن جهـةِ الجهالـةِ كـانَ فيهـا ... لـــهُ بَـــاعٌ طويـــلٌ لا يُجَـــارَى
ونَحـــنُ (الأزْهَـــرِيِّيْنَ) الْتَزَمْنَـا ... بِقَاعِـــدةٍ جَعَلْنَاهَـــا شِـــعَارَا
إذا قُـــرنَ الحـــمارُ بعبقـــريٍّ ... وقيـــل تخـــيروا اخترنـــا الحـــمارا
وفي بـابِ النفـاقِ أجـادَ حتـى ... تـــألَّقَ فيـــه حِـــذقا واقْتِـــدارا
وأتقـنَ حفـظَ منهجـه شُروْحًـا ... وحا شـــيةً ومتنًـــا واخْتِـــصَارَا
وعـــدَّدَ في مـــسائله اجتهـــادًا ... وجـــدَّدَ في وســـائِلِهِ ابْتِكَـــارَا
سَـعَى ورَمَـى وطَـافَ بِكُلِّ رُكْـنٍ ... وقَبَّـــلَ ذَا الجِـــدارَ وذَا الجِـــدَارَا
وأمـا العِـيُّ فـالعَجمُ اسْـتَمَدُّوا ... فهَاهَتَـــهُ وباقـــلٌ اسْـــتَعارَا
وأمَّـــا في البَلاهَـــةِ فَهْـــي إرثٌ ... عـــن الآبـــاءِ وَقْفـــا واحْتِكَـــارا
تـري في وجهـةِ " عبطًـا " يُغشِّى ... ملامحَـــه فتحـــسبُه وقـــارا

١٥- إذا افْتَخَـرَ امْـرُؤٌ بـأبٍ كَـرِيْمٍ فَـإنَّ أبَـاهُ قَـدْ (عَـزَمَ القِطَـارَا)

١٤٠- عميد ٦٣

١- اعـوِ يـا ذئـبُ وانهقـي يـا حمـارةْ قـد تـوَلَّي العِـمادَةَ ابْـنُ (عِـمَارةْ)
أصْـبحتْ دارُ يعـربٍ غُـرْزَةُ الفُـصْحَى وأمـستْ رحابُهـا خَمَّـارةْ
اصـحُ يـا ديـبُ لم يعـد بمحـالٍ أن تذوقَ (الزُّرْبيفَ) بعد البِصارةْ
نِـدُّكَ اليـومَ صـارَ فينـا عميـدًا يتبـاهى بحاجِـبٍ وإدارةْ
٥- أعميـدًا مـن كـان أقـصى الأمـاني عنـده أن يكـونَ شـيخا لحـارةْ ؟!
وينـال المرتَّـبَ الـضخْمَ مـن كـان مـع (الـديب) لـيس يملـك (بـاره)
لـو تـرَاهُ يـدسُّ في الفـمِّ شَـيْئًا لا أُسَـمِّيةِ أو يَلُـفُّ سِـجَارَهْ
قلـتَ يـا للهـوانِ يـا ذِلَّـةَ المنـصبِ ممـن عليـه يخلـعُ عـارَه
زمـنٌ عبقريُّـه في هـوانٍ مـن جحـودٍ ونَذلـه في الـصدارةْ

١٤١- طبيبُ المصْطَبةِ

١- قـالوا : طبيـبٌ تقـيٌّ زاهـدٌ ورعٌ هيهـاتَ مـا مِثْلُـه في النـاسِ هيْهَاتـا
وغـرَّني سمتُه حتى فَتَحـتُ لَـه قلبـي وأرعيتُـه سـمعًا وإنـصاتَا
ورحتُ من (عبطي) أُطْري شمائلَهُ وأنـسجُ المَـدْحَ ألْوانًـا وأشْـتَاتَا
صرَّفتُ فيه فنونَ القـولِ مُبتدِعًا رسـائِلا ومقامـاتٍ وأبياتَـا
٥- حتى عَرفتُ علي قربٍ حقيقتَهُ وقِيـل لي بعـدَ أن فـاتَ الـذي فاتَـا
القومُ في غفلةِ الأيامِ حينَ رأَوا أن يجعلـوا قمـةَ المأسـاةِ ملهـاةَ
شَادوا (بأزهرنا المعمورِ) مصْطَبةً وصـفَّفُوا حولهـا التُّمْبـاكَ والقَاتَـا

وكان صاحبُنا من بعدِ خَيبتِهِ ... في الطبِّ يبحَثُ عن شُغلٍ ليقتَاتا

فلم يروا مثلَهُ صدرا لمجلسِنا ... يُمسي ويصبحُ عجَّانا ولتَّاتَا

فصرتُ أقرعُ سنِّي نادما حَنِقًا ... وألعنُ الناسَ أحياءً وأمواتَا

وعدتُ للائمِ اللاحي علي كذِبي ... أقولُ معذِرةً ما فاتَ قد ماتا

إِنْ كان مَدْحِي له بالزيتِ لطَّخني ... فعُذْرُهُ أنني أطريتُ (زَيَّاتَا)

حبوتُهُ تاجَ زيف صاغَهُ قلمي ... فاليومَ أحبوه تاجًا صاغهُ باتا

١٤٥ - جرادة

رأَيتُ في (كليةٍ) للضَّادِ ... جرادةً مِنْ أحقرِ الجَرادِ

يدعونَها بـ (....) بنَ (....) ... تائهةً مخبولةَ الفؤادِ

تخبطُ كالعشْواءِ في البوادِي ... حطَّتْ علي مستنقَعِ الأحْقادِ

تشربُ مِنْ حماقةِ (....) ... فلا تميزُ الغيِّ من رَشَادِ

ولا تَعِي البياضَ من سوادِ ... أو تستبين رائحًا من غَادِ

تقولُ عَنها عصبةُ الأوغادِ: ... أَخَطَبُ من قالَ علي الأعوادِ

غطَّى علي سحبانَ والإيادي ... وشاعرٌ ما مثلُه في الوادي

وعالمُ الأحياءِ والجمادِ ... وفيلسوفٌ نادرُ الأنْدادِ

وعبقريُّ الطِّرْسِ والمدادِ ... ورائدٌ مِن أعظمِ الرُّاودِ

وناقدٌ من أكبرِ النُّقادِ ... وفارسُ الهيجاء والجِلادِ

مفزِّعُ النسورِ والآسادِ ... (إِحِمْ إحِمْ) يا شِلَّةَ الفَسَادِ

فمـــنْ يـــماري في أبي الفـــصادِ ؟ ومـــن يـــشكُّ في حِجَـــا القُـــرَادِ ؟
هـــو المطيـــعُ المُـــسْلِسُ القِيـــادِ محتكِـــرُ النِّفَـــاقِ للأسْـــيَادِ
وبـــائعُ الـــضَّمِير بـــالمزادِ ونقـــشبيُّ الفَـــيضِ والإمْـــدادِ
لُـطفًـا بنـا يـا خـالقَ الجَرَادِ

١٤٣ - احرصْ كما شئتَ على المنصبِ

احـرصْ كـما شـئتَ على المنصبِ وليعْمُـــرِ (الأزهـــرُ) أو يخْـــرُبِ
في ذمَّـــةِ الله حقـــوقٌ لـــه أضـــعْتَها بـــالطَّمَعِ الأشْـــعَبي
قـــد بعـــتَ بـــالكرسيِّ آمالَـــهُ وشِرعـــةَ الله وإرثَ النبـــي
كـــأنَّما جئـــتَ لتخْرِيبـــهِ وتركِـــهِ للبـــوم والعَقْـــرَبِ
سَـــلِّم كـــما تهـــوى بـــضاعاتِه وليـــشهدْ التـــاريخُ ولْيَكتـــبِ
واغـــترَّ بالأيـــامِ في ســـلمِها وصُـــلْ صـــيالَ الفـــارسِ الأغلـــبِ
وأبلُـــغْ مـــن الآمـــالِ مـــا تـــشتَهِي وارْضَ عـــلى مَـــنْ شـــئتَ أو فاغـــضَبِ
واشـــبعْ نفاقًـــا واجـــرِ مِـــنْ موكـــبٍ مهـــرولَ الـــذلِّ إلي موكـــبِ
فكـــلُّ ليـــلٍ خلـــفَ أســـتارِهِ فَجـــرٌ وضـــيءُ النـــورِ لم يكـــذبِ
يـــا مـــنْ تـــولَّى الأمـــرَ في غفلـــةٍ كـــاللصِّ يـــسعي في دُجـــى الغَيهـــبِ
صـــحائفُ التـــاريخِ عنوانُهـــا بمثلـــكَ (الأزهـــرُ) لم يُنْكَـــبِ
قـــدْ لُطِّخَـــتْ بالعـــارِ في عهـــدِكُم كرامـــةُ الأمـــردِ والأشْـــيبِ
فَـــضيحةٌ دقَّـــتْ نواقيـــسُها في مـــشرقِ الإســـلامِ والمغـــربِ
ولطمـــةٌ رنَّـــتْ بأصـــدائِها جوانـــبُ الأقطـــارِ مـــن يَعْـــرُبِ

يـا عـصبةَ المكتـبِ رِفقًـا بـه   رفقًـا بـه يـا عـصبةَ المكتـبِ
أصـمُّ إلا عـن وشـاياتِكُم   أو عـن نفـاقِ المـادحِ المُـسْهِبِ
فـإنْ يَجِـدَّ الجِـدُّ في موقـفٍ   يَـرُغْ مـن الموقـفِ كالثعلـبِ
زئـيرُهُ في الـسلمِ مـستأسدًا   يغـدو بغـامَ الظَّبـي في ربـربِ
إبْكِ علي (الأزهرِ) يا صاحِبي   واسكُبْ دمـوعَ الحـزنِ ثـم اسكُبِ
أحالَـهُ (الـشيخُ) إلى مَنْعَـبٍ   وهـو غـرابُ الـشؤمِ في المنعـبِ

١٤٤ - إليكَ عن الرئاسةِ

ألا أبلـغْ (رئـيسَ القـسمِ) عنِّي   فلـستُ أري لـه عنـدِي شـفيعَا
إليـكَ عَـنْ الرئاسـةِ لا ترُمْهـا   ولُـذْ بالـسَّترِ إنْ تَـكُ مُـسْتَطيعا
فلـستَ تُجيـدُ إلا حلـبَ شـاةٍ   إذا نفـرتْ مريـتَ لهـا الـضُّرُوعا
ولم يـشغَلْكَ مـن دنيـاكَ شيءٌ   سـوى أن تـشتري أو أن تَبيعَـا
أيَـصلحُ مـن يُتـاجرُ في المَـواشِي   لأنْ يتعهـدَ الأدبَ الرفيعَـا؟!
ويـصبحُ في البيـانِ رئـيسَ قـسمٍ   ومـا يـدري البيـانَ ولا البـديعَا
مقـامٌ يـستطيلُ بـهِ علينـا   ويحـسبُنا بعزبتِـهِ قَطِيعـا
ولم يطمـعْ لـه إلا لكَـيما   يـشيعُ بـه الجهالـةَ والخُنُوعـا
ولـو جـاءوا بـسائمةٍ سـواهُ   أطعنَاهـا ولم نـأنَفْ خُـضوعا
فـإنَّ البَهْمَ أفـصحُ منـه نُطقـا   وأبلـغُ مـن فَهاهتـهِ نُـصُوعا
تخـرَّجَ مـن حظائرِهـا وليـدًا   ودبَّ عـلي مَبارِكِهـا رَضِـيعا

وشـبَّ عـلى خلائِقِهـا جُموحًـا   وشـاخَ عـلي مـذلتِها هُلوعـا

ولم يفهـمْ عـن الأبقـارِ إلا   إذا مـا رجَّعـتْ ظمـأً وجوعـا

فيـا دُنيـا اهـزلي في ليـلِ جهـلٍ   ريـاحُ دجـاهُ أطفـأتِ الـشموعا

ويـا (كليـةَ الفُـصْحَى) سَـلامًا   فَلْـستِ تَـريْنَ للـماضِي رُجُوعـا

١٤٥- عدو النبوغ

مـا علينـا إذا هجونـا جُنـاحُ   عِرضُـك اليـومَ عنـدنا مُـسْتباحُ

أيهذا الـضَّلّيلُ راحـتْ ألاعيبُك   طـيَّ الـدُّجى ولاحَ الـصباحُ

يـا عـدوَّ النبـوغِ لـيس بِبِـدْعٍ   منـك أن تَفْـدَحَ النبـوغَ الجـراحُ

سنةُ (الأزهرِ) الجَحُودِ فكَمْ مِن   عَبْقَـريٍّ بـه طوتْـهُ الريـاحُ

وأديـبٍ أنكرتمـوه جُحُـودًا   وهْـوَ في غَـيْرِ أفْقِكُـمْ مِـصْبَاحُ

أيُّهـذَا الـضِّلّيلُ رأيُـك عِنـدي   يـستوي فيـه خيبَـةٌ وفَـلَاحُ

فنَجَـاحِي عـلي يـدكَ سُـقُوطٌ   وسـقُوطِي عـلي يـديْكَ نَجَـاحُ

١٤٦- لصُّ العيُون

قالوا طبيبُ عيونٍ قلتُ ويُحكُمُو   أعمي البصيرةِ لا يشفِي عمَي البَصَرِ

وهـل (.. .....) ذو نظَـرٍ   في الطبِّ حتى يُداوي علَّةَ النَّظَرِ ؟

إذا دخَلْـتَ عليـهِ خِلْتَـهُ صَـنَمًا   أو بالعًـا صـنما مـن وجهـهِ العَكِـرِ

فـظُّ اللقـاءِ غلـيظُ الطَّبْـعِ تحسبُهُ   من عالَـمِ الوحشِ لا مِن عالَـمِ البَشَرِ

أصمُّ أبْكَمُ جهمُ الوجـهِ قد جُمِعَتْ   فيـهِ الكآبـةُ حتـى صـارَ كالـحَـجَرِ

فـلا يـردُّ سـلامًا أو يجيـبُ عـلي   سـؤالِ مـستنْجِدٍ مِـنْ مِـحْنَةِ القَـدَرِ

نَقـصٌ يعوِّضُـه تيهًـا وغَطْرَسَـةً ... وعُقْـدَةٌ كَـشَفَتْ عَـنْ أصـلِهِ القَـذِرِ
الطبُّ لُطفٌ وإحسانٌ ومَرحَمةٌ ... ولـيسَ بالجشعِ المسعورِ والبطَـرِ
وفي البشاشةِ ما تُؤسى الجراحُ به ... لا في الـتجَهُّمِ والتَقطِيبِ والكَـدَرِ
١٠ـ كم يدَّعى الطبَّ مغرورٌ كصاحِبنا ... لـصٌّ العيـونِ فكُـنْ مِنه عَلى حَـذَرِ
في كفِّهِ الشؤمُ لـو مَسَّتْ أنامِلُهُ ... عـينَ البـصيرِ لأعمتْهَـا عـلى الأثَـرِ

١٤٧ - حَـجٌّ

أ ـ وقـالوا حَـجَّ فرهـودٌ فقُلنـا ... ألا ياليتَـهُ مـا كـانَ حَجَّـا
مَـضي وعليـهِ زِنْبيـلٌ خَطَايَـا ... فعـادَ يجـرُّ زِنبـيلا وخُرْجَـا
فـإنْ يـكُ طـافَ بالأركـانِ سبعًا ... وهـرولَ سـاعِيا ودعَـا وضـجَّا
ورجَّ البيـتَ تلبيـةً وركـضًا ... ومـجَّ بزمـزمَ الآثـام مـجَّا
ب ـ فلـم يرفـعْ بهـذا الحـجِّ رأسًـا ... ولم يبلـغْ بـه أمـلًا مُرجَّـى
ولم يـزدَدْ بـه إلا خَطايَـا ... ولعْنَـاتٍ تَـشُجُّ الـرأسَ شَـجَّا
وأنْجَسُ ما يكونُ الكلبُ يومًا ... إذا شـقَ العبـابَ وخـاضَ لُـجَّا(١)
فيـا لَـكِ حَجـةً مـا طهَّرتْـهُ ... ولا أبقـتْ لـه في العقـلِ بُرجَـا
وكيـفَ ينـالُ معتـوهٌ قَبـولا ... ولم يـرَ غـيرَ دَربِ الإثـمِ نَهجَـا

---

(١) للشطر الأخير رواية أخرى (...... إذا ما خاض في ماءٍ ولجَّا).

١٤٨ - يسن البواب[1]

١- أتيتُ إلي ياسينَ أزجي بشارةً … وإنّي لسبَّاقٌ لحملِ البشائِرِ
أقولُ له أبشرْ ستأتِيكَ رُتْبَةٌ … وتصبحُ أستاذا لكلِّ مُجاوِرِ
فقالَ : عجيبٌ كيف ذاك وإنَّنِي … لمن معشرِ الزنجِ الغلاظِ المشافِرِ
وهل يَصلحُ الزِّنْجِيُّ إلا لبوظَةٍ … ووِقْفَةِ بوَّابٍ وخِدمةِ عَاهِرِ؟
٥- فقلتُ له : هذا صنيعُ مَقادِرٍ … رويدكَ لا تعجبْ لصنعِ المَقادِرِ!
ألم تَرَ (نورا) صارَ أستاذَ شُعْبَةً … وقَدْ كان بوَّابا لإحدَى العمائِرِ؟

١٤٩ - نائب نائبة

١- برِئَ اللهُ منكَ يا أفعوانُ … وتولَّى قيادَكَ الشيطانُ
أيُّهذا الأفَّاقُ يَمرحُ كالبَهْمِ وفي الجهلِ تمرحُ القُطعانُ
إنَّما الجهلُ شارةُ السبْقِ في مصرَ وصكٌّ يُرجَى به الغُفْرَانُ
وعلي الفضلِ والكفاءَةِ عُنوانٌ وللمَجْدِ والعُلا بُرهانُ
٥- هبةٌ من مواهبِ اللهِ يعْلُو … لذويها جاهٌ ويُرفَعُ شانُ
بلدٌ فيهِ ذو المواهبِ يشقى … ويفوزُ المهرِّجُ الثُّعْلُبانُ

* * *

أنت من حارب الغلاءَ شجاعًا … حين ضاقتْ بحربِهِ الشجعانُ
وأشَعْتَ الرخاءَ في قيمِ الأخْلاقِ حتى تهاوتِ الأثمانُ

---

(١) بدايات الهجاء عند حسن جاد بعد تعمد أستاذه في البلاغة أن يرسب في درجتين.

لـكَ سـوقٌ تُـشْرَي الـضمائرُ فيـه ... وتُبـــاعُ الحقــــوقُ والأوطــــانُ
رُبَّ حــقٍّ أضـــعتَهَ برغيـــفٍ ... حُجَّــةُ الــزورِ عنــدك الرُّغْفــانُ
وضميرٍ أغرقْتَ في كأسِ خَمْرٍ ... صَــبَّها رِشــوةً لــكَ النُّــدمَانُ
ولو اسْطَعْتَ بعتَ مصرَ بِقرشٍ ... وعليهـــا للمـــشتَرِي الـــسودانُ
أنــتَ بــين النُّــوَّابِ نائبــةٌ كُــبرى وللحــقِّ ذِلــةٌ وهَــوانُ
إنـــَّمَا أنـــتَ ســـبَّةٌ تـــستحي الأمَّـــةُ مِنْهـــا ويخجـــلُ البرلَمـــانُ

١٥٠ - زئير وبغام[١]

ليـــشهدِ التـــاريخُ وليكتُـــبِ ... ليـــثُ الـــوغَى قـــد لاذَ بـــالمَهْرَبِ
فَـــضيحةٌ دقـــت نَوَاقيـــسُها ... في مـــشرقِ الإســـلامِ والمغـــربِ
ولطمــــةٌ رنَّـــتْ بأصـــدائِها ... جوانِـــبُ الأقطـــارِ مـــن يَعْـــرُبِ
هزيمـــــةٌ للحــــقِّ في بأسِـــهِ ... وكَبْــــوَةٌ للفـــــارسِ الأغْلَـــــبِ
استَغْـضَبَ الرعدِيـدُ حتـي إذا ... رأي وعيــــدَ الــــشرِّ لم يغْــــضَبِ
زئـــيرهُ في الحـــقِّ مُـــستأسِدا ... عَــــادَ بُغَــــامَ الظبــــي في ربْــــربِ
بطولَــةٌ كانَــتْ عــلي طبعِــهِ ... غريبـــــةُ المَنْـــــزَعِ والمَـــــشْرَبِ
يــا عُــصْبةَ المكتــبِ رفقًــا بــه ... رفقًـــا بـــه يـــا عـــصبة المكتـــبِ
أصـــمٌّ إلا عـــن وشـــاياتِكم ... وعـــن نفـــاق المـــادح المـــسهب
أفْقَـــمُ أنـــتُمْ بوقُـــهُ كاذِبًـــا ... وعهـــــدنا بـــــالبوق لم يكـــــذبِ

---

(١) ديوان (وحي الربيع) ١٩٥٢م، وكان الشاعر صنع منها قصيدة «احرص كما شئت على المنصبة».

لِـسانُه شُـدَّ بـأفواهِكم كـما يُـشدُّ الشِّسْعُ بالشِّبْـشِبِ
ومـا يـرى إلا بأبـصارِكُم كـأنّما عينـاهُ في غَيْهَـبِ

١٥١ - كافور الجديد

١- قـد كَفَـاني هِجَـاءَك المُتَنبِّـي فـدعِ اللَّـومَ واطَّـرِحْ عنـكَ عَتْبـي
ما هجائي في الـزنجِ غيرُ صداه أي لـومٍ عـليَّ أمْ أيُّ ذَنْـبِ
كـلُّ مـا قالَـهُ لكـافورَ صـدقٌ صـادقٌ فيـك مـن هجـاءٍ وربِّي
٤- أتُـراهُ قـد كـان يـستطلعُ الغيـبَ فيهْجـوكَ مـن مَطـالعِ غيـبِ

١٥٢ - السامريُّ

١- يـذكرني بمـوسَي الـسامريِّ (أبـو موسي) الـدعيُّ ابـنُ الـدَّعيِّ
إذا مـا صـوتُه الـصخَّابُ دوَّي ذكـرتُ خـوارَ عجـلِ الـسامريِّ
يـصيحُ سـفاهةً ويثُـورُ حُمقًـا لأدنـى هيعَـةٍ أقـلِّ شَـيِّ
ويُطْغِيـه الغِنَـي مِـنْ بِعْـدِ فَقْـرٍ وتِلـكَ خَسيـسةَ النَّـذلِ الغَنـيِّ
٥- وفي أعماقِـة فرعـونُ نفـسٍ تَجـيشُ بكـلِّ طغيـانٍ وغـيِّ
فلـيسَ صـياحُهُ المعتـوهُ قَـصدا لوجـهِ الله بـلْ ، لهـوي خفـيِّ
هـو الـشُّلَلي – فـاعلمْ – ذيـلُ وغـدٍ وصـوليٍّ وآخـرَ نقـشَبِيِّ
ربيـبُ عِـصابَةٍ صَـنَعتْهُ بُوقـا وصـاغَتْ منـه أخْطَـرَ بَلْطجـيِّ
وأفعَـى شُـلَّةٍ دأبـتْ عـلي أنْ تكيـدَ لكـلِّ ذي خُلُـقٍ نَقِـيِّ
١٠- يـذُودُ النـاسَ عنْـهُ جَفـاءُ طبـعٍ يُنفِّـرُ كـلَّ سَـمحٍ أرْيَحـيِّ
وشرُّ النـاسِ مـنْ تُـرِكَ اتقـاءً لـسوءِ الطبـعِ والخُلُـقِ الـدنِيِّ

فــلا تحفَــلْ بكــل أبٍ لموســى ولا مُوسَــى ســوى مُوْسَــى النبــيِّ

١٥٣ - منقذ الجهل !!

ولابــنِ (....) فَـضْلٌ كـل جاهِـلٍ ولـيسَ لـه يومـا عـلي عَــالِمٍ فَـضلُ
فلـولاهُ في كليـةِ (الـضادِ) لم تَـسُدْ جوانِبَهـا الفـوضى ولا نَهـضَ الجَهـلُ
ولولاهُ أضْحي العلمُ كـالوحشِ مُطْبِقا عـلي الجهـلِ واغتالتْـهُ أنيابُــه العُـصْلُ
له في اعْتناقِ الجَهْلِ دينٌ ومَذْهَبٌ تفــرَّدَ فيــهِ فهْــوَ لــيسَ لـــه مِثــلُ
فـإنَّ طريـقَ العلـمِ وعـرٌ سـلوكُهُ ولكـنْ طريقُ الجهـلِ مَسْلكُه سَـهلُ
وحريـةُ الفـوضَى انعتـاقٌ وراحَـةٌ وكــلُّ نِظَــامٍ في الحيــاةِ هـــو الغُــلُّ
ومـا ومَـضاتُ العقـلِ إلا خديعـةً بها العبقريونَ الصعاليكُ قـدْ ضَـلُّوا
فأســـلَمُ شيءٍ في الحيـــاةِ جَهَالَـــةٌ وأخْطَرُ شيءٍ في الوجـودِ هـوَ العقـلُ
يفـوزُ الفتـى العدَّاءُ في كـلِّ موكـبٍ ويبلــغُ أســمى مــا يــرومُ ويحتَـــلُّ
إذا شـامَ غُـنْماً راح يعـدو كثعلـبٍ ويـركضُ أحيانـا كـما يـركُضُ البَغـلُ

١٥٤ - الضليل [(١)]

هجاؤك يا ضلِّيلُ فرضٌ مـن الفـرضِ وذَمُّكَ عند اللهِ مـن أحسـنِ القَـرضِ
نـسينا بِـكَ الـشيطانَ لمـا نـسخْتَه وبؤتَ بلعنٍ في الـسمواتِ والأرضِ
وقد كانَ في الأذهانِ غير مُشَخَّصٍ فشخَّصْتَهُ للعينِ بـالطولِ والعَرضِ
تماديـتَ في التـضليلِ ركـضا كـأنَّما أمِنْـتَ عـلي الأيـامِ عاقبـةَ الـركضِ

---

(١) في وحي الربيع كان اسمها (الشيطان).

٥- وأرسلتَ كالمِخلاةِ لحيةَ زائفٍ لتسترَ ماتُخفي من الحقدِ والبُغْضِ
أعرها حمارا جامِح الطبعِ نافرًا فقد تمنعُ المخلاةُ فاهُ من العضِّ

١٠٥ - بين حارة عبد الباقي ومصر الجديدة

١- أنسيتَ عهدَ زقاقِ عبدِ الباقي وزمانَ عيشٍ مَرَّ في إمْلاقِ ؟
يا ناسيا عهدَ الزُّقاقِ أهكذا تُنْسيكَ (فِيلا) العزِّ عَهْدَ زُقاقِ ؟
مِصرُ الجديدةُ جددتْك فلمْ تَعُدْ تُعنَى بحفظِ العهدِ والميثاقِ
يا فاغرا فمَهَ أتلك بلاهةٌ أم ذاكَ عيٌّ أم شهيقُ فواقِ
٥- قالوا (.....) فقلتُ هلْ ذلُّوا فأمْرُهُمُو إلي أفَّاقِ
لقَبٌ لعمري صارَ رمزَ تندُّرٍ ومثارَ سخريةٍ بكلِّ رُواقِ
غَارٌ من الخزفِ المُقَيَّرِ زائفٌ قد شأنَ رأسَ (الأزهرِ) العملاقِ
أزري بهيبتهِ وشوَّهَ مجْدَه وهوَى به مِنْ ذِلَّةٍ ونِفاقِ
ويُقالُ مجدٌ نالَه بجدَارَةٍ وأقولُ جَلَّ مُقَسِّمُ الأرزاقِ

١٠٦ - موسوس

١- مُضَلَّلُ التفكيرِ في عقلِهِ وعبقريُّ الشكِّ في قَلْبِهِ
واللحيةُ الشوْهَاءُ في قُبْحِهَا نَمَتْ علي الآثامِ في شَيبِهِ
موسوسٌ يشكُّ في نفسِهِ ويستبيحُ الشكَّ في ربِّهِ
من شاءَ تكفيرًا ففي لعنِهِ كفارةٌ للمرءِ من ذنبِهِ
٥- لو يُنْزِلُ الرحمنُ منْ آيةٍ لخصَّهُ باللَّعْنِ في كُتْبِهِ
يُثابُ كفُّ المرءِ في صَفعِه وتُؤجرُ الألسنُ في سبِّهِ

١٥٧ - الخفافيش

شابَ الزمانُ وما شابتْ نواصينا ... ولم يَعُدْ فيه منْ خيرٍ يعزِّينا
وآذنتنا مآسيهِ بآخِرِهِ ... إذا هَذَا الكَهْلُ فانظُمْ فيهِ تأبِينا
فامضي كما شئتِ يا دنيايَ هازلةً ... واحكُمْ بما شئتَ يا مُجري القَضا فِينا
ويا ظلامُ أغِرْ فالشمسُ كالحَةٌ ... ويا ضياءُ احتجِبْ فالنورُ يُعْشِينا
ويا خفافيشُ قد ولَّى نهارُكُمُو ... ويا ذئابُ ارتعِي قد غابَ راعِينا
مِنْ كل مَنْ بَسَقَتْ في الزُّورِ لِحيتُه ... وراحَ يحسبُها سمْتَ التقيينا
وتحتَ كلِّ طويلٍ من ذوائبها ... شيطانٌ كفريسبُّ اللهَ والدِّينا
وهائمٍ في ظلامِ الشكِّ مُختَبطٍ ... يعيشُ في عالمِ الأوهامِ مَفتونا
الكونُ في فِكْرِهِ المعكوسِ مُنعكسٌ ... فلا يَري فيهِ شَيئا قطٌّ مَوْزُونَا
قد صِيغَ من ظُلُماتِ الشكِّ عُنْصُرُهُ ... فليسَ عنْصُرُهُ ماءً ولا طِينا
مُعقَّدٌ ضَيِّقُ الآفاقِ سِحْنَتُه ... كلعنةِ الله تشويها وتهجِينا
في عقلِهِ يعقدُ الشيطانُ مجلسَهُ ... ويبعثُ الجندَ في الدنيا ملايينا

١٥٨ - دعيٌّ

سبيلُ دعيِّ المجدِ غيرُ موصِّلِ ... وكلُّ خفيٍّ من طواياهُ ينجلي
ومن يتكلفْ غيرَ مافي طِبَاعِه ... تكشَّفَ من مكنونِهِ كلُّ مَدخَلِ
ومن يجعلِ التهريجَ سلمَ مجدِهِ ... يكنْ قبرُهُ مرقاهُ من حيثُ يعتَلِي
طمَحتَ إلى ما يستحيلُ كأنما ... تطلبتَ وقْدَ النارِ في ماءِ جَدولِ
قفاكَ لبوابي العمائرِ مصفَعٌ ... ووجهُكَ للحُجَّابِ أقذرُ مَتْفَلِ

أما تستحي من سِحْنةٍ إن تَطَلَّعَتْ ... إلى الشمسِ أدجَتْ أو إلى البدرِ يأفُلِ

لـو أبْصرَها المولـودُ سـاعةَ مولـدٍ ... لفــرَّ مــن الــدنيا لــبطنٍ ومِهَبَــلِ

١٥٩ - ثالثةُ الأثافِي

١- وقَـالوا : المجلـسُ الأعْـلى حبـاهُ ... بثالثـــةٍ مـــن الحـــظِّ المُـــوافي

فقلــتُ جَفتْــه رابِعـــةٌ وملَّـــتْ ... جِـوارَ الـشكِّ مـن طـولِ اعتسافِ

وقـد يُكْـدِي مـن الـدنيا طَمُـوحٌ ... ويَــسْعَدُ قــاصِرُ الآمــالِ غــافِ

دَهَــا الــدرجاتِ مِنـــه أجــلَّ رُزْءٍ ... فعزُّوهـــا وجُـــرحٍ غـــيرُ خــافِ

٥- تنقَّــلَ بينهـــا كالـــسلِّ يُعْـدِي ... وكـــالحمَّى تغلغَـــلُ في الـــشِّغَافِ

إذا لفَظَتْــــهُ مَرْتَبَـــةٌ لأخْــــرَى ... فقــدْ لفظَــتْ أذَى الــسُّمِّ الزُّعَــافِ

لـــيَهْنَ اليـــومَ إبلـــيسٌ فـــما إنْ ... سِــواه اليــومَ جــمُّ البــشرِ ضــافي

تنقَّـــلَ جُنْـــدُه وفْـــدًا فوفْـــدًا ... وقَـــدْ شـــقُّوا المـــسامعَ بالهِتـــافِ

يبـــشِّرُ بعـــضُهم بَعـــضا وينعـــي ... بِعُـــرْسِ الإثـــمِ آمـــالَ العفـــافِ

* * *

رويـدكَ يـا موسـوسُ عـلَّ هـذي ... تكـــونُ عليـــكَ خاتمـــةَ المطـــافِ

ومـــا هـــي فيـــك ثالثـــةُ المعـالي ... ولكــــن تلــــكَ ثالثـــةُ الأثَـــافي

١٦٠ - لا شيءَ

١- سموتُ بِشعْرِي عَنْهُ والشِّعْرُ عازِفُ ... ومــا أنــا ذو عــيٍّ ولا أنــا خــائِفُ

ولكننـــــي أبْـــصَرْتُهُ فوجَدتُـــه ... هَباءًا، وهل تُشجي الهباءَ المعازِفُ؟

ولـو كـانَ شيئا قلـتُ فيـه كغيرِهِ ... ولكنَّـــــه في الآدميِّـــــين زائـــــفُ

إذا قُلْتُه مدحًا فما هو فاهِم ... وإن قُلتُه ذمًّا فما هُو عَارِفُ
وهبتُ إذْنَ لله والصمتِ عرضَهُ ... وقد يَصرِفُ الإنسانَ للصمتِ صارِفُ
وآمنتُ بالأرزاقِ تجري بلا حِجًى ... فيُرزَقُ مَعْلُوفٌ ويُحرَمُ عالِفُ

١٦١ - اللِّحى الزائفة

بعضُ الملتحيين لم يتخذوا اللحيةَ شعارًا للتقوى أو اتباعًا للسنة ، وإنما أطلقوها وسيلة لغرضٍ أو شركاً للخداع والتمويه.

لحى الله اللِّحى والملتحينا ... من المتكلفين الزَّائفينَا
وصبَّ الله نقمتَه عليهم ... وصيَّرهُمْ قُروداً خاسئينا
ثَعالبُ كلُّ مَنْ تَلقاه مِنهمُ ... تطالعُ فيه شَيْطاناً لَعِينا
ولم أرَ كاللِّحى شَرَك احْتيالٍ ... لمَنْ رامَ اصْطِيادَ الجَاهِلينا
مَكَانِسُ لَو تُصدِّرُ مِصرُ مِنها ... لأغْنتْها وسَدَّدَتْ الدُّيُونَا
ذوائبها إذا طالت أفاعٍ ... تَفحُّ وتنفث السمَّ الدَّفينا
فَمَنْ يَرَ في اللِّحي سَمْتًا لِتَقْوَي ... يَرَي كُوهِيْنَ أتْقَي المُتَّقِيْنَا
فكمْ من ملتحٍ خدَّاعِ سمتٍ ... يريكَ الذِّئبَ شيخَ الناسِكينا
وكم من لحيةٍ طالتْ إذا ما ... رآها الناسُ قالوا: منشدينا:
ألا ليتَ اللَّحي كانت حشيشًا ... فترعاها حميرُ المسلمينا

١٦٢ - القاضي المخمورُ

إبْرهيمُ بن (......) بن (.......) ... ساقطُ الأصلِ جيفةٌ وابنُ جيفهْ

داعـرٌ شـب في مـراحيضِ ربـعٍ   مـن ربـوعِ الخرائـبِ الموقوفـهْ
خَادمًـا في بُيـوتِ إسْـنَا ، فَبَوْابًـا، فقَـوَّادَ عَـاهِرٍ مَعْرُوْفَـهْ
مَـنْ رَمَـاهُ في سَـاحَةِ العَـدلِ حَتَّـي   لَطَّـخَ السَّاحَ والرِّحَـابَ النَّظِيفَـهْ
مُسْتَـشَارٌ يَـا لَلْخَنَـا والمَخَـازِي   وهَـوانِ المُقَدَّسَـاتِ الـشَّرِيْفَهْ
ينفـقُ الليـلَ فِي المَـواخِيرِ مَخْمُـوراً ويَغْـدو مُعْرَبَـدًا في الوَظِيْفَـهْ
كيـف يقـضي مـن لا يفيـق ومـن   كـان(....) في الـشرابِ حليفَـهْ
نـحِّ هـذَا المِرْحَـاضَ يـا مجلـسَ الـشَّعْبِ فالـشَّعبُ سَـدَّ أُنُوفَـهْ

١٦٣ - حمُّور

قـالو فـلانٌ وضـيعٌ جاهـلٌ جـشعٌ   يظـلُّ يلهـثُ خلـفَ المالِ مسعوراْ
كـم راح ينهـبُ مـا لا حـقَّ فيـه لـه   ظُلـما ويمسي قريـرَ العيـنِ مسروراْ
تحـيَّرَ النـاسُ أي اسـمٍ يلائمُـه؟   وأرهقـوا العقـلَ إمعانًـا وتفكـيراْ
فـالبعض سـماه كَلبـا مـن تكالبُـه   والـبعض من رجْسِه سماهُ خنزيـراْ
لكـنما الكلـبُ والخنزيـرُ قـد برئـا   منـه فقلـت لهـم سـموه حمُّـوراْ

١٦٤ - خط الصعيد

قُـلْ للمباحِـثِ أبْـشِري   وافـاك أصـدقُ مخـبرِ

عندي لك النبأ اليقين فبادريه واحضِري

خُطُّ الصعيدِ أوي إلي كُليةٍ في الأزْهرِ

متنكراً في زيِّ أهلِ العلم باسمِ الفَنْجَريّ

مُتزعِّما لعصابةٍ جَعلوهُ شيخَ (المِنْسرِ)

خَدَعَ الشُّيوخَ فَصَدَّقُوهُ وَهْوَ أَخْطَرُ مُفْتَرِي

وغَدا مديرَ إدارةٍ فيها يبيعُ ويشتري

فاعْجَبْ لأميٍّ جَهولٍ فاتِكٍ متنهِّرِ

يسطو وينهبُ غير هيَّابٍ ولا متسترِ

ياشرطةَ الأمنِ الحقينا واضبطيه، تُشكَرِي

١٦٥- صبح سدوم
علي صبح

١- صُبحٌ كصُبحِ (سدُومٍ) شؤْمُ ميقاتِ ... نَذيرُ شتى الرزَايا والبَليَّاتِ
مأساةُ كُليةِ الفُصْحَى وسُبَّتُها ... وعارُها بين مَبعوثِي الإعَاراتِ
من يا تُري للسعوديينَ رشَّحَه ؟ ... لقدْ أساءَ إلى أهلِ المرُوءَاتِ
أحطُّ منْ وصلوا بالجهلِ واقتنصوا ... عُصْمَ (الأرانبِ) أو شادُوا العِمارَاتِ
٥- حُلْمُ العِمادَةِ أغْراهُ فصدَّقَهُ ... حتى أفاقَ علي ضربِ الهِراواتِ
كأنَّهُ لعنةٌ قد صبَّها غَضَبا ... علي الكنانيِّ جبارُ السماواتِ
فَوجهُهُ وجهُ ثكْلي ماتَ واحدُها ... شمطاءَ تلطمُ في إحدَى الجنازَاتِ
تنمُّ عن جَهْله أو عنْ غَبَاوَته ... شتي مخايلهِ الخُرْسِ الفَصِيحاتِ
ومِنْ كآبتهِ البَلهاءِ سِحْنَتُهُ ... كبُومَةٍ فَوقَ أطْلالِ الخَرَاباتِ
١٠- لا كنت يا زمنا حاز الثراءَ به ... أهلُ الغباءِ وأربابُ الجهالاتِ
بالله كيفَ غَدا للعِلْمِ مُنْتَسِبا ... من ليس يَرقي إلي فَهْمِ البدِيْهاتِ؟!
وكيفَ يا أزْهرَ الأعلامِ تمنحُ مَنْ ... يَعيا بِخطِّ اسْمِهِ أعْلي الشَّهَادَاتِ؟
وهَلْ (عَليٌّ) بْنُ (صُبْحٍ) غَيْرُ سَائِمَةٍ ... تَرْعَي وتَرْتَعُ في حَقْلٍ مِنَ القَاتِ ؟

أحالَـه الجَـشَعُ المَـسعُورُ مُفْتَرِسًـا   بَـادِي النواجِـذِ مَـشبوبَ الـضَّرَاوَاتِ
أدْهَـي وأَخْبَـثُ خَـدَّاعٍ بِمَظْهَـرِهِ   عَـن مُخْـبرٍ مُـضْمِرٍ شَرَّ الإسَـاءَاتِ
كـل الفـضائلِ ليـستْ حـين يقرنُهـا   بالمـالِ غـيرَ المخـازي والخرافـاتِ
قَالوا:رَئيسٌ لِقِسْمِ النَّقْدِ قُلْتُ لهم: نَقْـدُ القَـصَائِدِ أم نَقْـدُ الجُنيهـاتِ ؟!
وكيـف يـنهضُ عِـيٌّ بالبيـانِ ولا   يكـادُ ينطـقُ إلا بالإشـاراتِ؟!
إذا خَـلا الغَـابُ مِـن آسَـادِهِ رَتَعَـتْ   فِيـهِ الثَّعالـبُ قَنْـصًا للفَرِيـسَاتِ
أجـدِرْ بِـهِ سَـاعِيا نِـيطَ البرِيـدُ بـه   أو حاجِبًـا بـين حُجَّـابِ الـوَزَارَاتِ
أو جَامِعًـا للقِمَامَـاتِ التـي حَجَبَتْ   وَجْـهَ الـشَّوارِعِ أو أَرْضَ الأَزِقَّـاتِ
أوْ بائعًـا دَأْبُـهُ حَمْـلُ (المِـشَنَّةِ) مِـنْ   حَـيِّ الإمَـامِ - إلي شُـبْرَا المَظَـلَّاتِ
مـا شـأنُه بـيراعٍ راحَ يحملُـه ؟   أولي بـه حمـلُ أعـوادِ المقـشَّاتِ
لكنَّـه عـصرُنا الأعمـى ومنطِقُـه   ومـا احتيالُـكَ في عـصر الحماقـات ؟

١٦٦ - عبدالعزيز الزَّبنْ

مــن أيِّ داهيــةٍ أقبلــتَ يــا زَبِــنُ   لقــد رمتنــا بــك الأرزاءُ والمِحَــنُ
ما ذنبُ مصرَ وقد دنَّست ساحتَها   لمـا أطـلَّ عليهـا روحُـك النَّـتِنُ ؟
حللتَهــا بومــةً بالــشؤمِ ناعبــةً   يـا ليتهـا مـا أراهـا وجهَـك الزمنُ
فمــن أبــاحَ لهــا ســكني خمائلهــا   ومسكنُ البومةِ الأطلالُ والدِّمنُ ؟
إن الــسعوديةَ الغــراءَ قــد طَهــرتْ   لمـا نفتْـكَ فــلا رجــسٌ ولا دَرنُ
ولتــك مكتــبَ توظيــفٍ أحــقُّ بــه   مهــذبُ مــستنيرُ العقــلِ مُتَّــزِنُ
فلَـيسَ مِثْلُـكَ في جَهْـلٍ وغَطْرَسَـةٍ   يَومًا عَلي مَكْتَبِ التَّوْظِيـفِ يُؤْتَمَنُ
جهلتَ قدرَك حتَّى ما حفلتَ بمنْ   لــه عــلى مثلــكَ الآلاءُ والمِــننُ
تلقــاهُ جهــلًا بــلا ذوقٍ ولا أدبٍ   كأنَّــه جــاء يــستجدي فيُمْــتَهنُ
وأنــتَ أحقــرُ مِــن نعليــهِ منزلــةً   والنَّعـلُ مهـما يكـن شيءٌ لـه ثَمـنُ
وأنــت مثــلُ صــعاليكٍ تهــشُّ لهــم   والنــذلُ كــلُّ قبــيحٍ عنــده حَــسنُ
وكيـفَ تعـرف أقـدارَ الرجـالِ وقـدْ   أعماكَ عن كل فضلٍ عقلُك العَفنُ ؟
غبــاؤك الأحمــقُ المعتــوهُ مُــشتهرٌ   حتـى لقـد صـار بالأمثـالِ يَقـترِنُ

١٥ـ حملتَ أعلى وسامٍ للحميرِ وكمْ ... صَبا إلى مثلهِ أمثالُك الأُتُنُ

فانهقْ كما شئتَ يا عبدالعزيز فلمْ ... ينله إلا الأتانُ الناهقُ الأَرِنُ

إن (الدَّرِيسَ) الذي استطعمتَه علفًا ... مثل الشعيرِ به يرجي لك السِّمنُ

علام ترفضُ ترشيحي وتحرمني ... من التعاقدِ علما أنني قَمِنُ ؟

١٦ـ لو صورت خسةُ الدنيا مجسمةً ... في الناسِ لم يك إلا أنت يا (زبنُ)

١٦٧ - نبوت الغلام

سَمَّيتَ نفسكَ يا مغرورُ نبُّوتَا ... فَلا تَلُومَنَّ مَنْ يدعوكَ "هلفوتا"
أأنتَ حقًّا تقيُّ الدِّينِ ؟كيفَ وقدْ ... عبدْتَ من دونِ ربِّ الناسِ طَاغُوتَا؟!
أصْبحْتَ ظلَّ غُلامٍ صِرتَ في يدِهِ ... "نبوتَ"بَطشٍ وفي رجليهِ "شَلُّوتا"
لوْ قالَ كفرًا صرِيحا قلتَهُ تَبعًا ... بل زِدَت في القولِ تأكيدًا وتثْبِيتا
لقدْ خلفتَ ابنَ عثمانٍ عليهِ إلي ... أنْ صِرتُما في الهوي روميو وجولييتا
أينَ التُّقي والضميرُ الحرُّ واأسفَا ... أكانَ ذلكَ بالكرسيِّ موْقُوتا ؟!
وأينَ صدقُ وفاءٍ بعتَهُ ثَمَنًا ... لمنصبٍ لا يساوي اليومَ سَحْتوتَا
فكيفَ لو حُزتَ أعلي منه مرتبةً ؟ ... إذنْ لأمعنتَ تقتيلًا وتَشْتيتا
بالأمسِ كنتَ وديعَ الطبعِ هادِئَهُ ... فكيفَ في لمحةٍ أصبحتَ عِفْرِيتا؟!
وكيفَ أصبحْتَ مَفْلُوتَ العِيارِ ولمْ ... يَكُنْ عِيارُكَ قَبلَ اليومِ مَفْلُوتَا ؟
"وكالةُ البلحِ" استهوتْك بابِلُها ... حتَّى أصابَك مِنْها سِحْرُ هَارُوتَا
سِحرٌ إذا مسَّ كتكوتا غدَا أسَدًا ... وإنْ أصابَ هِزبْرًا صار كَتْكُوتَا
ياقاتلَ اللهُ مَنْ أعْماهُ مَنْصِبُه ... حتى رأي الخيرَ دونَ الشرِّ ممقوتَا

نَكِّلْ كما شئتَ بالمستضْعفينَ ولا تحفلْ بمستصْرِخٍ أو تخشَ مَكْبُوتا

١٥ـ وخلِّ كُليةَ الفُصْحى مُنافِسةً في الكيدِ والفتكِ والتدميرِ «بيروْتا»[1]

الله أكبرُ ممنْ تَستَعِزُّ به إنْ كنتَ سَيفا له أو كنتَ "نبُّوتا"

١٦٨ - أقبح مسْخ[2]

١ـ قل لليهودِ خذوا من أمسكُم عظةً فإن في أمسكم للحق برهانا

آباؤكم شوَّه الرحمنُ خِلقتهم بالمسخِ لمَّا اعتدَوا في السبتِ عِصيانا

وقال:كونوا قروداً خاسئين ولمْ يجعلْ لهم في رحاب الأرض أوطانا

وقد أعدَّ لكم أدهي وأقبحَ من مَسْخِ القُرودِ فهل أدْرَكْتمُ الآنا

٥ ـ هَذِي فَلسطينُ مَنْ يُنشئْ بها وطناً مِنْكم سَيمسَخُه الرَّحمنُ (عِجْلانَا)

١٦٩ - ملاحاة أدبية

١ـ من علَّم المَنطقَ الغُرابَا فَراحَ يَلغو به نُعابَا

ومن تُرى علَّم القوافِي مُصِّيرا شَدوها انْتحابَا

يظلُّ كالببَّغاء يهذي بِها فلا يحسنُ الخِطابَا

---

(١) يُشير إلى الحرب الأهلية في لبنان في الثمانينيات.

(٢) من ديوان " وحي الربيع".

مُستجديا شاردَ القوافي   وطارِقا للخيالِ بَابَا
ويبصقُ القولَ في حروف   تَسيلُ في طِرسه لُعابَا
قفاه للصافعينَ نَهْبُ   لا يَرتَجي مِنهمو حِسابا
كَذاكَ من يدَّعِي المَعالي   ولم يُهيِّءْ لها انْتِسابَا

***

مَنْ راحَ يُغريكَ بانْتِقادِي   أَوْرَدَكَ الهُلْكِ والعَذَابَا
سقيتُك العذبَ من ودادي   واليومَ فاشربْ قلايا صَابا
قَدْ ضَجَّ عَنْكَ المَقَالُ حَتَّى   أَثَارَ في حَلْقِكَ الْتِهَابَا
وفرَّ من ماضغيكَ كيما   يثيرُ في وجهكَ الترابا
يا ناعِمَ القولِ عدِّ عن ذا   وهيِّء الصِبغَ والخِضَابَا
إليكَ عن دولةِ المَعاني   وحَالِفْ الجَبْرَ والحِسَابَا
صَيَّرت رَوْضَ القَرِيْضِ قَفْرًا   مُصوَّحًا زهرُه يبابا
قد صاحَ فيه غرابُ بَيْنٍ   وكنتَ يا صاحبي الغُرابا

***

الشعر الملكي

في مواكب الشُّعْلَةِ

١٧٠ـ مهرجان النيل (*)

في عيد ميلاد الفاروق عام ١٩٤٥
وقد فازت هذه القصيدة بالميدالية الذهبية

مِنَ الأفُقِ الخُلْديِّ نَغَّمَ طَائِرُهْ … وفاضتْ علي سمعِ الزمانِ بشائِرُهْ
يُرقْرِقُ في الفجرِ النديِّ لُحُونَه … فتهتزُّ في شطَّيهِ نشوي أزاهِرُهْ
تراقَصَتِ الأدْوِاحُ فوقَ ضِفافِهِ … عرائِسَ وادٍ جُنَّ بالحُسْنِ سَامِرُهُ
علي لهواتِ الطيرِ من صَبَواتِها … طرائفُ شدوٍ أبدعتْها حناجِرُهْ
تساءلتِ الدنيا عن النيلِ مالَهُ … ترنَّحَ عِطْفاهُ وصفَّقَ زاخِرُهْ ؟
وما هذه الأفراحُ في جنباتِهِ … وما ذلكَ الصدَّاحُ رنَّتْ مزاهِرُهْ ؟
وما بهجةُ الوادي تسيلُ مواكِبا … بأمثالِها لم يحظَ قبلُ قياصِرُهْ ؟
وما ذلك الصبحُ الذي طالعَ الدُّنا … بما لم تُتِحْهُ في الزمانِ بواكِرُهْ ؟
وما الشرقُ يهفو نحو مصرَ مشاعِلا … توهَّجَ من لُبنانَ فيها مشاعِرُهْ ؟
هي الفرحةُ الكبرى يبشِّرُ فجرُها … بيومٍ علي الأيامِ تُرْوي مآثِرُهْ
بَشيرٌ إلي الشرقِ العتيدِ بعاهلٍ … علي تاجِهِ الميمونِ تحيا مفاخِرُهْ
بَشيرٌ بفاروقٍ محياهُ كلَّما … تبدَّي بليلِ الشرقِ وَلَّتْ دياجِرُهْ

* * *

أمولايَ هذا عيدُ ميلادِك الذي … تغنَّي به الوادِي فأشجَتْ قياثِرُهْ

(*) هذا الباب كله كما هو في ديوان وحي الربيع دون تغيير.

هـو الأرجُ العطـريُّ في كـلِّ زهـرةٍ … يـضوعُ بها سـاجِي النَّسِيمِ وعـاطِرُهْ
تفـرَّدَ في الأيـامِ حتـى كـأنَّما … عـلى أسَلاتِ الـدهرِ ماتـتْ نظـائرُهْ
تـأنَّقَ فيـه الـشعبُ رُوحـا وخَـاطِرا … فـما هـو إلا حُبُّـهُ وخـواطرُهْ
لقـد أسـعدَتْهُ منـكَ غُـرُّ مـآثرٍ … تغنَّـتْ بهـا أريافُـهُ وحـواضِرُهْ
فلا بِدعَ أن يزجِي لـك اليومَ (شُعَلةً) … تمَثَّـلَ فيهـا صـادقُ الحـبِّ طـاهرُهْ
وقـد علِقَـتْ أبـصارُه بـك ترتَـدِي … مـن الـشوقِ حتـى مـا تمـلُّ نـواظِرُهْ
تأمَّـلْ فهـذي روحـهُ في مَـشاعِلٍ … توقَّـدَ فيهـا بالأمـانيِّ خـاطِرُهْ
مـشاعلُ أذكاهـا شـبابُك ناهِـضا … ومـن عزمِـكَ الوقَّـادِ شعَّتْ منائِرُهْ
فمَـنْ شـاقَهُ أن يـشهدَ الحُـبَّ مـاثِلا … فهـذي معانيـهِ وتلـك مظـاهِرُهْ
ومـن سرَّهُ رُوحُ الـشبابِ فهـذهِ … مـشاعلُ رُوحٍ لـيسَ تخبُـو ثـوائِرُهْ
ومـن شـاقَه عـزُّ الجهـادِ ومجـدُهُ … فهـذي بوادِيـهِ وتلـكَ بـواكِرُهْ
إذا شِـيْدَ ملـكٌ بـالقلوبِ عَنَـا لـه … عـصيُّ أمانيـهِ وذلَّـتْ مخـاطِرُهْ

* * *

هو الغربُ بعـدَ الحربِ قد بأنَ غدرُهُ … وأفـصحَ عـما أضـمرتْهُ سرائـرُهْ
تغلغـلَ فيـه الغـدرُ بغيـا وشِرَّةً … فـضلَّتْ عـن الحقِّ القـويمِ بـصائِرُهْ
تَنكَّـرَ للحـقِ القـويُّ وغـرَّهُ … مـن النـصرِ فـوزٌ طالعتْـهُ بـوادِرُهْ
كـأنْ لم يكـنْ عهـدٌ أجَدَّتْـهُ مِحنـةٌ … فـما هـو وافيـهِ ولا هـوَ ذاكِـرُهْ
تـصامَمَ عـن صـوتِ المُطالـبِ سـمْعُهُ … ونـام عـلي حـق المُحـالفِ نـاظِرُهْ

ومـــا ينفـــعُ المغلــوبَ منطــقُ حقِّــهِ ... ومنطــقُ ســفاكِ الحقــوقِ بــواتِرُهْ

إذا الــذئبُ لم يــسمعْ لغــيرِ ضراعــةٍ ... مــن الحمَــلِ الــواني فــما هــو عــاذِرُهْ

مبـــادئُ مـــنْ شرعِ الــسباعِ شَــدا بهــا ... مُزِّيــفُ قــولٍ خــائسِ العهــدِ غــادِرُهْ

ومـــا كـحِمَـــي الأخــلاقِ حــصنٌ لأمــةٍ ... إذا نُكِبـــتْ فيـــه فـــماذا تحـــاذِرُهْ

وقـــد يــنهضُ الــشعبُ الجريحُ بروحِــهِ ... ولــيس يقــومُ الــشعبُ ماتــتْ ضــمائِرُهْ

هـــو الحـــقُّ لا يُعطَــى لذلَّــةِ طالــبٍ ... ولكــنْ إذا ضــجَّتْ زئــيرًا كــواسِرُهْ

***

هـــو الـــشرقُ قــدْ القــي إليــكَ قيــادَهُ ... وأضــحتْ علي يُمنــاك تُرجي مــصائِرُهْ

رأي فيـــكَ وثّـــابَ العـــزائمِ طامحـــا ... وســـبَّاقَ آمـــالٍ إلي مـــا يخـــامِرُهْ

جمعـــتَ بـــه شــملَ العروبــةِ فالتقــتْ ... أمانيــهِ بعــدَ الــشتِّ والْتــامَ نــاغِرُهْ

مُنـــيً كفَـــراشِ الزهــرِ حولَــكَ حُــوَّمٌ ... وروضٌ تــضم الطــيرَ فيــهِ أزاهِــرُهْ

هـــي الوحــدةُ الكُــبرى بنــاؤك شــامخا ... يعـــزُّ بِـــه رُكنـــا وتقـــوي أواصِرُهْ

هـــي الغـــابُ ممنــوع الجنــات عزيــزُهُ ... تُهــابُ بوازيــه وتُخــشى قــساوِرُهْ

ومـــا حطَّــم الأغْــلالَ مِثــلُ تــضامُنٍ ... يَــذلُّ لــهُ صُــلبُ الأســيرِ وآسرُهْ

أفــاروقُ هــذا الأزهــرُ اليــومَ قــد شــدا ... بمولـدِك الأسْـني وحيـاكَ شـاعِرُهْ

نهــضتَ بــه للــدينِ والعلــمِ فاغَتــدى ... يتيــهُ عــلي المــاضي ويعتــزُّ حــاضِرُهْ

ومـــنْ يجعــلْ الــدينَ القــويمَ ســلاحَهُ ... فلا الخطبُ غازيه ولا الدهرُ قاهِرُهْ

هنا مِشعلُ النورِ استفاضَ على الحِمى ... سناهُ و جابَ المشرقينَ مسافِرُهْ
ومن ها هنا شَبَّ الجهادُ تحوطُه ... شريعةُ حقٍّ ما تزالُ تؤازِرُهْ
هنا العزماتُ الحمرُ يذكي لهيبهَا ... فناءُ شبابٍ صارخُ الدم ثائِرُهْ
شبابٌ إذا رابَ الحِمى ظنٌّ غاشمٍ ... فإن الدماءَ الغالياتِ تكابرُهْ
فَدُمْ في أمانِ الله ترعاكَ عينُه ... وتحميكَ من عادِي الخطوبِ مقادِرُهْ
ولا زالَ للأيامِ عيدُك بهجةً ... ترفُّ على الوادي فتُذْكي مشاعِرُهْ

* * *

مَواكِبُ الولاءِ

١٧١ - في عيدِ التاج

أشرقَـــتْ مـــن جبينِــكَ الأيـــامُ وصَفَتْ يـومَ عيـدِكَ الأحـلامُ
مــا الربيــعُ الـضَّحُوكُ مـا بـسمةُ الزهـرِ يُغاديـهِ في الريــاضِ الغَــمَامُ
مـــا شروقُ الآمـــالِ مـــا بـــسمةُ الـــصُّبحِ إذا لاحَ وجهُــكَ البــسَّامُ ؟
موكــبٌ إثــرَ موكــبٍ وجمــوعٌ في جمــوعٍ وصــبوةٌ وهيـــامُ
وقلـــوبٌ تغـــدو حَجِيجـــا إلى الـــسَّاحِ وحـــشدٌ مـــن المُنـــي مـــستَهَامُ
خطـــرتْ في الـــضُّحى مواكبُهـــا الغـــرُّ تـــشقُّ الزحـــامَ وهـــي زِحـــامُ
والـــصباباتُ حـــائماتٌ كطـــيرٍ نَـــسمَتْها مـــن الرُّبـــى أنـــسامُ
إن (عَبْـــدينَ) كعبــــةٌ للأمـــاني ومطـــافٌ للآئـــذينَ حـــرامُ [1]
طُــفْ بهـــا خَاشــعا وأطْــرِقْ مَلَّيـــا فلهـــا حُرمـــةٌ وفيهـــا ذِمـــامُ
وعـــلى عرشِـــها الرفيـــعِ المُفــدَّي ملــكٌ دينُــه الهــدى والــسلامُ

* * *

مَلِــكَ النيــلِ إنَّهـــا مـــصرُ حُبـــا إنَّـــما الحـــبُّ قـــوةٌ ودِعـــامُ
هتفَـــتْ يـــومَ عيـــدِ تاجـــكَ يـــا فـــاروقُ فـــاهتزَّ بالهتـــافِ الـــشامُ
وعـــلى شـــاطئِ الفـــراتِ صـــداهُ وبِــوادِي الحجيـجِ عـرشٌ يُقـامُ
جُنَّــتْ الحــربُ واستــشاطَ لظاهـــا ودَجـــا ليلُهـــا وطـــمَّ القَتـــامُ
تـــصرخُ الأرضُ مـــن دمـــاءِ بنيهـــا وتـــضجُّ الوهـــادُ والآكـــامُ

---

(١) يقصد قصر عابدين.

والــدُّخان الألَــفُّ قــد ســمَّمَ الجــوَّ فــلا بهجــةٌ ولا أنــسامُ
وكــأنَّ الطيــورَ قــد عافــت الــدوْحَ فــلا نــشوةٌ ولا أنغَــامُ
ربِّ لُطفــا بكــلِّ شَــعْبٍ وديــعٍ   مــا لــه شــهوةٌ بهــا أو غــرامُ
مَلِــكَ النيــلِ إنهــا مــصرُ مَهْــما   لفَحتْهَــا الخطــوبُ والآلامُ
ســعدتْ في حمــاكَ فالخطــبُ ســهلٌ   إن عراهــا وجُرحهــا ملتــامُ
وإذا شــملُها تبــدَّدَ يومــا   بــين أبنائِهــا فأنــتَ الــضِّمامُ
وإذا مــا ازدَهــى بهــا الــشرقُ يومــا   فهــي عِقــدٌ لــه وأنــت النظــامُ
شــعلةٌ مــن شــبابِك الغــضِّ أذكــتْ   رُوحَهــا فهــي جُــذوة وضِرامُ

* * *

يــا نــصيرَ الــدينِ الحنيــفِ ومــا خابــتْ مــصارعٌ لهــا بــه اســتعــصامُ
لــيس بــدعا وأنــتَ حــامي حمــاهُ   يــومَ تُوِّجْــتَ تُــوِّجَ الإســلامُ
لا يــضامُ (المعمــورُ) مــا دمــت تــرعــاهُ ومَــنْ كنــتَ حِــصْنَهُ لا يُــضامُ
حــسدتْ مجــدَه الليــالي فأمْــسى   يُفــزعُ المجــدَ كيــدهُنَّ الجِــسامُ
ومــشتْ فيــه للــسياساتِ أفْعــىً   دارَ مِنْ سمعها على النشءِ جامُ
شــيعٌ فاقــتِ المــذاهبَ حَــصْرا   ورِغَــابٌ ضــلَّتْ بهــا الأفْهــامُ
إن للعلــمِ والــشيوخِ قداســـا   تٍ حــرامٌ أن تــستباحَ حــرامُ

* * *

نفثَــاتٌ في فرحــةِ العيــدِ يــا فــاروقُ تهفــو وذو الــشجونِ الكــلامُ
فــرحٌ في مــشارقِ الأرضِ مــسرَ ا   هُ ومــن مــصرَ بــدؤهُ والختــامُ

١٧٢ - لحنُ السلامِ
في عيـدِ الفَارُوق

من نـورِ طَلْعَتِكَ استفاضَ بهاؤُه ... وتهلَّلَـتْ بـك أرضُــهُ وسـماؤُهُ
ومشي الزمانُ إليه يُزجي موكِبا ... أربـى عـلي شرفِ السِّماكِ لـواؤُهُ
وأهلَّتْ البُشري على النيلِ الذي ... صـدقَتْ أمانيـه وصـحَّ رجـاؤُهُ
لمـا رأى الأفـراحَ في جنباتِـهِ ... صـدقَتْ هواتِفُـه وصـفَّقَ مـاؤُهُ

يـا بسمةَ الوادِي وبلسمَ جُرْحِـه ... والكـونُ قـد عـصفتْ بـهِ أرزاؤُهُ
غنَّيتُ باسمكَ والرياحُ عواصفٌ ... فَـسرَت تُبـشِّرُ بالـسَّلامِ رُخَـاؤُهُ
وأهَلَّ من علياءِ عرشِكَ ساطعٌ ... غَمَـرَ الحِمـى فتقـشَّعَتْ ظلـماؤُهُ
ما زالَ رأيُكَ والخُطوبُ حوالِكٌ ... كالـسيفِ فيـه زُواؤُهُ ومَـضاؤُهُ

فـاروقُ عيـدُكَ للكنانـةِ مَوسِـمٌ ... زَخَـرَتْ مَباهِجُـه وفـاضَ رُواؤُهُ
يـشدو بـهِ الـشعبُ الـوفيُّ محبَّـةً ... فيهــزُّ رُكــنَ المــشرقينِ غِنــاؤُهُ
نـشوانُ يهتـفُ بـالقلوبِ حناجرًا ... سَـكْرَي فتنـتِظمُ الـدُّني أصْـداؤُهُ
أصْفَيْتَه الحـبَّ المقـدَّسَ فاغتَـدَتْ ... تـسري بِحبِّـك في القلـوبِ دمـاؤُهُ
وأسَـوْتَ مِـنْ بُرَحَائـه فـإذا شـكا ... ألمــا فأنــتَ دَوَاؤُهُ وشــفاؤُهُ
مــن راحَ يبنـي بالمحبَّـة مُلْكـه ... رَسَـخَت جوانِبُـه وعــزَّ بنـاؤُهُ
لا زلـتَ راعِيـه ولم يـبرحْ بـه ... داعٍ لمجــدِك لا يُــردُّ دُعَــاؤُهُ

* * *

في المِهْرَجانِ العَبْقَريِّ

١٧٣ - الزِّفافُ الملَكي

« نالتْ هذه القصيدةُ الميداليةَ الذهبيةَ في المِهْرَجانِ الذي أقيم بدار الأوبرا الملكية بمناسبة الزفافِ الملكي عام ١٩٣٨ »

صُبْحٌ يضاحِكُ ثغرُهُ الأنوارَا … ملأ المشارِقَ رَوعَةً وفَخَارَا
ضحكتْ به الآمالُ حتى إنَّها … من فرْطِ فرحتِها غدتْ تَتَباري
وسرتْ به بُشري الزفافِ كأنَّها … نَغَمٌ يهزُّ بلحنهِ الأوتارا
تستقبلُ الأطيارُ بسمةَ نَوْرها … وُرْقا تُسابقُ في النشيدِ هَزارا
سَكْرى على الأفنانِ تصطبحُ السَّنا … فتهزُّ من وسناتِها الأزْهارا
والنيلُ نشوانُ الضفافِ مُصفِّقٌ … غَرِدٌ يساجِلُ في المنى الأطْيارا
لما رأى الأفراحَ في جنباتِه … باهي البحارَ وفاخرَ الأنْهارا

فاروقُ هذا عيدُ مصرَ بأسرِها … شَمِلَ المدائنَ واحتوى الأمْصَارا
اللهُ أكبرُ حين لاحتْ طلعةٌ … لك في سماها تستبي الأقمارا
في موكبٍ حَرسَ الجَلالُ جمالَهُ … من بين حرَّاسِ الملائِك سَارا
اليومَ تهتفُ مصرُ من أعماقِها … فتهزُّ من هتفاتِها الأقطارا
ويسجلُّ التاريخُ أروعَ صفحةٍ … للشرقِ لم يَسْعَدْ بها الأدْهارا
عيدُ الزفافِ يهزُّ أعطافَ القُرى … شوقا إليه فتُوفِدُ النُظَّارا
حتَّى الروابي أوفدتْ أعلامَها … أوَ ما ترى الأزهار والأنوارا
والأرضُ سابقت السماءَ بموكبٍ … نثرتْ عليهِ من القلوبِ نِثارا

فـــالكونُ مـــن ألـــقِ المُنـــى في صـــحوةٍ ... تُـذْكِي الـشعورَ وتُلْهِـمُ الأشـعارا
فـــاروقُ حُبـــك في النفـــوسِ سـجيةٌ ... رَسـخَتْ فكانـتْ للنفـوسِ شـعارا
أسَّــست مُلكَــكَ بالمحبــةِ فاسـتوى ... بـين الممالـكِ صـولة وفخـارا
إن جَــنَّ ليـــلُ الحادثــاتِ بــساحِهِ ... حوَّلـتَ ليـلَ الحادثـاتِ نهـارا
والله ألهمَـــك الـــسدادَ بحكمـــة ... تفْـرِي الخطـوبَ وتـدفعُ الأخطـارا
وكــساكَ مــن نــورِ الــصلاحِ بـشاشةً ... ومــن الجــلالِ العبقــريِّ وقــارا
فُـــتَّ النجـــومَ مَعاليـــا ومَراميـــا ... هـل تبتغـي بعـدَ النجـومِ مـدارا؟!
ورفعـــتَ ديـــنَ الله في أُفْـــقِ العُـــلا ... حتـــى سرَرْتَ نبيَّـــهُ المختـــارا
الـــدينُ نـــبراسُ الحـــضارةِ فاحمـــهِ ... مِمَّـــنْ يُثـــيرُ عَـــلي سَـــناهُ غُبَـــارَا
إن آزرتـــه أمــــةٌ ســــعدتْ بــــه ... أو جانبتْـــهُ ولَّـــتِ الأدبـــارا
لله مــــسبحةٌ تفـــاخرُ أنهـــا ... في الـذكرِ تلمـسُ كفـك المِـدْرارا
غــارتْ شـفاهُ الـشعبِ مـن حبَّاتِهـا ... فـشكَتْ مـن الـشوقِ المُلِـحِّ أُوارا
عــزَّتْ عــلي ريــشِ القـريضِ شـمائلٌ ... صـيَّرْنَ أقـلامَ البيـانِ حَيـارى
حـسدتْ ورودُ الـروضِ عبْـقَ أريجِها ... لمـا تــنقَّصَ نَفحَهـا المِعطـارا

الله تـــمَّمَ فـــضلَهُ بعقيلـــةٍ ... كَرُمَـتْ وطابـتْ عُنْـصرا ونُجـارا
عقــدتْ عليهــا مــصرُ كــل رَجائهــا ... وتيمَّنَـــتْ بزفافِهـــا استبـــشارا
فاســتقْبِلَا صــفوَ الــسعادةِ والمُنــي ... وتـــسنَّما الإجْـــلالَ والإكْبـــارا
لا زالَ عرشُــك بــالقلوبِ موطَّــدا ... وبقيــتَ للــدينِ الحنيــفِ مَنــارا

١٧٤ - ذكرى الملكِ فؤاد

تلفَّتَ خاطري وغفا جناني   واطرقَ في مواكِبها بياني
يروعُ جلالهُا قلبي فتعنو   لهيبتِهَا كَريماتُ المعاني
أروحُ أسائلُ الماضي فيعْيا   وأينَ جوابُهُ مما أعَاني ؟
ومن يُطْري مسالمةَ الليالي   كمَنْ يُطْري الشجاعة في الجبانِ

* * *

لمحتُ بغمرةِ الذكرى شُعاعا   من الفاروقِ ، لَّماحِ الأماني
يمرُّ نَدي سناهُ على جبيني   فيغمُرُني بأطيافِ الحَنانِ
وأسمعُ هاتفا في الأفْقِ يَشدو   فيملأُ صوتُه رحبَ العنانِ
رويدَكَ إنما الفاروقُ شبلٌ   لهذا الليثِ ، ينهضُ في اسْتِنانِ
وهذا النورُ من ذاكَ المحيَّا   وهذا الرُّمْحُ من تلكَ السِّنانِ
وهذا ملءُ أبصارٍ وسمعٍ   وذلكَ ملءُ أفئدةٍ حوانِ
وهذا جنةُ الدنيا بمصرٍ   وذلك في فراديسِ الجنانِ

وفتْ مصرٌ لعاهِلِها فؤادٍ   فلبيتُ الوفاءَ وقد دعاني
إذا ذكرتْهُ رجَّعتِ البوادي   ورجَّعَ عن صداها المشرقانِ
مضى في الخالدينَ من افتداها   وبوَّأَ عرشَها أعلى مكانِ
ومن نفثَ الحياةَ بها طموحا   وبثَّ بجيلها رُوحَ التفاني
ومُرْسٍ للحضارةِ كلَّ أُسٍّ   ورافعُ ركنِ نهضتِها وباني
وطيدَ المكرماتِ ، وكلُّ مجدٍ   يزيِّفُه شبا الأقلامِ فانِ

وأفـصحُ مـن بيـانِ النـاسِ لُـسْنٌ … فِـصَاحٌ مـن مـآثِرِهِ الحِسانِ
كفـاهُ بمجْـدِهِنَّ خلـودُ ذِكـرٍ … تـسابَقُ فيـه ألـسنةُ الزمـانِ
إذا احتفـلَ الحمـى في كـلِّ عـامٍ … وأفـصحَ عـن وفـاءٍ وامتنـانِ
فـإنَّ الأزهـرَ المعمـورَ حـقٌّ … عليـهِ ذِكـرُه في كـلِّ آنِ
أعـزَّ حمـاهُ فاستعـصتِ منـالًا … كرامتُـهُ علي ذلِّ الهـوانِ
وأسـبغَ مـن أيادِيـه عليـهِ … مـآثرَ قـد رواهـا الخافقـانِ
وجـادَ عليـه مـن كلتـا يديْـهِ … بـأغلى مـا تفيضُ بـه اليـدانِ
فـصار مكانُـه يُـشجي الأعَـادي … ويحـسُدُهُ عليـه الفرقَـدَانِ
تعهَّـدَهُ بإصـلاحٍ وسـامي … بكليَّاتِـهِ شُـمَّ المغَـاني
وسـنَّ شرائِعـا للعلـمِ غُـرًّا … تشنُّ الحربَ فيه علي التَّوَاني
جـوائزُ للأوائـلِ فيـه تُغْـري … وتَحْفِـزُ للمعـالي كـلَّ وانِ
وتقـديرٌ تَـوَالي مـن نَـداهُ … يـدُ الفـاروقِ فيَّـاضُ البنـانِ
فهـذي النهـضةُ الكُـبرى غِـراسٌ … جناهـا اليـومَ بالفـاروقِ دانِ

* * *

إمـامَ المسلمينَ ومُـصْطفاهم … سلمتَ،سلمتَ من ريبِ الزمانِ
سَـقامُك كـان للآمـالِ سُـقما … وكـانَ ضـنيَ يُحطِّـمُ في كِيـاني
فـديتُكَ أنـتَ أولُ مـن حبَـاني … بتقـديرٍ وأكـرمُ مـن رَعَـاني
إذا صـادفْتُ مـن دَهْـري جُحُـودا … كفـاني منـكَ تقـديرٌ كَفـاني
عرفـتُ الفخـرَ مُـذْ أطريـتَ شِـعري … ودِنْتُ النجمَ مُذْ أعليتَ شَاني
إذا أنـشدتُه يومـا أصـاخَتْ … لـه الـدنيا وأصغي الشِّعْرَيانِ

فرائِـــدُ مـــن يتـــيمِ الـــدرِّ شـــاقَتْ كـــرائِمُهنَّ لبَّـــاتِ الغَـــواني
ومـــا عـــرفَ البيـــانَ الحـــرَّ شـــادٍ إذا لم يُـنْشِ منـكَ شـذا البيـانِ
٣٩ـ بقيْـــتَ لنـــا تبلغُنـــا المعـــالي وتـــدفعُنا لهـــا منـــك اليـــدانِ

***

١٧٥- محمد علي الكبير

يا خالدَ الذكرِ يفني الدهرَ والحِقَبا … أعيَتْ مآثرُك الأشعارَ والخُطَبا
غنَّي بذكرِك شعبٌ أنتَ منقذُه … من غاشِم عاثَ أو من فاتِكٍ سَلَبا
ودولةٌ من قُيودِ الذلِّ قد نَهضَتْ … علي يديْكَ تُباري النجمَ والشُّهُبا
جمعتَ أشلاءَها من كلِّ ذي ظُفُرٍ … نَذْلِ الحكومةِ في أوصالها نَشَبا
طرقْتَها ساريا والليلُ مُعْتكِرٌ … أمسي حماها بهِ للفتكِ مُنْتَهَبا
تعدو الذئابُ علي قُطعانِه شَرَهًا … فمَنْ يفزْ بقطيعٍ مُفرَدٍ وَثبا
مخالبٌ من فلولِ الظلمِ يشرعُها … على الكنانَةِ غابٌ شرعُهُ غَلبا
ورجمةٌ من رجومِ الغرب ينفثُها … على البلادِ جحيمًا يَنفُثُ اللَّهبا
والجهلُ قد مدَّ في الآفاقِ أروِقَةً … ترى المفاسدَ والفوضَى لها طُنُبا
فلوَّحتْ يدُك البيضاءُ في غَسقٍ … فمزَّقتْ كبدَ الظلماءِ والحُجبا
لَوتْ زعازِعُها أرماحُهم فغَدَتْ … غُصْنا لِدانا وأمستْ قُضْبُهم عُشُبا
وكنتَ فجْر الحيارَى في مفازَتِهم … وكنتَ صُبحا من الآمالِ مُرْتقبا
بدَّلتَ خوفَهُمو أمنا وذلَّهُمو … عِزًّا وبأسَهمو من نجدةٍ رَغَبا
بعثتَها من رُقادِ الموتِ مملكةً … رددتَ عن ساحِها الأحداثَ والنُّوَبا

يا رافعًا مِشعلَ الأخلاقِ في بلدٍ … ما كانَ يعرفُ إلا الغِشَّ والكذبا

وباعثا نهضةً أرسَتْ دعائِمَها ... يَدٌ صَناعٌ وفكرٌ يثقُبُ اليَلَبا[1]
مصرُ الغداةُ وقدْ أحييتَ مَيِّتها ... قامتْ وفاءً لتقضي بعضَ ما وَجَبا
لما رأتْ فيكَ سبَّاقا لنهْضَتِها ... وأبصرَتْكَ على آمالِها حَدِبا
ألقتْ إليك زمامَ الملك راغبةً ... ولم تبايعْكَ إرْغاما ولا رَهَبا
محبةٌ في قلوبِ الشعبِ أودعَها ... من اصطَفاك لعرشِ النيلِ وانتخَبا

محمدٌ يا عليَّ المجدِ أي فتىً ... سواكَ أعيا المعالي والمُنى طَلبا
أنتَ العصاميُّ بالله اعتززْتَ وما ... تَخِذْتَ يوما سواهُ للعلا نَسبا
مضاءُ عزمِكَ يُنبي عنك في نسبٍ ... وحدُّ سيفكَ يكفي في العلا حَسبا
والمجدُ كالمالِ موروثٌ ومُكتسبٌ ... لكنَّ أروعَهُ ما كان مُكْتسبا

قالوا الحضارةُ قُلنا أيُّ ناحيةٍ ... من الحضارةِ لم تمدُدْ لها سَبَبا ؟
قد كان عهدُك فجرا فاض مشرقهُ ... على العلومِ وعم الشِّعر والأدبا
أبا البطولةِ والأبطالِ عَزَّ عُلًا ... من كنتَ جدًّا له بين الورى وأَبا

***

(١) في الصِّحاح: اليَلَبُ: الدروع اليمانية، كانت تتَّخذ من الجلود يُخرزُ بعضُها إلى بعض. وهو اسم جنسٍ، الواحدة يَلبة.

١٧٦ - فرحَةُ الميلادِ

لحــنٌ تــردَّدَ في ســماءِ الــوادِي ... طَرِبتْ لـه الـدنيا وغنَّـي الحـادِي
في بــسمةِ الفجــرِ النــديِّ تجاوبَــتْ ... أصــداؤه بــين الــضياءِ الهــادي
يــسري مــع الأنــسامِ في تــسبيحِها ... فيُثِـيرُ شـجوَ صـوادحِ الأعـوادِ
بُـــشرى تُرقرقُهـــا الـــسماءُ تحيـــةً ... تختــالُ بــين مواكــبِ الاسْــعادِ
أغْـلى الزمـانُ عـلى المدىَ مقـدارَها ... شرفًـا وضـنَّ بهـا عـلي الآبـادِ
هـي مُنيةُ الـوادي ، هـي الأملُ الـذي ... جمعَ المُنـي ، هـي فرحـةُ المـيلادِ

فــاروقُ قــد هتــفَ الزمــانُ وكــبَّرتْ ... في المــشرقينِ حــواضرٌ وبــوادي
لا غَــرْوَ عيــدُكَ عيــدُ مــصرَ ولم يــزلْ ... يزهــو بروعتِــهِ عــلي الأعيــادِ
أضـفَى عـلى الكـونِ المسرةَ فاكتـسى ... حُلــلَ الــسرورِ قــشيبةَ الأبــرادِ
والـشعبُ يقـبسُ مـن شَـبابِك فرحـةً ... تُنسيه ويـلاتِ الزمـانِ العـادِي
عجبـا ونـارُ الحـربِ تلـتَهِمُ الـدُّنى ... في الأرضِ في الآفــاقِ في الآرادِ
البحــرُ يفــزعُ مــن لهيــبِ ســفينِهِ ... والجــوُّ يــشكو صــولةَ المنطــادِ
والليــلُ أليــلُ والظــلامُ مــؤرِّقٌ ... لا يُسْتَــساغُ بــه لذيــذُ رُقــادِ
والنــاسُ بــين مُفــزَّعٍ ومُفَجَّــعٍ ... نـابي المضاجعِ مـن ضـنىً وسُـهُادِ
قــد جــاء عيــدُك مَرْهَمًــا لجــراحِهم ... وبــشِيرُ آمــالٍ وروحُ غــوادِ
يفيــدكَ شــعبٌ أنــتَ كــل حياتِــهِ ... ولأنــتَ منــه الــروحُ للأجــسادِ
شــعبٌ وفيٌّ مــن شــبابِكَ رُوْحــه ... ومــن الــشبيبةِ وحْـيُ كـلِّ جِهـادِ

مُلْكٌ بنيتَ على المحبةِ أسَّه ... والحبُّ خيرُ دعامةٍ وعِمادِ
إنَّ الشبابَ وأنتَ أكبرُ قدوةٍ ... لهمو أصابوا فيكَ أكبر هادِ
كم ذا سعيتَ إلي المساجدِ خاشعا ... لله فوقَ ركابِكَ المتهادِي
في موكبٍ حرَسَ الجلالُ جمالَه ... يحدوهُ من ملأِ الملائكِ حادِ
هتفتْ محاريبٌ سجدتَ بساحِها ... وأريتَنا فيها تُقى العُبَّادِ
كادتْ تبادِلُك الدعاءَ وترتجِي ... ما ترتجِيه لأمةٍ وبلادِ
مولايَ قُدْ شعبًا ملكتَ فؤادَهُ ... بالدِّين إن الدِّين خيرُ قيادِ
بيمينكَ النصرُ المبينُ وإنَّما ... نَصْرُ الرعيةِ في يدِ القُوَّادِ
أربَى علاكَ علي السماكِ وجلَّ عَنْ ... شأوِ الخيالِ وعزَّ عنْ إنشادِي
لا زالَ عيدُكَ للكنانَةِ فرحةٌ ... وبقيتَ للأوطانِ يا ابن فؤادِ

***

١٧٧ - اعتذارٌ

ببابِكَ يا ربَّ الفضيلةِ شاعرٌ ... نبا بخطاياهُ فجاءكَ تائبا

أيغضبُ سمْحُ النفس من طيشِ هفوةٍ ... فديتُك مسامحا وأفديكَ غاضِبا

وكيفَ يضيقُ اليومَ صدرًا بنزوةٍ ... مُعوِّدُنا أن يطرحَ اللغوَ جانبا

وماذا يضيرُ البدرَ في الأفقِ عاليا ... إذا سبَّه من كان في الأرضِ عَائبا

محاسنُ محمودِ الخلالِ محاسنٌ ... وإن راحَ يُسمِيها الحسودُ مثالبا

أمانا لمظلومٍ دجا ليلُ ظلمهِ ... فأمسي بليلِ الأزهريِّينَ حاطِبا

رمي خيرَ من يهوى ومن يرْمِ في الدُّجى ... أصابَ عدوا أو تحيَّفَ صاحِبا

وعُتباكَ بعد العتْبِ أسْني رغائِبي ... فما أجملَ العتبى بمنَ كان عَاتِبا

لك الفضلُ في الحاليْنِ إن كنتَ غافرًا ... إساءةَ مقتولِ المُنى أو معاقِبا

* * *

أناشيد

١٧٨ - نشيد الأم

أنا - ما عشتُ - محبٌّ   لكِ يا أمِّي الحبيبهْ
أنتِ نبعٌ فاضَ عَطفا   وحنانا وعُذُوبَهْ
أنتِ روضٌ يطَّبِينِي   كُلَّما استروحْتُ طِيبَه
أنتِ في أيامِ دَهْرِي   بَسْمَةٌ تمحو قُطُوبَهْ
لستُ أنسي لك عمري   فضلَ نُعماك الرطِيبهْ
كم ترفَّقْتِ بمهدي   وتعشَّقْتِ ربيبَهْ
وإذا سُقْمٌ عَرَاني   كنتِ لي نِعْمَ الطَبيبهْ
تسهرين الليلَ يَقظَي   وتُقاسِين كروبَهْ
وإذا بتُّ كئيبا   بتِّ من أجلي كئيبَهْ
وإذا ما رُمْتُ شيئا   كنتِ لي نعمَ المُجيبَهْ

***

أنا في عيدكِ أشْدو   لك يا أمي الحبيبهْ
وأنا طفلٌ نجيبٌ   شبَّ عن أمٍّ نجيبَهْ

١٧٩ - نشيد جامع الأزهر

أطِلِّي علـى مجـدِنا وانظُري ... وتيهـي بأيامِنـا وافْخَري
سماؤك يا شمسُ قد أطْلَعَتْ ... من الشرقِ جامعةَ الأزهرِ

* * *

سناها يشعُّ علي العالمين ... منارةَ هدْيٍ لدنيا ودِينْ
ومَنْهَلُهَا العذْبُ للظامِئِينْ ... ينابيعُ فاضتْ من الكوثَرِ

* * *

أطِلِّي علي مجـدِنا وانظُري ... وتيهـي بأيامِنـا وافْخَري
سماؤكِ يا شمسُ قد أطلعَتْ ... من الشرقِ جامعةَ الأزهرِ

* * *

شبيبَتُهَا نحنُ، جُنْدُ السماءْ ... وجُندُ العروبَةِ يومَ الفداءْ
مشاعلُ نورٍ إلي الأولياءْ ... وشعلةُ نارٍ علي المفْتَري
أطِلِّي علي مجـدِنا وانظُري ... وتيهـي بأيامِنـا وافْخَري
سماؤك يا شمسُ قد أطْلَعَتْ ... من الشرقِ جامعةَ الأزهرِ

* * *

نمتنا أعزاءَ فيها أباهْ ... نقودُ إلي الفجرِ ركبَ السُّرَاهْ
فمن ذا رآنا خفضنا الجباهْ ... لغيرِ سنا الخالقِ الأكبرِ؟
أطِلِّي علـى مجـدِنا وانظُري ... وتيهـي بأيامِنـا وافْخَري
سماؤك يا شمسُ قد أطْلَعَتْ ... من الشرقِ جامعةَ الأزهرِ

* * *

أبوها على الدهرِ أفنى الحِقَبْ ... وغالَبَ أحداثها و النُّوَبْ

ووحَّـدَ تحـتَ لـواهُ العَـرَبْ … على الحـقِّ مِـنْ سـالفِ الأعْـصُرِ
أطِـلِّي عـلى مجـدِنا وانظُـري … وتيهـي بأيامِنـا وافْخَـري
سماؤك يـا شـمسُ قـد أطْلَعَـتْ … مـن الـشرقِ جامعـةَ الأزهـرِ

* * *

بهَـدْيِ الكتـابِ وديـنِ النبـيْ … طـوي الأفُـقَ باللَّـسَنِ اليعْـرُبي
علي مـشرقِ الـشمسِ والمغـربِ … وفي يـابسِ الأرضِ والأخـضرِ
أطِـلِّي عـلي مجـدِنا وانظُـري … وتيهـي بأيامِنـا وافْخَـري
سماؤك يـا شـمسُ قـد أطْلَعَـتْ … مـن الـشرقِ جامعـةَ الأزهـرِ

* * *

سـنحمي رسـالتنا الخالـدهْ … ونبنـي لأجيالِنـا الـصاعِدَهْ
عـلي صرحِ أمجادِنـا الخالـدهْ … وعزَّتِهـا ، حـاضرُ الأزْهَـرِ
أطِـلِّي عـلي مجـدِنا وانظُـري … وتيهـي بأيامِنـا وافْخَـري
سماؤك يـا شـمسُ قـد أطْلَعَـتْ … مـن الـشرقِ جامعـةَ الأزهـرِ

فيـا بطـلَ الـشرقِ أعـلِ البنـاءْ … عزيـزَ الكرامـةِ حـرَّ الإبـاءْ[1]
لترعـي صـنيعَك عـينُ الـسماءْ … وتفـديكَ جامعـةُ الأزهـرِ
أطِـلِّي عـلي مجـدِنا وانظُـري … وتيهـي بأيامِنـا وافْخَـري
سماؤك يـا شـمسُ قـد أطْلَعَـتْ … مـن الـشرقِ جامعـةَ الأزهـرِ

---

(١) هذا المقطع كان الشاعر قد حذفه في مراجعتنا عام ١٩٩٣م ولكني أثبتُّه لإتمام القصيدة كما كانت في الأصل المنشور قبل ذلك.

١٨٠ - نشيد اليتيم

اليَتِـــــــيمْ. . . اليَتِــــــــيمْ ... ارحمــــوا دمـــعَ اليَتِـــيمْ

* * *

راعــه الــدهرُ وأصـــاهُ الزمــانْ ... فـــــــــــــــــارحموهْ
وشــكا لله مـــن فقـــدِ الحنــانْ ... فـــــــــــــــــاكْفُلُوهْ
اليَتِـــــيمْ. . . اليَتِــــــيمْ ... ارحمــــوا دمـــعَ اليَتِـــيمْ

* * *

ناعــبُ اليُـتْمِ محــا مــن سـمعِهِ ... نغــمَ الــدنيا وأفــراحَ الغِنَـاءْ
مـــن صـــدي آهاتِـــهِ أو دمْعِـــهِ ... تفــزعُ الأرضُ وتهتــزُّ الــسماءْ
اليَتِـــــيمْ. . . اليَتِــــــيمْ ... ارحمــــوا دمـــعَ اليَتِـــيمْ

* * *

لُؤْلُــؤٌ بــاليُتْمِ فــاقَ الجــوهرا ... خانَــهُ الحــظُّ فغــشَّاهُ الثَّــرَي
فخُـــذُوه واصــــقِلُوا مـــن درِّهِ ... يلمــعُ الــدرُّ ويــسطعْ عُنـصرا
اليَتِـــــيمْ. . . اليَتِــــــيمْ ... ارحمــــوا دمـــعَ اليَتِـــيمْ

* * *

علمـــوه يـــأتِكُمْ منــــه غـــدًا ... بطـلُ الجيـلِ وفخـرُ النـابِهينْ
نهـــضَ اليُـــتْمُ بِطَـــهَ أحمـــدا ... فهدَي الخلقَ وساسَ العـالمينْ
اليَتِـــــيمْ. . . اليَتِــــــيمْ ... ارحمــــوا دمـــعَ اليَتِـــيمْ

* * *

أكـرمُ الأيـدِي رضـا عنـدَ الإلـه ... راحةٌ مـرَّتْ عـلي رأسِ اليَتِيمْ
يكـرمُ اللهُ ويرعَـى مـن رعـاهْ ... ويثيـبُ الخـيرَ بـالخيرِ العمِـيمْ
اليَتِـــــيمْ. . . اليَتِــــــيمْ ... ارحمــــوا دمـــعَ اليَتِـــيمْ

١٨ ـ نشيد النصر [(١)]

اهتفـوا للنـصرِ وامْـضُوا للأمـامْ ... وانـشروا النـورَ فَقَـدْ ولَّى الظـلامْ
رَكْبُنَـا الظَّـافِرُ في يـومِ الـسَّلامْ ... طـافَ بالبُشْرَي عَـلَى كـلِّ الأنَـامْ

* * *

نـحنُ جندُ النصرِ ، أبطالُ الكفاحْ ... زاحَمَـتْ أنفُـسُنا فيـه الـسِّلاحْ
قـد وهبناهـا لمـوتٍ أو جـراحْ ... إنـما المجـدُ صراعٌ وزِحـامْ

* * *

يومُنَـا في هامَـةِ الأيـامِ غَـارْ ... ذِكْـرُهُ العـاطِرُ في الآفـاقِ سـارْ
وحَـدَا العِـيسَ به حـادي القِفارْ ... مُلْهَـمَ الـصبوةِ ، مشبوبَ الهُيـامْ

* * *

نَحـنُ جُـنُّ الأرضِ آسادُ الشَّرى ... ونـسورُ الجـوِّ عـزَّتْ مَنْـسَرا
كَمْ سددْنا الأُفْقَ في هولِ السُّرَي ... وحجَبنـا الغـيمَ بـالغيمِ اللُّـهامْ

* * *

عزمُنا الـصامدُ من عزمِ الأسُودْ ... بأْسُنا الـصادقُ من بأسِ الحدِيـدْ
كـم قَهَرْنـا كـلَّ جبَّـارٍ عنيـدْ ... لم يُطِقْ صبرا علي هَـولِ الصِّدَامْ

* * *

في سبيلِ الـسِّلْمِ والعدْلِ القَويمْ ... خَوضُـنا اللجـيَّ أو نـارَ الجَحـيمْ
إنـما يغـضبُ للـضيمِ الكـريمْ ... ويـري خـيرا مِـن الـضيمِ الحِـمَامْ

* * *

---

(١) فاز في مسابقة الشعر البريطانية عند انتهاء الحرب العالمية الثانية .

كـــم أغَثْنـــا لهفـــةَ المُـــستَنْجِدِ ... ودفعْنـــا عنْـــهُ بـــأسَ المُعْتـــدي
وكفَلْنـــا الأمـــنَ طـــولَ الأمَـــدِ ... وأعـــدنا العـــدلَ مخفـــورَ الـــذِّمامْ

* * *

ص ١ - اشهَدي يا أرضَ واحكي يا سماءْ ... وارو ِيـا تـاريخُ عـنْ هـذا اللِّـواءْ
قـد كتَبْنـا المجْـدَ فَخْـرا بالـدِّماءْ ... وبنينـا صرحَـهُ فـوقَ الغمـامْ

* * *

مـــاتَمُ الطغيـــانِ أعـــراسٌ لنـــا ... وعـــلي صرعـــاهُ نبنـــي مجْـــدَنا
ونُغَنـــي وتُغنينـــا المُنـــى ... مـن نـشيدِ النـصرِ ألحـانَ الـسلامْ

* * *

طابـتْ الآمـالُ هيـا يـا رِفـاقْ ... هزَّنـا الـشوقُ إلي طيـبِ العِنـاقْ
ج - أيُّهـا الأحبابُ قـد حـانَ الـتلاقْ ... لا عـدِمْنَا بيـنكُم طِيـبَ المُقَـامْ

١٨٢ - نشيدُ الكشَّافَة العَرَبِ

نحــنُ الكــشافةُ ، للعَــرَبِ ... أشـــبالُ المجـــدِ المُرْتَقَـــبِ
نَبنـــي أمجـــادَ عروبَتنـــا ... ونـــذودُ عـــن الـــوطنِ العَـــرَبي

* * *

وطـــنٌ نعتـــزُّ بوحدتِـــه ... ونقـــيمُ الأسَّ لنهـــضتِهِ
شـــعبٌ عـــربيٌّ مُتَّحِـــدٌ ... حَطَـــمَ الأغـــلالَ بوثْبَتِـــهِ
نحــنُ الكــشافةُ ، للعَــرَبِ ... أشـــبالُ المجـــدِ المُرْتَقَـــبِ
نَبنـــي أمجـــادَ عروبَتنـــا ... ونـــذودُ عـــن الـــوطنِ العَـــرَبي

* * *

كـم غنَّـي الـدهرُ بماضِـينا ... ورَوَي التـــاريخُ مَعـــا لِينـــا
واليـــومَ يجـــددُ حاضرُنـــا ... مجـــدا نبنيـــهِ بأيـــدِينا
نحــنُ الكــشافةُ ، للعَــرَبِ ... أشـــبالُ المجـــدِ المُرْتَقَـــبِ
نَبنـــي أمجـــادَ عروبَتنـــا ... ونـــذودُ عـــن الـــوطنِ العَـــرَبي

* * *

بِـــشهامَتِنا والإيثـــارِ ... ووفـــاءٍ كالمثـــلِ الـــساري
وفـــداءٍ صـــارَ لنـــا دينـــا ... يُـــزري بحديـــدٍ أو نـــارِ
نحــنُ الكــشافةُ ، للعَــرَبِ ... أشـــبالُ المجـــدِ المُرْتَقَـــبِ
نَبنـــي أمجـــادَ عروبَتنـــا ... ونـــذودُ عـــن الـــوطنِ العَـــرَبي

* * *

أطـــواءُ الخـــيرِ طوايانـــا ... وســـجايا الحـــرِّ ســـجايانا
خُلُـــقُ العـــربيِّ ورِثنـــاه ... وبـــه ســـنتوِّجُ دُنيانـــا
نحــنُ الكــشافةُ ، للعَــرَبِ ... أشـــبالُ المجـــدِ المُرْتَقَـــبِ
نَبنـــي أمجـــادَ عروبَتنـــا ... ونـــذودُ عـــن الـــوطنِ العَـــرَبي

١٨٣ - نشيد الشرطة

نحنُ جُنْدُ الأمنِ حُرَّاسُ الـوَطَنْ   لِحِمـى روحٍ ومـالٍ وسَـكَنْ
كـــلُّ جنـــدي فِـــدَاهْ   ســـاهرا يرعـــى حِمـــاهْ
ويُلبِّـــي مـــن دعـــاهْ   مخلصُ النجـدةِ في كـلِّ المِحَـنْ

***

كلُّنـا في خدمـةِ الـشعبِ الأمـينْ   ورعايـا أرضِـهِ مـن كـلِّ دِيـنْ
نحـنُ أقـسمنا ووفينـا اليمـينْ   وســنبقي أوفيــاءً للـــوطنْ
نحنُ جُنْدُ الأمنِ حُرَّاسُ الـوَطَنْ   لِحِمـى روحٍ ومـالٍ وسَـكَنْ
كـــلُّ جنـــديٍّ فِـــدَاهْ   ســـاهرا يرعـــى حِمـــاهْ
ويُلبِّـــي مـــن دعـــاهْ   مخلصُ النجـدةِ في كـلِّ المِحَـنْ

***

وطـنَ الا حـرارِ يـا مَهـدَ الـسلامْ   يـا سـماءً لم يكـدِّرْها غَـمامْ
إنــا الــشرطةُ أمــنٌ ونظــامْ   تكفـلُ الـصفوَ وتحمي يـا وطـنْ
نحنُ جُنْدُ الأمنِ حُرَّاسُ الـوَطَنْ   لِحِمـى روحٍ ومـالٍ وسَـكَنْ
كـــلُّ جنـــدي فِـــدَاهْ   ســـاهرا يرعـــى حِمـــاهْ
ويُلبِّـــي مـــن دعـــاهْ   مخلصُ النجـدةِ في كـلِّ المِحَـنْ

المحتويات

الموضوع		الصفحة
مقدمة		٣
رقم قصيدة	**الشعر الديني**	١٥
١ـ دعاء		١٧
٢ـ من وحي القرآن الكريم		١٩
٣ـ من رحيق التوحيد		٢١
٤ـ مولد النور		٢٤
٥ـ عِبرة الهجرة سنة ١٩٧٦م		٢٨
٦- العلمُ والإيمان		٣٢
٧- شاعر الإسلام		٣٦
٨- فجر الهدى سنة ١٩٤٥م		٤٢
٩ـ هجرة الحق سنة ١٩٤٢م		٤٥
١٠-مولد الربيع سنة ١٩٤٠م		٤٧
١١-العامُ الجديدُ ١٩٣٨م		٤٩
١٢-البطل المسلم/ مُحَمد على كِلاي		٥١
١٣ـ فى ذكرى الإمام السنوسي		٥٣

رقم القصيدة

١٤- ذكرى ٥٦

١٥- في ظلالِ الحَرَمِ سنة ١٩٦٠م ٥٨

١٦- حَنينُ قلبٍ ٥٩

١٧- فلسفة الصبر ٦٠

الشعرُ الوَطنِيُّ ٦١

١٨- مهرجانُ الجَلاءِ ٦٣

١٩- لبيك مصر سنة ١٩٥١م ٦٨

٢٠- يقظة النيل سنة ١٩٥٠م ٧٢

٢١- بورسعيد ٧٥

٢٢- أغنية لبورسعيد سنة ١٩٥٦م ٧٧

٢٣- لا ٨٠

٢٤- مؤتمر القمة العربي ٨٤

٢٥- نجد ٨٧

٢٦- صَرْخَةٌ عَرَبِيَّةٌ ٩٥

٢٧- الجامعة العربية ٩٩

٢٨- كِفاحُ الجزائرِ ١٠٢

٢٩- بني فلسطين ١٠٤

رجع المصورة

٣٠- تَحيةُ جامعةِ الأزهرِ ١٠٦
٣١- مفتى لبنان ١١٠
٣٢- مبايعةُ البطلِ ١١٤
٣٣- حنين مغترب ١١٨
٣٤- عيدُ النَّصرِ ١٢٠
٣٥- عيد الحرية ١٢٢
شعر الرِّثاءُ ١٢٥
٣٦- ولدي ١٢٧
٣٧- في مقبرة البساتين ١٣٦
٣٨- الدمع الموصول ١٣٩
٣٩- بعد عام ١٣٩
٤٠- فقيد الأزهر ١٤٠
٤١- محمد الأسمر ١٤٣
٤٢- فقيد الإسلام ١٤٥
٤٣- عاهل الكويت ١٤٨
٤٤- مصرع بلبل ١٥٢
٤٥- عزاء ١٥٤

أحمد الوصيرة

الشعر الاجتماعي	١٥٥
٤٦ - المَكْفوفُ	١٥٧
٤٧- أملُ الفلاحِ	١٦١
٤٨- اليتيمُ الشريدُ	١٦٤
٤٩- دُنيا الغَدِ	١٦٧
٥٠- الخَنافِسُ	١٦٩
٥١ - التِّيه	١٧١
٥٢ - المُتَسَلِّقُونَ أو القططُ السِّمانُ	١٧٣
٥٣ - الأزهرُ في عيدِه الألفيِّ مارس ١٩٨٣م	١٧٥
٥٤ - لحن السلام	١٨١
٥٥- صَيْحَةٌ جَاهِلِيَّةٌ	١٨٣
٥٦ - أُمِّي	١٨٦
٥٧ - تهنئة و أمل	١٨٧
٥٨- أجْرٌ وعافيةٌ	١٩٠
٥٩ - أبا سلوى	١٩١
٦٠- عودة الشفاء	١٩٢
٦١- عودةُ المراغي ١٩٣٥م	١٩٤

رقم القصيدة

٦٢- الخوارجُ ١٩٦
٦٣- في موكبِ الذِّكْرى ٢٠٠
٦٤- محمد العيد الخطراوى ٢٠٣
٦٥- أحمد عبد الله اليحيى ٢٠٦
٦٦- الإذاعةُ ١٩٥٠م ٢٠٨
٦٧- شاعر ٢٠٩
٦٨- معهدي ٢١٠
٦٩- اعتذار ٢١٢
٧٠- سر ابن زيدون ٢١٤
٧١- طفولة ٢١٥
٧٢- هذا الشباب ٢١٦
٧٣- خواطر في العيد
٧٤- وداع ٢٢١
٧٥- شجون ٢٢٣
٧٦- مصرعُ الفضيلةِ ١٩٣٣م ٢٢٧
٧٧- زكى مجاهد ٢٣٠
٧٨- تحيةٌ صادقةٌ ٢٣٢
٧٩- العالمُ الحلاقُ ٢٣٣

رقم القصيدة

٧٩ - النَّزْل ٢٣٤

٨١ - عتابٌ ٢٣٦

٨٢ - مهرجان الربيع ٢٣٧

شعر الطبيعة ٢٤١

٨٣ - موكبُ الربيعِ ٢٤٣

٨٤ - الشاطئُ المَهْجُورُ ٢٤٦

٨٥ - الليلُ الرهيبُ ٢٤٩

٨٥ - الشراعُ ٢٥١

٨٦ - مِحْرابُ شاعرٍ ٢٥٣

٨٧ - رأس الهلال ٢٥٤

٨٨ - عروسُ البحرِ ٢٥٧

٨٩ - الورقاءُ الثَّكْلى ٢٦٠

٩٠ - حديثُ القمرِ ٢٦٢

شعر المرأة ٢٦٥

٩١ - حُطَامٌ ٢٦٧

٩٢ - جَنَازَةُ حُبٍّ ٢٧٠

٩٣ - النِّسيانُ ٢٧٢

رقم القصيدة

٩٤- لَحْنٌ جَدِيدٌ ٢٧٤
٩٥- ضَيْعَةُ الأَملِ فِى ليلَةِ الزِّفافِ ٢٧٦
٩٦- عَلى غَيْرِ مَوْعِدٍ ١٩٣٢م ٢٧٩
٩٧- حَسْبي !! ٢٨٠
٩٨- الأملُ – ١٩٣٣م ٢٨١
شعر الفكاهة ٢٨٣
٩٩- العمادةُ العذراءُ ٢٨٥
١٠٠- رثاءُ دِيكٍ رُومىٍّ ٢٨٨
١٠١- البصارة ٢٨٩
١٠٢- الطهارةُ مِنَ البِصارةِ ٢٩١
١٠٣- صورةٌ أزهريةٌ ٢٩٣
١٠٤- أكول ١٩٤٧ م ٢٩٥
١٠٥- وليمة بخيل!! ٢٩٦
١٠٦- خديجة ٢٩٧
١٠٧- أبو الفضل ٢٩٨
١٠٨- حبيب وعبد الودود ٢٩٩
١٠٩- الفأرُ الشاعرُ ٣٠١

١١٠ - مأدبةُ اللئامِ ٣٠٢

١١١ - تكريمٌ بلا مُناسبة – ١٩٣٨م ٣٠٣

١١٢ - محَكمةُ المَجاذِيبِ ٣٠٦

سوط النقد ٣١٧

١١٣ - الأقنعةُ الزائفةُ ١٩٧٧م ٣١٩

١١٤ - متمصوف ٣٢٥

١١٥ - وسام الجهل ٣٢٨

١١٦ - يا ضيعةَ الإسلامِ من تُجَّارِهِ ! ٣٣١

١١٧ - مناجاة عاطفية للحضرة الفرهودية ٣٣٣

١١٨ - البعير ٣٣٦

١١٩ - المجنون ٣٣٨

١٢٠ - بائع الكرشَةِ ٣٤١

١٢١ - رثاء الكَلْبِ (فَرْهود) ٣٤٤

١٢٢ - طرد العميد ٣٤٧

١٢٣ - عودة العميد ٣٤٩

١٢٤ - على هامش العودة ٣٥١

١٢٥ - أبو نسب ٣٥٣

رقم القصيدة

١٢٦-العبيد ٣٥٥
١٢٧-الأحمقُ الحقودُ ٣٥٥
١٢٨- هجاءٌ للثوابِ ٣٥٦
١٢٩- صريعُ الغرورِ ٣٥٦
١٣٠- لوح ٣٥٧
١٣١- ابن نوحٍ ٣٥٨
١٣٢- البهلوانُ ٣٥٩
١٣٣- الذئبُ والشاةُ ٣٦٠
١٣٤- الخنزير العانس ٣٦١
١٣٥- الإيدز ٣٦٢
١٣٦- مُستشارٌ ٣٦٣
١٣٧- مديرٌ ٣٦٤
١٣٨-عميد ٦٣ ٣٦٥
١٣٩- طبيب المصطبةِ ٣٦٥
١٤٠- جرادة ٣٦٦
١٤١- احرصْ كما شئتَ علي المنصبِ ٣٦٧
١٤٢- إليكَ عن الرئاسةِ ٣٦٨

١٤٣- عدو النبوغ	٣٦٩
١٤٤- لصُّ العُيُونِ	٣٦٩
١٤٥- حَجٌّ	٣٧٠
١٤٦- ياسين البوابُ	٣٧١
١٤٧- نائبٌ نائبةٌ	٣٧١
١٤٨- زئيرٌ وبغامٌ	٣٧٢
١٤٩- كافور الجديد	٣٧٣
١٥٠- السامريُّ	٣٧٣
١٥١- منقذ الجهل !!	٣٧٤
١٥٢- الضليل	٣٧٤
١٥٣- بين حارة عبد الباقي ومصر الجديدة	٣٧٥
١٥٤- موسوس	٣٧٥
١٥٥- الخفافيش	٣٧٦
١٥٦- دعيٌّ	٣٧٦
١٥٧- ثالثةُ الأثافِي	٣٧٧
١٥٨- لا شيءَ	٣٧٧
١٥٩- اللحى الزائفة	٣٧٩

رقم الصفحة

١٦٠-القاضي المخمور ٣٧٩
١٦١- حمُّور ٣٨٠
١٦٢-خط الصعيد ٣٨١
١٦٣- صبح سدوم ٣٨٢
١٦٤- عبدالعزيز الزبن ٣٨٤
١٦٥- نبوت الغلام ٣٨٦
١٦٦- أقبح مسْخ ٣٨٧
١٦٧- ملاحاة أدبية ٣٨٧
الشعر الملكيُّ ٣٨٩
١٦٨- مهرجان النيل: في عيد ميلاد الفاروق ٣٩١
١٦٩- في عيدِ التَّاجِ ٣٩٥
١٧٠- لحنُ السلامِ في عيدِ الفَارُوقِ ٣٩٧
١٧١- الزِّفافُ المَلكي ٣٩٨
١٧٢- ذكرى الملكِ فؤاد ٤٠٠
١٧٣- محمد علي الكبير ٤٠٣
١٧٤- فرحَةُ الميلادِ ٤٠٥
١٧٥- اعتذارٌ ٤٠٧

رقم الصفحة

أناشيدُ ٤٠٩

١٧٦ - نشيد الأم ٤١١

١٧٧ - نشيد جامعة الأزهر ٤١٢

١٧٨ - نشيد اليتيم ٤١٤

١٧٩ - نشيد النصر ٤١٥

١٨٠ - نشيدُ الكشَّافةِ العَرَبِ ٤١٧

١٨١ - نشيد الشرطة ٤١٨

المحتويات ٤١٩

الجمع التصويري والإخراج الفني
دار الثقافة اللغوية
المنصورة- مصر
ت: ٠١٠٠٠٥٨٨٥٠٣١

* * *